

المعهد الهندي للدراسات الإسلامية

سلسلة البحوث اليمنية رقم ١

الصُّلَيْحِيُّونَ

والمحركة الفاطمية في اليمن

(من سنة ٢٦٨ هـ إلى سنة ٦٢٦ هـ)

تأليف

حُسين بن فيض الله الهندي

اليقبري الحرّازي



مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدق بالفيحالة

القاهرة

الصليحيون

الحركة الفاطمية في اليمن ٢٦٥-٥٦٢٦
- البف حسين همداني ، قاهره

تصدير

بقلم الأستاذ مصطفى السقا

، أستاذ الأدب الأندلسي بكلية الأدب بجامعة القاهرة

هذه صفحات رائعة مشرقة من تاريخ الحركة الفاطمية في اليمن ، وتاريخ دولة من أعظم دولها أثرا ، وأبقاها ذكرا ، وهي دولة « الصليحيين » ، الذين لبست اليمن على أيديهم حلة قشبية من المجد لا تبليها الأيام ، إذ انتظمت مخاليفها وحدة جامعة ، خفق عليها علم العدل والامن والسلام ، حقة من الزمان ، وخاصة في عهد مؤسسها علي بن محمد الصليحي ، وعهد السيدة الحرة اروى بنت أحمد الصليحية ، اللذين يذكر لهما اليمن حتى وقتنا هذا أطيب الذكريات .

كان حكم الصليحيين في اليمن طرازاً جديداً من الحكم ، وأول ما يميز به من سمات : القصد إلى وحدة الشعوب اليمنية ، وجمعها تحت راية سياسية واحدة ، تظلمهم بالسلام والعمل لإسعاد البلاد ، لا يبغي بعض على بعض ، ولا يجفو صاحب اعتقاد أو مذهب ديني أخاه في الوطن ؛ فقد أطلق الصليحيون لأصحاب المذاهب الدينية : من سنية وزيدية وفاطمية ، حرية الاعتقاد والعمل ، فكان ذلك أقوى دعامة قامت عليها تلك الدولة الجديدة .

وإذ كانت دولة الصليحيين فاطمية الشعائر ، أخذوا في إعلان شرائعهم وشعائرهم للناس ، ليظهروا حقيقتها ، وأنها لا تختلف في الواقع عن المذاهب الأخرى الموجودة ، كما يتضح من الباب التاسع من أبواب هذا الكتاب ، وليقولوا للناس : إن التشيع الفاطمي ، ليس كما صوره كثير من أعدائه ، من السياسيين المغرضين ، والفقهاء المأجورين ، وإنما هو صفحة نقية من اجتهاد أهل

UNION
BOOK SHOP
183-Aurkalli, Lahore.

بيت النبي ، وبلانهم في إقامة دولة سياسية إسلامية ، لاستخلاص حقهم في الخلافة ، الذي اغتصبه العباسيون وغيرهم من أيديهم ، مع احتفاظهم بما ورثوه عن آبائهم من أحكام في الدين ، وفتاوى في القضاء ، لا تُخرج المستمسك بها عن جملة المسلمين . فأما الاعتقاد في الله ، والإيمان بالنبوات ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالكتاب المنزل عليه ، فليس بينهم وبين جميع المسلمين في ذلك أدنى خلاف ، وإن اختلفوا في تأويل بعض الآي ، استناداً إلى ما ورثوه عن آبائهم الأولين ، من توجيه مآثور .

وليس الفاطميون وحدهم الذين انفردوا بالتأويل لبعض الآيات التي تحتل التأويل ، فالاختلاف في تفسير آي القرآن وتأويلها ، ظاهر في كتب المفسرين الأولين ، الذين سبقوا الإمام محمد بن جرير الطبري ، وكان تفسيره الجامع محكمة علمية ، للترجيح بين مذاهبهم . وخلاصة هذا كله أن المذهب الشيعي الفاطمي الرسمي ، مذهب صحيح ، خالص من الابتداع ، بعيد عن الزندقة والإلحاد وتعطيل الشريعة ، وغير ذلك من الانهزامات التي وصفه بها المغرضون .

وإذا كان بعض فرق الفاطمية ، كالنزارية والدروز والقرامطة وغيرهم ، قد غلا في مذهبه ، وابتدع أموراً ليست في أصل المذهب ، حتى سَوَّغ لأعداء الفاطميين أن يرميهم جميعاً بالزيف والضلال ، فليس ذلك ذنب المذهب الفاطمي الرسمي ، في أصوله النقية التي احتفظت بها دعوة الصلّاحين ، وإنما إثمه على الذين ابتدعوا ذلك من زعماء تلك الفرق الغالية ، المنسوبة إلى جملة المذهب الفاطمي ؛ وإثمه كذلك على الكتاب الذين يأخذون المطيع بجريرة العاصي ، ويُعممون الحكم على الأمور ، حين يقتضيهما الواجب التخصيص .

وليس التستر والكتمان الذي تميّز به المذهب الفاطمي في ماضيه ، إلا أثراً من آثار الاضطهاد والظلم ، الذي استقبلت به الدعوة الشيعية عامة والفاطمية خاصة ، وهو ضرب من التقيّة أمام حملات السياسيين والفقهاء في كل قطر

وأرض ، مما اضطر أصحاب التشيع الفاطمي إلى كتمان أحوالهم وأخبارهم جملة وتفصيلاً عن عامة الناس ، فلم يبوحوا بشيء منها إلا لمن أراد الدخول في المذهب ، بعد الاحتياط والحذر الشديد . ولما استقر حكم اليمن في أيدي دعاة الفاطميين من آل الصليحيّ اليمنيين ، جهروا بمذهبهم اعتقاداً وعملاً ، واستفاد الناس من هذا الجهر فوائد تاريخية عظيمة ، إذ بدت لهم صفحة هذا التشيع بريئة نقية مما ابتدعه المبتدعون ، وغلافه الغالون ، فتقرر في الأذهان أنه لا فرق بين المذهب الفاطميّ الأصيل ، وغيره من مذاهب التشيع المعتدل ، الخالي من الغلو والابتداع والانحراف ، إلا في شيء من الفروع والأحكام ، لا في أصل الاعتقاد بالله ، والإيمان برسالة محمد ، وبالقرآن الكريم .

وكان من آثار الجهر بالعقيدة الفاطمية الأصلية ، أن خفت راية الاتحاد على أهل اليمن ، وأظلمت حكومة واحدة قوية الدعائم ، تنشر الحب والعدل ، والثقافة والحضارة ، بين أهل الوطن الواحد بالقسطاس المستقيم .

هذا بعض ما تركته في نفسي قراءة هذا السفر النفيس في تاريخ دولة الصليحيين ، وتاريخ الدعوة الفاطمية في اليمن . وقد ترك في نفسي آثاراً أخرى كثيرة ، لا يتسع لها هذا التصدير الموجز ، ولكنني أقول في غير مصانعة ولا إسراف : إن هذا الكتاب قد غير رأبي في أشياء كثيرة ، وبدد من نفسي أوهاماً علقت بها مما قرأته عن المذهب الفاطميّ خاصة ، ومذاهب التشيع عامة ، في مصادر غير موثوق بمعرفة أصحابها لحقائق المذهب ، وتاريخه الصحيح .

والصورة المحققة التي رسمها هذا الكتاب بمنهجه ومادته لدولة الصليحيين وتاريخ الدعوة الفاطمية في اليمن ، صورة علمية جديرة بالتقدير ، لا تزيد فيها ولا مَدَاجاة ، ولا غش ولا تدليس ، وإنما هي إثبات حقائق تاريخية تستند إلى منهج تاريخي علمي دقيق ، لا يُثبت ولا ينفى شيئاً ، إلا بالدليل المقنع ، والحجة

(و)

الدامغة ، التي لا تقوم لها الشبهات ، ولا تثبت أمامها الأوهام . والمسلمون في مسيس الحاجة إلى أن يدرسوا تاريخهم السياسي والاجتماعي والعقلي ، في ضوء هذا المنهج العلمي المستقيم ، وهم إذا استمروا على ذلك ، واصلون ولا ريب إلى تغيير كثير من الآراء والأحكام المقررة ، التي صدرت عن أصحاب الأهواء والأغراض ، مما امتلأت به أسفار التاريخ .

• • •

تتجلى في صفحات هذا السفر النفيس شخصية مؤلفه الدكتور حسين الهمداني ، وما أتيح له من فرصة يندر أن تُتاح لغيره من المعنيتين بشئون اليمن ، كما يتجلى روحه الإنساني العالي ، ورغبته الوثيقة في إنهاض بلاده .

فالدكتور الهمداني قد استفاد من ثقافته الواسعة ، وخبرته الواعية ، هذا الأسلوب التحقيقي ، الذي جعله دعامة لتأليفه تاريخ الصليحيين ، فكل صفحة من الكتاب تشهد لمؤلفه الفاضل أن له إلماماً واسعاً بتاريخ بلاده ، وبمصادره الأصيلة ، وأنه ثقة وحجة في استنطاق النصوص ، واستخبر الآثار ، عما تنطوي عليه من حقائق ، تمتاز بالصدق والبعد عن التزيد والغلو ، والتشيع الذي تورط فيه كثير ممن كتبوا التاريخ . وجملة الأمر أن الدكتور الهمداني رسم لمشروعه خطة محكمة ، أعانتها عليها ثقافته الواسعة ، وشيء آخر يكاد ينفرد به دون غيره ، ممن يعرضون لتاريخ اليمن أو تاريخ الدعوة الفاطمية فيه ، ذلك هو النصوص التاريخية والوثائق التي استحوذ عليها ، ولا يوجد لها نظير إلا عند قلة قليلة من العلماء في اليمن وفي مصر وغيرها من البلاد ، وبعضها مما لا يعرفه أحد غيره ، لأنه من تراث آبائه وأجداده ، من يعابر همدان ، فأكثر المستندات والسجلات والوثائق التي يستشهد بها ، كانت ملكاً خاصاً لجده سيدي محمد علي اليعبري الهمداني ، وقد آلت من بعده إلى أبنائه وأحفاده ، وورث الدكتور حسين الهمداني منها كنزاً من كنوز المعرفة الخاصة بتاريخ الصليحيين . وكان من حسن التوفيق أن أعد

(ز)

الدكتور حسين الهمداني هذا الإعداد العلمي الخاص ، لينتفع بتراث آبائه ،
وبما تحت يده من ذخائر علمية نفيسة ، وليكون كشف الستار عن تاريخ اليمن
الحقيقي في القرون الرابع والخامس والسادس على يديه . وبعض هذه الوثائق
التاريخية قد نقل إلى الهند ، حيث توجد طائفة كبيرة من أتباع الدعوة في مقاطعة
غجرات ، ولكن كثيرا منها لا يزال باقيا عند أولى الدعوة باليمن ، أو في مصر
في مكتبة الدكتور محمد كامل حسين أستاذ الأدب المصري في كلية الآداب بجامعة
القاهرة ، وهو ينشر كثيرا من هذه الوثائق ، ويفيد منها فوائد عظيمة في أعماله
وتأليفه الكثيرة . وللأستاذ الدكتور حسن سليمان محمود في ميدان هذا البحث
آراء حسنة ونشاط مشكور في بحثه الذي قدمه للحصول على الدكتوراه من كلية
الآداب بجامعة القاهرة ، وهو بهذه المشاركة يعد من كتاب التاريخ الذين يعملون
في الحقل اليمني ، لإبراز حقائقه ، وإزالة الرمال عن كنوزه ونفائسه .

* * *

والدكتور الهمداني حين يشيع هذا الكتاب بين الصفوة من العلماء
في الشرق والغرب ، يهدف إلى أمور :

الأول : إثبات حقيقة تاريخية عن الحركة الفاطمية في اليمن إثباتا علميا
خالصا ، وهذه الحقيقة كانت غامضة لما يكتنفها من شكوك ، بسبب قلة المصادر
الأصلية في أيدي العلماء .

والثاني : أنه أراد أن يحفزهم الكتاب إلى كتابة تاريخ اليمن في عصوره
المتابعة على أساس علمي سليم ، ونهج مستقيم ، تتجنب فيه العصبية الدينية
والقبلية ؛ لأنه لا يوجد بين أيدي اليمنيين حتى اليوم ، تاريخ محرر لدولهم السياسية
القديمة والمتوسطة والحديثة ، على هذا النحو الدقيق ، وهم في مسيس الحاجة إلى
مثله ، كما فعل المؤلف في إبراز الصورة الحقيقية لتاريخ الصليبيين والحركة

الفاطمية ، حُبًا في تقرير الحقيقة لذاتها ، دون أن يكون له غرض شخصي أو طائفي من هذا البحث .

والثالث : رغبته الشديدة في إيقاظ اليمن ، وطنه الذي استأثر حبه بقلبه وملك عليه نواحي نفسه ، لتنبعث الحياة الجديدة في أوصاله ، وليسائر ركب الحضارة العالمية ، فلا يوصف بالتخلف ، وليكون قوة يعول عليها في بناء المجتمع الإسلامي الحديث .

والرابع : أن يعمل أهل اليمن أجمعون ، على جمع الشمل والتعاون ، واتجاه الجميع لغاية واحدة ، على إسعاد الوطن ، وتخليصه من الخلافات المذهبية ، التي تعوق المجتمع اليمني من الأخذ بأسباب التقدم والعزة والكرامة .

واليمنيون اليوم جديرون أن يقتدوا بأسلافهم العظام ، الذين شيّدوا مجد اليمن القديم . فلو تتبعنا تاريخ اليمن منذ أقدم العصور ، لوجدنا أن الشعب اليمني قبل الإسلام كان من أعظم الشعوب بأسا ، وأعرقها في الحضارة وتأسيس الممالك الضخمة ، والمدائن العظيمة ، مثل سبأ ومعين ومأرب وصنعاء ، وإيهم ينسب سد مأرب ، وإرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد .

وقد كانت شجاعة اليمنيين هي الدعامة التي ارتكز عليها الإسلام عند ظهوره ، فهم الذين آووا النبي ونصروه في حروبه وغزواته ، حتى ثبت دين الله في الأرض . وكان اليمنيون أكثر مادة الجيوش التي افتتح بها العرب ملك كسرى وقيصّر ، في فارس والعراق والشام ومصر وإفريقية والأندلس . وظهر كثير من رجالات اليمن في تاريخ الثقافة والحضارة الإسلامية ، وفي الإدارة والحكم والقضاء في العصور المختلفة ، وبعضهم ممن له شهرة عالمية عند أهل الشرق والغرب اليوم ، كالخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي (ت ٢٤٦) أعظم علماء العربية على الإطلاق ، والكندي (ت ١٧٥) فيلسوف العرب ، والحسن بن أحمد الهمداني (ت ٣٣٤) صاحب الإكليل وصفة جزيرة العرب ، ونشوان

ابن سعيد الحميري (ت ٤٧٣) صاحب الموسوعات الضخمة في اللغة والأدب ،
 وابن خلدون (ت ٨٠٨) صاحب التاريخ والمقدمة ومبتدع علم الاجتماع وفلسفة
 التاريخ . ومن المتأخرين من نوابغهم السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٦)
 صاحب تاج العروس ، أكبر معاجم اللغة ، وأعظمها شأنًا . وقد أنجبت اليمن
 أكبر شعراء العربية على الإطلاق ، امرأ القيس الكندي ، والمتنبى الجعفي ،
 وأبا العلاء المعري التنوخي . وفي عصرنا هذا ينتسب إلى اليمن أساتذة أجلاء
 نالوا حظا كبيرا من الثقافة الغربية في شتى نواحيها ، وهم الحجة الناطقة بأن هذا
 الشعب اليمني لا يزال محتفظا بكثير من الصفات الممتازة القوية ، التي ميزت
 نابعه في الماضي ، من الذكاء ، وسعة العقل ، والميل إلى الابتكار والاستقصاء ،
 في كل ما يتناولونه من عمل مادي أو فكري . وفي الشرق القريب والبعيد
 جاليات من اليمنيين والحضارة ، ركبوا البحار ، ومارسوا الأسفار والأخطار ،
 ونجحوا في ميادين المال والاقتصاد ، نجاحا يؤذن بحظوظهم القوية من الذكاء ،
 والشجاعة ، والثقة بالنفس في كثير من بقاع الأرض .

لكن بلاد اليمن اليوم — وإن لم تحرم حظها الكبير من ذكاء أبنائها ،
 وحسن استعدادهم للنبوغ في شتى الميادين ، كما نبغ أسلافهم العبقريون —
 لا تزال تعيش في الماضي ، أكثر مما تعيش في الحاضر ، مع أنها لا ينقصها عن نبوغ
 شأو الأمم الكبيرة والدول العظيمة ، إلا أن تخلع عن منكبها كل قديم بال
 من أساليب الحياة ، وتستبدل به الجديد القشيب ، الذي يلائم العصر وأمه الحية ،
 وهي لو فعلت هذا ، ابلغت في الزمن القريب ، الشأو البعيد ، وليس مطلب
 من مطالب الحياة الحديثة يبعد على من بنوا العرم ، وشيدوا مأرب وإرم .
 والله الموفق ، وهو المستعان ؟

« رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ » .

إِلَىٰ وَالِدَيَّ

الَّذِينَ أَدِينُ لَهَا بَوَّجُودِي وَتَنْشِئْتِي
أَطَالَ اللَّهُ فِي عَمْرِهِمَا وَغَفَرَ لِي وَلَهُمَا
كَأَنَّ رَبِّيَ صَغِيرًا

حَسْبُ الْعَمْدَانِي

شكر

نرى لزاما علينا أن نقدم جزيل شكرنا لصديقنا الأديب الدكتور حسين
نصار على قراءة التجارب الطبيعية بمد سفر الأستاذ مصطفى السقا إلى الخارج
قراءة دقيقة وتزويدنا بلحوظاته الثمينة .

وجدير أن ننوه بمجهود تلميذنا الرشيد الدكتور حسن سليمان محمود
في تقديمه لنا عوننا وعيننا في إخراج الكتاب إلى حيز الوجود - حينما رفضت
الجهات الشريفة والوطنية ، التي كنا نعتمد عليها مساعدتنا في طبعه - وإشرافه
على طبع الكتاب وترتيبه فهارسه .

ونشكر للأستاذ فؤاد السيد بدار الكتب المصرية كل الشكر مراجعة قاعة
المصادر وإضافة المعلومات القيمة إليها .

ونختتم بشكر السيد عبد الحميد علي حسن المشرف على مطبعة الرسالة لحسن
رعايته الكتاب في مراحل طبعه ما

المؤلف

رموز واصطلاحات

اتماظ الحنفا للمقریزی .	اتماظ
افتتاح الدعوة للقاضي النعمان .	افتتاح
الإكليل لأبي محمد الحسن الهمداني .	إكليل
أبناء الزمن . مخطوط بدار الكتب المصرية .	أبناء/دار
أبناء الزمن . تحقيق عبد الله ماضي .	أبناء/ماضي
Guide to Ismaili Literature	إيفانو
بغية المستفيد لابن الديبع .	بغية
معجم البلدان لياقوت الحموي .	البلدان
توفى .	ت
جلد أو جزء .	ج
الخور العين لنشوان الحميري .	خور
ديوان .	د
رسالة .	ر
مجموع الرسائل لحسين بن علي بن القم .	رسائل القمي
مجموع السجلات المستنصرية .	السجلات
السلوك للجندی . مختصر كاي (Kay) .	سلوك/كاي
صفحة .	ص
المصاحح للجوهري .	صح
صفة جزيرة العرب لأبي محمد الهمداني .	صفة
تاريخ الأمم والرسول والملوك للطبري .	طبري
العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون .	عبر
العبر لابن خلدون . مختصر كاي .	عبر/كاي

(ن)

العقود اللؤلؤية للخزرجي .	عقود
تاريخ اليمن لمهارة . مختصر كاي .	عمارة/ كاي
عيون الأخبار لإدريس عماد الدين القرشي .	عيون
فهرست كتب الدعوة لإسماعيل بن عبد الرسول .	فهرست إسماعيل
القاموس المحيط للفيروزابادي .	ق
قرة العيون لابن الديبع .	قرة
كشف أسرار الباطنية للجهادي .	كشف
الكفاية والإعلام للخزرجي .	كفاية
لسان العرب لابن منظور .	ل
المقتطف في تاريخ اليمن للجرافي .	مقتطف
مخطوط بالمسكبة المحمدية الهمدانية .	م . م . هـ
نزهة الأفكار لإدريس عماد الدين القرشي .	نزهة
المرجع نفسه .	نفسه

BSOS	Bulletin of the School of Oriental Studies, London.
EI	Encyclopoedia of Islam.
JA	Journal Asiatique.
JAOS	Journal of the American Oriental Society.
JRAS	Journal of the Royal Asiatic Society of Gt. Britain.
JRCAS	Journal of the Royal Central Asian Society, London.
IC	Islamic Culture, Hyderabad (Dn.).

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ومنه العون ، وبه الحول والقوة ، وله الحمد في الأولى والآخرة ، في صلاة وتسليم
على محمد وصحبه وعترة الطاهرين .

وبعد ، فإن التاريخ مدرسة الدهر ، يعلمنا ما لم نكن نعلم ، وهو كما قال ابن خلدون
في مقدمته : « في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق . . . يؤدي
إلينا شأن الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجال ،
وعمروا الأرض ، حتى نادى بهم الارتحال ، وحان منهم الزوال . وفي باطنه نظرة
وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ،
وجدير بأن يعدّ في علومها وخلق » . ففي التاريخ عبرة لمن اعتبر ، وفكرة لمن
افتكر . لذلك رأينا أن نهتدي بعبر التاريخ ، لتتير الطريق للحاضر وللأجيال القادمة .
وهذه عبر مطوية يقدمها هذا البحث في صحائف موجزة من سفر يتناول دورا
هاما من حياة اليمنيين ، الذين كانوا وما يزالون يدينون بالولاء للأئمة الفاطميين .
ونظراً إلى أن الحركة الفاطمية حركة عالمية ، كان الغرض منها قلب النظام
السياسي المسيطر على العالم الإسلامي ، فقد أجهت أنظار الفاطميين إلى الأقطار
الإسلامية النائية ، وكانوا يعملون على تحقيق هذا الهدف السياسي ، لبلوغ أوج
الزعامة في العالم الإسلامي .

وكانت بلاد اليمن محط أنظارهم وقبلة آمالهم . وسترى في هذا الكتاب
ما نذكره خاصا باهتمام الفاطميين ببلاد اليمن في القرن الثالث ، وأنهم كانوا يريدون
إقامة دولتهم في تلك البلاد ، ولكن لأسباب نبينها ، أجهوا إلى بلاد المغرب . ومع
ذلك ظلت بلاد اليمن موالية للفاطميين ، ولم تنقطع دعوتهم فيها حتى وصلت
إلى القمة في عهد الدولة الصليحية . وبقيت هذه الحركة إلى يومنا هذا في اليمن وغيرها .
وهذا الجانب من تاريخ الحركة الفاطمية في اليمن ، لم يُدرس درساً وافياً ،

بل كل ما وجدنا عنها من معلومات، إنما جاءت في كتب التاريخ العامة على شكل فقرات مبعثرة هزيلة، تحتاج إلى البسط والتوسيع^(١).

ولحسن الحظ وجدنا في مكتبة جدنا المقدس العلامة الشيخ محمد علي الهمداني^٢ اليَعبري^٣ مجموعة من المخطوطات والوثائق ساعدتنا على كشف غموض هذا الموضوع. وبفضل المادة التاريخية التي استقينها من هذه المصادر، تمكنا من تأليف تاريخ هذه الحركة، وبخاصة من عهد الدولة الصليبية وعلاقتها بمركزها الرئيسي بالقاهرة.

وعلى هدى ماقرأنا، قررنا أن يكون نظرنا لهذا الموضوع، كما سترون، نظرة خالصة مجردة، لا تصدر عن عاطفة ولا هوى. بل كان رائدنا دائما الإنصاف والتحقيق، في حدود المصادر التي بين أيدينا. وكنا نريد أن نكون أكثر دقة في هذا الموضوع، لو أن إخواننا في اليمن والهند قد تفضلوا بتزويدنا ببعض المراجع الهامة، التي تأكد لدينا وجودها هنالك، وحاولنا الاتصال بهم للحصول عليها خدمة للعلم، ولكن ذهبت محاولتنا أدراج الرياح؛ لذلك اكتفينا بما كان لدينا من مراجع مخطوطة بالمكتبة المحمدية الهمدانية، وأخرى مطبوعة ومخطوطة بدار الكتب المصرية وغيرها من خزائن الكتب.

ويلاحظ المشتغلون بدراسة اليمن أن كثيرا من المسائل التي تتعلق بتاريخ هذه البلاد يكتنفها الغموض، ومراد ذلك إلى قلة المعلومات عنها، واضطراب مصادر

(١) يسمى الفاطميون أنفسهم باسم «أهل الدعوة» أو «السليدين المؤمنين» ودعوتهم بدعوة الحق» و«الدعوة الهادية». وهم لا يعترفون بالأسماء والألقاب التي نسبت إليهم، مثل الفاطمية والإسماعيلية والباطنية والسبعية وغيرها، ولا توجد هذه الألقاب في كتبهم. وقد نسب إلى نفسه الشيخ أبو حاتم الرازي — وهو من كبار علماء الدعوة — في كتاب الزينة، كلمة أهل السنة والجماعة. وقال المؤيد في الدين، باب أبواب الإمام المستنصر (د المؤيد ٨٨):

يا سائلا تسألني عني اعلم بأني رجل سني

أحب أصحاب نبي الهدى ديني على حبه ميني

وقد أطلقت كلمة الفاطمية على أهل الدعوة عامة في هذا البحث، لولا أنهم الأئمة الخلفاء الفاطميين، كما تطلق كلمة الزيدية على أتباع الإمام زيد بن علي راحة الله عليه.

التاريخ وبليلتها ، وأحيانا إلى تناقض المؤرخين أو الكتاب في سرد الحوادث . ولا يقتصر هذا على أحوال اليمن في العصور الحديثة ، بل تبدو الحالة أكثر غموضا إذا كان موضوع البحث يتعلق بالقرون الوسطى والغابرة . وذلك كما نعتقد يرجع لعدة أسباب ، منها : تمزيق البلاد إلى دويلات صغيرة متنافسة ، وانشغالها بالحروب المتتالية ، ثم انهيارها بهلاك منشئها وأصحابها ؛ ولأن اليمن لم تتحد تحت راية حكومة قوية مستقلة ، إلا مدة وجيزة من الزمن ، أو في جزء أو منطقة منها . وقد دأب المؤرخون لهذه الدويلات ، على أن يصوروا منافسهم في الحكم والعقيدة بأبشع صورة ، وكانت المنافسات تأخذ في تلك العصور صبغة دينية ، وينشأ عن ذلك حزازات ومناقرات ، تؤدي إلى تأليب جماعات المسلمين بعضهم على بعض ، وإلى تمجيد أصحاب المقالات ، ثم إلى كتمان أمورهم وكتبهم ، والتزام التقية والتستر من أن تقع أسرارهم وكتبهم في أيدي المنافسين الأقوياء . ثم لم تدوّن تواريخ بعض هذه الدويلات ، التي عاشت لمدة قصيرة وفي منطقة ضيقة ، وأهمل ذكر أحوالها وأصحابها ، ماعدا أسماءهم وما جاء ضمن الكلام عن بعض الحوادث والحروب ، مثل اليعافرو وسلاطين همدان في صنعاء ، كأنهم لم يكونوا ، أو ليس لهم أهمية تستدعي ذكرا وافية ؛ فلذلك نعتقد أن من المناسب أن تدرس حقبة من تاريخ اليمن ، أو دولة من دول هذه البلاد على حدة ، قبل تدوين التاريخ الشامل .

وقد اقتصرنا في هذا الكتاب على بحث تاريخ الصليحيين في اليمن ، لأننا نعتبر هذا العهد من تاريخ اليمن حلقة مهمة . فإن بلاد اليمن جميعها جبالها وسهولها ، سادت عليها دولة قوية ، امتد نفوذها إلى حضرموت وعدن في الجنوب ، والحجاز في الشمال ، وهذا ما لم يحدث في الجاهلية ولا الإسلام ، كما حكاه القاضي عمارة اليميني . ثم إن هذه الدولة نشأت نتيجة لتيارات قوية كانت تسود في العالم الإسلامي خلال تلك القرون ، واستطاعت أن تكتسح من أمامها كل الدويلات القائمة في اليمن . وبطبيعة الحال يجب أن نذكر ببعض التفصيل تاريخ الحوادث التي أدت إلى ظهور الملك علي بن محمد الصليحي في أفق اليمن ، وتاريخ الدولة الفاطمية الأولى التي أنشأها منصور اليمن ، والحركة الفاطمية التي مهدت سبيله إلى الحكم ، وأن نذكر أيضا

تاريخ المنظمة التي أوجدها الصليحي ومن بعده السيدة الملكة الحرّة الصليحية أروى بنت أحمد، والتي احتفظت بثروة عظيمة في الأدب الفاطمي، والتي بقيت إلى يومنا هذا في اليمن وفي غير اليمن، بعد انقراض الدولة الصليحية. وقد وقفنا عن تسجيل تاريخ الدعوة عند ظهور دولة آل رسول، لأن منظمة الدعوة دخلت في مرحلة جديدة في علاقاتها بهذه الدولة اليمنية العظيمة، وتأيدها وتمضيدها. و نرجو أن تظهر عاجلاً أو آجلاً دراسة تاريخ المنظمة وفروعها إلى أيامنا هذه.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على مؤلفات الداعي إدريس عماد الدين القرشي المتوفى سنة ٨٧٢. وقد ورد ذكر كثير من الأحداث التي صاحبت هذه الحركة في الأجزاء الخامس والسادس والسابع من كتاب عيون الأخبار^(١)، وفي الجزء الأول والثاني من كتاب زهر الأفكار^(٢). وهذا الكتاب هو الوحيد الذي يبين بصورة واضحة تاريخ الدعوة الفاطمية في اليمن متصلاً من أيام منصور اليمن

(١) والجزء الخامس يصف الحوادث التي أدت إلى قيام الخلافة الفاطمية في شمال إفريقيا وينتهي حتى آخر حكم المنصور بالله. والسادس يعطينا فيه المؤلف صورة واضحة عن حكم الخلفاء: المعز لدين الله، والفريز بالله، والحاكم بأمر الله، والظاهر لإعزاز دين الله، والمستنصر بالله. والسابع يصف لنا حكم المستنصر بالله وقيام الدولة الصليحية باليمن على يدى علي بن محمد الصليحي، كما يصف لنا حكم الملكة العظيمة أروى بنت أحمد في بلاد اليمن، ويصف كذلك حكم الخليفة المستنصر بالله وقيام النزارية وحكم الخليفة الأمر بالله ووصيته بأن يتولى الأمامة من بعده ابنه الطيب وقيام الدعوة له في اليمن تحت رياسة الداعي المطلق الذؤيب بن موسى الوادعي. وهذا الكتاب مهم جداً بالنسبة لبحثنا، فهو الأساس الذي اعتمدنا عليه وبه إهتدينا. ونظن أن إدريس بدأ في تأليفه بعد أن انتهى من تأليف كتاب زهر المعاني (انتهى منه سنة ٨٣٨) وكذلك انتهى من كتاب العيون قبل أن يبدأ في تأليف كتاب الزهرة. ورد ذكر الكتاب في فهرست للشيخ إسماعيل ص ٩٦ — ١٠٤؛ موجود في م. م. م.

(٢) فهرست إسماعيل ص ١٠٤ — ١٠٥؛ موجود في م. م. م. يبدأ الكتاب بمقال عن الدور الذي لعبه الأهدانيون في الحركة العلوية ببلاد اليمن من أيام علي بن أبي طالب. ويقرر إدريس فيه أن الدعوة العلوية لم تتلاش نهائياً من بلاد اليمن. وفي الجزء الأول ذكر إدريس الحوادث من أيام قيام الدعوة على يد الداعي الذؤيب بن موسى، حتى أيام جده عبد الله. وفي الجزء الثاني استمر في ذكر الحوادث التي جاءت في الشطر الأخير من حياة الداعي عبد الله. وقد ساق الحوادث فيه حتى سنة ٨٥٣.

حتى أيام إدريس عماد الدين ، وهما من مؤلفات إدريس^(١) . ولذلك جعلنا مؤلفاته أساسا
لبحثنا ، واعتمدنا عليها كثيرا على الرغم من تأخره ، إلا أن معلوماته كانت مستقاة
من روايات منقولة ومن اتصالاته الشخصية بالرواة ، ومن أصول معاصرة لعهد
الاصليحيين وما سبقه من اليهود في تاريخ الدعوة في اليمن . ولا غرو ، فإن المؤلف
كان وارثا لتقاليد الدعوة من عدة قرون ، محتفظا بكتبها ، وإن كانت كتاباته لا تخلو
في بعض الأحيان من المحاباة والتعجيز ، ومن الحب المفرط والكراهية الشديدة ،
مما يترتب عليه أحيانا طمس الحقيقة ، وتحريف الوقائع ، وحذف بعض الحوادث .
وقد تبينا هذا من مقارنتنا لبعض الأحداث التي ورد ذكرها في المصادر الأخرى .
وعلى الرغم من ميوله السياسية أو الدينية ، يرى الباحث أن المؤلف أمّ إماما كبيرا
بتاريخ الدعوة اليمنية ، وكانت له معرفة واسعة بحوادثها وتواريخها . ولعل ذلك
يرجع إلى ظروفه التي مكنته من الاطلاع على كثير من الروايات المنقولة إليه ،
والوثائق المحفوظة بجبال حراز المنيع المحروسة . ولا يقتصر حكمنا على مؤلفات
إدريس عماد الدين على مجرد قيمتها التاريخية ، بل يزيدنا تقدير لها أنه كان الوحيد
الذي أرّخ لهذه الهيئة تاريخيا مبنيًا على مشاهداته الخاصة ، واشتراكه الفعلي
في حوادث أيامه ، كما كان له ولأسرته وأسلافه قسط كبير في حفظ كيان الدعوة
وصياغة تاريخها .

ويمكننا أن نعتبر الجزء الأول من كتاب افتتاح الدعوة الزاهرة^(٢) تأليف
القاضي النعمان المتوفى سنة ٣٦٣ قاضي قضاة مصر أيام المعز لدين الله مرجعا مفيدا

(١) وله أيضا كتاب روضة الأخيار ، وهو يختلف في الاسم عن نزهة الأفكار ، إلا أنه
تكلمة له في حوادثه . فهو يبدأ من سنة ٨٥٤ ويستمر في ذكر الحوادث حتى سنة ٨٧٠ .
ويعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع لتاريخ اليمن تحت حكم الطاهريين ، لأن إدريس كان حليفا
لهم . والكتاب أيضا مصدر هام لتاريخ حياة إدريس ، والدور الذي لعبه كرئيس للدعوة
الطبية في بلاد اليمن . ومنه مخطوط مؤرخ بتاريخ سنة ٩٩١ محفوظ بمكتبة جامعة لندن ، ومنه
صورة شمسية بمكتبة حسين الهمداني .

(٢) فهرست إسماعيل ٨٦ : م . م . ه .

لأنه أعطانا صورة للاحداث والظروف التي أدت إلى وصول أبي القاسم منصور
اليمن سنة ٢٦٨ وإنشاء دولة موالية لبني فاطمة في بلاد اليمن .

وتعتبر مجموعة السجلات المستنصرية^(١) من أهم المصادر وأهم الوثائق لثبت
تاريخ الدولة الصليحية ، وعلاقتها بالخلافة الفاطمية بمصر . وقد وجدنا هذه المجموعة
من الرسائل التي وجهها الخليفة المستنصر بالله إلى السلاطين الصليحيين باليمن . وقد
حفظها أهل الدعوة في حراز مركز الدعوة باليمن طوال هذه القرون ، كما حفظوا
كثيرا من التراث العلمي الفاطمي ، الذي ضاع بمرور الزمن ، أو أباده أعداؤها
في مصر وغيرها من البلاد .

وكذلك وجدنا نسخة خطية من مجموعة أخرى من الوثائق المعاصرة ، وهي
مجموعة الرسائل^(٢) للشاعر المنشي الحسين بن علي القمي اليماني ، رئيس ديوان
الإنشاء في عهد الصليحيين . وبعض هذه الرسائل كتبها القمي بلسان السلاطين
الصليحيين موجّهة إلى الفاطميين بمصر . وقد استطعنا بفضل هذه الوثائق أن
نقرر مصير الأمور وتواريخ بعض الحوادث التي اختلفت فيها المصادر تقريراتها .
وكذلك رجعنا إلى عدة مصادر تاريخية منها المخطوط ومنها المطبوع في هذا
البحث ، ونحن نذكر أهم هذه المصادر التي أخذنا عنها في دراسة موضوعنا .
ولا ريب أن كتاب السلوك الذي ألفه أبو عبد الله بهاء الدين بن يوسف بن
يعقوب المعروف بالبهاء الجندی المتوفى سنة ٧٣٢ يتضمن معلومات مفيدة عن
الفترة التي أعقبت وفاة منصور اليمن مباشرة .

(١) مخطوط هذه الرسائل محفوظ الآن بمكتبة مدرسة الدراسات الشرقية بلندن . انظر
مقال حسين الهمداني في B . S . O S . 1934 . وقد نشر أخيرا صديقنا الفاضل الدكتور
عبد المنعم ماجد « السجلات المستنصرية » من النسخة المحفوظة بلندن المشار إليها ، وبذلك قدم
خدمة جليلة للعلم والتاريخ . وقد قلنا في اللاحق السجلات التي أوردها إدريس حماد الدين
في الجزء السادس والسابع من كتاب عيون الأخبار ، والتي لم ترد في مجموعة السجلات لأنها كاملة
لما ورد في المجموعة . ومن المؤسف أن المخطوط المحفوظ بلندن حديث العهد ومليء بالأخطاء
كما أشار إليه المحقق . فترجو أن نهتدى إلى نسخ أخرى في اليمن ، وبالحصول في مكنتبات
حراز ، حتى نستطيع أن نقارن بين هذه المخطوطات ، وأن نكملها بالسجلات التي وردت في العيون .
(٢) وقد اعتمدنا على نسخة خطية منها بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

ويعتبر كتاب تاريخ اليمن للفقير الشاعر نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي الحكيم اليمني المشهور بعمارة اليمني، المتوفى سنة ٥٦٩ هـ ، من أقدم المراجع لتاريخ الصليبيين وأهمها وأكثرها فائدة. وعمارة كما هو واضح من الجزء السابع من كتاب عيون الأخبار مرجع هام اعتمد عليه إدريس عماد الدين^(١) في سرد الحوادث عن الصليبيين. وقد نشر كاي (Henry C. Kay) كتابي عمارة والجندي يليهما كتاب العبر لابن خلدون. واستفدنا من مجموعة الكتب هذه ومن تعليقات كاي وتحقيقاته الثمينة.

ويلاحظ أن كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة للفقير محمد بن مالك الحمادي اليمني المتوفى في أواسط القرن الخامس الهجري - بالرغم من أنه أعلن الحرب على الصليبيين، وتعصب تعصبا دينيا شديدا - من المراجع المعاصرة التي اعتمدنا عليها في تحقيق بعض الحوادث، وبخاصة عند كلامنا عن حالة بلاد اليمن قبيل الصليبيين من الناحية الدينية، كما أشرنا إليه في بيان قيام علي بن محمد الصليحي بثورته في جبل مسار سنة ٤٣٩ هـ.

وكذلك استفدنا من كتاب أنباء الزمن في أخبار اليمن ليحيى بن الحسين ابن القاسم، المتوفى في الشطر الأول من القرن الحادي عشر، في ثبت بعض الحوادث إلا أنه يظهر كان، كابن الديبع الزبيدي المتوفى سنة ٩٤٤ هـ في كتابه قرة العيون وبغية المستفيد، يعتمد على ما سجله عمارة اليمني.

ولا يفوتنا أن نذكر أن لكتاب الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها في الإسلام لأبي الحسن علي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢ هـ أهمية خاصة في بحثنا، فقد جاء في الباب الثامن منه بعض المعلومات التي تؤيد تفاصيل أوردناها في معالجة موضوعنا.

وكانت هذه الكتب بمثابة أضواء تنير لنا طريق البحث عن تاريخ الدولة

(١) ومن المصادر التي أخذ عنها إدريس وذكرها في السبع السابع من العيون: كتاب المفيد لجياش، وسيرة المسكرم، وملوك اليمن لعمارة اليمني، وكثر الأخبار للشريف إدريس عماد الدين، والدول المنقطعة. راجع أيضاً كاي المقدمة ١٢.

الصليحية والدعوة الفاطمية باليمن ، واستفدنا أيضا من كتب أخرى نوردتها في آخر الكتاب ، ونشير إليها عند الضرورة في مواضعها .

ونضع أمامك أيها القارىء هذا الكتاب ، لتعرف شيئا عن تاريخ الدولة الصليحية ، وكانت من ألمع الدول في تاريخ اليمن ، وعن منظمة الدعوة التي أنشأها الصليحيون ، وعن الثروة العلمية التي تركتها هذه الدعوة ، لأننا نرى أن الصليحيين وأهل الدعوة اليمنيين مظلومون في سفر التاريخ . وإذا كان هذا الظلم أوجدهت الخلاقات المذهبية في عصور كان المؤرخون يعملون غالبا لما يرضى نزواتهم وميوههم حينئذ ، فإننا نرى ونحن في القرن العشرين أنه من الواجب أن نعيث اللثام عن حقيقة هذه الحركة ، وأن ندرس تاريخها كما يُدرس تاريخ الحركات التقدمية الأخرى ، التي قامت بها المعزلة والمتصوفة إن صح لنا هذا التعبير .

وإذا كنا قد اعتبرنا أن التاريخ فيه دروس تعلمنا محاسن الشعوب ومساوئها ، وأن نحفظ بالثمين منها ، ونترك الغث ، وإذا كنا قد رأينا أن هذه الخلاقات المذهبية قد أدت إلى تأخر شعب من الشعوب وعاقته عن التقدم ، بل رجعت به القهقري ، فجعلته متخلفا عن غيره ، أليس من العقل أن ينسى هذا الشعب تلك الأحقاد ، وأن يترك الدين للديان ، ويعمل الجميع على تدعيم الوحدة القومية في البلاد ، ويمشوا متكاتفين لرفع شأن الأوطان والمجتمع ؟ وإنيك أيها القارىء سترى في هذا الكتاب أن اليمنيين عاشوا طوال هذه القرون في حروب أهلية مفضية ، سببها الخلاقات المذهبية أو القبلية ، التي لم تكسب البلاد منها إلا الغرم والحراب والتقهقر والانهطاط . فتخلفت اليمن تبعا لذلك عن ركب الحضارة ، واضطر أولو الدعوة الفاطمية التي نحن بصدد الكلام عنها في هذا الكتاب أن يعتصموا بالمعاقل والحصون والجبال للدفاع عن كياناتهم وبقائهم . وكان أهل الدعوة يلاقون أشد المعارضة وأنكد الاضطهاد ، وكانت أملاكهم وأموالهم تنهب ، ودماؤهم تسفك ، ومنازلهم ومساجدهم ومقابرهم تهدم ، وخزائن كتبهم تسلب ، وأولادهم وأفلاد أكبادهم ترهن ، وحرمايتهم تهتك ؛ فضعف أمرهم ، وافتقرت كلمتهم ، واعتربت جماعات منهم عن الأوطان اليمنية . وكان هذا الكفاح مريرا شاقا ، أدّى إلى

ضياع الكثير من المواهب الظاهرة والمكتومة من الشعب .

وخدمة للوطن ، وحرصاً على مصالح المواطنين ، وتمشياً مع الصالح العام ، يجب أن يسدل الستار قوياً على الماضي بالأمه ، وتنسى الحزازات الفردية والطائفية والإقليمية ، لأننا في عصور تتقدم بسرعة ، ولا يكون هذا التقدم محققاً لشعب من الشعوب إلا إذا تعاضد كل المواطنين في بناء صرح هذا الوطن ، وفي رفع شأن الأمة اليمنية .

وهذا الكتاب هو نتيجة دراسات لسنين طويلة قدمناه للقراء لما فيه من الفائدة . فإذا وجدوا فيه شيئاً من الخير ، فهذا يرجع إلى ما بأيدينا من المراجع . وإذا كان فيه شيء من الخطأ ، فرجعه إلى قصورنا وقلة بضاعتنا وقصر باعنا .

لا يتناول هذا البحث عقائد الدعوة الفاطمية ، بل هو مجرد محاولة لتسجيل الحوادث التاريخية من الناحية السياسية ، غير أن الدعوة قبل أن تصبح دولة في اليمن كانت منظمة دينية أساسها وهدفها العقيدة . فلذلك اضطررنا أن نتحدث عن نشاط الدعوة في مضمار العقيدة والدين . وقد عالج بعض العلماء المعاصرين موضوع العقائد بنشر نصوص كتب المؤلفين الفاطميين ، ونخص بالذكر ما قام به الأستاذان محمد كامل حسين والمستشرق شروطمان بمجهود مشكور في هذا الصدد . وإننا راعينا أن تتبع الطريقة التاريخية بدون تحيز إلى أي فئة كانت على عهد الصليحيين باليمن ، وإن كان قد يضطرنا الحال إلى نقل عبارات بعض المؤلفين بنصها ، وقد لا تخلو من بعض التحامل بطبيعة الميول والنزعات الدينية والسياسية في تلك الأزمان . فترجو من القارئ ألا يفهم أن ذلك كان بدافع من الميل إلى مذهب ديني أو سياسي ، وقد لاحظنا نجذب ما فيه ذلك حسب الطاقة ، حرصاً على جمع كلمة اليمنيين .

وإننا نعتبر أن هذا البحث لا يخلو من الجفاف ، ومن سرد الحوادث ، وذكر الأسماء مجرداً عن التحليل والتعليق . وذلك يرجع أحياناً إلى عدم توافر المصادر ، وأحياناً إلى عدم وجود الأبحاث السابقة ، أو القضايا المسألة ، وأحياناً إلى حرصنا

على ألا يتكلم إلا المصدر وحده بدون تعليق . ونكون لكم أيها القراء من الشاكرين لو تفضلتم بإفادتنا عما عنكم من نقد بنائى لهذا الكتاب .

وبعد ، فإننا نرجو أن ننوه هنا عن بحث أخينا الفاضل الدكتور حسن سليمان محمود الجهني ، الذى تقدم به لنيل درجة الدكتوراه فى جامعة القاهرة ، فى موضوع تاريخ الصليحيين وعلاقتهم بمصر . وقد ضمن هذا الكتاب معظم ما ورد فى البحث من تحقيقاته ونظرياته الثمينة . وقد خدم زميلنا وصديقنا الدكتور حسن سليمان محمود بذلك ناحية مجهولة من تاريخ العلاقات فى القرن الخامس فى عهدى الصليحيين والفاطميين خدمة بارعة . وإننا نرى لازماً علينا أن نشير إلى قسطه الوافر فى هذا البحث ، بفضل اهتمامه ونشاطه وتفانيه فى خدمة تاريخ مصر واليمن .

وقد استقيننا معلومات كثيرة من رسالة ولدنا العليم عباس الهمداني ، التى قدمها لنيل درجة الدكتوراه فى جامعة لندن ، كما هو واضح فى هذا الكتاب ، تستحق منا أن نذكر تقديرنا وشكرنا على تحقيقاته وإن لمختلفنا معه فى بعض آرائه .

هذا . ونرجو أن تقدم هاهنا وافر شكرنا إلى جميع الذين يرجع إليهم الفضل فى مساعدتنا على إخراج هذا الكتاب ، ونخص بالذكر منهم السيد على المؤيد وزير اليمن السابق بمصر ، الذى تفضل بقراءة أصول الكتاب ، وزودنا بمعلومات مفيدة عن الحوادث التاريخية ، وتحديد بعض الأماكن والبلدان باليمن ، كما تقدم خالص شكرنا للاستاذ العلامة مصطفى السقا ، الذى تفضل مشكوراً بإبداء ملاحظاته اللغوية والنحوية عند قراءة ملازم الطبع وتصحيحها .

وقد طلبنا من الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين مقالا وافياً ضافياً عن « عقائد الدعوة الفاطمية » ، وقد تفضل بموافقتنا بآرائه الثمينة عن عقائد الدعوة ، وبمض المسائل التاريخية ، وقد ذكرناها فى مواضعها المناسبة من الكتاب . فله منا جزيل شكرنا .

ونحن لا نستطيع أن نوفي الأستاذ المنعم الفضال عمر الدسوقي واجب شكرنا ،
لاحتضانه هذا الكتاب في مطبعة الرسالة العامرة ، حتى ظهر بهذا المظهر .
وفي أثناء استعدادنا لتقديم أصول الكتاب إلى المطبعة ، زار القاهرة المعزية ،
شيخنا العلامة القاضي محمدا الحجري ، وقد عرضنا عليه أصول هذا الكتاب ، فأبدى
لنا بعض الملاحظات الثمينة ، وساعدنا في تحقيق كثير من المواضع والأماكن
التي وردت في هذا البحث ، فنشكره لتفضله بإعارتنا بعض وقته خدمة للعلم .
ونشكر أيضا جميع الإخوان الذين ساعدونا بإعارة كتبهم وملاحظاتهم العلمية
في حل المشكلات التي اعترتنا من حين إلى حين في هذا البحث .
وقفنا لله لخدمة العلم والتاريخ ، والله ولي التوفيق ما

حَيْثُ الْعَمْدَانِي

المعهد العمدي للدراسات الإسلامية
القاهرة في ١ أغسطس ١٩٥٥

الباب الأول

حركة الشيعة في اليمن قبل ظهور منصور اليمن

نشاط اليمنيين الأحرار في العصر الأول

أثبت التاريخ أن اليمنيين ، سواء أكانوا في داخل وطنهم أم في خارجه ، هم مثال للنشاط والإخلاص . ولهذا لما ظهر الإسلام قبلوا دعوته ، وآمنوا به عن صدق وإيمان ، وأصبح في قلوبهم عقيدة راسخة ثابتة متصلبة ، فتكيفون بكيفيته ، وتلونوا بلونه . فذهبوا ينشرونه في مشارق الأرض ومغاربها ، حتى قامت بمساهماتهم أعظم إمبراطورية عرفها التاريخ .

ويعتبر ما حدث في أيام الخليفة عثمان من أهم الأحداث التي فرقت بين المسلمين ، وقسمتهم إلى معسكرات . وكان من الطبيعي - بعد أن آثر اليمنيون الإسلام على أنفسهم ووطنهم ، وتناسوا معه العصبية الجاهلية - أن يشتركوا في تلك الأحداث ، وأن تجتريهم التيارات المتضادة ، وتنحرف بهم أعاصير السياسة ، فذهب من ذهب منهم مع الإمام علي ، وهم الكثير ، وانضم منهم فريق آخر إلى معاوية ، وتمصّب كل فريق لصاحبه .

ظل الأمر كذلك في داخل اليمن . ثم لم نعرف بعد علي وجه الصحة أنهم ، أي اليمنيين ، كانوا يؤمنون بذهب معين ، أو ينتمون إلى نخلة قائمة . وربما كان السبب في ذلك ، النزعة اليمنية ، التي تدعو دائماً إلى حرية الرأي واستقلال الفكر . ونرى أن هذا الأمر دام إلى القرن الثالث والرابع ، برغم دخول الحركات الشيعية والسنية وانتشارها واستقرارها في اليمن . فقد ثبت أن سلاطين آل حاتم الهمدانيين وملوك آل يعفر ، بقوا أحرارا ، غير مقيدين بذهب من المذاهب . ويمتبر أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني صاحب الإكليل ، ونشوان الحميري من الأمثلة البارزة للدلالة على ذلك .

لقب الشيعة

فقد تغلغلت المذاهب في اليمن ، ورسخت أقدامها ، وبخاصة الحركات الشيعية ..
فما الأسباب التي أدت إلى رواج هذه الفكرة ؟ وما العوامل التي ساعدت على
نموها وانتشارها ؟

سنحاول أن نعالج هذا الموضوع ونجيب عن هذا السؤال فيما يلي :
بدأ أنصار علي بن أبي طالب يتكاثرون في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم
من شيعته ومحبيه . والشيعة ، كما قال أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي^(١) : « هو لقب
لقوم كانوا قد ألفوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في حياة الرسول
صلى الله عليه وسلم وعرفوا به ، وهم : سلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ،
والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر وغيرهم ، وكان يقال لهم شيعة علي . وقال
فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : الجنة تشتاق إلى أربعة : سلمان ، وأبي ذر ،
والمقداد ، وعمار » . وقال نشوان الحميري^(٢) : وإنما سميت الشيعة شيعة لمشايعتهم
علي بن أبي طالب .

سفارة الإسام علي إلى اليمن

ومن ذلك نرى أن علياً كان له مریدون ومحبتون من الصحابة في عهد
الرسول صلعم . ولم يقتصر وجود هؤلاء على المدينة وحدها ، بل أخذ عددهم
يزداد كلما اتسعت رقعة الإسلام ، وزاد عدد المسلمين وبخاصة في بلاد اليمن ، لأنها
حظيت بإرسال علي إليها في عهد الرسول . وزار أمير المؤمنين عليه السلام
اليمن ثلاث مرات ، وفي المرة الأخيرة وصل إلى عدن أبين . وذكر ابن هشام^(٣)
أنه صلعم قد بعث سنة تسع (عام الوفود) بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه
إلى أهل نجران ، ليجمع صدقتهم ، ويقدم عليهم بجزية . وقال ابن كثير مامعناه إن

(١) كتاب الزينة ٢١٩ .

(٢) حور ١٧٨ .

(٣) ابن هشام : سيرة ٩٦٥ .

النبي صلعم أرسل علياً إلى اليمن قبل حجة الوداع - أي في نهاية سنة ١٠ .
فقدم علياً إلى صنعاء ، وصلى برجالها ، وجمع قبائل همدان ، وقرأ عليهم كتاب النبي
صلعم ، فأسمت همدان جميعها في يوم واحد . ولما وصل الخبر إلى النبي صلعم
خرَّ ساجداً ، ثم رفع رأسه فقال : «السلام على همدان ، السلام على همدان» .
وقال عليٌّ في ذلك : بعثني رسول الله صلعم وأنا حديث السنن ، فقلت : تبعثني
إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء . قال صلعم : إن الله سيهدي
لسانك ، ويثبت قدمك . قال عليٌّ : فما شككت في قضاء بين اثنين^(١) . وقبل أن
يعود علي من اليمن عمّر مسجداً بصنعاء عرف باسمه^(٢) . وذكر ابن الدّيب^(٣)
أن علياً دخل عدن أبين ، وخطب على منبرها خطبة بليغة ، وذلك قبل رجوعه
إلى المدينة .

ومما لا شك فيه أن هذه الاتصالات الشخصية باليمن قد تركت أثراً في
نفوس الناس هناك . ذلك الأثر هو حبّ عليٍّ وآل بيت النبيؐ ؛ بقي هذا الحب
يزداد ما بقيت الأيام ، حتى إن الإمام الفاطمي المستور الحسين بن أحمد^(٤) ، حين
أرسل أبا القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي^(٥) داعياً إلى اليمن ،
أمره أن ينزل عدن لاعة ، لأن بها بعض من يدين بدعوته ، ولأن الله عزّ وجلّ

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٥ / ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) أنباء / دار ٨ .

(٣) قرّة ٥ . لم نثر على هذه الرواية في المصادر التي تحت أيدينا .

(٤) أبو المهدي عبد الله بن الحسين ، ويدعى الحسين المقتدى أحياناً (إدريس : زهر
المعاني ٦٣) وهو الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق . وقد
اختلفت المصادر اختلافاً شديداً في أسماء أجداد المهدي عبد الله . وذلك يرجع إلى الستار الذي
فرضه الأئمة المستورون على أنفسهم وإلى اختيارهم أسماء غير أسماهم الحقيقية كما رواه الشيخ جعفر
ابن منصور اليميني في كتابه المسمى بالفرائض وحدود الدين (انظر الباب التاسع في فصل عن
مؤلفات جعفر بن منصور اليميني) .

(٥) كذا ورد اسمه في افتتاح (٣ - ٤) . وفي الحور ١٩٧ جاء : أبو القاسم أبو الحسن

ابن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي . واشتهر باسم منصور اليميني ، بعد أن فتح هو وعلى بن
الفضل الجيثاني اليمن .

قسم لليمانية ألا يتم أمر في هذه الشريعة إلا بنصرهم^(١)، فوصل إليها حيث وجد كثيرين ممن يدينون بالولاء لعلي وآل بيته^(٢).

كثرت عدد المحبين لعلي في اليمن بعد هذه الزيارة . وأخذ هؤلاء يعملون على اكتساب الأنصار المحبين لعلي وروّون أن علياً وحده أهل للخلافة، وأولى الناس بمقام رسول الله بعده، وأحقهم بالإمامة والقيام بالأمر في أمته^(٣)، وأن الخلفاء الذين سبقوه قد انتزعوا حق الإمامة منه . ويدل امتناع بعض الصحابة عن مبايعة أبي بكر بالخلافة^(٤) على أن الأمة قد آذنت بالانقسام إلى معسكرين من المسلمين، ولكن السياسة الرشيدة التي نهجها أبو بكر وعمر قد ساعدت على كبح جماح هذا الانقسام إلى حد كبير، إلا أن التشيع ظلّ منتشرًا في بلاد اليمن وغيرها، وتجلّت مظاهره فيها في مواقف كثيرة .

رعد ابن سبأ إلى مصر والفتنة الكبرى

فلما رحل عبد الله بن سبأ الصنعاني^(٥) إلى مصر بعد أن طاف بالكوفة والبصرة والشام، التف حوله المسلمون هناك، لأنه حمل على سياسة الخليفة عثمان التي كانت مثاراً للسخط في العالم الإسلامي في ذلك الوقت، ونادى بحب علي لأنه أولى من غيره بالخلافة؛ فانضم إليه في مصر عدد كبير، كان في مقدمتهم محمد بن أبي بكر، وقد ساعد انضمامه على نجاح ابن سبأ في دعوته لعلي بن أبي طالب .

ولا نكون مخطئين إذا قلنا إن سبب رواج دعوة ابن سبأ في مصر يرجع إلى وجود عدد كبير من اليمنيين، الذين جاءوا مصر من أيام الفتح الإسلامي واستقرّوا فيها^(٦). وأن هؤلاء اليمنيين كانوا ممن يحبون علياً وآل بيته .

(١) حور ١٩٨ . (٢) انظر الباب الثاني من هذا الكتاب (٣) حور ١٥٤ .

(٤) كالعباس عم النبي وطلحة والزبير الذين اتحدوا مع علي بن أبي طالب .

(٥) كان هذا يهودياً من أهل صنعاء، دخل في الإسلام في سنة ٢٩ في خلافة عثمان، وكان

من أقوى العوامل لإثارة الناس على عثمان (طبري ١ / ٢٨٥٩) .

(٦) كان معظم جيش الفتح الذي اعتمد عليه عمرو بن العاص في فتح مصر من اليمنيين .

فكان فيه جند من عك وغافق (ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٥٦) ثم لحق بهم جماعة من

ومما يدل على مبلغ تحمسهم لدعوته أن الخليفة عثمان عند ما أرسل عمار بن ياسر^(١) إلى مصر، ليصلح بينه وبين محمد بن أبي حذيفة، استطاع الثأرون على عثمان استمالة عمار إلى رأيهم . وإن انضموا هذا الصحابي الجليل إلى صفوف الناقلين على عثمان ليدل على مبلغ السخط الذي أثارته سياسة الضعف التي سار عليها هذا الخليفة .

من هذا نرى أن ابن سبأ قد نجح في خطته، وهي تأليب العالم الإسلامي ضد عثمان . وتنفيذا لهذه الخطة كاتب ابن أبي حذيفة أهل البصرة والكوفة، ودعاهم إلى الذهاب إلى المدينة . وخرج كل وفد في سبائة رجل، حتى وصلوا إلى خارجها . وجاء في الوفد المصري من اليمنيين: عبد الرحمن بن عديس العلوي، وكنانة بن بشر التجيبي، وسودان بن أبي رومان الأصبحي، ودرع بن يشكر بن أبرهة . ويقول الكندي: إن هؤلاء هم الذين قتلوا عثمان، وبايعوا عليا، وعادوا إلى مصر^(٢) .

وعلى الرغم من أن اليمنيين، كما يبدو، لم يلعبوا دورا إيجابيا في هذه الفتنة، إلا أن الحقيقة الملموسة توحى بأن اليمنيين كان لهم القسط الأكبر فيها . فإن العلاقة بين ابن سبأ الصنعاني وبين المجبيين لدعوته في الأمصار المختلفة، وبخاصة مصر، تدل دلالة واضحة على أن اليمنية كانت لهم اليد الفعالة في قتل الخليفة عثمان؛ وذلك بسبب حبهم وولائهم لعلي وآل بيته .

— لحم وراشد (المصدر نفسه ٥٨) . وأن الذي يرجع إليه الفضل في اقتحام حصن الفرما هو سميفع بن وعلة السبئي (السيوطي: حسن المحاضرة ١/٧٦) . وأن اليمنيين أبلوا بلاء حسنا عند حصار حصن بابلون (فتوح مصر ٦٢) . ولم ينقطع وصول اليمنية إلى مصر، بل ظلوا يفتدون إليها في مدة طويلة . ففي خلافة معاوية بن أبي سفيان كان بالإسكندرية سبعة وعشرون ألفا من العرب الذين كانوا بالشام، وهم يمنية وبعض الأزدي، ثم جاءهم جماعة من لحم (المقريزي: البيان والإعراب ٣٥) وسكن بصعيد مصر جماعة من أولاد ربيعة (نفسه ٤٨) وسكنت جهينة أسيوط وما بعدها (نفسه ٣٦) . (ملخص من محاضرة الدكتور محمد كامل حسين التي ألقاها في جمعية الاتحاد اليمني بالقاهرة) .

(١) كان عمار من محبي علي أيام الرسول، وكان من الأربعة الذين بشرهم الرسول بالجنة وكان تقيا ورعا . قال النبي: اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر، واحتدوا بهدي عمار (الإصابة ٤/١٢٢٠) (٢) الكندي: الولاة والفضاة ١٧

مهزاة همدان مع الإمام علي

ومما ساعد على انتشار التشيع في اليمن جهاد همدان مع سيدنا علي بن أبي طالب في حروبه . ويعتبر ما قاله أمير المؤمنين نفسه دليلاً واضحاً على ذلك . فقد قال أيام صفين : « يامعشر همدان ! أنتم درعي ورُحى ، والله لو كنت بوّاباً على باب جنة لأدخلتكم قبل جميع الناس ، وما نصرتم إلا الله تعالى ، وما أحببتهم غيره » . فقال سميد بن قيس وزباد بن كعب : « أحببنا الله وإياك ، ونصرتنا الله وإياك ، وقانلنا معك من ليس مثلك ، فارم بنا حيث شئت » (١) .

فهذا القول هو من غير شك شهادة طيبة من الإمام لهمدان ؛ ولا عجب ، فقد كانوا جلّ أنصاره وخيرة رجاله الذين ضحّوا بأنفسهم في سبيل نصرته مدفوعين بعامل حبهم لله وحبهم لعلي ، وكرههم للظلم والظالمين . وليس أدل على حب الإمام لهم وحسن تقديره لجهودهم من هذه القصيدة التي مدحهم بها وقد جاء فيها (٢) :

ولما رأيت الخيل تُقرع بالقنا	فوارسها حمر النحور دواي
ونادى ابن هند ذا الكلاع ويحصب	وكندة مع لحم وحى جندام
تيممت همدان الذين همهم	إذا ناب أمر جنتي ورسهاي
وناديت فيهم دعوة ، فأجابني	فوارس من همدان غير لثام
فوارس ليسوا في الحروب بعزل	غداة الوغى من شاكر وشبام
ومن أرحب الشم المطاعين بالقنا	ونهم وأحياء السبيع (٣) وبام
ووادعة الأبطال يخشى مصالها	بكل رقيق الشفرتين حسام
ومن كل حى قد أتاني فوارس	كرام لدى الهيجا وأى كرام
جزى الله همدان الجنان فإنهم	سام العدا في يوم كل سام

(١) نزهة ٩/١ ؛ راجع أيضاً لكليل ٤٦/١٠ — ٥٠ .

(٢) نزهة ٩/١ — ١٠ وهي قصيدة طويلة كلها مدح وتعداد لمآثر همدان وبلاتها في حروب الإمام علي .

(٣) قبيلة موجودة إلى الآن في حاشد .

رجال يحبون النبي ورهطه لهم سالف في الدين غير أئام
هم نصرونا والسيوف كأنها حريق تلظى في هشيم تمام
قلو كنت بوأبا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

مالك الأشتر النخعي

ويعتبر مالك الأشتر النخعي اليامي^(١) من الأمثلة البارزة التي لعبت دورا هاماً في حروب علي وأبلى بلاء حسنا معه في موقعتي الجمل وصفين . ويدل موقفه من التحكيم على مقدار إخلاصه وتفانيه في الحصول على النصر . فقد قال الأشتر عندما رفع جند معاوية المصاحف ووافق جند العراق على التحكيم :

« يا أهل العراق ! يا أهل الذل والوهن ! أحين ظن القوم أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، وهم والله قد تركوا ما أمر الله به فيها ، وسنة من أزلت عليه ، فامهلوني فقد طمعت في النصر ... وأنتم الآن إذا أمسكتم عن القتال مبطلون أم أنتم الآن محقون ؟ » .

قالوا : « دعنا منهم يا أشتر » . قال : « خذعتم فأنخذعتم » . واستمر يحثهم ، ولكن بدون جدوى^(٢) .

(١) قال ابن حزم (أنساب العرب ٣٨٩) : إبراهيم بن الأشتر واسمه مالك وهو من بني مالك بن النخع بن عامر بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ومنهم عمرو بن زرارة النخعي أول من خلع ولاءه لعثمان بالكوفة . وليس إبراهيم اسمه مالك كما قال ابن حزم ، بل إبراهيم ابن مالك الأشتر . واشترك إبراهيم بن مالك مع المختار في حروبه وقتل عبيد الله بن زياد . وقد اعتبر المبرد (الكامل ٢٦٦ - ٢٦٧) النخع من قبائل مضر حينما قال : النخع وتثيف إخوان من إياد ، وإياد بن نزار بن معد بن عدنان . ونسب المبرد إلى أخت الأشتر أيبانا تبيكي فيها أباها ، وهي :

وبعد الأشتر النخعي ترجو مكثرة وتقطع بطن واد

وتصحب مذحجا بأخاء صدق وإن نسب فتجن ذرى إياد

تثيف عمنا وأبو أينسا وإخوتنا نزار أولو السداد

قال النويري (نهاية الأرب ٣٠٢) مامعناه : النخع بن عمرو القبيلة المشهورة من عمرو

ابن علة بن جلد بن مذحج اه . وهذه القبيلة موجودة إلى الآن في أبن شرقى عدن .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٧٣/٢ .

البراء الهمداني

وقد كان البراء بن وفيد العذري الهمداني^(١) من الأمثلة الواضحة التي تدل على حب اليمنيين لإظهار كلمة الحق ، وإغاثة المظلومين والضعفاء . فقد حارب هذا مع معاوية في موقعة صفين ، مما يدل على أن بعض اليمنيين قد انضم لمعاوية كما انضم البعض الآخر لعلی^(٢) ، ولكن البراء تقم على معاوية منعه للفرات من أصحاب علي لما سبق عليه بصفين ، فقام إلى معاوية ، فقال : « سبحان الله العظيم ، حين سبقتموهم إلى الفرat تمنعونهم الماء ، وإن فيهم العبد والأجير والأمة ومن لا ذنب له ؛ هذا والله أول الجور ، لقد بصرت المرتاب ، وشجعت الجبان ، وحملت من لا يريد قتالك على كتفيك » . فقال معاوية لعمر بن العاص : « ا كفى ضد يقك الهمداني ، لا يفسد على عسكري » . فقام إليه عمرو ، فأغلظ له . فأنشأ البراء يقول :

لعمرُ أبي معاوية بن حرب وعمرو ما لأبيهما وفاءُ
سوى طمن يحارُ القيل فيه وضرب حين تبتاع الدماءُ
فلستُ بتابع دين ابن هند طوال الدهر ما أرسى حراء

(١) يقول محب الدين الخطيب : إن البراء هذا ليس له ذكر في كتب التراجم المتداولة في أيدي أهل السنة والشيعة ، مع أن ما وصفه به المؤلف (صاحب الإكليل) من الدهاء والزهد ، وما ذكره له من خبر وشعر ، وكونه من علي صفين ، كان يقتضى ألا يغفل ذكره في الكتب المشهورة ولا سيما كتب الشيعة (إكليل ١٠ / ٦٣ هامش (٢)) .
(٢) جاء في الطبري (٣ / ٣٣٠٠) : إن الأشتر زحف يوماً (في أثناء موقعة صفين) فاستقبله معاوية بعك والأشعرين . فقال الأشتر لمذحج : اكفونا عكا ؛ ووقف في همدان وقال لكندة : اكفوني الأشعرين . فاقتلوا اقتتالا كثيرا ، وأخذ يخرج إلى قومه فيقول : إنما هم عك فاحلوا عليهم . فيجشون عن الركب ويرتجزون :

ياويل أم مذحج من عك هاتيك أم مذحج تبكي
فترى اليمنية في جيش معاوية وعلي ، مما يدل على أن خلاف علي ومعاوية لم يكن مبنيًا على العصبية الإقليمية . وكان المسلمون يختارون أحد الفريقين على حسب ميولهم الشخصية أو مبادئهم الدينية . فنجد المضربين والقحطانيين في كلا المعسكرين بصرف النظر عن عينتهم أو مضررتهم ، ولكن الأغلبية من اليمانية ، وبالخصوص التحمسون منهم ، كانوا ينتمون إلى حزب علي ، لأسباب سبق أن بيناها . فلا ريب أن اليمن صارت بعد هذا معقلا منيعا للشيعة ، وأرضًا خصبة لزرع بذور الحركات الشيعة كما سنرى فيما بعد .

فقد ذهب العتاب ، فلا عتاب وقد ذهب الولاء ، فلا ولا
وقولى فى حوادث كل أمر على عمرو وصاحبه العفاء
ألا الله درك يا بن هند لقد ذهب الحياء ، فلاحياء
أتحمون الفرات على رجال وفى أيديهم الأسل الظماء
وفى الأعناق أسياف حداد كأن القوم عندهم نساء
أرجو أن يجاوركم على بلا ماء وللأحزاب ماء
ثم وطى لما جنّه الليل فى متن فرسه ، فلحق بعلى ، فقاتل معه حتى قتل (١)
وزى أن البراء قد عزّ عليه أن يرى بنى جلده ، بل وبني عمومته يشتركون فى تأييد
الباطل والظلم والعدو ، فدفعته الحمية أن يلتحق بعلى .

سعيد بن قيس الهمداني

وكان سعيد بن قيس (٢) خاصاً (٣) بعلى بن أبى طالب وصاحب همدان بالعراق ،
وهو أحد فرسان العرب المدودين ، وأحد الدهاة الخمسة وهم : معاوية وعمرو بن
الماص ، والمنيرة بن شعبة ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وسعيد بن قيس ، ومن
الأجواد والذبايين (٤) . وقد كان جالسا يوماً عند على بن أبى طالب ؛ فلما أن قام
قال على : هذا والله كما قال القائل :

مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ ، وَمَنْ فَعَلَهُ فَعَلَ ، وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلٌ (٥)

(١) إكليل ٦٤/١٠ - ٦٥

(٢) سعيد بن قيس بن زيد الهمداني ، ولهم بقية هم السعديون ببیت زود (صفحة ١٩٠)
من ظاهر همدان ، وقد قال فيه حارثة بن بدر أشعاراً كثيرة (إكليل ٤٦/١٠ - ٤٩٠)
(٣) قال محب الدين الخطيب : هذه الصفة لم يطلقها المسلمون إلا على النبي (ص) وإخوانه
من الأنبياء ، واعلمها من عمل المؤلف ليعطى بذلك ما يؤاخذ به العدنانيون من الإفراط
فى المصيبة القحطانية (نفسه ٤٦/١٠ هامش (١))

(٤) نفسه ٤٦/١٠

(٥) نفس ٤٦/١٠

وسميد هذا الذي قتل عمر بن الحُصَيْن السَّكُونِي^(١) في بعض أيام صفين ، كما
حمل الشمرح فارس ذى رُعين^(٢) مبارزة ، وفي ذلك يقول شعرا :

لقد فحمت بفارسها السَّكُونُ كما فحمت بفارسها رُعين
غداة أتى أبا حسن عليًّا ووسط النقع مرداة طحون
فأطعنه وقلت له : خذْهَا مسومة يخف لها القطين^(٣)

وماثر همدان كثيرة ومواقفها الحميدة من على وآل بيته عديدة ، أجملا صاحب
الزَّهْمَة في قوله :

وهم جاهدوا أعداء آل محمد وهم نصرُوا آل النبي الأطائب
وهم نصرُوا المنصور^(٤) في كل وقعة وحاطوا عداه من جميع الجوانب

محنة سبعة على في ولاية بَسْر بن أرطاة

وقبل أن ينتهى النزاع بين على ومعاوية أرسل معاوية من قبله بَسْر بن أرطاة
العمرى والياً على اليمن سنة أربعين^(٥) ، وسيّر معه ثلاثة آلاف جندي ، وأمره
معاوية بأن يقتل شيعة على هناك . فلمَّا كان قريباً من صنعاء ، وعلم به عبيد الله
ابن العباس والى الإمام على على بلاد اليمن^(٦) ، جمع عبيد الله هذا أهل صنعاء
وخطب فيهم وحرَّضهم على القتال . فلمَّا يئس من نصرتهم استخلف عمرو

(١) قد تكفل هذا لمعاوية أن يفتك على غزوة بعلب . حين كان على في شغل بقتال
القوم والصولة عليهم حمل السكونى على أمير المؤمنين من خلفه ، ولكن سعيد بن قيس قصم
ظهره بالرمح قبل أن يقوم بهمله (نزهة ١٠/١) .

(٢) وكانت ذورعين اليمنية تحارب مع معاوية في صفين .

(٣) نزهة ١٠/١ - ١١ .

(٤) يريد بذلك منصور اليمن أبا القاسم (نفس المرجع ١١/١ - ١٢) .

(٥) يقال له بشر أيضاً ؛ ذكر صاحب الإكامل ٦٦ أن اسمه بسر .

(٦) كان يعلى بن منبه والياً على صنعاء ، وعبد الله بن ربيعة على الجند ، وذلك في أيام
عثمان . فلما جاء على خلعهما وولى عبيد الله بن العباس على صنعاء وأعمالها ، وسعيد بن سعد بن
عبادة الأنصارى على الجند (الطبرى حوادث سنة ٣٤ ص ٣٠٥٧) .

ابن أبي أراكه الثقفي على عمله وسار حتى بلغ الكوفة يريد علياً ، وترك ولدين صغيرين له عند أم سميد . فلما قدم بسر صنعاء استدعى الولدين فقتلها ، وقيل ذبحهما بيده ، ثم قتل عمرو بن أبي أراكه ، ثم قتل اثنين وسبعين رجلاً كانوا قد تشفوا في الطفيلين . وكان قتل هؤلاء جميعاً على باب المصرع^(١) ، فدفن الولدان حيث قتلا ، وبني عليهما مسجد ، وهو مشهور هناك باسم مسجد الشهيدين^(٢) .

وكان بسر هذا أول جبار دخل صنعاء اليمن في الإسلام ، ففسد بأهلها وعاث في الأرض فساداً . ولما بلغ أمير المؤمنين علياً هذا الخبر ، جهز ألفي فارس من الكوفة ، ومثلها من البصرة ، وسيّرهما بقيادة حارثة بن قدامة السعدي ، وأمره بدخول اليمن ومتابعة بسر حيث كان ومؤاخذته على ما ارتكب من الفساد . ولما وصل حارثة اليمن هرب بسر وتفرق أصحابه ، ولكنه بعد أن ترك جماعة من أتباعه لزمهم حارثة ونكل بهم ، ثم عاد إلى مكة ، وهناك سمع بوفاة أمير المؤمنين ، فأخذ البيعة من أهل اليمن والحجاز لمن بايع له أصحاب علي^(٣) .

نستخلص من هذه الحوادث أن الصراع بدأ بالفعل بين العسكريين من المسلمين : شيعة علي وأنصار الأمويين ، وأخذت ضحايا هذا الصراع تتوالى على حساب المسلمين . وأخذ كل فريق يرى أن الحق بجانبه ، ويستमित في الدفاع عن عقيدته ، كما نستنتج أن وجود مسجد الشهيدين تحت أنظار أبناء اليمن المواليين لعلي يعتبر من العوامل الفعالة التي ساعدت على تكلمهم وتربصهم بعمال بني أمية كما أتيحت لهم الفرصة . ولما تولى معاوية الخلافة دأب على اتباع سياسة سب علي وأهل بيته على المنابر ، مما أثار حنق الشيعة عليه ، وسبب ذلك اضطرابات كثيرة في البلاد الإسلامية ، وبخاصة الكوفة التي أرسل أهلها إلى الحسين بن علي يدعونه إليهم ، فأجابهم إلى ذلك^(٤) .

(١) باب المصرع ذكره الهمداني في الكليل ٦٦ ؛ صفة ٢٤٣ .

(٢) أنباء/دار ١٣ .

(٣) أنباء/دار ١٣ .

(٤) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ٣ / ٣ - ٤ .

ثورة التوابين

وكانت فاجعة كربلاء الأليمة لمقتل الحسين بن علي في عهد يزيد بن معاوية . وكان لقلته أثر بعيد في إذكاء نار التحمس في نفوس الشيعة وتوحيد صفوفهم ، فصاحوا صيحة واحدة : الأخذ بثأر الحسين ! وغدا المدا بين الأمويين والعلويين شديد الخطر . ولم يسكت الشيعة عن دم الحسين ، بل تحرّكوا بالكوفة سنة ٦٥ في عهد الخليفة الأموي مروان بن الحكم ، وتابوا عن تقصيرهم في حق الحسين ، فسُمّوا التّوابين ، وحزموهم أمرهم ، وقادهم سليمان بن صرد لمحاربة عبيد الله ابن زياد ، ولكنهم هزموا في موقعة عين الوردة وقتل قائدهم^(١) .

ثورة المختار وقائده إبراهيم بن مالك الأشتر

وما لبثوا أن انضوا بعد ذلك تحت لواء المختار بن أبي عبيد^(٢) الذي طرد عامل الكوفة من قبل ابن الزبير ، وأرسل بعد ذلك جيشاً بقيادة إبراهيم ابن مالك الأشتر النخعي لقتال ابن زياد والأخذ بثأر الحسين بعد أن عجز التّوابون عن ذلك . فسار إبراهيم هذا حتى لقي ابن زياد ومن معه من أهل الشام على نهر الخازن^(٣) ، فدارت الدائرة على ابن زياد ، وقتل هو وكثير من أهل الشام . «فكان بلاؤهم بالمختار وقائده إبراهيم بن الأشتر عدلا لا رحمة فيه ولا نحسب قسوة بالآثمين سلمت من اللوم أو بلغت من العذر ما بلغت قسوة المختار»^(٤) . وكان من أثر انتصار ابن الأشتر على ابن زياد أن ازداد تعلق الشيعة بالمختار ، والتفّ حوله كثير منهم .

(١) ابن الأثير : الكامل ٧٣/٤ - ٧٩ .

(٢) ظهر في ميدان السياسة سنة ٦٦ ، وتقلب في كثير من الأحزاب ، فانضم إلى الشيعة ، واستغل ثورة التوابين على بني أمية ، واستولى على الكوفة ، ونال من بني أمية ولكنه قتل سنة ٦٧ بالقرب من الكوفة (طبرى ٦٧١/٢ ؛ حور ١٨٢) .

(٣) هو نهر يسب في الدجلة ما بين الزاب الأعلى والموصل .

(٤) عباس العقاد : أبو الشهداء ١٦٣ .

عمر بن عبد العزيز بأمر يمنع سب عليّ

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز سنة تسع وتسعين أقر ولاية وهب بن منبه على بلاد اليمن ، وأمره بالامتناع عن لعن أمير المؤمنين عليّ في جميع الآفاق^(١) ، ووصل الأمر بذلك إلى صنعاء ، فخطب الخطيب بجامعها ، وتلا قوله تعالى : إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى الآية ، بدلا عن اللعن ، فقام إليه ابن محفوظ ، وقال : « قطعت السنة ، والله لأنهنضن إلى الشام ، فإن وجدت عمر عازما على قطع السنة ، لأضرم عليه الشام نارا » . فخرج ابن محفوظ من صنعاء ، فلحقه أهلها في الموضع المسمى بالمنجل ، فرجموه بالحجارة حتى غمروه وغمروا بقلته ، وهو يرحم بالحجارة إلى الآن^(٢) .

وإننا نرى من جهة أن عمل الخليفة عمر بن عبد العزيز يدل على أنه صادف هوى في نفوس أهل اليمن ، فعمروا عن ذلك بقتلهم لابن محفوظ ، ورجعوا مكان قتله بالحجارة ، ومن جهة أخرى نرى أن هذا العمل ليس بغريب على هذا الخليفة الذى اشتهر بالصلاح والتقوى . ولا عجب فقد سار عمر سيرة أبيه عبد العزيز فى مصر ، فقد أثر عنه أنه كان إذا وصل إلى ذكر أمير المؤمنين على عليه السلام تتمتع . فلما قال له ابنه عمر : لم فعلت ذلك ؟ قال : يا بني اعلم أن العوام لو عرفوا من على بن أبى طالب ما عرفه نحن لتفرقوا عنا إلى ولده . فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة قطع السب وجعل مكانه الآية المذكورة .

استتار الشيعة فى العهد ببنى العباسى

ظلّ التشيع مستترا فى بلاد اليمن ، واستمر التشيعون فى ولائهم لعلىّ وبينه . هما وقع من ضغط الولاة من بنى أمية وبنى العباس . وبقيت هذه الطائفة تعمل فى الخفاء والظهور كلما ساعدتها الظروف طوال هذه المدة .

(١) المسعودى : مروج الذهب ١٢٦٧/٢ — ١٦٨ .

(٢) الفخرى : الآداب السلطانية ١١٧ .

ومما يدلّ على بقاء هذه الطائفة في بعض جهات اليمن وعلى وجه خاص في منطقة عدن لآلة قول السيّد الحميريّ حيث قال^(١) للإباضية تعريفا لنفسه :

إن تسأليني بقوى تسألني رجلا
حولي بها ذوكلاع في منازلها
والأزد أزد عمان الأكرمون إذا
بانت كريمةهم عني فدارهم
لي منزلان بلحجج منزل وسط
ثم الولاء الذي أرجو النجاة به
في ذروة العزّ من أحياء ذي يمن
وذو رعين وهمدان وذو بزّان
عدت ماثرهم في سالف الزمن
داري ، وفي الرحب من أوطانهم وطني
منها ، ولي منزل للعزّ في عدن^(٢)
من كبة النار للهادي أبي الحسن

ولعل انتشار التشيع والمتشيعين سرّاً وعلانية في بلاد اليمن كان من أهم الأسباب التي دعت الإمام المستور الحسين بن أحمد إلى إرسال أبي القاسم منصور اليمن إلى تلك النواحي من اليمن سنة ثمان وستين ومئتين كما سبق أن ذكرنا ، كما كانت من أهم الأسباب التي حملت بعض قبائل اليمن إلى دعوة الإمام الهادي^(٣) سنة ثمانين ومئتين للوصول إليهم . في ذلك يقول صاحب الأنباء^(٤) : « وأقرّ له للناس بالطاعة إذ كان خروجه باستدعائهم ، فلبث مدة يسيرة حتى ظهر له منهم الخلاف لأوامره . . . فانقلب راجعاً إلى الحجاز . ولما ارتبكت بلاد اليمن بسبب الفتن والقحط عاد اليمنيون وتضرّعوا له ، فرجع في صفر سنة ٢٨٤ ؛ وإن سبب رجوعه أن بني فطيمة من خولان صعدة خرجوا إلى الهادي إلى الرّسّ من أرض الحجاز لاستدعائه للخروج » .

(١) الأصبهاني : الأغاني ٨/٧ .

(٢) المقصود هنا عدن لآلة .

(٣) ورد نسبة في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٨ على الوجه الآتي :

يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . ويقول نشوان (حور ١٩٦) : ولقبه الهادي إلى الحق ، ولد هذا الإمام سنة ٢٤٥ وتوفي سنة ٢٩٧ ، وكان عالماً جليلاً وخطب له بمكة سبع سنين ؛ راجع اتعاظ ١٢ .

(٤) أنباء / ماضي ٨ .

وإنا نرى أن سبب رجوعه إلى اليمن بالإضافة إلى ما قاله صاحب الأنبياء هو
رغبة اليمنيين في أن يتولّى أمر دينهم وديارهم أحد الأئمة من أهل البيت ، ونظن
أن الذى شجّعه على قبول دعوة اليمنيين نجاح سفارة منصور اليمن وتأسيسه في
اليمن دولة موالية للأئمة الفاطميين . ولما كان الإمام الهادى ينتمى إلى بيت النبى
وجد أهل اليمن فيه كل ما يرجونه من أمن ، فدعوه إلى بلادهم ، وولّوه عليهم ،
فاستقرّ في صعدة وبقيت سلالة في اليمن إلى يومنا هذا ؛ كما استطاع منصور اليمن
أن يحوز نجاحاً باهراً بفضل دعوته إلى الأئمة من نسل فاطمة الزهراء .

وكذلك بدأت في أواخر القرن الثالث المنافسة بين الدعوتين الشيعيتين الفاطمية
والزيدية اللتين ارتبكتا في صراع دموى بل في حرب إبادة. للقبض على ناصية
الحكم طوال القرون التالية ، بالرغم من أنهما كانتا تهدفان إلى تأسيس دولة
موالية لأهل بيت النبى .

نجد اليمن مستودع النسيب

من هذا العرض التاريخى الموجز يمكننا أن نقرّر أن نجد اليمن صار حصناً
من حصون الشيعة بل مستودعاً من مستودعاتها ، لأن أهلها برهنوا في مواقف
عديدة على حبهم لعلى وبنيه . ويعتبر انتشار التشيع في تلك البلاد بالإضافة
إلى ضعف الحكام ووهن الرباط الذى كان يربطها بالعبّاسيين من أهمّ العوامل
التي هيأت الظروف إلى نجاح سفارة الفاطميين في بلاد اليمن . وهذا ما سنعالجه
في الباب التالى .

الباب الثاني

الدولة الفاطمية الأولى في عهد منصور اليمن

(٢٦٨ - ٣٠٣)

الحالة السياسية والدينية عند ظهور منصور اليمن

كانت اليمن تابعة للدولة العباسية ، وكان الولاة يتعاقبون عليها من قبلهم ، واتخذوا صنعا حاضرة لهم ، ولكن الأمور فيها لم تكن مستقرة استقرارا تاما ، لأن السلاطين والأمراء اليمنيين كانوا يتنافسون لتولي الحكم من قبل خلفاء بني العباس . كذلك كانت الأمور في جزيرة العرب بصفة عامة غير مستقرة بسبب الثورات التي قام بها الملوّيون في بلاد الحجاز واليمن ، وبسبب ظهور القرامطة في بلاد البحرين وبسط سلطانهم على اليمامة وعمان ، وبسبب نشاط دعاة الفاطميين في نشر دعوتهم لقلب النظام الموجود في العالم الإسلامي .

وكان لهذه الأحداث أثر غير مرضي في الجزيرة بأسرها ، فصارت في شبه عزلة كما تأخرت ماديا وعلميا . ولم تكن بلاد اليمن بصفة خاصة وحدة سياسية ، تجمع شمل الولايات التي نهكتها المنافسات الداخلية والاختلافات المذهبية ، تحت لواء واحد ، وتقود الجميع نحو هدف واحد . وكانت الولايات في هذه البلاد شبه مستقلة عن الدولة العباسية إداريا وسياسيا لضعف الخليفة عن حربها ، ولكنها لم تستطع الاستقلال عنه دينيا ، لأن الولاة كانوا لا يستغنون عن بيعة الخليفة

لتثبيت سلطانهم^(١). فكان بنو زياد^(٢) في زبيد، وبنو يعفر^(٣) في صنعاء يعترفون بالسيادة لبني العباس؛ ثم دخل بنو يعفر تحت سيادة بني زياد حيث استمر الحكم في دولتهم، حتى خلع أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم (٢٨٩ - ٢٩١) طاعة العباسيين، وحلت في عهده عوامل الاضطراب التي أدت إلى عدم الاستقرار وفقدان الوحدة السياسية، ومن أهمها ظهور الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي سنة ثمانين ومئتين حيث نزل صعدة لنشر دعوة الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، واتبعه عدد غير قليل من القبائل التي كانت تميل إلى التشيع. فصارت الزيدية من يوم ظهوره من أهم العناصر في حياة اليمنيين. وهكذا أصبح في بلاد اليمن بعد ظهور منصور اليمن في سنة ٢٦٨ أربع ولايات، وهي الدولة الزيدية في زبيد، ودولة بني يعفر في صنعاء، ودولة بني الرس في صعدة، والدولة الفاطمية تحت قيادة أبي القاسم منصور اليمن وعلي بن الفضل الجيشاني.

وقد أدى هذا الاضطراب السياسي إلى كثرة النزاع بين الولايات، بل بين زعماء كل ولاية، مما زاد الطين بلة، ومهد لقيام الدعوة الفاطمية^(٤) التي ظهرت في اليمن سنة ٢٦٨ على يد أبي القاسم (منصور اليمن) وزميله علي بن الفضل.

ونتيجة لظهور هذه الدعوة واستيلاء الداعيين فيما بعد على معظم بلاد اليمن، بالإضافة إلى ما قام به أتباع الأئمة الزيدية من الحروب، اضطرت الأطراف على أبي الجيش، وخرج زعماء البلاد كل في جهته، ولم يسع أبا الجيش أمام هذه الاضطرابات إلا جهادتهم واعترافه بما تحت أيديهم خضوعاً لسياسة الأمر الواقع.

(١) ابن الأثير: الكامل ٢١٣/٩.

(٢) من ولد عميد الله بن زياد بن أبي سفيان، وقد ولي محمد بن زياد اليمن من قبل الخليفة المأمون العباسي سنة ٢٠٣ (تاريخ ابن الجاور ١/ورقة ٥٢).

(٣) قامت دولتهم في اليمن في آخر عهد المتوكل، وكان جدهم عبد الرحيم بن إبراهيم الموالي نائباً عن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي الذي كان والياً للخليفة المعتصم على نجد اليمن، ولما توفي عبد الرحيم خلفه ابنه يعفر وهو رأس الدولة وباعت استقلالها سنة ٢٤٧، واستمر أعقابها في صنعاء حتى سنة ٢٨٧ وهو من أولاد التبابعة من حيرة، كما حكاه عمارة / كاي ٤.

(٤) أنباء/دار: ٢٠.

ولم يكن يُعد بلاد اليمن عن بغداد حاضرة الدولة العباسية بأقل أهمية من العوامل السابقة ، لأن جماعات الشيعة كانت تلجأ في نشر دعوتها ومبادئها إلى الاستتار والبعد بقدر الإمكان عن أعداء الدعوة ، باتخاذ الأقطار البعيدة مزرعة لإنضاج هذه المبادئ . وقد وجد دعاة الفاطميين في بُعد اليمن عن مركز الخلافة في بغداد وسيلة لتنفيذ مشروعاتهم ، حتى يمكن القول بأن هذا البعد بالإضافة إلى وعورة الطريق وطبيعة بلاد اليمن الجغرافية المعقدة ، كانت من أهم الأسباب التي حالت بين خلفاء العباسيين وبين توجيه الجيوش إلى اليمن لأنقاذها من دعاة الفاطميين . واكتفى الخلفاء بأن يعهدوا إلى ولائهم من جهة ، وتكليف زعماء البلاد من جهة أخرى القضاء على هذا التيار الجارف - تيار الدعوة الفاطمية . ولكن ضعف الولاة وتنازعهم الدائم مع زعماء البلاد المتنافرين كان من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الدعوة الفاطمية فيها . لهذا حق لابن الفضل اليماني أن يقول عند ما عرض عليه الإمام الفاطمي الحسين بن أحمد أبو المهدي عبد الله أن يقوم ببث الدعوة باليمن : « والله إن الفرصة ممكنة في اليمن ، وإن الذي تدعون إليه جائز هناك ، وناموسنا يمشى عليهم . وذلك لما أعرف فيهم من ضعف الأحلام وقلة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية » (١) .

في هذا الجو السياسي المضطرب وفي هذه البلبلة الدينية ظهر أبو القاسم منصور اليمن في بلاد اليمن فتمكّن في فترة وجيزة من أن ينشئ دولة موالية للخليفة الإمام المهدي عبد الله بن الحسين .

سفارة الفاطميين في بلاد اليمن

كان لدعاة الفاطميين الأقدمين خبرة ودراية باختيار الرجال ، واتخذوا مواعيد الزيارة بالكوفة حيث قبر الإمام الشهيد الحسين بن علي وسيلة لبث مبادئهم

(١) وامل ما أشار إليه الحمادي في الكشف ٢٢ بخصوص ضعف الأحلام في اليمنية على لسان علي بن الفضل الجيشاني القحطاني البحت يكون بعيدا عن الصواب مع علمنا بافتخار ابن الفضل بقحطانيته وتعصبه لبني جلدته .

وعقائدهم ، ودليلاً على مقدار إخلاص أهل الدعوة إلى صاحب المقام .

وكان الأئمة والدعاة الأقدمون يبذلون كل جهدهم في تحويل أكبر عدد من الرجال النافعين للدعوة إلى مبادئهم ، خصوصاً من كانوا يلمسون فيهم نبوغاً ، فقد ظفروا بأبي القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي هناك وهو من ولد عقيل بن أبي طالب ، وكان من أهل بيت علم وتشيع ، قرأ القرآن وطلب الحديث والفقهاء^(١) ، وكان يدين بمذهب الإمامية الاثنا عشرية ، وتمكّن الإمام الحسين بن أحمد من تحويله إلى مذهبه ؛ ويقول أبو القاسم : « وكان الإمام يخصني ويقربني ويرمز بقرب الأمر ودنو العصر »^(٢) ، فقال له : « يا أبا القاسم ! البيت يمانى والركن يمانى والدين يمانى والكعبة يمانية ، ولن يقوم هذا الدين وبظاهر إلا من قبل اليمن ... يا أبا القاسم ! هل لك في غربة في الله ؟ » . قلتُ : « يا مولاي ! الأمر إليك ، فما أمرتني به أمثلته » . قال : « اصبر ، كأتى رجل قد أقبل إلينا من اليمن ، وما لليمن إلا أنت » . فقلتُ : « أستعين بالله على ما يرضيك » .^(٣)

من هذا نرى أن أبا القاسم قد أصبح مهيباً للأمر الذي أرادته الإمام ، وأصبح موضع ثقته ، وأمله الذي يرجوه ، ونرى أيضاً أن الإمام كان على علم بوصول علي بن الفضل الجدني الخنفرى الجيشانى^(٤) ، بطريق رئيس الدعوة في اليمن من قبل هذا الإمام ، في الوقت الذي كان فيه ابن الفضل لا يعرف شيئاً عن الإمام المستور حسين ابن أحمد ولا عن دعوته .

وصل علي بن الفضل إلى الكوفة سنة سبع وستين ومئتين بعد أن أدى

(١) افتتاح ٣ . وينسب إليه رسالة الرشد والهداية نشرها محمد كامل حسين بمجلة Collectanea ج ١ (١٩٤٨) ص ١٨٥ وما بعدها .

(٢) نفسه ٩ ؛ عيون ٤٠/٥ . (٣) افتتاح ٩ .

(٤) جدن من ذى جدن . وجيشان مدينة باليمن . وفي قرعة ١٣ قال : إنه ولد خنفر بن سبأ الأصفر . كان في أول أمره لاشهرة له . وقد تعلم أصول الدعوة في الكوفة ، ثم رجع إلى اليمن . وقال القاضي النعمان (ر افتتاح ٩) : وكان ابن الفضل شاباً جليلاً من أهل بيت تشيع ونعمة وبسار . ويقال له أبو الحسن علي بن الفضل . خرج حاجاً من جيشان في جماعة من أهلها .

فريضة الحج في مكة ، وأخذ يبكي عند قبر الإمام الحسين بن علي وينتحب ويعد مناقبه ويذكر فضله^(١) ، مما جعل الفاطميين ودعاتهم يحرسون على استمالته إلى دعوتهم .

وبالرغم من اختلاف المؤرخين في الشخص الذي عهد لأبي القاسم وابن الفضل بالسفر إلى بلاد اليمن ويمكننا أن نقرر هنا اعتمادا على ما قاله القاضي النعمان^(٢) ، أن الإمام الحسين بن أحمد هو الذي قام بهذا الأمر لأن الإمام بعد أن أخذ الموائيق على أبي القاسم ووصل ابن الفضل عنده قال : « ... يا أبا القاسم ! هذا الذي كنا نتظره . فكيف رأيك في الذي عرضته عليك من أهل اليمن ؟ » فامتثل أبو القاسم لأوامر الإمام التي قال له فيها : « ... إلى عدن لاعة فاقصد ، وعليها فاعتمد ، فمنها يظهر أمرنا ، وفيها تمرز دواتنا ، ومنها تفرق دعواتنا »^(٣) . ثم أمره بالاستتار والاعتماد على التأويل ، واتخاذ التشيع وسيلة لتحقيق أغراضه ، وأن يقول بقرب ظهور المهدي^(٤) . ثم قال له : « واجمع المال والرجال ، والزم الصوم والصلاة والتقشف ، واعمل بالظاهر ، ولا تظهر الباطن ، وقل لكل شيء باطن ، وإن ورد عليك ما لا تعلمه فقل لهذا من يعلمه وليس هذا وقت ذكره »^(٥) ؛ كما أوصاه بعلي بن الفضل خيرا فقال له : « هو شاب قريب عهد بالأمر ، فانظر كيف تسوس أمره »^(٦) . ثم توجه إلى علي بن الفضل فقال له : « إن هذا الرجل الذي نبعث به معك بحر علم ،

(١) افتتاح ١٠ .

(٢) نفسه / ١٢ ؛ ولكن إدريس (عيون / ٥ / ١١٩) يروي عن صاحب سيرة الإمام المهدي أن الإمام الحسين قبل أن يتوفى استكفل أخاه أبا علي الحكيم وهو محمد بن أحمد المكنى بسعيد الخير إلى ابنه المهدي وكان عم الإمام المهدي . وهو الذي أنفذ أبا القاسم إلى اليمن بعد وفاة الإمام الحسين بن أحمد . ويحتمل أن يكون الإمام حسين هو الذي أخذ الموائيق على أبي القاسم وزميله : ولكنه توفي قبل أن يسافر السفيران إلى بلاد اليمن ، ومهما يكن من أمر فإن السفارة قد أرسلت إلى اليمن في شخصي أبي القاسم وابن الفضل .

(٣) افتتاح ١٢ .

(٤) Quatremere : Memoires J. A. 1830 ص ١٨٤ .

(٥) نفسه ١٤ .

(٦) افتتاح ١٣ .

فانظر كيف تصحبه»^(١). ثم قال: «الله بصاحبك، وقره واعرف له حقه، ولا تخالفه فيما يراه لك، إنه أعرف منك وإنك إن خالفته لم ترشد»^(٢). ثم قال لهما: «أبعثكما إلى اليمن، تدعوان إلى ولدي هذا، فسيكون له ولذريته عز وسلطان، وإن الله عز وجل قسم لليمانيين ألا يتم أمر في هذه الشريعة إلا بنصرهم»^(٣).

سير السفيرين إلى اليمن

خرج السفيران من الكوفة إلى القادسية في نهاية سنة سبع وستين ومثنتين ويقول أبو القاسم «ولما ودعت الأهل والأحبة متشوقاً إلى إقطاع الغربية توجهت، فلما خرجت من القادسية أوجست خيفة، فسمعت حادياً يقول:

يا حادى العيس مليح الزجر بشر مطاياك بضوء الفجر^(٤)

فسررت واستحسنت ذلك الفأل لما سمعته، ووافيت مكة في حين قدوم الحجاج من اليمن^(٥). وبعد أن أدى مناسك الحج تابع مع زميله السير جنوباً حتى وصل إلى غلافقة في أول سنة ٢٦٨ وكانت في هذا الوقت بندراً لمدينة زيد على ساحل البحر الأحمر. ثم افترق الداعيان بعد أن اتفقا على أن يتصل كل واحد منهما بصاحبه ليتعرف أحواله، فاتجه أبو القاسم إلى مدينة الجند، وكانت غايته عدن لاعة^(٦)، لأنها كما يقول الإمام الحسين لأبي القاسم «أقوى لأمرك وأمضى لنا موسك»^(٧). وقد وصل إليها عن طريق بعض تجار هذه المدينة من بني موسى، تقابل معهم في عدن أبين. ولما وصل لاعة أخبره من بها من أهل الدعوة أن الداعي أحمد بن عبد الله بن خليع كان قائماً بالدعوة، ولكن الأمير ابن

(١) افتتاح ١٤ . (٢) كشف ٢٣ .

(٣) إدريس: زهر المعاني ٦٥ . (٤) افتتاح ١٤؛ عيون ٣٥/٥ .

(٥) افتتاح ١٤؛ عيون ٣٥/٥ .

(٦) وجاء في العيون ٣١/٥ - ٣٣: أخذ أبو القاسم ينتقل من مخلاف بني طريف

من ناحية صعدة إلى الظاهر، ثم وصل إلى ثقيف عجب ثم دخل صنعاء، وخرج منها حتى وصل إلى الجند، وكانت غايته عدن لاعة.

(٧) افتتاح ١٢؛ كشف ٢٤ .

يعفر قبض عليه ، وتوفي الداعي في السجن منذ عهد قريب ، فنزل أبو القاسم في دار من دور ابن خليع ، وزوج ابنته^(١) ، وتقلد مقاليد الدعوة هناك .
أما علي بن الفضل فقد أتجه إلى بلاد يافع الجبلية ، بالقرب من الجند .

نشاط منصور اليمن الهربي

نهج السفيران منهجا واحدا في نشر نفوذهما في بلاد اليمن ، وقد اتخذوا الدين وسيلة لنشر هذا النفوذ . فأظهر كل منهما الزهد والتقشف والصلاح ابتغاء الوصول إلى غايته^(٢) ، وعملا بوصية الإمام الحسين بن أحمد إليهما^(٣) ، كما تظاهر كل منهما بالتفقه في الدين والتضلع في المذاهب السنية ، وكانا يأمران بالمعروف ، وينهيان عن المنكر . فالإليهما كثير من أهل اليمن ، وأقبلوا عليهما من كل فجّ ؛ وبخاصة بعد أن أظهرتا دعوتيهما علنا في سنة سبعين ومئتين ، بعد أن قام كل منهما بدعوته سرا لمدة سنتين . فأصبح لكل منهما جماعة كبيرة ، تخلص له الإخلاص كله . وبعد أن قوى حزب كل منهما في جهته عمل على الحصول على الأموال ، لتنفيذ أغراضه ، وللدفاع عن أتباعه . وكانت الزكاة هي السبيل المستقيم الذي يتفق وأمور الدين . فأمر أبو القاسم من جهة أتباعه بجمعها ، واستعمل عليها منهم ثقات وعدولا ، يقيضون أعشارهم (أعشار أموالهم) على ما يوجبه الفقه^(٤) .

ولما هوجم أبو القاسم ، وقتل بعض أصحابه ، أشار عليه بعض مشايخ الدعوة بالاتحاد ، وتدير الدفاع عن كيانهم ، كما سيأتي ذكره . وقال صاحب العيون^(٥) : « إن أبا القاسم طلب من أتباعه ألف دينار ، فأعانه بها خمسة منهم . فاستعد بها ، وصعد عبر محرم ، وسكن به ، وأسكن معه خمسين رجلا من وجوه أهل دعوته » . وبينما ترى أبا القاسم يقوم بتنفيذ هذه الخطة إذا باين الفضل يسلك نفس

(١) افتتاح ١٧ ، ١٢ ؛ عيون ٣٨/٥ . (٢) أبناء / دار ٢٠ .

(٣) افتتاح ١٣ ؛ انظر ص ٣١ . (٤) كشف ٢٥ .

(٥) عيون ٤١/٥ ؛ قرّة ورقة ١٢ .

الطريق ، فيأمر أتباعه المخلصين ببناء حصن فوق جبلهم ، ويتم له ذلك في جهة سرو يافع^(١) . ونحن نرى أنه كان لبناء هذه الحصون غرضان : فالغرض الأول الظاهر هو حفظ أموال الزكاة ؛ ولكن الغرض الحقيقي هو اتخاذها قواعد ارتكاز يبسط منها الدعوة نفوذهم السياسي والمذهبي .

وقد ساعدهم على هذا النجاح المستمر الظروف المحيطة . وقد قتل محمد بن يعفر في سنة سبعين ومئتين ، واختلاف أهل بيته فيما بينهم . تلا ذلك خطوة عملية جديدة ، وهو دور الحرب ، وتكوين الدولة المنشودة — دولة المهدي . فأبو القاسم لم يصعد عبر محرم إلا عند ما هجم عليه إسحاق بن طريف بجيش جرار ، قتل من أتباعه اثني عشر رجلا . يقول إدريس^(٢) : « فضاق الأمر على أصحابه . فاجتمع إليه المشايخ من أهل الدعوة ، وسألوه حسن النظر والتدبير لهم . فعرفهم أن ذلك لا يكون إلا بحصن يلجئون إليه ويمتنعون فيه ، فمضوا عليه حصون البلد ، فاختر منها عبر محرم » ، واحتله كما سبق أن ذكرناه .

ولا بد أن يكون أبو القاسم قد اتفق مع بني المرّجى سلاطين همدان ، أصحاب هذه البلاد ، على استعمال بعض الأماكن والحصون في بلادهم ، لأن هذا الاحتلال يبعد أن يكون قد حصل قهرا ، لأنه يتنافى مع ما كان يدعو إليه من عدم التمدي على حقوق الغير ، كما أن قوته لم تكن قد نظمت تنظيما كافيا ، وأن أصحاب هذه الجهات لم يخرجوا عليه في يوم من الأيام .

ومهما يكن من شيء ، فقد احتل أبو القاسم عبر هرم ، ثم جمع جمعا من أتباعه ، واستولى على جبل الجيمة ، ثم هاجم بيت ريب (وهو رأس مسور) ثلاث مرات ، حتى استولى عليه . فأثار ذلك حنق رؤساء الدويلات ، وأشعلوا نار الحرب في وجهه ، ولكنها كانت حربا همجية ، كان مآلها الفشل في الوقت الذي كان أبو القاسم وأتباعه يحاربون تنفيذاً لمبدئهم ونصرة لإقامة دولة أهل بيت النبي .

(١) كشف ٢٨ .

(٢) عيون ٤٠/٥ .

وكانت هناك رأس مفكرة تقودهم من نصر إلى نصر . ففي سنة سبعين ومثني
امتد نفوذه كثيرا ، فتسمى « المنصور باليمن »^(١) . واستولى على جبل مسور من
أعمال صنعاء اليمن ، باتفاق عمله مع مأمور الحوالمى بجبل مسور . فدخل الحصن
الواقع بمسور ، ومعه ثلاثة آلاف رجل ، وحصنه ودربه ، وبني فيه دارا للهجرة
ليلجأ إليها أتباعه . وأصبح هذا الجبل القاعدة الحربية التي كانت تسير منها
الجمعات إلى الجهات المجاورة .

فاستولى على جميع مخاليف المغرب : مغرب اليمن ؛ فأخذ بلاد عيَّان وبني شاور^(٢)
وحلان ، ثم استولى على ذُخار^(٣) وملك شبام حمير^(٤) وجبلها كوكبان . وما زال
يحوز المعقل ويملك مدن اليمن الجلائل ، وأقبل الناس إليه طوعا وكرها ؛ فدخل
كثير من بني يعفر وملوك حمير في الدعوة طائعين وكارهين ، وقويت في أرض اليمن
دعوته وعلت كلمته^(٥) . وكان هذا النصر سببا في أن استعمل الداعي الطبول
والرايات ، وكان يقول : « والله ما أخذت هذا الأمر بمالي ولا بكثرة رجالي ؛ وإنما
أنا داعي المهدي الذي بشر به النبي محمد صلى الله عليه وسلم » . فانتقل إليه الناس
بأموالهم وأولادهم ، ودخلوا في بيعته ومذهبه^(٦) . ولم يقف نشاط أبي القاسم الحربي
عند هذا الحد ، بل أرسل جيشا قويا لمساعدة علي بن الفضل سنة تسع وتسعين
ومثني حين أحيط به في مخاليف البيض^(٧) في تهامة . وكان من أثر هذه المساعدة
أن عاد ابن الفضل سالما إلى بلاده .

فتوح علي بن الفضل

أما عن اتساع نفوذ علي بن الفضل ، فقد هجم بجيشه على بلاد ابن
أبي العلاء سلطان الحج وأبين ، بحجة أن في ذلك جهادا لأهل المعاصي ؛ ووجد
أتباعه أن في هذا العمل فرصة لجمع الثروة ، فاندفعوا في صفوفه لتحقيق أغراضهم .

- (١) افتتاح ٣ ؛ قره ورقة ١٢ .
(٢) تسمى الآن كحلان تاج الدين .
(٣) تسمى الآن ضلع كوكبان .
(٤) وهو شبام كوكبان .
(٥) عيون ٤١/٥ - ٤٢ .
(٦) قره ورقة ١٢ .
(٧) وفي رواية : البيض .

ثم أن ابن الفضل استغل وجود نزاع بين ابن أبي العلاء وبين كاتبه جعفر ابن إبراهيم المناخي^(١) حاكم أبين لسيدته . واتفق ابن الفضل وجعفر على قتال ابن أبي العلاء واقتسام الغنائم متناصفة . ودارت الحرب في خنفر^(٢) وكان النصر في النهاية للحليفين ، وغنم ابن الفضل من خزائن ابن أبي العلاء سبعين بكرة^(٣) . وكان من أثر هذا النصر أن دخل في بطاعته قبائل مذحج وغيرها ، كما كان هذا النصر خطوة لاشتباكه مع حليفه بالأمس . ذلك لأن علي بن الفضل بعد أن اقتسم الغنائم في حضور العساكر والقبائل ، وسلم أحد الشطرين منها إلى سفير المناخي ، قال يخاطب الجمع : « إن جعفرا أرسل إلى لما بيني وبينه من العهد بقسيمة ما غنمت ، وقد أحضرتكم شهوداً على تسليمه إليه ، لأنني لأرغبة لى في المال ، إنما أنا قمت لنصرة الإسلام » . ثم قال للسفير : « انصرف إلى صاحبك ليلتك ، وقل له يستعد للحربى » . وأرسل معه كتاباً إلى المناخي قال فيه : « بلغنى ما أنت عليه من ظلم المسلمين ، وأخذ أموال الناس بغير حق ؛ وأنا قمت لأرد الحق لأهله ، وإن أردت إتمام ما بيني وبينك ، فردّ الظلمات إلى أهلها ، وادفع لأهل دلال دية ما قطعت من أيديهم^(٤) . وذلك أن المناخي كان قد قطع أيدي ثلاث مئة رجل من أهل دلال^(٥) على حجر بالذيخرة . وقد يكون ابن الفضل اتخذ هذه الحادثة وسيلة لمحاربة المناخي ، أو يكون على حق فيما ادّعاءه من انتصار للحق . ومهما يكن من شىء فإن الحرب دارت بين الفريقين . فأظهر ابن الفضل دراية حربية ومعرفة فائقة بأساليب الحرب ، لأنه على الرغم من هزيمته أول الأمر عاد ليلاً وهزم عدوه شر هزيمة ، ودخل المذيخرة سنة أربع وتسعين ومئتين ، ثم دخل حصن التعكر ، وتبع جعفر المناخي حتى قتله في وادى نخلة سنة ٢٩٤ . فقوى بذلك مركز ابن الفضل

(١) يقول يحيى بن الحسين (أنباء/دار ٢٠) : وهو الذى ينسب إليه مخلاف جعفر، وقد ملك جعفر هذا خمسين سنة كما ملك أبوه إبراهيم ثلاثين سنة ؛ راجع صفة ١٠٠ ؛ ولكن ابن الديبع (بغية ورقه ٩) يقول : إن مخلاف جعفر ينسب إلى جعفر مولى ابن زياد ؛ كذا ورد في تاريخ ابن الجاور ١/ورقة ٥٤ . وهو الآن معروف بالعدين والحبيش .

(٢) صفة ٥٣ ، مدينة في أبين . (٣) البكرة بها عشرة آلاف درهم (قرة ورقه ١٢) .

(٤) كشف ٢٩ (٥) دلال بلدة في بعمدان من أعمال إب .

كثيرا . فاتجه باتباعه إلى بلاد **يَحْصِب** ^(۱) ، فدخل **مَنْكَث** ^(۲) وأحرقها ، ثم هجم على صنعاء ، ودخلها لأول مرة من ناحية الشهابيين ^(۳) ، وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومئتين ^(۴) . وقد حاول أسعد بن أبي يعفر مرارا استرجاع صنعاء ، وبقيت المدنية مكان تجاذب ، حتى استقر له الأمر فيها سنة تسع وتسعين ومئتين ^(۵) . ولم يقف طموح ابن الفضل عند هذا الحد ، بل استمر في فتوحاته ، حتى دان له معظم تهامة بعد ان استولى على زبيد ، وقتل واليها المظفر بن حاج ، الذي فقدت بغداد بقتله أكبر ممثل لها في اليمن .

ثمة المهري منصور اليمن

استمر السفيران يعملان في أول الأمر لهدف واحد ، وهو بناء دولة المهدي ، حتى أصبح الجزء الأكبر من اليمن خاضعا لنفوذها . وتمكن منصور اليمن ، كما يقول برنارد لويس ^(۶) ، «عن طريق الدعوة ، ولأول مرة ، من تكوين دولة إسماعيلية في اليمن . وسر الإمام كثيرا عندما وردت إليه الهدايا من اليمن ، وقال لابنه : « هذه أول ثمرة أيامك ، وبركة دولتك » ، وتمثل بقول الشاعر :

الله أعطاك التي لا فوقها وكم أرادوا منعمها وعوقها

(۱) نتوان : شمس العلوم ۴۹ ، ۹۳ ؛ والآن تعرف باسم بحصب العليا وبحصب السفلى . وهي قرية من ظفار حير ، وفيها آثار الحميريين . والقرية معروفة بكرم أهلها ، ولا يزال يسكنها جماعة من آل الصليحي .

(۲) وهي مدينة السخطين (صفة ۵۵) .

(۳) ينسبون إلى شهاب بن عاقل بن قضاة (شمس العلوم ۵۸) .

(۴) أنباء/ماضي ۴۴ — ۴۵ . (۵) سلوك/كاي ۱۴۵ ؛ ولقد اختلف المؤرخون في أمر استيلاء ابن الفضل على صنعاء . فقال صاحب الأنباء/ماضي ۴۴ إن هذا الاستيلاء تم سنة ۲۹۳ . وقال الجندي (سلوك/كاي ۱۴۵) : إن ابن الفضل استولى على صنعاء سنة ۲۹۹ . ونرى أن ليس هناك تناقض في هذا لأن ابن الفضل دخل صنعاء سنة ۲۹۳ ، ولكن لم يستقر أمره نهائياً فيها إلا بعد سنة ۲۹۹ .

(۶) B. Lewis : Orgins of Ismailism ص ۹۵ .

عنك، وبأبي الله إلا سوتها إليك حتى طوتوك، طوقها^(١)

ولثقة رؤساء الدعوة بأبي القاسم لقبوه بالمنصور، وشبهوه بفجر الدعوة الذي مهد لشمسها بالظهور، فقالوا فيه: « كان أبو القاسم بمثابة الفجر المتنفس، وبه كشف الله عز وجل عن الأولياء النعمة، وأثار حنادس الظلمة »^(٢).

وبدلنا على مبلغ ثقتهم به أنهم كلفوه إرسال الدعوة إلى الجهات المختلفة، لأنه ليس من المعقول أن يقوم أبو القاسم من تلقاء نفسه بهذا الأمر. فبعث ابن أخيه الهيثم داعياً إلى السند حيث استجاب إليه الكثير من أهلها^(٣)، وأرسل أبا محمد عبد الله بن العباس داعياً إلى مصر^(٤)، ووزع الدعوة في سائر البلدان باليمن، وإلى اليمامة والبحرين^(٥)، والسند والهند، ومصر والمغرب^(٦). ولما أرسل الإمام داعيه أبا عبد الله الشيعي الصنعاني^(٧) إلى منصور اليمن، قال له: « امتثل سيرته، وانظر إلى مخارج أعماله، ومجاري أفعاله، فاحتذها، وامتثلها، فاعمل عليها »^(٨). فأقام عنده يشهد مجالسه، ويخرج معه في غزواته، لا يفارقه، حتى بعثه إلى أرض المغرب^(٩)، وأرسل معه ابن أبي الملاحف الذي مالبت أن عاد لمرض والدته، فسير مكانه إبراهيم بن إسحق الزبيدي^(١٠) وكان أبو القاسم قد أرسل الداعيين الحلوانى وأبا سفيان إلى بلاد المغرب من قبل. وكان هؤلاء الدعاة، كما يقول العيني^(١١)، يدعون إلى محمد الحبيب والد عبيد الله، وكان يسمى الهادي^(١٢)، وكان بسلمية. ولما علم أبو القاسم بوقائهما (أى الحلوانى وأبي سفيان)

(١) افتتاح ١٨ . (٢) الخطاب : غاية المواليد ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) افتتاح ١٨ ؛ عيون ٣٨/٥ . (٤) عيون ٣٨/٥ .

(٥) وجه أبو القاسم نظره إلى اليمامة، وذلك بسبب قيام دولة بني الأخيضر العلوية (ابن حزم : أنساب العرب ٤١) ، واعتقد أن أهلها سيرجون بالدعوة الفاطمية، لذلك بعث إليها الدعوة لنشر الدعوة الفاطمية (القلقشندي : صبح الأعشى ١/١١٩ - ١٢) .

(٦) افتتاح ١٩ .

(٧) واسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، وكان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة.

ونزاهة (افتتاح ٣٢) .

(٨) افتتاح ٣٢ ؛ المنصوري : زبدة الفكرة ١٥٤/٥ .

(٩) افتتاح ٣٢ ؛ الخطاب : غاية المواليد ٤٩ ؛ عيون ٤٢/٥ .

(١٠) عيون ٥١/٥ . (١١) عقد الجمان ١٣/١٥٣ .

(١٢) انظر الباب الأول، ص ١٤، هامش رقم ٤ .

قال لأبي عبد الله الشيعي : « إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبوسفيان ، وقد ماتا ، وليس لها غيرك ، فبادر ، فإنهما موطاة ممهدة لك » (۱) .
وكان المنصور دعامة من دعائم الفاطميين ، بل كان « ملكا مسددا » ، كما وصفه الجندی (۲) ، أو قل : إن تأسيس الدولة الفاطمية قام على أكتافه ، ثم خلق من اليمن مستودعاً من مستودعات الدعوة الفاطمية .

سبب امتناع المهدي عن قصر اليمن

لهذا كله استقر رأي الإمام على أن تكون هجرته إلى اليمن ، ويقول جعفر الحاجب (۳) ، وكان في صحبة المهدي حين فراره من سلمية : « وأمرنا المهدي بأخذ أهمة السفر والخروج معه ، وأظهر لنا أنه يريد اليمن » . ويؤكد القاضي النعمان المغربي (۴) أن المهدي لما وصل إلى مصر كان يأمل أن يقصد اليمن ، وأن الذين صحبوه كانوا جميعاً على هذا الاعتقاد ، وأن الداعي منصور اليمن أكد لليمنيين أن المهدي سيظهر في بلادهم . ولم يثنه عن عزمه إلا انحراف علي بن الفضل الجداني عن الدعوة الفاطمية (۵) . من ذلك نرى أن الإمام كان يرغب في الذهاب إلى اليمن رغبة أكيدة ، ولكن ما قاله ابن الأثير (۶) من أنه لما شاع خبره عند الناس أيام المكتفي العباسي (۲۸۹ - ۲۹۵) فهرب هو ووالده أبو القاسم نزار ، وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب ، وما قاله الجندی (۷) من أن الإمام لما بلغه نجاح أبي القاسم في نشر دعوة المهدي في اليمن قال : « هذه دولتك قد قامت لكن لا أحب ظهورها إلا من المغرب » ، يبعد عن الحقيقة ، لأنه من المحتمل أن يكون السبب الذي دفع الإمام لتغيير رأيه يرجع إلى ما بلغه من أبي القاسم من أخبار انحراف علي بن الفضل — لا الاستقلال علناً — عن الدعوة الفاطمية .

(۱) المنصوري : زبدة الفكرة ۱۵۴/۵ .
(۲) سلوك / كاي ۱۴۳ . (۳) سيرة جعفر الحاجب ۱۱۰ ؛ عيون ۱۲۸/۵ .
(۴) افتتاح ۱۳۷ ، ۱۳۸ . (۵) نفسه ۱۳۸ ؛ كشف ۲۳ ؛ اتعاظ ۶۹ .
(۶) الكامل ۱۲/۸ . (۷) سلوك / كاي ۱۴۲ .

وإننا نعتقد أن أبا القاسم بصفته رئيس الدعوة في اليمن كان دائم الاتصال بالإمام ، وأنه كان يبعثه بتقارير عن أحوال الدعوة والمستجيبين من حين إلى حين . ولا بد من أنه أخبر الإمام بما وجد في ابن الفضل من إهمال في أداء واجباته ، وميله إلى الاستقلال ، وعدم امتثاله لأوامره (أبي القاسم) . وحدث هذا الانحراف عن جادة الدعوة قبل وصول الإمام إلى مصر ، مما جعله لا يرحب كثيراً بفكرة إقامة الدولة الفاطمية المنشودة في اليمن . ومن المحتمل أن يكون المهدي قد غير وجهة نظره بعد وصوله إلى مصر ، لأنه يعلم أن العباسيين كانوا جادين في طلبه ، وأنهم أرسلوا عيونهم إلى كل الجهات التي يحتمل أن يكون المهدي قد هرب إليها ، وبخاصة إلى اليمن التي فشا خبر احتمال ذهاب المهدي إليها ، كما لا يبعد أن يكون ما جاء في رواية سيرة جعفر الحاجب^(١) عن الداعي ابن العباس ، له الأثر في امتناع المهدي عن قصد اليمن ، فقد قال ابن العباس للنوشري^(٢) عامل العباسيين على مصر حين سأله عن حقيقة المهدي المحتفى عنده : « أما الرجل النازل على فوالله لا وصل إليه شيء إلا ما يصل إلى ، لأنه رجل هاشمي شريف ، تاجر من وجوه التجار ، معروف بالفضل والعلم واليسار ، والذي أتى الرسول في طلبه قد أعطيت خبره أنه توجه إلى اليمن قبل ورود هذا الرسول بمدة طويلة » . أما ما قاله الحمادي^(٣) والقاضي النعمان^(٤) والقريزي^(٥) من أنه لم يثنه عن عزمه في الذهاب إلى اليمن إلا خروج ابن الفضل ، فإننا نقول : إن ابن الفضل مال إلى الاستقلال قبل قيام الإمام برحلته ، ولكن خروجه كان بعد فرار فيروز^(٦) إلى اليمن . فقوى في ابن الفضل هذه

(١) سيرة جعفر الحاجب ١١٣ ؛ عيون ١٢٧/٥ .

(٢) عيسى النوشري ، أول وال ولي على مصر من قبل العباسيين بعد زوال الدولة الطولونية ، وكانت مدة ولايته عليها خمس سنين وشهرين ونصف (٢٩٢ — ٢٩٧) (المكندى : الولاة ٢٥٨ — ٢٦٧ ؛ القريزي : خطط ١٢٤/٢ — ١٢٥ ؛ انماظ ٣١ هامش رقم ٢) .

(٣) كشف ٢٣ . (٤) افتتاح ١٣٨ . (٥) انماظ ٦٩ .

(٦) وهو داعي دعاة المهدي وباب أبوابه ، وقد أحزنه مسير المهدي إلى المغرب ، فقال الإمام : عجبت لرجلين من شيعتنا : أحدهما تفمه مفارقتنا ، والآخر تفمه صحبتنا ! وذلك أن الداعي أبا علي المقيم بمصر رغب في الذهاب مع الإمام ، ولكن الإمام طلب منه البقاء في مصر إلى أن يتها قدومه (عيون ١٢٨/٥ — ١٢٩) .

الزعة الاستقلالية ، وفي ذلك يقول إدريس : ^(١) « إن فيروز أحزنه مسير الإمام إلى الغرب ، واستبعد المسافة فتخلف بمصر ؛ ثم سار إلى اليمن ، فوصل إلى داعي اليمن أبي القاسم ، الذي أحسن لقاءه وأكرم مثواه لما كان يعرفه من القرب من الأئمة ... ، ثم أن فيروز أراد أن يضلّه ويغويه فوجد نيته في ولاء الأئمة قوية . . . فلما لم يجد منه حيلة توجه إلى علي بن الفضل ، فوجد منه مراده ، واستفزها الشيطان ، وصارا من أهل الطغيان والضلال ، وخرجا من جملة أهل الإيمان ؛ فظفر منصور اليمن بفيروز فقتله ، وحارب علي بن الفضل » . ولسنا نشك في أن هذا حدث بعد وصول المهديّ إلى بلاد المغرب ، ويدل على ذلك ما قاله جعفر الحاجب : ^(٢) « خرج المهدي من مصر ، وخالفه فيروز قبل خروجه منها ، ومضى إلى اليمن » .

انتفاص علي ابن الفضل

أما عن علاقة علي بن الفضل بالفاطميين فإنه لما استقر باليمن ، ظل على ولائه للإمام مدة ، أظهر فيها التقشف والورع ؛ ويدلنا على ذلك ما قاله الحمادي : ^(٣) « أخذ بالنسك والعبادة ، فكان نهاره صائماً وليله قائماً ؛ فأنسوا إليه وأحبّوه ، ثم إنهم قلّدوه أمرهم ، وجعلوا حكمهم إليه ؛ فسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ^(٤) ويسكن بينهم ، فقال : لا أفعل هذا ، ولست أسكن بين قوم جهال ضلال ، إلا أن يعطوني العهود والمواثيق ألا يشربوا الخمر ؛ ففعلوا له ذلك ، وأنهم ينكرون المنكر وينكرون على أهل المعاصي بأجمعهم » . فحلفوا له على الطاعة ، وأن لا يخالفوه بما أمر ، فوعدهم خيراً . ^(٥) من هذا نرى أن ابن الفضل ظل مدة في بلاد اليمن على ولائه للفاطميين . وهذه المدة لا تقل عن عشرين سنة إذا علمنا أنه وصل إليها سنة ٢٦٨ ، وأن خروجه علنا لم يكن إلا بعد أن استولى على المديخرة سنة ٢٩٤ ، فأعجبت به وأظهر بها مذهبه ، وجعلها مقر ملكه . وآتهم المؤرخون أن ابن الفضل أحل لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات والأخوات ^(٦) ، كما أظهر المجوسية وكفر

(١) عيون ١٢٩/٥ . (٢) سيرة جعفر الحاجب ١١٥ . (٣) كشف ٢٩ .

(٤) سرو يافع وهو ناحية باليمن أرضها جبلية منيعة (كشف ٢٨) .

(٥) سلوك / كاي ١٤٣ . (٦) سلوك / كاي ١٤٣ - ١٤٤ .

عما جاء به من عند الله عز وجل^(١) ، وكان إذا خاطب نوابه استهل كتبه بعبارة :
« من باسط الأرض وداحيها ، ومزلزل الجبال ومرسيها ، علي بن الفضل »^(٢) .
ويروى أنه لما دخل الجند خطب شاعره على منبرها ، فقال :

خَذِي الدُّفَّ ، يا هذه ! والعي وغنى هزاريك^(٣) ، ثم اطربي -
تولى نبي بنى هاشم وهذا نبي بنى يـمـرب
لكل نبي مَضَى شُرْعَةً وهذي شرائع هذا النبي
فقد حطَّ عنَّا فروض الصلاة وحط الصيام ، ولم يتعب
ولا تطلبي السمي عند الصفا ولا زورة القبر في يثرب

وهي قصيدة طويلة^(٤) تدور حول محرمات الشريعة والاستهانة بها .

وإننا نرى أن هذه القصيدة نسبت إلى شاعر من شعراء ابن الفضل ، وقد
يجوز أن قلها شاعر من الخطابية ، كما حكاه نشوان . ولا تفيدنا المصادر التي تحت
أيدينا عن حياة ابن الفضل وأمور مملكته إلا أنه استقل من الدعوة الفاطمية ،
وخرج عن الدين الحنيف . وبالرغم من أنه كان شخصية بارزة ، وقائدا بارعا ، وحاكما
ناجحا ، ووطنيا متحمسا ، فخورا بقحطانيته ، بالغ المؤرخون في انتسابهم إليه إجلال
المحارم وارتكاب الفواحش ، ولم يأتوا بأدلة تثبت اتهامهم ، إلا أن الخمادي^(٥) -
الذي أعداء الدعوة - لم يستطع أن يطمس الحقائق عن سياسته البارعة في السلم والحرب ،
وعن شهامته وإقدامه ، وإيفائه العهود والمواثيق ، وحمايته المظلومين ، ونصرته لمبادئ

(١) أرندونك Het Opkomst ص ٣٠٢ نقلا عن سيرة الهادي لعلي بن محمد بن عبد الله
العباسي العلوي (مخطوط بالمتحف البريطاني رقم Or. 3901) ويعتبر هذا الكتاب من الوثائق
التاريخية نظرا لأن مؤلفه كان معاصرا للهادي يحيى بن الحسين . وقد أخذنا بعض هذه المعلومات
من أرندونك مقدمة (ص ١١ ، ١٢) .

(٢) سلوك / كاي ١٤٨ . (٣) الهزار : العندليب .

(٤) جاء بعضها في كشف ٣١ ؛ سلوك / كاي ١٤٤ ؛ وقال نشوان الحميري
(حور ١٩٩) : وغالب الظن أن قائل هذه الأبيات من الخطابية . وهذا يدل على اختلاف
الرأي فيما قال هذه الأبيات . ويرجع نشوان أن الشاعر كان من الخطابية ، ثم نسبت الأبيات
إلى شاعر من شعراء علي بن الفضل . (٥) كشف ٢٩ .

الإسلام . ولم يستطع أبو القاسم منصور اليميني أن يعزله ويطرده عن الدعوة ، وهو يعلم علم اليقين ميول ابن الفضل الاستقلالية ، بل ساعده في حروبه ، وهنأه على انتصاراته ، إلى أن أعلن ابن الفضل نفسه ثورته وخروجه عن الدعوة . ولا تصور أن المجتمع اليميني يقبل رياسة ابن الفضل لمدة عشرين سنة بل أكثر ، لو كان ارتكب في أواخر عهده ، مانسب إليه من الفواحش طوال هذه المدة . وقد يجوز أنه بالغ في عينته ، وتطرف في قحطانيته حتى تعدى حدود الإسلام ، كما فعل أبو محمد الحسن ابن أحمد الهمداني بعده بقليل . فلذلك قيل أنه لما عاد إلى المديخرة عاصمة ملكه ، ورأى أنه أضحى سيد اليميني ، عمل على التخلص من جميع المذاهب وقيودها ، فنادى بقطع الحج ، وقال : « حججوا إلى الحرف ، واعتمروا إلى الثلاث » . (والثلاث حصن قريب من الحرف) .

برادة الدعوة مما قام به ابن الفضل

فإن ابن الفضل بعد هذا ، في رأى الدعوة^(١) ، « قد نكث عهده ، واستهواه الشيطان وأضده ، ففارق الدعوة وخرج من الملة . . وافترى على الله وعلى أوليائه ، مقتديا بالمضلين من قبله ، فكانوا له شر أسوة ، واستمال الجهال ، فكانوا له من الأنصار والأتباع ، فارتكب المحارم ، ومال إلى الإباحات ، أو كفر بعد إيمانه ، وباء بلعنة الله » .

ولا يمكننا أن ننسب ما قام به ابن الفضل إلى زميله منصور اليميني ، الذى ظل على ولائه للفاطميين حتى وفاته ، وكان دائم الاتصال بهم في جميع المناسبات ، فظل متمسكا بالدعوة ، ولكن نسب ما قام ابن الفضل في أواخر عهده إلى الدعوة ، وهي بريئة منه كما قال الداعي إدريس^(٢) : « وعجبا لمن ينسب إلى أهل الدعوة من أتباع الأئمة أفعاله ، وهم إلى الله وإلى أوليائه منه براء ، ولا يفعلون ما يفعل ، ولا يرون ما يرى ، قاعون بالأعمال الشرعية من الطهارات والصوم ، مؤتون الزكاة ، حاجون بيت الله الحرام ، متولون محمدا صلى الله عليه وسلم وعليه وصيه والأئمة من

(١) عيون ٤٣/٥ .

(٢) نفسه ٤٤/٥ — ٤٥

ذريته عليهم السلام ، مجاهدون في سبيل الله ، مجتهدون ، موفون في أعمالهم وأقوالهم ،
مجانبون لما حرمت الشريعة الفراء ، ملازمون لما فرض نبي الله محمد خير البرية . . . ،
وهم إلى الله بريئون من ابن الفضل في دائم الأحقاب والسنين ، يلعنونه مع اللاعنين ؛
والدين الذي ندين به هو العمل بما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرضه على
المسلمين من الفرائض ، ولا نستحل شيئاً مما حرمه الله . . . ونحن أكثر الناس
بحمد الله قياماً بفرائض الإسلام . . . جلالنا من كتاب الله وحرماننا ، لا تأتي ببدعة»
هذا ما قاله الداعي إدريس رئيس الدعوة في أيامه ، فهو من غير شك دليل واضح
على أن دعوة اليمن تعتبر ابن الفضل خارجاً على الإسلام . وليس من العدل أن يتهم
المؤرخون^(١) طائفة كبيرة من المسلمين بالخروج على الإسلام ، لأن فرداً شاذاً قد مال
إلى التطرف في ظروف سياسية خاصة أو قد يكون حاد عن سواء السبيل .

ظل ابن الفضل السياسي ينافق منصور اليمن ويخادعه ، ويقول له : «إنا أنا سيف
من أسيافك» ، والمنصور يهابه ويخافه على نفسه ، لما يرى من شهامته وإقدامه^(٢) . وتمشيا
مع هذه السياسة أظهر المنصور فرجه ، لما فتح ابن الفضل صنعاء سنة تسع وتسعين
ومئتين ، واجتمعا وتشاورا في فتوحهما . وكان المنصور حذراً ، وكان يرى أن
وقف الحرب فيه مصلحة كبيرة لهما ، لأن نفوذهما في البلاد التي فتحت لم يكن قد
ثبت . وكان يخاف أن يدخل في حرب جديدة فتكون النتيجة خروج البلاد التي
فتحت من تحت أيديهم . فقال لصاحبه : «قد ملكنا اليمن بأسره ، ولم يبق لنا
إلا القليل ، فملكك بالتأني والوقوف بصنعاء سنة وأنا بشبام ، فيصلح كل واحد ما
استفتح ، وبعد ذلك يكون لنا نظر ، فإنك إن خرجت من صنعاء خالف أهلها
وفسد علينا مملكنا»^(٣) . ولكن ابن الفضل حارب مخالف البياض بتهمة ، وكاد

(١) لا تتوقع العدل والإنصاف من أمثال ابن مالك الحمادي لأن كلامه عن هذه الطائفة
موتور من أوله إلى آخره ؛ والدليل على ذلك أنه يتهم أبا القاسم منصور اليمن ومن بعده الصليحي
بارتكاب الفواحش وإحلال ما حرم الله . ومع هذا ، فقد وجدنا بعض المعلومات المفيدة التي استقيناهما
من حديثه الموتور . وأما الجندي فرجعه ابن مالك ويفوق أستاذه أحياناً في عدائه الشديد .

(٢) كشف ٣٢ .

يقع لقمة سائغة في أيدي أعدائه ، لولا ما قدمه منصور اليميني له من مساعدة كما سبق أن ذكرنا ذلك .

الصراع بين أبي القاسم وابن الفضل

ولما تمكن نفوذ ابن الفضل وأضحى سيد اليمين أعرب عما يجيش في نفسه من رغبة ملحة في تكوين دولة يمنية مستقلة عن العباسيين والفاطميين ، كما فعل أبو سعيد الجنابي^(١) الذي كونه دولة مستقلة بالبحرين ، وكتب إلى أبي القاسم منصور اليمين قائلاً : « إن لي بأبي سعيد الجنابي أسوة ، وأنت إن لم تنزل إليّ وتدخل في طاعتي ، نأبذتك الحرب »^(٢) . فكتب إليه منصور اليمين يعاتبه ، ويذكره بالمهود والمواثيق التي أخذها عليه رؤساؤه ، كما ذكره أيضاً بخطر التفكك ، كيلا يتلاشى أمر الدعوة باليمن ؛ وقال في كتابه : « كيف تخلع طاعة من لم ترخيرا إلا ببركة الدعاء إليه ، وقد أعطينا من العهود ما قد علمته »^(٣) . لكن ابن الفضل أجابه بقوله : « إنما هذه الدنيا شاة ، ومن ظفر بها افترسها »^(٤) . وتابع منصور اليمين الرسل إلى ابن الفضل يعظه ويذكره وينهاه ، ولكن هذا ما لبث أن تمادى في إنكاره ، وتناهى في إصراره^(٥) . وكان معنى ذلك بدء الصراع بين الداعيين في اليمن ، أو بعبارة أخرى بدء الصراع بين أهل الدعوة أنفسهم ، المواليين للفاطميين والخارجين عليهم ، كما كان معنى ذلك أن يستعد أبو القاسم ، فخصّن بلاده ولا سيما جبل مسور ، وحوّل على أن يلاقى الصدمة وحده ، لأن الخليفة المهدي لم يكن قادرا في هذه الأثناء على إرسال أي مساعدة ، وقامت الحرب بين الداعيين سنة تسع وتسعين ومئتين .

فاستولى منصور اليمين على شبام حير ، وحاصر مدينة الظلمة حيث كان ابن الفضل وأتباعه ، وقطع الميرة عنهم حتى أصابهم الجوع الشديد ، فأكلوا اللحم

(١) كان ظهوره سنة ٢٨٦ ، وقتل سنة ٣٠١ (ابن الاثير : الكامل ٦٣/٨) .
والجنابي نسبة إلى جنابة ، وهي بلدة على الخليج الفارسي (ياقوت : البلدان) .
(٢) سلوك/ كاي ١٤٦ .
(٣) أنباء/ ماضي ٥٤ .
(٤) كشف : ٣٣ .
(٥) عيون ٤٧/٥ .

الحمير والجلود ، وأخذ يتبعهم من مكان إلى مكان ، كما رواه الداعي إدريس^(١) .
وكان بينهما بعد ذلك وقائع كثيرة وقتال شديد في أيام كثيرة ، وحجى المنصور المغرب
من ابن الفضل بفضل هذه الحروب .

ثم قوى أمر ابن الفضل وملك صنعاء^(٢) ، فتمكن هذا في النهاية من محاصرة
المنصور ثمانية أشهر حتى ملّ المقام . فلما علم بذلك المنصور طلب الصلح ، فقال
ابن الفضل : « لست أبرح ، وقد علم أهل اليمن قصدي لمحاصرته ، إلا أن يرسل إليّ
بعض ولده ، فيكون ذلك لي مخرجا عند الناس ، ويعلمون أنه قد دخل في طاعتي » .
فأرسل إليه ولده ، ودفعه بالتي هي أحسن . فرجع ابن الفضل إلى المذيخرة ، وأقام
عنده ولد المنصور سنة ، ثم رده إلى أبيه . هذا ما رواه الحمادي^(٣) ، وأيده في ذلك
الجندي^(٤) ببعض الاختلاف .

ومها يكن من أمر ، فإن هذا الصلح لم يقض على النزاع بين الطرفين ، بل
زادت هوة الخلاف اتساعا بين أتباع الدعوة في اليمن ، ومن ثم أصبح الجميع هدفا
لهجمات المنافسين في الحكم .

موت علي بن الفضل

من ذلك نستطيع أن نقول أن ابن الفضل إنما خرج عن طاعة منصور اليمن
مدفوعا بتأثير داعي الدعوة فيروز ، ثم بعيله هو إلى الرياسة والزعامة ليستقل باليمن ،
ولكنه لم يتمكن من التغلب على أعدائه والانفراد بالزعامة . وبذلك لم تتحقق
مطامعه ، بل أخفق في تكوين دولة ثابتة الأركان . وظل كذلك حتى « أمر المهديّ
رجلين من أهل دعوته ومن في حضرته ، حتى وصلا مدينة صنعاء ، ودخل أحدهما
على ابن الفضل مدّعيًا بأنه طبيب ، فقصدته وسمّه ، وخرج من عنده ، وبادر بالهرب
هو وصاحبه ، ومات ابن الفضل^(٥) » . هذه رواية الداعي إدريس ، ولكن الحمادي
قال^(٦) : « إن سبب موت ابن الفضل أن رجلا من أهل بغداد يقال إنه شريف

(٢) نفسه ٤٨/٥ .

(٤) سلوك/ كاي ١٤٦ .

(٦) كشف ٣٩-٣٧ .

(١) عيون ٤٧/٥ .

(٣) كشف ٣٥-٣٦ .

(٥) عيون ٤٩/٥ .

وصل إلى الأمير أسعد أبي بن يعفر... وقال للأمير: «تعاهدني وأعاهدك أني إذا قتلت هذا القرمطي كنت معك شريكاً فيما يصل إليك» فعاهده على ذلك ، وكان طبيباً حاذقاً؛ فخرج إلى المذبحرة ، فكان مع كبار أهل دولة القرمطي يفتح لهم العروق ويسقيهم الدواء ويعطيهم المعجونات ، حتى وصفوه للقرمطي ، بالحدق بالطب وفتح العروق ، وقالوا: إن مثلك لا يستغنى أن يكون في حضرتك مثله . ثم إنه احتاج إلى إخراج الدم ، فأمره أن يفصده . فعمد إلى السم فجعله على شعر رأسه . فدخل على القرمطي فسلم عليه . فأمره أن ينزع ثيابه ويلبس غيرها . ثم أخرج الموضع ثم مصّه وعلى ابن الفضل ينظر إليه . ثم مسح برأسه فتعلق به من السم حاجته . ثم قصده وخرج من ساعته ، فركب دابته ومضى هارباً . فلما أحسّ عدوّ الله بالموت أمر بقتل الطبيب ، فلم يوجد ، فلحقوا به دون ثقل صيد^(١) بإزاء قينان^(٢) فقتلوه . وقد كرر هذه الرواية الجندی ، وزاد فيها فقال : « إن وفاته كانت ليلة الخميس منتصف ربيع الآخر سنة ٣٠٣ »^(٣) . فنستدل من الروایتين أن كلا من الفاطميين والعباسيين ينسبون إلى أنفسهم فضل إبادة ابن الفضل ودولته .

وعلى الرغم من أن المصادر التي في أيدينا قد أجمعت على أن ابن الفضل اغتيل سنة ٣٠٣^(٤) ، وأن وفاة منصور اليميني كانت سنة ٣٠٢^(٥) ، إلا أننا نستبعد صحة هذه التواريخ ؛ وقد يكون العكس أصح ، لأن ابن الفضل ، كما سبق أن ذكرنا ، كانت قوته ظاهرة وسلطته كبيرة ، وأن وفاة منصور قبله ، واختلاف أهل بيته وأتباعه فيما بينهم ، كان فيه فرصة كبيرة لابن الفضل أن يستولي على كل ما كان تحت يد منصور ؛ ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، مما يجعلنا نشك في أن تكون وفاة منصور اليميني حدثت قبل وفاة علي بن الفضل ، ويبرهن على إمكان

(١) معروف الآن باسم ثقل سماره .

(٢) تقع بوادي السحول .

(٣) سلوك/ كاي ١٤٩ .

(٤) كشف ٣٦ ؛ سلوك/ كاي ١٤٩ ؛ أنباء / ماضي ٦٢ .

(٥) كشف ٢٨ ؛ سلوك/ كاي ٢٥٠ .

ما ذهبنا إليه ما قاله صاحب العيون^(١) من أن «الداعي أبي القاسم استقر أمره بعد قتل هذا اللعين» .

انتهاء الدولة الفاطمية الأولى بالمعنى

ومهما يكن من شيء ، فإن ابن الفضل قد حفر قبره بيده ، بسبب تورته على رئيسه أبي القاسم . وقال الحمادي^(٢) : «فبعد موته تولى بمده ابنه الفأفأ . فزحف الحوالى بالمسك لحرب القرامطة ، فدخل التمكر ، ثم تقدم إلى جبل التومار ... ثم نصب المنجنيقات على المذبحرة فهدمها سنة ٣٠٤ ، ودخل على القرامطة فقتلهم ، وأخذ من الغنائم ما لا يحصى ، وسبى بنات القرمطى وكن ثلاثا ، واصطفى أسعد منهن واحدة ، (اسمها معاذة)^(٣) ، وهبها لابن أخيه قحطان ، فولدت له عبدالله» . وعبدالله بن قحطان هذا قام بالدعوة الفاطمية كما سنذكر في الباب التالى . وظل أبو حسان أسعد بن أبي يعفر يتتبع أنصار ابن الفضل فى كل البلاد ، ويقتلهم حينما وجدوا ، ثم رجع إلى صنعاء ، وفى ذلك قال نشوان الحميرى^(٤) : «فلما مات على بن الفضل خرج الأمير أسعد بن أبي يعفر الحوالى من صنعاء فى رجب سنة ثلاث وثلاث مئة ، وحارب القرامطة ودخل المذبحرة سنة ٣٠٤ ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وأخذ أموالا يقصر عنها الوصف ، وسبى نساء ابن الفضل ، فوهب ابنته لابن أخيه قحطان ابن عبد الله بن يعفر ، فولدت له عبد الله بن قحطان أمير اليمن ، وأخذ ولدين لعلى بن الفضل وجماعة من رؤساء القرامطة معه إلى صنعاء ، وأمر بهم فذبحوا جميعا ، وطرحت أبدانهم فى بئر فى الجبانة ، وأخذت رءوسهم فبقرت ، ووجهه بها فى أربعة صناديق إلى مكة ، فنصبت هنالك أيام الموسم» .

وأما منصور اليمن فبقى إلى آخر حياته أمينا فى مهمته ، وأنه ظل على ولائه للفاطميين . ومما لاشك فيه أن حركة ابن الفضل قد أثرت كثيرا على أتباع الدعوة ، فأضعفت مركزها ونفوذها ، واضطر المنصور إزاء ذلك إلى الالتجاء إلى مسور وغيرها من الأماكن الحصينة البعيدة عن العدو إلى التستر وكتبان أمره حتى وافته المنية ، بعد أن قدم دليلا آخر على صدق إخلاصه وولائه للإمام الفاطمى ، فترك إليه أمر الدعوة باليمن كما سيأتى ذكره فى الباب التالى .

(٢) كشف ٣٨ .

(١) عيون ٥٠/٥ .

(٤) حور ٢٠٠ .

(٣) الزيادة من سلوك/ كالى ١٤٩ — ١٥٠ .

الباب الثالث

الدعاة بعد منصور اليمن حتى ظهور الصليحي

(٣٠٣ - ٤٣٩)

وصية منصور اليمن لابنه الحسن وخصيصه الشاوري

كانت ثورة ابن الفضل على الدعوة من أهم العوامل التي أدت إلى ضعف الحركة الفاطمية في بلاد اليمن ، لأن أعداء الدعوة انتهزوا هذه الفرصة وحملوا على كل أنصار الدعوة حملة شعواء ؛ وزاد الحالة تعقدا خروج الحسن بن أبي القاسم منصور اليمن على الدعوة ، لأن سياسة الخليفة المهدي الفاطمي في اليمن كانت ترمي إلى توجيه الدعوة باليمن لمركز الدولة الفاطمية القوي ، ولم تعترف بوراثنة الملك لبيت أبي القاسم ، الذي أخلص مؤسسه للمهدي وللأئمة من قبله إخلاصا جعله موضع إعجاب الجميع . وقد دلت أبو القاسم على ولائه في كثير من المناسبات سبق أن ذكرناها . وقبيل وفاته ضرب مثلا آخر على هذا الولاء ؛ ذلك أنه لم يعين أحدا من أبنائه لرياسة الدعوة ، بل ترك ذلك الباب مفتوحا للمهدي ، واكتفى بأن أشار إلى علو منزلة عبد الله بن عباس الشاوري لديه وتفضيله إياه ، ثم أوصى من بعده لابنه الحسن وخصيصه الشاوري ، بأن يستمر في إقامة الدعوة للخليفة الإمام المهدي وأهل بيته ، وقال في وصيته : « قد أوصيتكما بمبدأ الأمر فاحفظاه ، ولا تقطعا دعوة بني عبيد بن ميمون ، فنحن غرس من غرسهم ، ولولا ناموسهم وما دعونا به إليهم ما صار إلينا من الملك ما قد نلناه ، ولا تم لنا في الرياسة حال ، فعملكما بمكاتبة القائم منهم واستيراد الأمر منهم ، فأوصيكما بطاعة المهدي (يعني عبيد الله بن ميمون) حتى يرد أمره بولاية أحدكما ، ويكون كل واحد منكما عوننا لصاحبه» . هذا ما رواه الحمادي^(١) ، وزاد الحمادي^(٢) فقال : «... فإن هذا الأمر لم آخذه بكثرة مال ولا رجال ، ولم آت هذه البلاد إلا بفضا ، وبلغت ما لم يخف بركة المهدي الذي بشر به النبي محمد صلعم» .

(١) كشف ٣٩ .

(٢) سلوك / كافي ١٥٠ .

(م - ٤ - الصليحيون)

قيام عبد الله بن عباس بأمر الدعوة

ولما توفي المنصور، وكان الشاوري قائما بشئون الدعوة في اليمن، أمرع فأرسل إلى المهدي في بلاد المغرب يخبره بوفاة منصور اليمن، كما أخبره بأنه يقوم بأمر الدعوة له خير قيام، ويسأله عمن يقلده هذا الأمر^(١). وفي الوقت نفسه كان الحسن بن منصور اليمن يرى أن من حقه أن يخلف أباه في تولي هذا الأمر. فلذلك وصل إلى بلاد المغرب، وقابل المهدي وطلب إليه توليته بعد أبيه، غير أن المهدي كان قبيل قدومه عليه قد أقرَّ عبد الله بن عباس الشاوري في القيام بأمر الدعوة، وبعث له بسبع رايات. فماد الحسن إلى اليمن دون أن تتحقق رغبته^(٢). وإننا نستبعد ما قاله الجندی^(٣) من أن الشاوري أرسل كتابه إلى المهدي مع أحد أبناء المنصور^(٤)، لأن هذا يدل على سذاجة الشاوري وعدم حيطته؛ ولعل ما قاله الحمادي أقرب إلى الصواب.

سياسة المهدي في تعيين الشاوري

وفي الحق أن السياسة التي سار عليها المهدي في بلاد اليمن تختلف عن السياسة التي سار عليها مع قرامطة البحرين. فقد عزل عميدا ووليَّ أبا طاهر بدلا منه، وكلاهما من بيت أبي سعيد مؤسس دولة القرامطة في البحرين. وبذلك التف القرامطة جميعا حول أبي طاهر حليف المهدي، وعزَّ على أخيه سعيد المزول أن يثور حتى لا يهدم بيته بيده. أما هنا في اليمن فإن عزل أفراد بيت المنصور الذي اجتهد في خدمة الدعوة الفاطمية منذ أن استقرت فيها، قد وضع الأمر في يد غيرهم، وحرَّ ذلك في نفوس كثير منهم، فلم يهدءوا أو يستكينوا لهذه السياسة^(٥)، ونسوا أن الشاوري كان من أحق الدعاء عند منصور اليمن وأخلصهم، ونسوا أيضا أن الدعوة ليست ميراثا، بل كانت إقامة الشاوري بأمر الدعوة بناء على رغبة منصور اليمن.

(١) كشف ٤٠ .

(٢) سلوك / كاي ١٥٠ .

(٣) كشف ٤٠ .

(٤) والمقصود به الحسن بن منصور الطامع في الملك .

(٥) حسن إبراهيم : عبيد الله المهدي ٢٣٧ .

الشاورى من أجل دعاة منصور اليمىن

ومهما يكن من أمر فإن عبد الله بن عباس الشاورى^(۱) قد تولى أمر الدعوة فى اليمىن ، وكان من أجل الدعاة مع منصور اليمىن ؛ فقد أرسله ، كما قال إدريس^(۲) إلى مصر ، فاستقر فيها مدة هناك معلما للصبيان وداعيا ، فاستجاب لدعوته خلق كثير ، ثم عاد إلى اليمىن . وزاد الجندى فقال : « .. وكان من أصحاب المنصور وخصيصا به ، وكان قد أرسله إلى المهدي برسالة وهدية ، وصار عند المهدي منه صورة . ومعرفه » ، مما جعل المهدي لا يتردد فى توليته عندما علم بخبر وفاة منصور اليمىن .

اغتيال الشاورى

ولكن الحسن بن منصور اليمىن لم يرض بتعيين الشاورى رئيسا للدعوة ، وصار هو وإخوته يواصلونه مداراة ، وهو يكرمهم ويحلمهم ولا يحجب أحدا منهم ، بل يدخلون عليه متى شاءوا ، ومع ذلك « فإن الحسن كان يضم الشر والمداوة والحسد لابن عباس »^(۳) بسبب اغتصابه أمر الدعوة والدولة منه ، ولم يستمع لنصيحة أخيه الخبر التقي جعفر بن منصور اليمىن حين قال له : « إن أمرنا إذن يتلاشى ، ويزول ملكنا ، وتفترق هذه الدعوة ، ويذهب الناموس الذى نمسناه على الناس ، فلا تحدث نفسك بهلاكه ، فهلك »^(۴) . فلم يلتفت الحسن إلى قول أخيه وكنم السر فى نفسه ، حتى دخل على ابن عباس فى بعض الغفلات فقتله غدرًا واستولى على مابقى من دولة أبيه .

اعتناق الحسن المذهب السنى وههوك

ولم يكتف الحسن بما فعل ، بل نهج سياسة جرّت عليه وعلى بيته ومذهبه «النكبات» ، حين أعلن خروجه على الدعوة واعتناقه المذاهب السنية ، وقد ظن أن

(۱) من شاور ، وهم من قدم بن قادم بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد بن جشم بن حبران بن نوف بن همدان .

(۲) سلوك / كاي ۱۵۰ .

(۳) عيون ۳۸/۵ — ۳۹ .

(۴) كشف ۴۰ .

الأمور قد استقرت له بعد قتل الشاوري ، فجمع الرعايا من أنحاء بلاده وأشهدهم أنه رجع عما كان عليه أبوه^(۱) . وكان بلاء أهل الدعوة اليمنية بالحسن عظيماً ؛ لأنه تتبع أنصاره بالأمس تبعاً لاهوادة فيه ، فأباد معظمهم وشردهم حتى لم يبق حوله إلا من لا يعرف^(۲) .

وفي الحق أن الحسن قد أخطأ بعمله هذا لأنه قضى بذلك على ما بناه أبوه ، وخسر قوة كبيرة كانت تدين بالولاء والطاعة لكل الدعاة الذين كانوا يعملون على رفع لواء دعوة المهدي . ولم ينصفه بعد ذلك من طمع في نصرتهم ، لأنه أصبح هو وأنصاره الذين خرجوا على الدعوة الفاطمية لقمة سائفة لأمراء المسلمين فقتلوه ، وتبعوا أبناءه وإخوته وغيرهم من الأنصار الذين ظلوا على ولائهم للدعوة ، حتى إنه لم يبق من أتباع منصور اليمن إلا من استطاع الاستتار .

هجرة جعفر بن منصور اليمن إلى المغرب

وكان من أثر سياسة الحسن الاندفاعية وعدم تقدير لعواقب الأمور ، وعدم امتثاله لنصحية العقلاء من آل بيته أن « فرَّ أخو جعفر إلى القيروان ، فوجد الخليفة المهدي قد توفي ، وقام بعده ابنه القائم سنة ۳۲۴ »^(۳) ، وأضاف إدريس فقال : « وانتهى إلى أن بلغ مبلغاً عظيماً عند الأئمة ... وبلغ مراتب الأبواب الفائزة بملوِّ الدرجات »^(۴) .

مكانة جعفر عند الأئمة الفاطميين

وقد ورد في سيرة الأستاذ جوذر^(۵) ما نصه : « وكان محل جعفر بن المنصور صاحب اليمن من الدولة وقربه من مولانا عليه السلام المحل القريب ، ومكانه من الأستاذ المسكن الأدنى الوكيد في الدين . وكان يسكن داراً بالمنصورية بجوار علي

(۱) سلوك / كاي ۱۵۱ ؛ أبناء / دار ۳۵ ويقول إن هذا حدث سنة ۳۲۱ .

(۲) سلوك / كاي ۱۵۱ .

(۳) نفسه ۱۵۱ ؛ والصواب أن هجرة جعفر كانت إلى المهدي .

(۴) عيون / ۵ / ۵۰ . (۵) سيرة الأستاذ جوذر / كامل حسين ۱۲۶ .

تابن الجنان ، فسأله عليّ بيع الدار فلم يفعل . ثم احتاج إلى أن اقترض دنانير ، واسترهنه الدار إلى أجل معلوم . فلما حان الأجل ولم يجد المال طالبه بالخروج من الدار ، واتصل ذلك بالأستاذ ، فرفع الخبر إلى مولانا عليه السلام ، فصرف إليه الجواب ، وهو :

« والله ، يا جوذر ! لقد كثر تعجبنا منه . وذلك أن علينا أوقفنا على الصك المكتوب عليه منذ يومين ، فقد جاءنا من ذلك خلاف ما كنا نظن به الرجاحة والكمال ، وإنه لمحقوق بما ناله وأضعافه إذ أقام نفسه مقام من يجعل زمامه بيد من لا رحمة له ، فإن كان إنما ذهب في طي هذا عننا مذهب التخفيف عنا في المسألة ، فمن الواجب كان عليه أن يتصور ما هو فيه ، وأن الذي كلفنا الآن أعظم من سؤال الفضل (إذ كنا لا نبخل عليه) بأضعاف هذا المال الملعون ، ولا يقيم نفسه مقام السماتة ، لثلا يتصل بالقريب والبعيد أن ولينا وابن أجلّ أوليائنا المسعود برضا الله ورضا مواليه السابق في الخير كل من جراه ، يكون علي بابنا ، وهو عندنا في أجل الرضا ، محوجا إلى أرهان مسكنه الذي يجاورنا فيه ، ولو كان أحسن مسكن ، هذه ورطة نحن نخرجه وننقذه منها . فلا يعد إلى مثلها . فتسلمه إلى حوله وقوته . فقرر عنده ذلك إن شاء الله . »

والواقع أن جعفرا بعد ذهابه إلى المهديّة ظل على إتصال وثيق بالإمام الخليفة القائم بن المهدي . وقد بلغ الذروة في عهد المعز لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥) ، وصار من أهم رجال الدعوة الذين يشار إليهم بالبنان في الفضل والزهد ، حتى بزّ القاضى أبى حنيفة النعمان التميميّ المغربيّ نفسه ، الذي كان دعامة من أهم دعائم الفاطميين في القضاء والفقّه الفاطميّ ، وقد ذكر عنه المعز أنه : « من أتى بعشر عشر ما أتى به النعمان ضمنت له على الله الجنة^(١) » . وهذا يدلنا على مركز النعمان وثقة المعز به .

القاضى النعمان أبو حنيفة وجعفر بن منصور البغداديّ

ويدلنا على ما بلغه جعفر من درجة عالية ومكانة سامية عند الخليفة الإمام

المعز ما قاله إدريس^(١) : « من أن القاضي النعمان اعتلّ بمئة ، فزاره جميع الدعاة وأولياء الدولة وقوادها . . . ولما زالت علتة آتى إلى الإمام المعز فسأله عمّن زاره ، فقال : كلهم زارني إلا جعفر ابن منصور ، فأخذ أمير المؤمنين في حديثه ، ثم أمر بكتب فأحضرت إليه . ففتح كتاباً منها ، وقال للنعمان : انظر في هذا الكتاب . فلما تصفحه قال الإمام . ما تقول في هذا ؟ قال : ما عسى أن أقول في قولكم . فقال الإمام : هذا تأليف مولاك جعفر ، إعلاماً له بعالي فضله وبيانا لسامى عمله . فلما خرج النعمان . . . قصد دار جعفر . . . ولما رأى النعمان جعفراً لم يتالك أن وقع على رجليه يقبلهما اعترافاً له بالفضل . »

وقد يتبادر لذهن القارىء لأول وهله أن مثل هذا قد يعمد عن الحقيقة لما للقاضي النعمان من مركز جليل في الدولة والدعوة ، فلا يعقل أن يقبل رجل جعفر . ويخيل إلينا أن القاضي النعمان كانت شهرته تتعلق بعلوم الظاهر ، فهو وإن كان قاضي القضاة ومؤلف كتب الفقه الفاطمي وكتب الأخبار الكثيرة^(٢) ، إلا أنه لم يكن بعد قد بلغ مرتبة جعفر ودرجته ، لأن جعفراً كان يعتبر حجة في علوم التأويل ؛ وقد علك بذلك مسلماً خاصاً في تطور الآداب الفاطمية التأويلية ، مما جعله في نظر المعز سيد العلماء والفقهاء^(٣) .

إبراهيم السباعي برعى الأمر

وقد استمر ظلم الحسن والمرتدين لأهل الدعوة إلى أن خرج إلى عبر محرم حيث لقي حتفه . وقد ذكر الحمادي^(٤) أن الحسن^(٥) خرج من مسور إلى عبر محرم^(٦) ، وفيه يومئذ رجل من بني العرجي^(٧) : واستخلف الحسن على

(١) نفسه ٣٩/٦ . (٢) انظر الباب التاسع من هذا الكتاب .

(٣) وقد ذكرنا مؤلفاته في الباب التاسع .

(٤) كشف ٤١ ؛ وقد وردت هذه الحوادث في الجندی ببعض الاختلاف .

(٥) اسمه سلوك / كاي ١٥٠ « الحسن » كما جاء في عيون ١/٧ أبناء / دار ٣٤ ، ولكن

الحمادي يذكر بكنية « أبي الحسن » وفي ذلك تحريف .

(٦) رواية سلوك / كاي ١٥١ : « عين محرم » .

(٧) سلوك / كاي : ١٥١ بني العرجاء سلاطين تلك الناحية . وفي عيون ١/٧ : هم من

قدم بن قادم بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد بن جشم بن حبران بن نوف بن همدان .

مسور رجلاً يقال له إبراهيم بن عبد الحميد السباعي الشيعي^(١) وهو جد المتتاب .
فوثب ابن العرجي على الحسن فقتله^(٢) ، فلما انتهى الخبر إلى إبراهيم
ابن عبد الحميد لزم مسورا وادعى الأمر لنفسه ، وأخرج أولاد المنصور وحرّيه من
مسور إلى جبل بني عشب^(٣) ؛ فوثب عليه المسلمون من أهل المغرب ، فقتلوهم
الصغير منهم والكبير وسبوا حرّيمهم ... واتفق إبراهيم مع ابن العرجي واقتسما
المغرب بينهما نصفين لكل واحد منهما ما يليه .

وقد أعلن إبراهيم بعد ذلك للملأ خروجه على الدعوة ، وبني مسجدا في بيت
ريب ، ونصب منبرا وخطب لبني العباس ، وأعاد بعمله هذا ما فقد العباسيون
من نفوذ في تلك البلاد منذ أمد طويل . ثم إن إبراهيم لم تأخذه في أهل الدعوة رافة
ولا رحمة ، بل ظل ، كما قال الحمادي : « يتبع القرامطة ، يقتلهم ويسبي ذراريهم » .

الداعي ابن أبي الطغبل

فبقى من أهل الدعوة ، قليل في ناحية جبل مسور فقام يوسف بن موسى بن
أبي الطغبل بأمر الدعوة بعد وفاة الداعي عبد الله بن عباس الشاوري في عهد
المزدين الله ، فسمع به إبراهيم ، فخرج إليه فقتله ؛ وتفرق من بقي من أصحابه
إلى نواحي عمان وقطابة ، وانكم أمرهم عن إبراهيم^(٤) .

وبقيت زعامة الدعوة في اليمن في غير بيت منصور ، وذلك لأننا لا نعرف
من بقي منهم غير جعفر بن منصور الذي سبق أن تكلمنا عنه^(٥) . وأمعن من

(١) كشف ٤١ ؛ كان أبوه من قدم من حمير ورئيس أهل قدم ومن كبار قواد المنصور
وقد قتل في مخلاف البياض وجاء اسم أبيه في أنباء/ماضي ٦١ ، ٦٤ « عبد الحميد بن محمد بن
الحجاج السوري » . وفي سلوك/كاي ١٥١ قال : هو جد بني المتتاب الذي إليه ينسب مسور ،
فيقال « المتتاب » .

(٢) ورد في أنباء/دار ٣٤ أن هذا قد حدث سنة ٣٣٦ .

(٣) في سلوك/كاي ١٥١ ؛ « جبل العشب » ، وصحها « كاي » فقال : « جبل بني
أعشب » . وفي أنباء/دار ٣٥ : « جبل بني عشب » ؛ والصواب « جبل بني عشب » ، وذلك لأن
المكان مشهور ومعروف باليمن الآن بهذا الاسم وهو بالقرب من كحلان عفار .

(٤) عيون ١/٧ ؛ كشف ١٤١ ؛ نزهة ٣٣/١ ؛ وذكر الهمداني قطابة في
صفحة ٦٩ ، ١١٢ .

(٥) قال الحمادي (كشف ٤١) : « ولم يبق للمنصور عقب يعرف » .

بقي من أتباع الدعوة في التخفي والتستر، ويظهر أنهم كانوا على اتصال مستمر بمركز الخلافة الفاطمية وقد قاسوا في هذه المحنة أصناف الاضطهاد من الأعداء .

الرعاة بعد ابن أبي الطفيل

وقام بعد ابن أبي الطفيل جعفر بن أحمد بن عباس^(١) . واستخلف بعده الداعي عبد الله بن محمد بن بشر من وادي قطاية من قُدم^(٢) ، وقد أقام هذا الدعوة إلى العزيز بالله^(٣) . ولما توفي هذا الداعي خلفه في الدعوة محمد بن أحمد بن العباس الشاوري من قُدم^(٤) .

هارون بن محمد بن رميم

ثم قام هارون بن محمد بن رميم من قُدم بعد ذلك بالدعوة للخليفة الإمام العزيز بالله ، ثم لابنه الحاكم بأمر الله ، وكان يكاتب الأئمة الفاطميين أولاد المهدي في القيروان وفي مصر قبل أن يتولى رئاسة الدعوة^(٥) . وقد عثرنا على نص سجل من الخليفة الحاكم إلى الداعي هارون مؤرخ في ذي القعدة سنة ٣٩١ ، جاء به صاحب العيون^(٦) ، ومنه تبين أن الخليفة قد عهد إلى داعيه هارون في اليمن بوجوب اتباع سنة رسول الله واتباع ما جاء في كتاب الدعائم للقاضي النعمان المغربي ، كما عهد إليه بيمض الأعمال الأخرى . وكان الداعي لا يستقر في مكان واحد خوفاً من المتآب بن إبراهيم بن عبد الحميد السباعي ومن عامة الناس .

تأييد الأمير عبد الله بن قحطان للدعوة

وفي أيام الداعي هارون ظهر الأمير عبد الله بن قحطان بن يعفر بصنعاء ،

(١) حاشية العيون ١/٧ ؛ وفي رواية : يعفر ؛ وأغلب الظن أنه ابن أخي الداعي عبد الله بن العباس الشاوري .

(٢) نفسه ٢/٧ . (٣) نفسه ١/٧ . (٤) نفسه ١/٧ .

(٥) سلوك / كاي ١٥٢ .

(٦) ٢٧١/٦ - ٢٧٢ ؛ نقلنا نص هذا السجل في الملحق رقم ١ .

فلاقت الدعوة في اليمن في أيامه بعض الرواج لأن الأمير عبد الله بن قحطان قد قام بالدعوة للخليفة العززي سنة ٢٧٩ ؛ وبعد أن تم له فتح تهامة دخل زبيد حاضرة بني زياد وأمر بقطع الخطبة للخليفة العباسي في البلاد التي دخلت تحت يده ، ودعا للخليفة العززي الفاطمي ، واستمر الحال على هذا حتى توفي سنة ٣٨٧ هـ في عهد الخليفة الحاكم . ولعل هذا العمل من قبل عبد الله بن قحطان يعتبر من ناحية من العوامل التي ساعدت الدعوة على أن تستعيد بعض قوتها في اليمن ، وبعد ما حاق بها من محن ، كما يعتبر من ناحية أخرى من الأسباب التي أدت إلى ضعف النفوذ العباسي إلى حد ما ، ونشاط دعاة الفاطميين ، لانصراف أمراء اليمن عن مقاومة هذا النشاط بسبب التنافس والتنازع فيما بينهم . وكان الأمير عبد الله بن قحطان هذا هو ابن معاذة بنت علي بن الفضل الجدني^(١) ، فلا يبعد أن يكون هذا الأمير رغب في أن لا يعيد سياسة جده ، ويحسن علاقته مع الفاطميين بعد ما رأى ما أدت إليه سياسة الخروج عليهم من تفكك واضمحلال كاد يودي بالدعوة وأهلها .

يوسف بن أحمد بن الأشج

ومهما يكن من أمر ، فإن الداعي هارون بن رحيم خلفه في الدعوة بعد وفاته ، يوسف بن أحمد بن الأشج^(٢) من أهل شبام حير ، وكان يدعو سرا إلى الخليفة الحاكم . ولم تذكر المراجع التي في أيدينا شيئا عن نشاطه .

سليمان بن عبد الله الزواهي

ولما توفي الداعي يوسف هذا استخلف سليمان بن عبد الله بن عامر الزواهي

(١) سلوك / كاي ؛ انظر الباب الثاني ص ٤٨ .

(٢) هكذا ورد اسمه في العيون ، ورواية التزفة ٣٣/١ « يوسف بن أحمد بن الأشج » .

وقال صاحب الكشف ٤٢ : إن اسمه « يوسف بن الأشج » ؛ ولكن صاحب السلوك ١٥٢ قال : إن اسمه « ابن الأشج » ؛ ومصححها (كاي) تقلا عن القرية « بالأسد » . وهذا كله تحريف وتصحيف ، والذي ذكره إدريس في العيون قد اتبعناه .

من حمير من ضلع شبام، وكان مقامه في حصن كوكبان^(۱). وقد دعا هذا إلى الحاكم والمظاهر. وكان كثير المال عظيم الجاه وكما هم أحد من الناس بقتله رده بقوله: «أنا رجل مسلم (أقول لا إله إلا الله) كيف يحل لكم دمي، وأخذ مالي فيمسكون عنه»^(۲).

وقبل أن يتوفى سليمان الزواحي أوصى بكتبه وأمواله الكثيرة إلى علي بن محمد الصليحي، الذي قام بأمر الدعوة باليمن من بعده.

قائمة أسماء الدعاة

من ذلك نرى أن الحقبة التي تقع بين موت منصور اليمن وظهور علي بن محمد الصليحي (۳۰۳ — ۴۳۹) تعتبر حقبة مظلمة في تاريخ الدعوة الفاطمية في اليمن. وقد استقيننا معلوماتنا عن هذه الحقبة من كتاب الكشف لابن مالك الحمادي، والسلوك للبهاء الجندی، وعيون الأخبار وتزهر الأفكار للداعي إدريس، وإن كان ماورد في هذه المراجع عن هذا الموضوع لم يشف الغلة، لأنهم اقتضروا في كتاباتهم على سرد أسماء الدعاة، ولم يذكر شيئاً عن نشاطهم الديني والسياسي. وهالك أسماء هؤلاء الدعاة كما أوردها الحمادي والجندی وإدريس عماد الدين:

(۱) قال إدريس (عيون ۷/۲): «حصن كوكبان من الحصون القديمة البناء، وكانت مدينة شبام حمير لصاحب كوكبان، وهي من مدائن اليمن القديم عهداً، الحسن مرآها، الكثير جندها، وهي اليوم قد خربت ولم يبق منها إلا قليل، وفيها مسجد حسن جامع، وجدد الزواحي دار الخراطين في كوكبان؛ وجعلها مقره في ذلك الأوان. وفي ذلك يقول بعض الشعراء في مدح السلطان علي بن حاتم بن أحمد بن عمران الياي لما ملك كوكبان في قصيدته:

أشرفت حجرة الصباح وقالت هكذا كنت حجرة الصباح

ورأى مجلس الخراطين ملكاً ما رآه إلا بعصر الزواحي»

(۲) كشف ۴۲؛ والزيادة التي بين القوسين من سلوك / كاي ۱۵۲.

ملاحظات	إدريس عماد الدين: عيون ١/٧ - ٢ وزمة ١/٣٢ - ٣٣	الجندي: سلوك / كاي ١٥٤ - ١٣٩	الحمادي: كشف ٢٢ ٤٢ - ٣٩ و	
٢٦٨ سنة ٢٦٨ قدم إلى اليمن سنة ٢٦٨ وبقى قائماً بها حتى توفي سنة ٣٠٣ في خلافة المهدي بالله . وفي الحور ١٩٧ : أبو القاسم أبو الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي . وجاء اسمه كاملاً في افتتاح ٢ : أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي . وسمى المنصور باليمن صاحب دعوة اليمن .	أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب منصور اليمن .	منصور بن زاذان بن حوشب بن الفرج بن المبارك من ولد عقيل بن أبي طالب .	أبو القاسم المنصور الحسن بن زاذان من أهل الكوفة من ولد عقيل بن أبي طالب .	١
ذكر صاحب الأبناء / دار ٢٤ أنه قتل سنة ٣٣٦ . وعلى ذلك يكون قد توفي في عهد الخليفة المنصور الفاطمي .	عبد الله بن العباس أرسله منصور اليمن أيام حياته إلى مصر لمهام الدعوة .	عبد الله بن العباس الشاوري ، كان خصماً منصور اليمن ، وكان قد قدم على المهدي برسالة المنصور . قتله الحسن بن المنصور في بعض الغزوات .	عبد الله بن عباس الشاوري ، قتله أبو الحسن بن منصور غيلة .	٢
تولى رئاسة الدعوة باليمن في عهد الخليفة المعز الفاطمي .	يوسف بن موسى بن أبي الطفيل ؛ ورواية الزهة : يوسف بن أبي الطفيل .	في رواية : ابن الطفيل قتله إبراهيم [بن عبد المجيد (المجيد)] .	ابن الطفيل قتله إبراهيم بن عبد المجيد السباعي وهو جد بني المتاب .	٣
لم يرد اسمه في الزهة ، ولكن اسمه ذكر في حاشية الميون ١/٧ وأغلب الظن أنه ابن أخي عبد الله ابن عباس الشاوري .	جعفر بن أحمد بن عباس .			٤
	عبد الله بن محمد ابن بشر من وادي قطاية من قدم قام داعياً إلى الإمام العزير بالله بن المعز لدين الله			

ملاحظات	إدريس عماد الدين: عيون ١/٧ - ٢ ونزهة ١/٣٢ - ٣٣	الجندي: سلوك / كاي ١٣٩ - ١٥٤	الحمادي: كشف ٢٢ ٣٩ - ٤٢
الظاهر أنه أخو جعفر بن أحمد بن العباس الشاوري (٤) ولعله كان قائماً بالدعوة اليمنية في عهد العزيز	محمد بن أحمد بن العباس من شاور، وهم من قدم بن قادم بن زيد ابن عريب بن جشم ابن حيوان بن نوف ابن همدان، قاله ابن ماكولا في إكماله.		٦
وكان الخليفة الحاكم الفاطمي أرسل إليه سجلاً سنة ٣٩١ والسجل ورد في العيون ١٨٦/٦ . انظر الملحق رقم ١ . لعله أدرك عهد المعز والعزيز والحاكم ولكنه تولى رئاسة الدعوة في عهد العزيز وتوفي في عهد الحاكم.	هارون بن محمد بن رحيم من قدم، وكان في أيام الحاكم قائماً بالدعوة .	ابن رحيم ، وكان يكتب أولاد المهدي إلى القيروان وإلى مصر ، وفي أيامه قدم المعز إلى مصر وابتنى القاهرة .	٧ ابن رحيم في أيام المتتاب، يكتب بي عبيد بعد خروج المعز من القيروان إلى مصر؛ يكتب المعز ومن بعده .
تولى رئاسة الدعوة في عهد الحاكم .	يوسف بن أحمد بن الأشج من حمير من مدينة شبام حمير ، وحاشية العيون : يوسف ابن محمد بن الأشج . ورواية النزهة : يوسف بن أحمد ابن الأشج .	يوسف بن الأشج يدعو إلى الحاكم ويبايع له سراً .	٨ يوسف بن الأشج من أهل شبام حمير، كان يدعو إلى الحاكم ويبايع له على وجه السر .
تولى رئاسة الدعوة في عهدي الحاكم والظاهر .	سليمان بن عبد الله ابن عامر الزواحي من حمير، وكان له حصن كوكبان .	سليمان بن عبد الله الزواحي من ضلع شبام .	٩ سليمان بن عبد الله الزواحي من حمير من ضلع شبام من الحفن، فأقام يدعو إلى الحاكم وإلى المستنصر
انظر الباب الرابع	علي بن محمد الصليحي قام بالدعوة إلى الإمام الظاهر ثم إلى المستنصر .	علي بن محمد الصليحي وأصله من الأخرج سبع من أسباع حراز .	١٠ علي بن محمد الصليحي من الأخرج وهو سبع من أسباع حراز .

وقد اعتمدنا على رواية إدريس في أسماء الدعاة ، لأنه ذكر هذه الأسماء كاملة، مما يدل على أنه كان أكثر إلماماً من غيره في هذه الناحية ؛ ولا غرو، فإنه من الدعاة الذين حصلوا على تراث الدعوة، ومنه وقف على حقيقة هذه الأسماء . ومع ذلك لم يترك لنا إلا مجرد هذه الأسماء ولا نعرف عن تاريخ هؤلاء الدعاة إلا قليلاً ، ولم يذكر ما حدث من الخلاف بين الحسن بن منصور اليميني والداعي عبد الله بن العباس الشاوري .

كيف احتفظت الدعوة بكيانها في فترة المحنة؟

وزى في الختام أن بعض الأفراد والجماعات استمرت على تمسكها بالدعوة برغم الصعوبات التي حافت بهم ، وساعد على بقائهم طبيعة بلاد اليمن الجبلية الوعرة ، حيث كانوا يتخذون من الحصون العالية النائية وسيلة للتستر والبعد ما أمكن عن أعدائهم ، كما أن الاضطهاد الذي لاقوه بسبب عقيدتهم كانت من أهم الأسباب التي حملت هؤلاء على التعاضد والمباينة في التستر ، كما ساعدت رياسة الدعوة في القاهرة على تنفيذ هذه المنظمة السرية باليمن بكتب الدعوة ، كما يتضح ذلك من سجل الإمام الحاكم إلى داعيه هارون^(١) ، ومن الكتب التي تركها الزواحي لعل الصليحي .

والنتيجة التي يمكن أن نستخلصها هي أن الأحوال في اليمن كانت مواتية جداً لظهور شخصية قوية تجمع شمل هذا التفكك والانحلال تحت لواء واحد ، وتربط هذه الجماعات والقبائل والذويلات المتنافرة المتباغضة برباط متين يدين الجميع بعيش في ظل دولة موحدة قوية . وكانت هذه الشخصية المنشودة هي شخصية علي بن محمد الصليحي ، الذي أخذ يدعو في اليمن بعد أن تشبعت نفسه بتعاليم شيخه الزواحي .

(١) عيون ٦/٢٧١ — ٢٧٢ ؛ الملحق رقم ١ .

الباب الرابع

عهد الملك علي بن محمد الصليحي

(٤٣٩ - ٤٥٩ هـ)

حالة اليمن في ظل ظهور الصليحي

كانت اليمن في الربع الأول من القرن الخامس الهجري تنحدر بخطا واسعة نحو التدهور والتفكك؛ وذلك بسبب استيلاء الموالى واستبدادهم بالحكم في الأقاليم؛ فعلى الرغم من أن الحسين بن سلامة^(١) تمكن من المحافظة على دولة بني زياد مدة ولايته، فإن استبداد الموالى من الحبشة بالحكم مكّنهم من تأسيس الدولة النجاشية^(٢) في زييد سنة اثنتي عشرة وأربع مئة على أنقاض دولة بني زياد. وكانت لها التهايم وزبيد وأعمالها. وكان الاستيلاء من قبل الأحباش سببا قويا في أن العرب تحفزوا، ودفعتهم الحمية إلى عدم الخضوع للعبيد، فتقطعت أوصال البلاد بعد موت الحسين بن سلامة، وتقلب الأمراء على جميع الجهات.

فكان مخلاف جعفر بمحصونه ومخلاف المعافر بمحصونه ومخلاف الجند وحصن السمدان^(٣) لآل الكيرندي^(٤)، وكانت لهم مكارم ومفاخر وساطنة ظاهرة.

(١) هو وصيف لرشيد مولى أبي الجيش ووصى على ابنه، وكان حسين من أولاد النوبة نسب إلى أمه سلامة. وقد أهتم رشيد بتربيته وله مآثر كبيرة في بلاد اليمن (أبناء/دار ٣٦).
(٢) تنسب إلى نجاح الذي كان وصيفا للحسين بن سلامة، أسسها سنة ٤١٢ هـ، ولم يزل ملكا لها حتى مات سنة ٤٥٢ هـ بالكدراء.

(٣) مخلاف جعفر من مدنه جبلة وإب والعدين والمذيخرة وذى سفال؛ ومن مخلاف المعافر تعز وجبا؛ ومخلاف الجند يشمل مخلاف جعفر ومخلاف المعافر؛ والسمدان في بلاد المعافر، والمعافر تعرف الآن باسم الحجرية؛ والحصن موجود معروف الآن، وكان لبني الكيرندي إلى أن ملكه الصليحي.

(٤) وهم من أولاد الأبيض بن جمال الدين السبئي الذي كان الرسول (ص) قد ولاه جبل الملح.

فأزالهم عنها بنو الصليحي (١) .

وأما عدن وأبين ولحج وحضرموت والشحر فقد استولى عليها بنو معن سنة ٤١٢ بعد موت الحسين بن سلامة ، وظلت خاضعة لهم حتى استولى عليها علي بن محمد الصليحي (٢) ، فأبقاهم عليها وأخذ منهم جزية سنوية .

وتغلب أسعد بن وائل على مخلاف وُحَاظَة وأهم مدنه شاطح (٣) . وامتلك بنو عبد الواحد مخلاف يربوع وأهم مدنه القمند وبرع (٤) وحصن مسار . واستولى بنو أصبح وهم قوم الفقيه مالك الأصبحي على حصون حب (٥) والشعر (٦) والسجول (٧) . وتغلب على حصن وُصَاب (٨) ومخاليقها قوم من بكيل ثم من همدان .

من هذا نرى أن بلاد اليمن لم تكن بها وحدة سياسية تجمع شمل البلاد تحت لواء واحد ، بل كانت السلطة موزعة بين الأمراء والزعماء المتباغضين المتنافرين ، الذين لم يرتبطوا ببغداد إلا برباط واه هو إقامة الخطبة وضرب السكة باسم الخليفة . ويعتبر ما ذكره صاحب الأنباء (٩) أصدق تمثيل للحالة في اليمن قبيل ظهور الصليحيين حيث قال : « ... من سنة ٤٠٥ إلى سنة ٤٤٨ عم الخراب صنعاء وغيرها من بلاد اليمن لكثرة الخلاف والنزاع وعدم اجتماع المملكة الواحدة وأظلم اليمن وكثر خرابه وفسدت أحواله ... وكانت صنعاء وأعمالها كالحرقه ، لها في كل سنة أو شهر سلطان غالب عليها ، حتى ضعف أهلها وانتقلوا إلى كل ناحية . وتوالى عليها الخراب وقلّت العماره في هذه المدة حتى أصبح عدد دورها ألف دار

(٢) رسائل القمي ٢١ .

(١) عمارة / كاي ١٢ .

(٣) من حصونه دهوان ويفرز والشعر والحضراء (عمارة / كاي ١٣) .

(٤) اسم يطلق على قرية أو واد (صفحة ٩٦، ٩٧) ، أو يطلق على جبل برع (نفسه ٧٢ ،

١٠٣ ، ١٢٥) .

(٥) وحب حصن منيع يقع في جبل بعدان .

(٦) مخلاف الشعر من ناحية النادرة متصل ببعدان شرقا .

(٧) السجول مخلاف من ناحية المخادر متصل ببعدان غربا .

(٨) وصاب مخلاف واسع في شرقي زبيد .

(٩) أنباء/دار ٢٧ - ٢٨

بعد أن كانت مئة ألف دار في عهد الرشيد... إلا أن صنعا تراجعت بعض التراجع في زمن الصليحيين لما اجتمع لهم ملوك اليمن .

فهذه العبارة فضلا عن أنها تصوّر لنا سوء الحالة في هذه الفترة في اليمن ، تعتبر شهادة لا بأس بها لأعمال الصليحي فيها ، وخصوصاً أنها من مؤرخ لم يكن صديقا له .

نشأة الصليحي :

في هذا الجو السياسي المضطرب ، وفي تلك الأحوال السياسية غير المستقرة ظهر أبو الحسن علي بن محمد بن علي الصليحي ، وهو ينسب إلى قبيلة الأصلوخ من بلاد حراز^(١) . وذكر أبو محمد الهمداني^(٢) قبل ظهور الصليحي بقرن تقريبا أن آل الصليحي من بني عبيد بن أوام بيت الأخرج^(٣) ، ووصفهم بأنهم أنجاد كرماء . وكان علي الصليحي ، كما قال ابن الجوزي^(٤) : « شابا أشقر اللحية أزرق العينين ، وليس في اليمن من يماثله في ذلك » . وكان أبوه القاضي محمد سنيا ، شافعي المذهب ، حسن السيرة ، مطاعا في أهله وجماعته ، ولا يخرجون عن أمره^(٥) . ويدل على ذلك ما قاله عمارة^(٦) : « من أن أهل حراز كانوا أربعمائة ألفا يدينون له بالطاعة » . وكانت

(١) قيل : وآل الصليحي من بني عبيد بن أوام بن حور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم الأوسط بن حاشد بن جشم الأكبر بن حبران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد ابن أوسله بن ربيعة بن الحيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن هود . ويلتقي الهمدانيون والصليحيون عند جشم الأوسط .

(٢) إكليل ١٠ / ٩٩ .

(٣) وقال أبو محمد في صفة ١٠٦ عند كلامه على مخلاف حضور : « ويتصل بها - أي بسافلة حضور - بلد الأخرج بن الفوث بن سعد . ويقال نسب البلد إلى خرجة من همدان . والأخرج بين حضور وهوزن ... ويولد الأخرج اليوم الصليحيون من همدان » ؛ راجع أيضا إكليل ١٠ / ٩٩ ، وتعليق محب الدين الخطيب . وقال لنا القاضي محمد الحجري : إنه في البلاد التي تسمى الآن بلاد الحيمة ما بين حضور وحراز ، وفيها حصن بناع الذي كان يسكنها القاضي محمد الصليحي .

(٤) مرآة الزمان ١ / ٢ ورقة ٨٨ ب ، ولا يؤيده أحد من المؤرخين اليمنيين في هذا الوصف .

(٥) كفاية ٤٧ .

(٦) عمارة / كاي ١٤ .

القرية التي يقيم بها القاضي محمد ، تسمى قسّتر من أعمال حراز^(١) ، فنشأ ابنه عليّ على طريقته في بدايته .

نشأ نشأة طيبة في بيئة عربية حرّة ، لها تقاليدھا في الأخلاق الفاضلة وعلوم الإسلام وفنون العربية . ونعرف مما روى عن نشأته وأحواله في شبابه أنه لوحظ عليه مخايل النجابة^(٢) ودلائل الفضائل^(٣) وطموح النفس ، وأن « الأحوال تنقلت به في مبادي عمره من خفض إلى رفح ، ومن ضرّ إلى نفع »^(٤) .
ويروى أنه أقام يحجّ ذليلاً بالناس على طريق السّراة^(٥) والطائف خمس عشرة سنة ، وأن الناس في أول ظهوره كانوا يقولون له : قد بلغنا أنك ستملك اليمن بأسره ، ويكون لك شأن ودولة ، فيكره ذلك وينكره على قائله ، مع كونه أمراً قد شاع في أقواله بأفواه الناس الخاصّة والعامّة^(٦) .

مغامرة الأمير الشاب وشهادة الملك في مجلس القاضي

وكان الصليحي في أيام شبابه قد نزل إلى مدينة حَيْس لاستطلاع خبر عبدی مرجان - نفيس ونجاح ، فرّ عليه بعض من يعرفه ، فتجرّد عن ثيابه ، ولبس ثياب السلاط يبيع السليط في معصرة من معاصر حَيْس . وتحمل شهادة في منزل رجل يقال له السبخة . فلما ملك الصليحي مدينة زبيد وقف له عجوز بخطه ، فعرفه . فركب إلى مجلس القاضي ، وأدّى عنه شهادة كان تحملها في صباه ، ثمّ تحدّث مع القاضي سرّاً ، وافترقا . هذه القصة - كما رواها عمارة^(٧) -

(١) عيون ٢/٧ . (٢) أنباء / دار ٣٨ ؛ كفاية ٤٧ . (٣) عيون ٣٨/٧ .

(٤) عمارة / كاي ١٥ ؛ كفاية ٤٧ .

(٥) جبل السراة هو أعظم جبال العرب أقبل من قعرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي

الشام (صفحة ٤٨) .

(٦) عمارة / كاي ١٧ ؛ كفاية ١٧ .

(٧) عمارة / كاي ١٦ - ١٧ . وكذا رواها إدريس في عيون ٧ / ١٥ - ١٦ نقلاً

عن صاحب الفيد في أخبار زبيد . وقد علق إدريس على هذه الرواية وقال : ولم ينكر الداعي على بن محمد على أحد مذهباً من مذاهب فرق الإسلام على تشعبها ، بل أقر كل أمرىء على ما كان عليه . وكان يرفع أهل العلم وذوى الديانة والفضل من أهل مذهبه وغيرهم . وكانت له سيرة عادلة وأخلاق فاضلة رواها الخاص والعام ... تدل على حسن مذهبه وفضل أدبه ... ولم يجحد ذلك إلا مكابر مشبه ليضل الأوباش من أمثاله ... الخ .

تتضمن معاني سامية من اقتحام الأمير الشاب الغامر في المخاوف وشجاعته ، ثم تواضع الملك الفاتح في أوج عزّه وسؤدده ، وخضوع السلطان واستسلامه للقانون ، واحترامه لقداسة القضاء . ولا يخفى أن الصليحي أبقى القضاة بعد فتح تهامة في مناصبهم العالية مراعاة لأحوال رعاياه السنيين .

زواج الصليحي من السيدة أسماء

وأحبّ الأمير الشابّ ابنة عمّه السيدة الحرة الصليحية أسماء بنت شهاب (١) .
حدثنا عمارة عن القاضي عمر بن المرّجل الحنفي (٢) قصة زواجه من أسماء ، وقال :
« كان علي باب زبيد من داخل السور دار رجل من الحبشة ، يقال له فرج السحرتي ، وكان من أهل المعروف والصدقات الواسعة . وكان من نزل بمسجده أكرمه وأواه ، ويتفكّر ويدخل المسجد يتجسّس أخبار الضيوف سرّاً من وكلائه وخدمه . فخرج ذات ليلة ، فظفر برجل يقرأ القرآن ، فسأله عن العشاء ، فأنشد قول النبي :

من علّم الأسود المحصى مكرمة
أعمامه البيض أو أخواله الصيد

فأخذه الحبشي ، وطلع به إلى أعلى مكان في داره ، وأكرم مثواه ، واستخبره عن سبب قدومه إلى تهامة . قال الصليحي : إن لي عمّاً يقال له شهاب ، وله ابنة يقال لها أسماء ، قليلة النظر في الجمال ، معدومة المثل في الأدب والعقل ، وخطبتها إليه ، فأشطّ عليّ في مهرها ، وأمّها تقول : لا تزوجها إلاّ لبعض ملوك همدان بصنعاء أو ملوك بني الكرندي بمخلاف جعفر . وقد استاموا عليّ من المال مبلغاً لا قدرة لي عليه . وأنا متوجّه إمّا إلى بني معن بعبدن ، وإمّا إلى بني الكرندي بالمأفر . قالوا : فدفع له القائد فرج السحرتي مالا جزيلاً أضعاف ما أدّى الصليحي ، وجهاز المروسين جميعاً أحسن جهاز يحتفل الملوك به لعقائهم ، وأعادته إلى عمّه ، فتزوج بأسماء . »

(١) توفيت في سنة سبع وستين وأربع مئة في عهد ابنها الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي .

(٢) الحنفي نساباً ومذهباً ، وكان من العلماء كما حكاه عمارة / كاي ١٥ .

فضائل السيرة أسماء في أقوال المؤرخين

« وكانت أسماء من أعيان النساء » كما ذكرها الأزدي^(١). قال : « وكان يثق
بها ثقة تامة لكاملها ؛ فوكل إليها أمر تدبير الدولة ، ولم يخالف في أغلب أمورها ،
ويجلّها إجلالا عظيما . وكانت إذا حضرت مجلسا لا تستر وجهها عن الحاضرين .
وكانت من حرار النساء » .

وقال عماره^(٢) : « وكانت أسماء من الكرم والسودد ، والجوائز السنوية الجزيلة
للشعراء ، والصلوات الواسعة في سبيل الله تعالى وفي سبيل المروءة والخير ، بحيث
يعدح أولادها وإخوتها وبنو عمّتها بمفاخرها » . وفيها يقول شاعر زوجها واسمه
عمرو بن يحيى الهيثمي^(٣) من قصيدة أولها :

حمت بيضاء الأنامل حتما^(٤)

ومنها :

رسمت في السماح سنة بعود لم تدع من معالم البخل رسما^(٥)
قلت إذ عظموا لبلقيس عرشا دسنت أسماء من ذرا النجم أسمى^(٦)
وقال ابن الجوزي^(٧) : « وكان يخطب لها على المنابر ، فيخطب أولا للمستنصر
ثم لعل الصليحي ، ثم لزوجته ، فيقال : اللهم وأدم أيام الحررة الكاملة السيدة
كافلة المؤمنين » .

وقال الخزرجي^(٨) : « وكان فيها من الكرم والحزم والتدبير ما لم يكن
في أحد من نساء زمانها » .

(١) الأزدي : الدول المنقطعة ورقة ٦٩ . (٢) عماره / كاي ١٦ .
(٣) عماره / كاي ١٦ : واسمه أسعد بن يحيى الهيثمي . ولعل الصواب عمرو بن يحيى
لهيثمي . ونسب الأزدي في الدول المنقطعة البيتين إلى الشاعر حسين القمي .
(٤) هامش عماره / كاي ١٦ : حمت بيض الأنامل حتما .
(٥) رواية الأزدي : سمه جود . (٦) وفي رواية : من زرى المجد .
(٧) ابن الجوزي : مرآة الزمان ١/١٢ ورقة ٨٨ ب .
(٨) كفاية ٤٩ .

الصليبي بتلقى العلوم من شيخه الزواحي

ولما انتقلت رياسة الدعوة في بلاد اليمن إلى الشيخ سليمان بن عبد الله الزواحي^(١)، شرع في ملاطفة القاضي، فكان « يركب إليه كثيراً لرياسته وسؤدده وصلاحه وعلمه »^(٢). وكان الشيخ سليمان كلما وصل إلى القاضي ورأى ولده علياً، لاحظ عليه مخائل النجابة^(٣)، ورأى فيه دلائل الفضائل وهو في أوان الاستجابة^(٤). وكان عليّ يومئذ دون البلوغ، فأخذ الشيخ يتصل به، وبطلمه على ما عنده من أخبار وآمال ومشروعات كبار، حتى استماله وغرس في قلبه ولبّه ما غرس من علومه وأدبه ومحبة مبادئه^(٥). ويقال إنه كان عند الزواحي حلية الصليحي في كتاب الصور (الجفر)^(٦)، « وهو من الذخائر القديمة، فأوقفه منه على تنقل حاله وشرف مآله، وأطلعه على ما أطلعه عليه سرّاً من أبيه القاضي محمد وأهله جميعاً »^(٧).

الزواحي يجعل علياً خليفته

ولما اطمأن الزواحي لنضج تعاليمه في نفس تلميذه جعله خليفته في الدعوة بعد أن وافق الإمام المستنصر الفاطمي بمصر على ذلك^(٨)، « وطالع الزواحي حضرة إمامه في أمره، فأتبع له أن يفضي بمكنون سرّه »^(٩). وإننا نعتقد أن الداعي الزواحي قد تمكن بما آتى من قدرة وسعة علم ولباقة فائقة وطلاوة في الحديث، من إدخال الشاب عليّ في علوم الدعوة وإقناعه بضرورة الحرص عليها، كما نعتقد أنه لم يلاق صعوبة في جذب إليه لما أبداه عليّ من رغبة

(١) انظر جدول أسماء الدعوة بعد منصور اليمن .

(٢) كفاية ٤٧ . (٣) نفسه ؛ انباء / دار ٣٨ .

(٤) عيون ٣٨/٧ ويقصد بأوان الاستجابة أوان استجابته للدعوة .

(٥) نزهة ٣٤/١ ؛ انباء / دار ٣٨ ؛ كفاية ٤٧ .

(٦) انظر تعليق (كاي) ملحوظة ٢٦ صحيفة ٢٤٩ .

(٩) نفس المرجع .

(٧) كفاية ٤٧ . (٨) عيون ٢/٧ .

صادقة في الاستمرار والتقرب من شيخه المفيد ، وهذا بفضل ذكائه الذي ظهر في سن مبكرة . ثم إن عزم علي وجدّه وحرصه على ألا يفلت منه هذا الأمر جملة ينكب على دراسة كتب الدعوة التي آلت إليه بعد موت الزواحي ، لأن هذا ، كما قال الخزرجي^(١) : « كان قد أوصى قبل وفاته بجميع كتبه له ، وأعطاه مالا جزيلا كان قد جمعه من أهل مذهبه » . وهذا يدل دلالة واضحة على نضج فكرة الدعوة وأصولها في عقل هذا الشاب الذي كتب له أن يلعب دوراً هاماً في تكوين تاريخ بلاده .

وكان ذكاء الصليحي من أهم عوامل نجاحه ، فلم يكف ببلوغ الحلم حتى تضلع في معارفه التي بلغ بها وبالجد السعيد غاية الأمل البعيد^(٢) ؛ فأصبح ، كما قال عمارة^(٣) : « عالماً فقيهاً في المذهب الفاطمي مستبصراً في علم التأويل » .

الصليحي يتخذ الحج وسبيلت دعوته

وقد أدى ذكاء علي الصليحي به إلى أن ينهج نهجاً جديداً ، وأن يسلك طريقة تخالف طرائق من سبقه من الدعاة في اليمن في بث دعوته ونشر مذهبه . فاتخذ ميدان الحج حقلاً لغرس مبادئه وتنميتها ، وصار يحج بالناس عن طريق السراة والطائف نحواً من خمس عشرة سنة ، فانتشر ذكره في البلاد على لسان الخاصة والعامة .

وزي أن هذه المدة الطويلة التي مرت من موت الزواحي إلى قيام الصليحي بثورته في مسار ، وتقرب من خمسة عشر عاماً ، كانت كافية لصقل علي ، «لأن الأحوال تنقلت به من خفض إلى رفع ومن ضر إلى نفع»^(٤) ، كما كانت كافية لتكوين جماعة قليلة تدين بالإخلاص له ولأمره .

(٣) عمارة / كاي ١٤ - ١٥ .

(٢) نفسه .

(١) كفاية ٤٧ .

(٤) عمارة / كاي ١٥ .

دعوة الصليحي لعامة القوم

ولا يخفى أن طلاب السلطة يراعون دائماً جانب العامة ، وهم السواد الأعظم في كل مجتمع ، فيعملون لهم كل حساب ، ويتقربون إليهم بما يرضيهم . ولما كان الدين هو جامعهم الكبرى ، ومن أكبر أسباب سعادتهم ، تمسك الصليحي بالديانة الإسلامية والمثل العليا . فكان متفقها في عقائد المذهب السنّي ، وكان لا يظهر حقيقة مذهبه إلا لمن يثق به ، فآخذ الدعوة بالتي هي أحسن لتكوين مجتمعه الذي ينشده وليصل إلى ما تصبو إليه نفسه .

ولم تكن دعوة الصليحي في أول الأمر للأمراء وعلية القوم وأصحاب المصالح ، لأنه كان يفهم تماماً أن هؤلاء سيحاربونه بأي حال من الأحوال ؛ ولكنه اتصل بالعامة بل وبالمتحمسين منهم للدين ، وهم الحجاج ، فكانه دخل بدعوته في هذا الميدان متشجعا ومتجملا بالدين ومحاسنه ، وهو متحقق أنه لا بد من أن يستميل إليه أعوانا ، ولو طال به الزمن ، ما دام متمسكا بالدين .

ولما كان الصليحي من طلاب السلطة المطلقة وجد أنه لا يمكنه أن يستغنى عن العامة ، لأنهم السواد الأعظم في الرعية ، وبهم تجبي الأموال ، ومنهم تتألف الجنود ، ومن استطاع كسب ثقتهم وجذب قلوبهم ملكوه . ولا يجتذب قلوب العامة في تلك المصوّر مثل الدين . فإذا اجتمعت السياسة والعدالة تمت وسائل السلطة ، وتولى أمور الناس أقدرهم على استرضاء العامة .

فهم على الصليحي هذا كله ؛ ولا غرو ، فإن آماله ودأبه على تحقيق هذه الآمال كفيّة بنجاحه ووصوله إلى تحقيق أغراضه .

رؤساء همدان يبايعون الصليحي على نصرته الدعوة

وكان موسم الحج من سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة فاتحة عهد جديد في

في نجاح الصليحي ، حيث بايعه ستون رجلا من قبيلة همدان^(١) على الموت أو الظفر بقيام الدعوة^(٢) ، وعلم كل واحد منهم أنه جندي من جنود الله ، فباعوا أنفسهم ببيع السماح ، وتضافرت القوى على نصرة الدعوة بالأنفس والمال .

وكان هذا نصرا من غير شك ، وبخاصة إذا عرفنا أن هؤلاء الذين بايعوه على نصرة الدعوة لم يكونوا ضعافا لا حول لهم ولا قوة ؛ بل كانوا في عزة ومنعة من أهلهم . وهذا لا يتعارض مع ما ذكرناه من أن اعتماد الصليحي كان على العامة . فهؤلاء العامة كانوا من قبيلة همدان القوية العزيزة الجانب ، والتي كانت القبائل العربية الأخرى هناك تعمل لها حسابا .

وقد قال عمارة في أتباع الصليحي : « وما منهم إلا من هو من قومه في منعة وعدد كثير » .^(٣) فبانضمامهم للدعوة عزَّ جانبها ، وقوى ساعد الصليحي ، كما كان ذلك مشجعا لمن كان مترددا من المستجيبين على أن يحدو حذوهم .

الصليحي ينصر للثورة

تمكن علي بن محمد الصليحي بذلك من تكوين جماعة صغيرة مخلصه له ، وقد أصبحت هذه الجماعة نواة لقوة كبيرة إذ تمهدها يد العناية . ونظرا لأن أعداء الدعوة كانوا قد تسببوا في قتل ونهب الكثيرين من أتباع الدعوة ، صمم الصليحي على أن يقوم بمعمل حاسم نحو المعارضين باستيلائه على مسار ، وتعميره وجعله مركزا لدعوته وقاعدة لناوراته ، ولكن هذا المشروع يقتضي الاستعداد والحيلة . فبدأ يستعد للثورة ، وساعده الظروف إلى حد كبير ، حتى كون جيشا من بطون همدان . « وقد اقتنع الصليحي وأنصاره بصدق الوعد الذي قدمه الله للمسلمين في القرآن

(١) تضم قبيلة همدان بطونا كثيرة لم تخضع جميعها للصليحي ولم تقبل دعوته ، بل دخل بعضهم في الدعوة واستمر يدين بأصولها من أيام منصور اليميني إلى أيامنا هذه . ويعتصم جماعة منهم بجبال حراز وبخاصة اليعابر وجماعات أخرى في نجران وعراس . وهم معروفون بشهامة أخلاقهم وحسن هيتهم .

(٢) قرءة ورقة ٢١ ؛ كفاية ٤٧ .

(٣) عمارة / كافي ١٧ .

الكريم بالإيمان الذي استقر في قلوبهم إلى مواجهة الصعاب عن ثقة بالله وبالإمام الذي وعدهم بالنصر أينما ذهبوا» (١).

وبهذا الإيمان القوى وعبادته تقدم الصليحي وأصحابه في فتوحاتهم ، كما سترى ، بقوة تقهر المصاعب ، وتذل العقبات ، وتحمل المشكلات . ولكن لكل شيء أسبابه ووسائله . وهذه الأسباب والوسائل قد تطلبت من غير شك كثيراً من الجهد والتدبير والتقدير وإعمال الرأي ، لتجمع هذه القلوب المتفرقة أولاً ، ولتندفع في تيار الحرب لرفع راية الإمام ثانياً . ولقد بذل الصليحي وأصحابه جهداً كبيراً في هذا السبيل لجمع الكلمة وتوحيد الهدف . فتمكن بفضل ما أوتي من شخصية قوية نادرة أن يتغلب على هذه المشكلة ، بأن جعل أتباعه يمتقدون أنهم يحاربون لنصرة الإمام وإعلاء كلمة الله ، وليس لأمر من أمور الدنيا . فكتب له ما تمنى من التوفيق وأخذ في الأسباب . فكتب من جهة إمامه بمصر الخليفة المستنصر بالله وطالعه في هذا الأمر ، وأخذ من جهة يعاهد أصحابه ومن صحت في نفوسهم دعوته ثم كما حدث أن اتفق مع الهمدانيين على الوصول إليه في يوم معلوم .

ولما شاع الخبر بأنه يستعد للثورة والقتال ، وأنه ينتظر أمر مولاه ، ازداد تحرش الأعداء بأهل دعوته وأتباعه . فوثب ابن جهور صاحب لهاب^(٢) على من كان بناحيته من الصليحيين وأصحابه ، وأسر القاضي لمك بن مالك الحمادي وعدداً كبيراً منهم . فضاقت الأمور على الصليحي ، ورأى ، كما حكاه الداعي إدريس^(٣) ، في منامه أن الإمام يقول له : « ستملك جزيرة اليمن برّها وبحرها ونجدها وغورها » . ولعل فراسة الصليحي وحسن تقديره لمواقب الأمور جعلته يتوقع ما سيصيبه به الإمام ، الذي لا يمكن أن يعارض بحال من الأحوال في أمر فيه نشر لدعوته وإعلاء لكلمته ولن يكلفه ذلك إلا الموافقة وتشجيع الطالب على الاستمرار في

(١) حسن سليمان في رسالته .

(٢) لهاب في حراز ذكرها الهمداني في صفة ٦٨ ، ١٠٥ .

(٣) عيون ٢ / ٧ - ٤ .

طلبه ، ولكي يبرهن الصليحي على صحة حمله أمام مستجبي دعوته استبشر بذلك وأظهر الفرح ، وقويت عزيمته ، وبث هذه الروح في قلوب أتباعه ، وجد في الاستعداد لتنفيذ خطته . فأرسل إلى أهل دعوته رسلا يحثهم على الوصول إليه ، واشترى العدة واللبايد^(١) ، فخفف لمقابلته كبار أهل دعوته من أهل نواحي حراز^(٢) .

قيام الصليحي بالثورة

وقد استقر رأى هؤلاء جميعا على أن يقوموا بهذا الأمر عند صلاة العصر من يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وأربع مئة^(٣) ، وهي الليلة التي اتفق مع أهل دعوته على أن يوافقوه فيها . واجتمع له في هذه الليلة من أرض يام (خلف صعدة) ، من بلاد همدان ، من نواحي صنعاء ومن أرض حمير وغيرها ثلاث مئة رجل ، عدا من جاءه من نواحي حراز . فلما صاروا بمحضرة أطلعهم على ما عقد عليه عزمه ، وأخبرهم بأنه أمر أهل دعوته في جميع النواحي بأن يوافقوه في يوم معلوم ، وأنه قد عزم على عمارة مسار

(١) الظاهر أنه جمع لبادة وفي ق / لبد قال : واللباداة كرمانة مايلبس من اللبود للمطر .
(٢) جاءه من أهل هوزن سليمان بن أبي القاسم وعبدالرحمن بن سبا بن أبي سهيل وجاءه من لهاب قاسم والحسين ابنا عبدالله بن أحمد وخولة بن أبي القبائل ونسباً بن عباس وعبدالله بن أبي المعدل وعبد العزيز بن علي ومن بني قليد أهل شيدب عراف بن محمد ومحمد بن الحسين ، ومن المقامقة سويد بن أحمد ومن الوجب أبو الجماهر وأبو العشيرة ابنا قليد البحري وأبو الحسن بن أبي العشيرة وحمير بن عبدالله ومن صفغان التبع بن محمد بن أبي يعلى وبسام ابن قحطان بن أبي يعلى وأبي الحفاظ بن عبد الله بن يعلى وسليمان وعبدالله ابنا كنعان والمدرج وكفيني ابنا أبي العشيرة ومن بني الصليحي يعلى بن الظفر الصليحي وجماعة من أهل بيته . وهؤلاء أعيان أهل الدعوة في ذلك الأوان بحراز وكبرائهم (عيون ٧/٤ - ٥) .

(٣) يقول عباس الهمداني : في رسالته ص ٦٤ هامش ٥ : « ولقد اختلفت المصادر القديمة والحديثة في السنة التي تار فيها الصليحي ، وذلك أن المراحل الثلاثة في تاريخ الصليحي لم تفهم فهما تاما . وهذه المراحل هي : الأولى إطلاعه بالدعوة بعد وفاة الزواحي ؛ والثانية قيامه بالثورة في مسار والثالثة إعلان حكمه باليمن . كل هذه المراحل اجتازها في مدة طويلة . وهذا هو السبب في اضطراب المؤرخين . وتحت عبارة « إظهار الدعوة » اختلف المؤرخون في فهم هذه المعاني الثلاثة . أما عن قيامه بالثورة في مسار فبعض المؤرخين يقول إنه تار في سنة ٢٩ و منهم عمارة / كاي ١٧ ، إدريس : عيون ٦/٧ ، نزهة ٣٤/١ والخزرجي في كفاية ص ٤٧ =

وأظهار دعوة المستنصر بالله الفاطمي ، والجهاد في سبيل الله ؛ وقد استقر رأي مجلس الشورى هذا على الاستمرار في خطة الداعي ، وسرهم هذا الرأي ، وأيقنوا بالغلبة والظفر ، كما استقر رأيهم على وجوب الأخذ بأسباب الاستعداد . « فجمعوا ما استطاعوا من العدة ، وتواصوا ببذل النفوس والأموال في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وطاعة الإمام »^(١) .

وجاء بنو الصليحي بخمس مئة دينار، وسويد بن أحمد صاحب المقامقة بمئة دينار، وأهل لهاب بألف دينار، وبنو قليد^(٢) بثلاث مئة دينار، وأهل هوزن^(٣) بخمس مئة دينار، وبعثوا بها إلى الصليحي ، فأثنى عليهم وشكر لهم سعيهم ، وقال لهم : « سوف يضاعف الله لكم أضعاف ما أسلتم ، وليمكنكم الله نديار الظالمين ، ولتنا لن ماترومونه بركة أمير المؤمنين^(٤) » .

— ابن خلكان : وفیات ٧٣/٢ ؛ واتبعهم عدد من المؤرخين المتأخرين ، مثل ابن الديبع : بغية ورقة ١٠ ؛ حسن بن نوح : الأزهار ١٣٩/١ ؛ باخرمة : قلادة البحر ٢/٢ ورقة ٦٠٠ ؛ العمري : مسالك الأبصار ١/١٦ ورقة ١٩٨ ؛ العرشي : بلوغ المرام ٢٤ . وبعضهم يقول إن ثورته كانت سنة ٤٣٩ ، ومنهم الحمادي : كشف ٤٢ — ٤٣ . وإني بالرغم مما ذكره المؤرخون المؤيدون لسنة ٤٢٩ أميل إلى رأي الحمادي ، وذلك لأنه معاصر للصليحي .

وقد أيدته حسن سليمان في رسالته من ٥٣ بالدليل الآتي : « ولعل عمارة كان يقصد ان عليا الصليحي كانت سنة عندما أعلن ثورته تسع وعشرين سنة : ويؤيد ذلك الرأي ما أجمع عليه المؤرخون من أن الشيخ الزواحي توفي ولم يكن على الصليحي قد بلغ الحلم ، أي أنه لم يبلغ الرابعة عشرة ، ولما كان قد حج بالناس خمس عشرة سنة أخرى فتكون سنة حين أعلن أمره هو تسع وعشرين سنة . وبذلك يمكننا أن نقرر أن مولد الصليحي كان على وجه التقريب سنة ٤١٠ ، وأن توليته أمر الدعوة كان سنة ٤٢٤ وأن ثورته كانت سنة ٤٣٩ . »

ومع كل هذا فإننا لا يمكننا أن تقطع بالجزم في تاريخ قيامه بالثورة في مسار ، لأننا نميل إلى الأخذ برأي كل من عمارة وإدريس والحمادي ، ونتمنى أن توجد مصادر أخرى تثير طريقنا في هذه المسألة

(١) عيون ٥/٧ — ٦ .

(٢) كذا في الأصول، ولعلمهم من قرية تسمى الآن بيت المقلد من ناحية جبل شبام الغربية .

(٣) صفة ٦٨ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ٢١٨ — وهوزن بمخلاف حراز ، وهوزن سبع

أسباع حراز التي تشمل : هوزن وكرار وصفغان ومسار ولهاب وميج وشبام .

(٤) عيون ٥/٧ — ٦ .

استيلاء الصليحي على جبل مسار

ولما أتم علي بن محمد الصليحي استمداه للثورة أرسل من أهل هوزن أربعين رجلاً، وأمرهم أن يسيروا إلى مسار، وأن يلزموا ذروة الجبل، كما أمرهم بأن يعمموا وجوههم شطراً صغيفاً لأن أهل مسار قد تأهبوا لقتاله، وحصنوه من كل جهة إلا من جهة بني عجيل^(١)؛ وعلم بذلك الصليحي عن طريق بعض أعوانه الذين تسللوا إلى قمة مسار وعرفوا ما يجري هناك، كما علم أن بعض أهل مسار قد دخل في مذهبه وبذلك عرف كيف يرسم خطته للاستيلاء على هذه القمة العالية.

وفي نفس الوقت قام الصليحي ومن معه بعد صلاة العشاء لخمس عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وأربع مئة ومعه حلفاؤه، وجدّ في السير خشية أن يسبقه أهل كرار في احتلال الجبل، وانتهى الصليحي إلى عبري سهام^(٢)، وطمع أهل مسار في محاربتهم من ناحية عبري سهام، ولكنهم لم يتمكنوا، فأتجهوا إلى قمة الجبل ليمتصموا بها، فوجدوا أهل هوزن قد ملكوها وضربوا طبولهم. فاضطر أهل مسار إلى الهرب، وصعد الصليحي وملك الجبل بغير قتال، ونشر على رأسه بنوداً ترجع إلى عهد الدعاة السابقين^(٣).

فلما ملك قمة الجبل، لم ينتصف ذلك النهار الذي ملكها في ليلته، إلا وقد أحاط به عشرون ألف سيّاف، فحصروه وشتموه وسفهاوا رأيه، وقالوا له: « إن نزلت وإلا قتلناك أنت ومن معك ». فقال لهم: « أنا ما فعلت هذا إلا خوفاً عليكم أن يملك هذا الجبل غيرنا؛ فإن تركتمونا نحرسه لكم وإلا نزلنا ». فانصرفوا عنه وتفرقوا^(٤). وكان رسل الصليحي الراجعون من مصر ليلة طلوعه جبل مسار

(١) وهم من بيت الفقيه ابن عجيل.

(٢) صفة ٦٨، ١٠٣، ١٠٥، وهي تنطق اليوم عبري سهام بضم العين.

(٣) عيون ٦/٧، ويلاحظ أن استيلاء الصليحي على مسار يدل على أهمية الذروة من الناحية الحربية لأنها تعد من المواقع الممتازة في اليمن، ومسار وشبام هما جبلا حراز الرفيعان وطوداه المنيعان.

(٤) كفاية ٤٧.

ممسين في المهجم ؛ فوصلوا إليه وهو بخصن مسار بعد يومين من طلوعه الجبل ، وأوردوا جواب إمامه الممتنصر بالله الفاطمي يأذن بإقامة الدعوة باليمن . فسر ذلك الصليحي وأتباعه^(١) ، ومالبت أن أخذ نفوذه يزداد وشأنه يرتفع بفضل اعتماده على تأييد الإمام^(٢) ، ثم وصلته الشيعة من أنحاء اليمن ، وجمعوا له أموالا جلية^(٣) . ولما لم يكن بالجبل يومئذ بناء ، لم يلبث الصليحي أن بدأ بمهارته ساعة وصوله ، وذلك في يوم الخميس للنصف من شهر جمادى الأولى سنة ٤٣٩ ؛ ولم يمض شهر على احتلاله حتى بناه ودربه وحصنه وأتقنه^(٤) .

خطاب الصليحي إلى أهل حراز

وبعد استيلائه على جبل مسار كتب علي بن محمد الصليحي كتابا أمر بيته في جوانب حراز ، وهذا نصه^(٥) :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الذي أورى زناد الحق ، ورفع عماد الصدق ، بلذنين أكمل بهم الحججة على الخلق ، وأنارهم ما بين الغرب والشرق ، الهداة إلى الخير والأدلة ، الدعاة إلى أشرف النهاج والملة ، خلفاء أنبيائه ، وأمنائه وأصفيائه ، وسلالة رسله من لدن آدم عليه السلام ، ووصل نظامهم ، وأعلى مقامهم ، وفتح بالنور أيامهم ، ونشر بالعدل أعلامهم ؛ فهم أعلام الدين ، والدعاة إلى الحق المبين ، الشيعة الميامين ، والسلالة الطيبين ، آل طه ويس .

« وصلوته على من ختم به الرسالة ، وفتح بالأئمة من عقبه أبواب الدلالة ،

(١) عيون ٨/٧ .

(٢) المرجع السابق ٨/٧ ؛ كشف ٤٢ . (٣) كفاية ٤٧ .

(٤) المرجع نفسه .

(٥) عيون ٧/٧ - ٨ .

سيدنا محمد النبيؐ ، وعلى أخيه ووصيه عليؑ ، وعلى الأئمة من نسل مولانا الحسين الزكيؑ ، ورثة التنزيل ، وخزينة التأويل .

« وأفضل صلواته وأسمى تحياته وبركاته على وارث علمهم ، والقائم من بعدهم ، بقية السلف ، وخيرة الخلف ، مولانا معدّ أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى خلفه وسلفه .

« أما بعد ، يا أهل حراز! ألهمكم الله رشدكم ، وجعل الجنة قصدكم ، فلم أطلع إلى حصن مسار متجبرا باغيا ، ولا متكبرا على العبادعائيا ؛ ولا أطلب الدنيا وحطامها ، ولا طالبا أملك غوغاءها وطفامها ، لأن لي بحمد الله ورعا يحجزني عما تطمح النفوس إليه ، ودينا أعتمد عليه .

« وإنما قيامي بالحق الذي أمر الله عزوجل به ، والعدل الذي أنزله في محكم كتابه ، أحكم فيه بحكم أوليائه ، وسنن أنبيائه ؛ وأدعو إلى حجته الذي في أرضه ، والقائم بفرضه . لست من أهل البدع ، ولا من ذوى الزور والشنع ، الذين يعملون في الدين بآرائهم ، ويحكمون بأهوائهم ؛ بل أنا متمسك بحبل الله المتين ، عامل بما شرع الله في الدين ، وداع إلى أمير المؤمنين ، عليه صلوات رب العالمين . لأقول إلا سدا ، ولا أكره في الدين أحدا . فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها . وما الله يريد ظلما للعباد .

« واعلموا ، يا أهل حراز! أني بكم رءوف ، وعلى جماعتكم عطوف ، للذي يجب علي من رعايتكم وحياطتكم ، ويلزمني من عشرتكم وقرابتكم ، أعرف لذي الحق حقه ، ولا أظلم سابقا سبقه ، وأنصف المظلوم ، وأقم الظالم الغشوم ، وأبث فيكم العدل ، وأشملكم بالفضل . فاستديموا ذلك بالشكر ، ولا تصفوا إلى قول أهل الكفر ، الذين من بقايا أهل الكفر ، فحملونكم من ذلك على البغي والعدوان ، والخلاف والعصيان ، وكفر الإنعام والإحسان ، تستوجبوا بذلك تفتير الإنعام وتمجيل الانتقام . وكتابي هذا حجة عليكم ومعذرة إليكم . والسلام على من اتبع الهدى ، وتجنب أمور الردى .

« والحمد لله على ما أعاد وأبدا ، وصلواته على من أرشد به من الضلالة وهدى ، سيدنا محمد النبي وآله الأئمة الشهداء وسلم تسليما ، حسبنا الله ونعم الوكيل » .

قيام جعفر العباسي وجعفر الشاوري لمحاربة الصليحي

استفز ازدياد نفوذ الصليحي وانتشار أمره جماعة من زعماء اليمن ، وخافوا عاقبة ذلك . فقصد الشريف جعفر بن الإمام القاسم بن علي العياني صاحب صعدة في جمع كبير من أصحابه حصن الأخرج ، فقاتل أهله ، وكان به الحسين بن مهمل من أصحاب الصليحي ، ومعه جماعة من همدان وبنو شهاب^(١) . وانتهز هذه الفرصة جعفر بن العباس الشاوري^(٢) صاحب مغارب اليمن الأعلى ، وقام على رأس جند كثيف^(٣) من حراز وكرار وغيرها من أهل البأس والشدة ، وقصد عبري أسفل جبل مسار ، وأراد طلوع الجبل ، فنزل أنصار الصليحي يدافعون عن بقائهم وعن نصره مبادئهم ، لأن النصر معناه البقاء لهذه الدولة الناشئة ، والهزيمة معناها الفناء والقضاء عليها . ولما كثر القوم على أنصار الصليحي وخشى الهزيمة وما يترتب عليها من سواء العاقبة نزل بنفسه ومن بقي معه ، واستمد من الحرج قوة ، فشد بذلك عزم أتباعه ، وحمل وطيس القتال ، حتى كسر الصليحي جيش بن عباس الذي لاذ بالفرار مغلوبا على أمره ؛ ولكنه ما لبث أن رجع وتبت طمعا في النصر ، فكان جزاؤه القتل هو ومن معه من أتباعه ، وغنم الصليحي وأصحابه الكثير من السلاح والأمتعة والعدة . فقوى بذلك مركزهم ، وزاد نفوذهم ، وقويت روحهم المعنوية ، وخافهم من كان يترقب من القبائل نتيجة هذه الموقعة . فاضطر الشريف حين سمع بخبر قتل حليفه ابن العباس وهزيمة جيشه أن يترك حصن الأخرج وينجو بنفسه^(٤)

(١) عيون ٨/٧ وبنو شهاب نسبهم الهمداني إلى كهلان ، ثم إلى كندة ، وجعلهم نشوان من قضاة ، كما حكاه لنا القاضي محمد الحجري .

(٢) قال المزرجي في الكفاية ٤٧ : « شافعي المذهب ، وكان رجلا مجابا في مغارب اليمن الأعلى » .

(٣) نفسه ٤٧ : « ثلاثين ألفا » .

(٤) عيون ٩/٧ .

مُحَارَبَةُ الصَّلِيحِيِّ لِابْنِ جَهْوَرٍ

وكانت هذه المحنة التي حاقت بالصليحيين بمثابة اختبار لقوتهم وتعاونهم وتمسكهم بمبادئهم ، كما أن شخصية الصليحي وجلال قدره وحسن بلائه في تأييد أمره أسكن النفوس الفاضبة ، فسار بالأمر قُدماً ، واستولى على حضور^(١) ، وأخذ حصن بِنَاح^(٢) ، وخاف أهل حراز النزال ، فقرروا الدخول في طاعة الصليحي إلا أبو النور ابن جهور . فقد صمّم على الاستمرار في المكابرة ، واعتصم بحصن لهاب . واضطرّ الصليحي إلى تكليف السلطان عامر بن سليمان الزواحي أن يصعد جبل شبام^(٣) وبيت عناد ، ومعه جماعة من بني قليد وهوزن وبني الهجرى^(٤) ، ثم وصل أحمد بن الظفر الصليحي وجماعة من الحجازيين فيهم عباس بن الكرم ، فعمّروا داراً في قمة جبل شبام ، كما عمروا جبل بيت عناد استعداداً لمقاومة ابن جهور^(٥) .

وبعد أن تحصنوا في هذه الناحية اتجه جيش الصليحي لمحاربة ابن جهور في لهاب ، وضيقوا الحصار عليه . ففك أسر جماعة من أصحاب الصليحي منهم القاضي ملك بن مالك الحمّادى الذى وصل إلى الصليحي وهو في حصن مسار ، فسُرَّ بوصوله لما كان يتمتع به من مركز ممتاز في الدعوة . ولكن ابن جهور تمكن من أن يؤثر على أتباعه ويدفعهم إلى الاستمرار في المقاومة . ولما ضعف جيشه ، ورأى أن مصيره إلى الهلاك استعان بنجاح^(٦) ، وكانت علاقة هذا مع الصليحي حسنة ، إذ كان يلاطف نجاحاً ويدارياً ، ولكن هذه الوساطة لم تنجح ، فتمادى ابن جهور في بغيه ، فحاصر

- (١) حضور . (صفحة ١٠٦) .
- (٢) بناح ، ثغر عدن ١٥٩/٢ . (٣) جبل شبام هو شبام العيابر (صفحة ١٩٣) .
- (٤) بني الهجرى (شبه ٤٨٩) ، وتسمى اليوم الهجرة وهي قرية قريبة من مناخة .
- (٥) عيون ٩/٧ .
- (٦) أسس هذا الدولة النجاشية في زبيد سنة ٤١٢ هـ .

على حصن زَبَّار^(١) حتى سقط ، فاضطر أبو النور إلى تسليم نفسه إليه في مسار ،
فأنزله الصليحي في ضيافته وأكرمه وأحسن إليه .

وبدل تسامح الصليحي مع ابن جهنور على نبهه ، لأنه بالرغم من أن ابن جهنور
قد تسبب في إقلاق الصليحيين مدة من الزمن حتى استمات في سبيل الوصول إلى
النصر وتحرير الحائقين والناقمين على الصليحي ، بالرغم من هذا كله وجد الصليحي
أن المعاملة الحسنة أجدي وأنفع مع كرام النفوس ، وآثر أن يكسب ودّ من بقي
من أتباع ابن جهنور حتى لا يحدّثهم أنفسهم بالانتقام إذا ما قتل رئيسهم . وقد
تحققت سياسة الصليحي ذلك ، لأن لهاب كانت منقسمة فيما بينها؛ فمنهم من انضمّ
لصليحي وقدم إليه المساعدة المادية وقدرها ألف دينار عند قيامه بمحاربة مسار ،
ومنهم من انضمّ لابن جهنور واستمرّوا في عدوانهم حتى تابوا إلى رشدهم بعد أن
رأوا حسن المعاملة وكرم الأخلاق الذي غرّم به الصليحي بعد ما أن قبض على
ابن جهنور وأبدي له تسامحه . ولا شك أن الصليحي أراد بهذه السياسة أن يجنب
الأمّة الخلاف فكبت بذلك الفتنة وردّ كيده الأعداء إلى نحورهم .

خطابه لأهل حراز في مؤتمر عبري دعاس

فعظم أمر الصليحي واستقامت له الأمور ودانت له الجماهير بحراز ، فأمر بعقد
مؤتمر حضره أهل حراز كافة بعبري دعاس . وبعد أن ترك في حصن مسار من
يجرسه نزل إلى عبري دعاس ، وألقى في الاجتماع كلمة ذكرها صاحب العيون^(٢) .
وقد جاء فيها أنه أمرهم بالصلاة وإقامة فرائض الدين ، وعمارة المسجد ، وإيقاد
المصابيح فيها ؛ ... وذكر لهم بعد ذلك أن الأمر الذي قام به ليس هو من أمور
الدنيا ، ولا مراده كمراد سلاطين الدنيا ، بل قام مؤثرا لأمر وليّ رب العالمين ، ومجاهدا
في سبيله ، غير مكره لأحد في الدين ، ولا طالب إلاّ رضا الله رب العالمين ؛ . . .

(١) زبار (صفحة ١٠٨) .

(٢) عيون ١٠/٧ - ١١ .

وحذرهم الخلاف عليه والشقاق ، . . . وعرفهم أنه لا يسير فيهم إلا بسيرة الحق والعدل ، وأنه مجبول على ذلك وتقدم إلى العُمَمال في ذلك المحضر ، وأوعدهم بالتنكيل إن رفع إليه شيء مما نهام عنه ، ووعدهم بحسن السياسة وأنه لا يخالف الكتاب والسنة ، وأمر جميع الرعية أن يرفعوا إليه ما يكون من العمال من القبيح والحسن حتى ينزل بهم من إنعامه وعقوبته بحسب أفعالهم .

واقعة صوف

فبدأ الصليحي حكمه على الأسس التي أعلنها في مؤتمر عبري دعاس ، وتقدم في تنفيذ سياسته المرسومة بخطا جازمة سريعة . ثم أراد أن يتبع سياسة المهادنة إزاء سلاطين اليمن وأصحاب الدويلات المجاورة ، إن نفعت هذه السياسة ، وإلا فمحاربتهم وإخضاعهم تحت راية حكومته . ولما ملك الصليحي جبال حراز والمناطق المجاورة ، وخشى ملوك تهامة والجبل بأسه الشديد وسياسته الرشيدة ، وملك حصون حضور وما جاورها ، حاول بعد ذلك أن يهادن السلطان أباحاشد صاحب صنعاء ، كما هادن أباه السلطان يحيى بن إبراهيم الصحاري^(١) من قبل . فلما توفي يحيى أرسل الصليحي بعض أصحابه وبني عمه إلى صنعاء لتعزية أبي حاشد في أبيه والإحسان إليه ، كما أحسن إلى من كان قبله ؛ ولكن أباحاشد قد اعتبر تأدية مراسم التعزية ومحاولاته في المهادنة تدخلا من الصليحي في أموره . فساءت العلاقة بينهما أخيرا مما أدى إلى قيام الحرب بين الطرفين ، انتهت بقتل صاحب صنعاء عند صوف هو وألف من أتباعه^(٢) . واستولى الصليحي على صنعاء ، « ورأى الناس من عدله وفضله وحسن سيرته ما ألفت له القلوب وأرغم له أهل النخوة والمكارة »^(٣) .

(١) في كفاية ٤٧ قال : توفي السلطان يحيى بن أبي حاشد أول سنة أربعين وأربع مئة .

(٢) صوف بن سوار = وهي قرية بين حضور وبني شهاب ، وبهذه الواقعة يضرب

المثل فيقال « قتلة صوف » (أنباء / دار ٣٩) . وأما إدريس فلايد كرتل صاحب صنعاء ، بل

قال : « توجه الصليحي إلى صنعاء فقتلها وملكها ودان له أبو حاشد بن يحيى ملكها » .

(٣) عيون ١٥/٧ . (٢) عيون ١٥/٧ .

واقعة نجر الجاح

فلما استولى الصليحي على صنعاء اضطرب الإمام أبو الفتح^(۱) واتصل بنجاح القائد صاحب تهامة وطلب منه إخراج الصليحي عن صنعاء وتملكها . فأدّت المكتابات بين الإمام والقائد إلى إفساد العلاقة بين الصليحي وصاحب تهامة ، كما أدّت إلى وقوع الحرب بين الصليحي والإمام المذكور في سنة أربعين وأربع مئة . وانتهت الحرب بقتل الإمام ونحو سبعين رجلا من أتباعه بنجد الجاح^(۲) ببلاد رداع ، ومثله فحمل رأسه إلى صنعاء ، ودفنت جثته في أفيق ببلاد عنس .

واقعة الهراية

ولما كان المغلوب على أمره تحذره نفسه دائما بشق عصا الطاعة كلما أتت له الفرصة ، فالهمدانيون باعتبارهم أكبر القبائل التي دانت للصليحيين ممن فكروا في خلع طاعتهم ، بالرغم من أن الصليحي كان لا يسير فيهم إلا بسيرة الحق والعدل والسنة . فاتصل رؤساء بعض بطون همدان بالشريف القاسم بن جعفر بن الإمام منصور القاسم العياني ، واستنهضوه هو وأتباعه ، وخرجوا جميعا لغزو الصليحي . وكان ذلك سنة ٤٤٨ . وتقابل الجمعان بالقرب من قرية الهراية^(۳) ، فردّهم الصليحي ،

(١) هو الإمام أبو الفتح الناصر الديلمي بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (اتعاظ ١٣ ؛ زيارة: آخاف المهتدين ٥١ ؛ وكاى ٣٠٣) . وصل إلى اليمن من الديلم سنة سبع وثلاثين وأربع مئة وانضم إليه بعض قبائل اليمن الذين دخل بهم صعدة ، ثم سار منها إلى صنعاء وتملكها ، ثم طرده السلطان يحيى بن أبي حاشد والشريف جعفر بن الإمام منصور القاسم العياني من صنعاء ، فماد إلى ذي بين واختط ظفار ذي بين . وقال إدريس (عيون ١٣/٧) : « وكان له (أى الناصر) قذع في القول وسب للصليحي » . وكان الإمام من أجلة العلماء ، ومن مؤلفاته تفسير القرآن في أربع مجلدات كبار . قال الجرافي (المقتطف ١١١) : للإمام أبي الفتح ذرية في اليمن يعرفون ببني الديلمي في مدينة ذمار وغيظها ، ومنهم بيت هاشم .

(٢) في آخاف المهتدين ٥١ قال : قتله الناجم علي بن محمد الصليحي في سنة ٤٤٦ ومشهد بنجد الجاح من بلاد عنس اه ؛ والصواب أنه قتل بنجد الجاح ودفن بأفيق .

(٣) الكيسى : اللطائف السنية ورقة ١٦ ب قال : « الهراية أكمة في بلاد وادعة الظاهر » . وهي أكمة بين وادعة وبني غثيمة ببلاد حاشد ، وإليها يشير السيد صارم الدين في بسامته بقوله : « وفي الهراية أيام لفاضلا » ... البيت .

وحاصر الشريف الذي اعتصم هو ومن معه بالقريّة سبعين ليلة ، وانصب عليهم المنجنيق ، فدافعوا عنها دفاع الأبطال حتى قتل كثير منهم ومات كثيرون لنفاذ المؤنة . فاضطر الشريف إلى أن يسلم نفسه للصليحي ، فأكرمه وخلع عليه . وكان في استطاعته أن يأمر بقتله ليكون عبرة لمن يعتبر ، ولكنه آثر الحلم لأن الرجل الشهم يقدر بسالة في عدوه ، ذلك أن الصليحي وجند في أهل هراة صلابة وقوة ، ولم يتمكن من إخضاعهم إلا بصعوبة ، فرغب في أن يكسب ودّهم ، فعاملهم بالحسنى في شخص هذا الشريف ، حتى لا يخرجوا عليه مرة ثانية . وقد قال في أهل هراة : «لوملكت رجالا كرجال هراة لأخذت بهم العراق والروم»^(١) . ولم تكن سياسة الصفح التي اتبعها الصليحي في هذه المرة ، سياسة هوادة أو تردّد ، بل قصد منها تسكين الثارات لأن في تسكينها لليمن ولليمنيين وفي مناسبات أخرى خيرا .

واقعة الزرائب

وتمشيا بسياسة المهادنة والملاطفة كان الصليحي يلاطف القائد نجاح صاحب الدولة الحبشية في زبدهته التي حملت لواء السنة في اليمن بعد دولة بني زياد ، ولكنه أدرك أن دولته الفتية لا يمكن أن تكون لها شخصية معنوية وكيان قوى ، إلا إذا قضى على أكبر منافسيه وهو نجاح . وكان الصليحي يلاطفه حتى قوى مركزه ودان له معظم الجزيرة اليمنية ، ثم بدأت العلاقة تتوتر بين الطرفين بفضل مساعي الإمام أبي الفتح صاحب صعدة التي أفسدت بين الصليحي وصاحب زياد .

فحلت الوحشة بعد الأوس والجفاء بعد حسن الصلة . وأصدر نجاح عسكريا كثيفا : قوافم الصليحي بجيشه خلف صعفان في الخبث المتصل بهامة ، ودارت بين الطرفين وقعات وعدة مصادمات ، وكانت الكثرة للصليحي وجيشه من العرب على جموع الحبشة ، حتى اجتمع العبيد في سنة خمسين وأربع مئة^(٢) إلى ابن طرف ومن معهم من ملوك الحبشة ، عشرين ألفا ، فسار إليهم الصليحي في ألفي

(١) الكبسي : اللطائف السنية ورقة ١٦ ب .

(٢) عيون ١٤/٧ نقل عن المفيد في أخبار زياد .

فارس وسبع مئة . فالتقى الجمعان بالزرائب من أعمال ابن طرف ، واستحضر القتل أول يوم في العرب ؛ ثم كانت الدائرة على السودان ، ولم يبق منهم إلا ألف التجثوا إلى جبل يعرف بالعكوتين^(١) .

موت نجاح

ووافق ذلك موت نجاح بالكدراء في عام اثنين وخمسين وأربع مئة . وروى أن الصليحي كان يعمل حيلة لقتل نجاح ، حتى تم له ما أراد على يد جارية حسناء كان قد أهداها إليه لتحقيق هذا الغرض^(٢) . ولكن هذا القتل لم يكن حدا فاصلا بين الطرفين ، بل كان بداية لهدم نزاع طويل بين الصليحيين والنجاحيين^(٣) .

(١) في عيون ١٤/٧ قال: «العكوتان جبلان منيعان لا يطمع في حصارهما . وقال الراوى: وجبل عكاد فوق مدينة الزرائب» . وهما في وادي بيش شمال صيا . وفيهما قال عمارة اليمنى .

إذ رأيت جبلي عكاد وعكوتين من مكان باد

فابشرى يا عين بالرقاد

وذكر عكوتان في النقش رقم ٢ في المختصر / غويدي ١٩ - ٣٠ ، وقد جاء فيه أن شمر بهر عش ملك سبا وذى ريدان طرد شعوب سهرت وذواوت وصحر وحرث « نحو عكوتين في الجهة الشمالية حتى إن البحر اختطفهم » (ب ع ل ي أ ع ك و ت ن ه ن ا ب ك ن ف ن ش ا م ت ا ع د ي ا ح م ل ه م و ا ب ح ر ن ا) .

(٢) عماره / كاي ١٦ ؛ عبر ٤ / ٢١ ؛ وأما إدريس فلم يذكر شيئا عن هدم الحيلة ، بل اكتفى بقوله : « مات نجاح » ، كأنه مات موتا طبيعيا .

(٣) قال حسن سليمان في رسالته : « وإن قول ابن الديبع (قررة ورقة ٢) : « وكان الصليحي يدعو سرا للمستنصر ، ويخاف نجاحا فيريد ، فكان يتلطف له ظاهرا ، ويعمل الحيلة في قتله » ، وقول صاحب الأنباء / دار ٤٠ : « إن الصليحي كتب للمستنصر سنة ٤٥٣ يستأذنه بإظهار الدعوة ووجه إليه بهدية جميلة فلما وصلت إليه أمر له برايات » ، ليندل على أن الصليحي كان يدعو سرا للمستنصر قبل سنة ٤٥٢ ، خوفا من نجاح صاحب تهامة ، فلما تخامن منه في تلك السنة أعلن دعوته الأئمة الفاطميين . ولكننا نرى أن الصليحي كان يدعو للفاطميين سرا وجهرا قبل سنة ٤٥٢ ، ذلك أن الدولة الصليحية كانت تستند في هذا الوقت إلى دولة الفاطميين القوية العزيزة الجانب ، وأن النجاحيين كانت تشد أزرهم إمبراطورية العباسيين المفككة المهبطة الجناح ، التي بلغت من تفككها وضعفها أن أبا الحارث البساسيري أرسلان بن عبد الله التركماني مقدم الأتراك ببغداد خرج على طاعة القائم العباسي (عيون ٧ / ٤٠) واستطاع أن ينحطب للخليفة الفاطمي المستنصر على منابر بغداد سنة ٤٥٠ . فعلى بن محمد الصليحي كان يستمد قوته المصنوية والروحية من الخلافة الفاطمية التي بلغت في الشطر الأول من عهد المستنصر أوج عظمتها (عيون ٧ / ٥٥) .

وقد اضطرت بلاد اليمن لهيبة الصليحي وعلو كلمته ، وسمت همته إلى تهامة ، فملك المهجم . وكان سعيد بن نجاح قد استقام في ملك والده يزيد . وتواصلت المصادمات والمناورات بين الجيوش العربية تحت راية الصليحي وجيوش الحبشة ، وأظهر الصليحي براعته العسكرية بتأجيل أمر تهامة ، وقرّر أن يقضى على فوضى الدويلات في اليمن الأسفل ، ثم يتجه إلى عدو رئيسي بدون أن تشغله جهة أخرى في داخل البلاد .

انتصاراته في اليمن الأسفل

فزار مسار وصنعاء زيارة قصيرة ، ثم قصد بجيوشه اليمن الأسفل ، واستولى على جبل صبر قهرا ، وبلاد بني الكرندي ملوك المعافر ، وحصن الدملوكة ، كما استولى على بلاد الحسين التيمي صاحب حصن حبّ وبعدان والسحول والشواقي (١) .

ودخل الجند ، « وهي يومئذ مدينة اليمن الأولى ، ولم يكن في اليمن أشهر منها ومن مدينة صنعاء في الجاهلية وابتداء الإسلام إلى أوان الصليحي » (٢) . ثم سار إلى عدن (٣) ، واستولى على بلاد بني معن الذين كانوا يملكون عدن . ثم هادن

— وكان لا يخاف نجاحا ، لأن سلطته كانت لاتعدو جزءا من التهائم ، في الوقت الذي كان الصليحي قد تغلب على معظم البلاد اليمنية ، ولكن كان يحذره . وإذا لايسعنا إلا القول بأن الصليحي كان يدعو للفاطميين سرا وجهرا قبل سنة ٤٥٢ ، وأن الدولة الصليحية كانت أكثر نفوذا واستقرارا بعد قتل نجاح أكبر منافسيها في اليمن . وصارت الخطبة تقام على منابر البلاد التي خضعت للدولة الصليحية للخليفة المستنصر والملك على الصليحي وزوجته السيدة أسماء بنت شهاب ، وزالت بذلك دعوة بن العباس من بلاد اليمن (باخرمة : ثغر عدن ١/١٣٩ — ١٤٠) .

(١) القتطف ٦٦ . (٢) عيون ١٥/٧ .

(٣) ويروى أنه لما استولى على الجند خطب في جامع الجند ، وقال في خطبته : « في مثل هذا اليوم نخطب على منبر عدن إن شاء الله » . قال أحد الحاضرين مستهزئا : « سبوح قدوس » ، فأمر الصليحي بحجزه . فلما كانت الجمعة الثانية وخطب الصليحي على منبر عدن ، قال ذلك الرجل : « سبوحان قدوسان » ، وتعالى في القول ، ودخل الدعوة (عمارة / كاي ١٨ ؛ عيون ١٥/٧ ؛ وكفاية ٤٩) .

بنى معن ، وسلّم إليهم بلادهم لما بذلوا له من السلم ، وفي ذلك يقول حسين القمي على لسان الصليحي^(١) : « . . . من نبأ توجّهه إلى عدن وعملك قسرا ، واستيلائه على عدن وأبين وأحور برّا وبحرا بعد فرار المتغلبين عليها أجمعين ، وتسليمهم لها ، راغبين بما جرت عليه الحال بعد ذلك من تديره لأمره . . . فرأى بتوفيق الله أن يقبل ما بذله من السلم ، ويقنع بما صار إليه من الغنم ، وتقاطع على تسليم عدن وفرضتها إليه . . . فعَل ذلك وانكفا عائدا إلى الخلف . وأصدر المملوك^(٢) هذه الخدمة ، وهو متوجه لمدينة صنعاء ، دارا لدعوة المنصورة ، ومقر المساكر الوفورة ، ليضم كلتهم ، ويجمع ألفتهم . وبذلك ينهض على اسم الله تعالى وبركات وليه إلى من بقي من العبيد بتهمته وقد أمن على ما يخلفه الخ . فلا ريب أنه أراد بتسليم عدن وما والاها من البلاد بعد فتحها إلى سلاطين بني معن ، كسب حلفاء أقوياء يعتمد عليهم عند معالجة مشكلة تهامة ، كما قدم دليلا آخر على تمسكه بسياسة المهادنة والملاطفة وعدم التعدي على حقوق الجوار ، بالرغم مما رأى من بني معن من التهاون .

فتح تهامة

فشمّر الصليحي عن ساعد الجدّ في فتح تهامة ، وسار إلى زبيد وافتتحها ، ثم احتلّ التهامم كلها ، وطرده منها أولاد نجاح الذين استقروا في جزيرة دهلك بعد هزيمتهم ، « وسار في الناس بالعفو والصفح ورفع السيف وبسط العدل ، ولاذت به العرب الذين كان العبيد استطالوا عليهم أيام نجاح »^(٤) .

تحقيق الوعدة اليمنية

وكذا طوى الصليحي بلاد اليمن طيّا ، وافتتح جميعها ؛ فلم يخرج سنة خمس

(١) رسائل القمي ١٩ — ٢٢ ؛ هذه الرسالة من إنشاء القمي على لسان الملك علي بن محمد الصليحي موجهة إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي .

(٢) المراد من المملوك هنا ، الصليحي ، وهو مصطلح عند أولى الدعوة يستعمله المتكلم للدلالة على ولائه لصاحب الزمان وهو الإمام ، كما يقول أيضا « مملوك آل محمد » .

(٣) عبون ٧/١٤ .

وخمسين وأربع مئة إلا وقد ملك كافة قطر اليمن : قلاعها وحصونها ومدنها وسهلها وجبلها ، وامتد نفوذه من مكة إلى حضرموت . وتمنت عليه صعدة بعض التمتع بأولاد الناصر ، ولكنه ما لبث أن قتل القائم منهم وملكها^(١) . وأرسل الصليحي إلى السلطان ممن خطابا بعد فتح تهامة قد جاء فيه^(٢) : « الدولة حصينة ، والصولة مكينة ، والرايات منشورة ، والأجناد منصوره ، وسيوف الحق على الأعداء مشهورة ، والحضرة بالسعود محروسة » الخ . وهذا يدل على اطمئنانه باستقرار أمور الدولة وتوحيد كلمة اليمن .

وجعل الصليحي صنعاء عاصمة مملكته واتخذها حاضرة لدولته ، وبني فيها عدة قصور ، وأسكن معه جميع ملوك اليمن تحت علم واحد ؛ ورأت اليمن بعد قرون طويلة وحدة البلاد في ظل حكم عادل قوى .

إدارة البلاد وتولية الخطام

وما لبث أن أخذ الملك علي بن محمد الصليحي ينظم سياسة البلاد وإدارتها ، وولى في الحصون والبلاد من ارتضاه من الولاة والحكام ، ومن يثق فيهم^(٣) . فولى الصليحي على تهامة^(٤) الأمير أسعد بن شهاب ، صنو السيدة الحرة أسماء بنت شهاب زوجته ، وكان الصليحي قد أقسم ألا يولى التهامم إلا من يزن له مئة ألف دينار ، ثم ندم على ذلك حين أراد أن يوليها أسعد بن شهاب . فوزنت له زوجته الملكة أسماء عن أخيها . فقال لها زوجها : « يامولاتنا ! من أين لك هذا ؟ » قالت : « هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » . فتبسم ، وعرف أنه من خزائنه ، فقبضه ، وقال : « هذه بضاعتنا ردت إلينا » . فقالت له : « وعمير أهلنا ، ونحفظ أخانا » .

(١) أبناء / دار ٤٠ ، ولم يذكر اسم القائم هذا .

(٢) رسائل القمي ٢٧ . (٣) بغية ورقة ١١ .

(٤) هو أبو حسان أسعد بن شهاب الصليحي الأمير الكبير . كان جوادا كريما عاقلا وقورا ولاء الملك على الصليحي على زيد وسائر تهامة فسار إليها سنة ٤٥٦ ويقول عن نفسه : « ثم أقت واليا على زيد والتهامم لم يتعلق بذمتي إلا ما لم أعلم به » . وتوفي في شهر شعبان من نفس السنة .

دخل أسعد زبيد سنة ست وخمسين وأربع مئة وسكن دارشجار^(۱)، وأحسن السيرة في الرعية، وأذن لأهل السنة في إظهار مذهبهم^(۲)، وعامل أرباب الدولة النجاحية بالحسنى^(۳).

وقد استعمل الصليحي ابنه الأمير المكرم أحمد بن عليّ عليّ الجند وعليّ مايلها، واستعمل أخاه السلطان عبد الله بن محمد بن عليّ عليّ حصن التعكر وماوالاه. فلما كان في سنة سبع وخمسين وأربع مئة اختط السلطان عبد الله بن محمد الصليحي مدينة ذي جبلة بأمر أخيه الملك عليّ بن محمد الصليحي^(۴). وقيل إن عبد الله ابن محمد الصليحي هو الذي بني قلعة تعز وابتدأ في تميمها أيام أخيه عليّ الصليحي هو وابن أخيه المكرم أحمد بن عليّ الصليحي. وكان المكرم بالجند وعمه السلطان عبد الله بن محمد الصليحي في التعكر.

رفول الصنبحي مكة وموقفه من الأشراف

ولم يكن اهتمام الصليحي مقصوراً على اليمن فحسب، بل كان ينظر إلى ما وراء حدود بلاده، وبالأخص إلى بلاد الحجاز والأراضي المقدسة — أقرب البلاد من اليمن، وأهمها في نظر المسلمين، وأحوجها إلى استقرار الحكم وحسن الإدارة فيها، فتوجّه اهتمام الصليحي إليها. وكان إخلاصه للدعوة الفاطمية، وتقانيه في رضا الإمام بمصر، يحتم عليه أن يجيب أوامره صاغراً، ويؤديها متبركاً برضاه، معترفاً بثقته له. فلما خرجت مكة عن طاعة المستنصر^(۵)، وقطعت الخطبة له من سنة ثلاث

(۱) بناء شجار بن جعفر مولى زياد (عمارة / كاي ۱۹).

(۲) قرّة ورقة ۲۲. (۳) الكبسي: اللطائف ورقة ۱۷.

(۴) عيون ۱۲۲/۷.

(۵) راجع محمد جمال الدين سمرور: النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ۹ — ۲۹ لما تقدم من الحوادث والأسباب التي أدت إلى تطلع الخلفاء الفاطميين إلى بسط سلطانهم على الأراضي المقدسة بالحجاز.

وخمين وأربع مئة أرسل على الصليحي إلى واليها الشريف شكر الحسيني^(١) ،
وحذره مغبة خروجه ، وتبودلت بين الطرفين مراسلات تنطوي على كثير من التهديد
والوعيد ، من ذلك قصيدة للشريف شكر بهت بها إلى الصليحي ، جاء في أولها :

لتفليق الجحام والرؤوس وإقحام خميسا في خميس^(٢)
فأجاب الشاعر عمرو بن يحيى الميثمي على لسان الملك علي بن محمد الصليحي
رداً على الشريف شكر السليمانى بقصيدة طويلة جاء فيها^(٣) :

دم الأبطال، في اليوم العبوس	مدامى لا شراب الخنـدريس
ولهوى بالنشيج إذا تلاقى الـ	وشيج بمعرك حامى الوطيس
أحب إلى من نقات عود	وصادحة تغرد عيطموس
ولولا فضل من لبي وجدوى	ممدّ ذى الندى القمر المسوس
لكنت حليف إقتار حبيسا	بدار صريع أفيون شريس
أفق عن عيب أجدادى ومجدى	فما بأسى بمفلول الضروس
ولا بيتى بهمـدان بن زيد	بمجهول الفروع ولا القنوس
أنا ابن حماها وذرا قناها	أنا ابن عنابس الحرب الضروس
أنا ابن سراتها الحكم فيها	ذوى الأفضال مرضى المسيس

(١) نجر المعالي أو تاج المعالي أبو عبد الله شكر بن أبي الفتوح ، أصله من ملوك مكة
السليمانيين من بني حسن ، نسبة إلى سليمان بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط (القلقشندى : صبح
الأعشى ٤/٢٦٨ — ٢٦٩) ؛ تولى شكر ولاية مكة بعد موت أبيه سنة ٤٣٠ ، وتمكن من
بسط نفوذه على المدينة ، وأقام الدعوة المستنصرية في الحزمين ، واستمرت الحال على ذلك حتى
سنة ٤٥٣ (ابن زبني دحلان : خلاصة الكلام ١٨) ؛ وكان شكر هذا شاعراً محباً للأدباء
يذكر له ابن الأثير (الكامل ١٠/١٢) قوله :

قوس خيامك عن أرض تضام بها
وارحل إذا كان في الأوطان منقصة

وجانب الذل إن الذل محتنب
فالندل الرطب في أوطانه حطب

(٢) عيون ٧/١٧ .

(٣) وهي قصيدة طويلة جاء نصها الكامل في عيون ٧/١٧ — ١٩ .

نماني كلّ أغلب حاشديّ
عدوّ للخنا عنه شمس
بنوا ، وأتمّ مفخرهم بنائي
وقوى جبل مجدهم فريسي
وكم ملك أسرت ، وكم خميس
أباد سراته قنلا خميسي
وكم نفع أثاره رعالى
وكم قوم نعشتهم وقوم
بنى حسن ! ألا تنهون شكرا
أتانى السبّ عنه ، وقال : إني
ألى قسم بفير أبى تميم
متى أذن الإمام بحرب شكر
بنى حسن ! حذار ! إذا أتتكم
جنود الله بالخطب الشكوس
عنى استمطاره سجب النحوس
إذا أقسمت أحلف بالشموس
وأسرتة البدور من الشموس
أته بالردى خيلى وعيسى
جنود الله بالخطب الشكوس

ولما عيل صبر الصليحي ، وضاق صدره ، طلب من الإمام أن يأذن له بإزالة الشريف عن مكة ليكون أمرها إليه . فلجأه الإمام ينهاه عن سفك الدماء بالحرم ، فقال : « إياك أن تلقى الله بدماء بنى فاطمة »^(١) . فاعتمد الصليحي أمر إمامه ، وصبر مدة على ما كان يجرى بالبلاد المقدسة .

ثم توجه الصليحي إلى مكة فى السادس من شهر ذى الحجة سنة ٤٥٤^(٢) وقضى فرض الحج ومعه ملوك اليمن وزعمائها ، وانزعها من بنى أبى الطيب ؛

(١) عيون ١٩/٧ .

(٢) وقد أجمع معظم المراجع على أن وصول الصليحي إلى مكة كان فى موسم حج سنة ٤٥٥ ؛ وانفراد إدريس برأى فقال : إن حجه كان فى موسم الحج سنة ٤٥٤ . وإنا نؤيد قول إدريس لأن سجل الخليفة المنتصر الموجه إلى الصليحي كما ورد فى عيون ١٩/٧ والسجلات رقم ٧ كتب فى العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٥ ؛ بعد أن عاد من مكة . ويؤيده ماورد فى السجلات رقم ٤ أن الخطابين اللذين أرسلهما الصليحي إلى المنتصر بعد عودته من مكة قد وصلا — أحدهما صدر من صنعاء فى شهر شعبان سنة ٤٥٥ ، والآخر صدر من المهجر فى شوال من نفس السنة .

ذلك أن شكرا لما توفي ، وخلفه ابن جعفر^(١) رئيس الهواشم وزوج ابنة شكر^(٢) ،
أوقع بالسليمانيين الهزيمة ، وأخرجهم من بلاد الحجاز ، واستقل بإمارة مكة ،
وأقام الخطبة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي^(٣) . ولكنه لم يعمل على الاحتفاظ
بسيادة الفاطميين على مكة ؛ لأنه ما لبث أن انحرف عنهم ، وأمر بذكر اسم
الخليفة القائم العباسي^(٤) .

صفات الصليحي في البرور المقدسة

ولما انتهى الصليحي من فريضة الحج أخرج من الأموال والصدقات للبيت وإقامة
حرمة ومناسكه ما يفوق حد التصور^(٥) وعامل الناس بالحسنى وأظهر العدل والإحسان ،
وعمل على استمالة الناس إلى جانبه بما امتلك من الأموال^(٦) ، فطابت قلوبهم ، ورخصت
الأسعار ، وأمنت الحاج أمانا لم يعرف مثله من قبل ، حتى إنهم كانوا يعتمرون ليلا ونهارا ،
وأموالهم محفوظة ، ورحالهم محروسة^(٧) . ولم تقف أعماله هناك عندهذا الحد ، بل إنه
أدب القبائل التي كانت تعتدي على الحاج ، فرد بنى شيبة عن قبيح أعمالهم وأفعالهم مع
الحاج ، ورد إلى البيت من الحلما كان بنو الطيب الحسينيون قد أخذوا لملكوا بعد شكر
وكانوا قد عروا البيت والميزاب^(٨) ؛ ثم أخذ يصلح ما أفسده الأشراف في هذه البلاد ،
وتحمل ديات القتلى من ماله الخاص ، فكسب بحسن سياسته رضا إمامه وثقة كثير
من أهالي البلاد الإسلامية ، لما قدمه من خدمات الحجاج المشتهرين عامة ، وما قام به من
كسوة الكعبة بالديباج الأبيض^(٩) ، وما جلبه من الأقوات إلى أهالي هذه البلاد
فلهجت الألسن بالدعاء له في كل مكان^(١٠) .

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ٤ / ٢٧٠ .

(٢) أبو الطيب : شفاء الغرام (الباب السابع والثلاثون) .

(٣) ابن خلدون : العبر ٤ / ١٢٢ .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ٤ / ٢٧٠ . (٥) عيون ٧ / ١٩ .

(٦) السجلات رقم ٧ . (٧) الفاسي : تحفة الكرام ١٨٨ .

(٨) ابن الجوزي : مرآة الزمان ١ / ١٢ ورقة ٨٨ .

(٩) الفاكهي : المنتقى ٥٤ .

(١٠) العيني : عقد الجمان ٤٢١ - ٤٥٤ ورقة ٢٢٦ .

أقام الصليحي حتى يوم عاشوراء من سنة ٤٥٥ يخطب للخليفة المستنصر في الحجاز، ويعيب على العباسيين إهمالهم شئون الدين . وفي أثناء إقامته بمكة راسله الأشراف الحسينيون المغلوبون على أمرهم، وطلبوا منه أن يختار من بينهم واليا عليهم، وبذلوا له الطاعة؛ فأقام على البلد واليها السابق محمد بن جعفر، وأعطاه مالا وسلاحا، وأصلح بين العساكر . ودل بهذا على حسن سياسته، لأنه لم يتعنت مع الحسينيين ولم يظلم الحسينيين، وآثر أن يحسن معاملتهم ليكسب ودهم، وخاف أن يترك البلد قبل أن تستقر الأمور فيها، فتقع في أيديهم ويستمرون في عنادهم وخلافاتهم . فاستعمل معهم اللين؛ وبذلك نجح في تحقيق سياسته مؤقتا، وقفل راجعا إلى صنعاء .

تلوه الأشراف

ولم يعمل الشريف محمد بن جعفر أمير مكة طوال عهده (٤٥٣ - ٤٨٧) على تنظيم الأمور في الأراضى المقدسة وإقرار الأمن بها، بالرغم من المساعدات المالية التي كانت ترد إليه من الخليفة العباسي أحيانا، ومن الخليفة الفاطمي أحيانا أخرى، بل أساء السيرة فيها، وأصبح الحاج في أواخر أيامه لا يأمنون على أنفسهم^(١)، كذلك لم يبد من هذا الشريف ما يشعر برغبته في الاستقلال عن الخلافة العباسية أو الفاطمية، بل دان لكل منهما بالطاعة في فترات متقاربة، حتى وصفه أبو المحاسن^(٢) بأنه كان متلونا تارة مع الخلفاء العباسيين، وتارة مع المصريين الفاطميين^(٣).

(١) ابن الأثير: الكامل ٨٣/١٠ .

(٢) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٤٠/٥ .

(٣) ويظهر من هذا أن الهواشم كانوا يلعبون بمصالح البلاد المقدسة ومصالح المسلمين جريا وراء المال . وهناك رأى آخر أفادنا به الشريف خالد صادق، قال: «إن هذا التلون يرجع إلى دوافع سياسية وأخرى اقتصادية، وذلك لأن مكة المكرمة كان يصل إليها في موسم الحج كل عام، قوافل حجاج عظيمة برفقة جيوش مسلحة تحت إمرة أمراء الحاج، وكان كل واحد من هؤلاء الأمراء يمثل ملكا ودولة تختلف في سياستها وقوميتها وأهدافها السياسية، بل ومذاهبها الدينية عن الأخرى اختلافا كبيرا، فتسبب عن هذا الذبابين تصادم، إما في التقدم =

الخطبة الفاطمية بشكر الصليحي

وبعد عودة الصليحي إلى صنعاء شكر له الخليفة المستنصر حسن صنيعه وامتناله لأوامره بعدم إراقة الدماء فيها؛ وليس أدل على ذلك مما قاله الإمام نفسه :
«إن أمير المؤمنين هو الذي ثنا عنانك، ولا وصمة عليك أن قبضت دونهم بنانك...
وعزيز على أمير المؤمنين أن تهك بحرم الله سطورره، أو تنعكس أموره»^(١).
أما الشريف محمد بن جعفر فقد هجم على مدينة الحلي^(٢)، واستولى على ما بها من متاع للصليحي، وقصد بذلك إثارة الفتن وتهديج العامة^(٣). وقد شكوا الصليحي هذا الأمر إلى إمامه بمصر فأجابته: أما الشريف صاحب مكة «فإنك تستخير الله تعالى، وتتوخي له متقدما للإعذار والإنذار واللين في المقال إن نجح أو أثر، وإلا حاكته إلى الله جل وعلا، وهو خير الحاكمين»^(٤).

= في المراسيم المتبعة لدى أشرف مكة، أو في إحراز مركز ممتاز. وترتب على هذا كله تغيير موقف الأشراف هناك حسب التوازن بين القوى المتضادة. كذلك كان ضعف موارد بلاد الحجاز مما جعل الأشراف هناك يقبلون المساعدات التي كانت تقدم إليهم تأميناً لأمن البلاد وإنعاشاً لاقتصادها».

(١) السجلات رقم ٧.

(٢) معجم البلدان/الحلي. (٣) عيون ٢٣/٧.

(٤) السجلات رقم ٤. ولم يستمر ولاء المواسم للفاطميين طويلاً، لأن الشريف محمد بن جعفر قطع خطبة المستنصر وخطب لبني العباس في سنة ٤٥٨ هـ؛ فقامت ثورة على هذا الشريف وخلعوه بعد أن قطعت ميرة مصر عن مكة، فأعاد خطبة المستنصر مرة ثانية. ونحن نرى أن حسن سيرة الصليحي وسياسته في هذه البلاد بالإضافة إلى مارآه الناس هناك من استتباب الأمن في البلاد نتيجة لهذه السياسة، كان لها أثر فعال في قيام الثورة على هذا الشريف. وكان من أثر ذلك أن أرسل الخليفة العباسي أموالاً جزيلة إلى مكة في موسم حج سنة ٤٦٢ هـ، فخطب له الشريف في موسم هذا الحج فقط، وكتب إلى المستنصر بمصر يعتذر إليه، ولكن السلطان ألب أرسلان السلجوقي أجزل العطاء إلى هذا الشريف؛ فأرسل إليه ثلاثين ألف دينار، وجعل له مرتباً سنوياً قدره عشرة آلاف دينار (ابن الأثير: الكامل ٢١/١٠). وفي سنة ٤٦٧ هـ أرسل المستنصر هدية جليلاً إلى الشريف محمد بن جعفر، وطلب منه إعادة الخطبة بمكة للفاطميين، وقال: «إن عهدك كانت للخليفة القائم العباسي والسلطان ألب أرسلان وقد توفيا»، فقطع خطبة المقتدى بعد أن خب طلعباسيين أربع سنوات وخمسة أشهر (ابن إياس: بدائع الزهور ٢٤/٢).

حان اليمن بعد عودة الصليحي من الحجاز

وفي أثناء غيابه عن اليمن قامت الفتن والثورات في بعض أنحاء مملكته ، فثار عليه قوم من كُنُس وزُبُيد ، وأظهروا الخلاف والعصيان والتفوا حول رجل منهم ، والتجئوا إلى جبل مَثْوَة^(١) وما جاوره من الجبال ، وعظم شغبهم وفسادهم ؛ فقصدهم الصليحي إلى معانقهم فافتحها عنوة حتى دنوا له بالطاعة ، بعد أن قتل منهم كثيرا في أثناء الحرب وعفا عن بقى منهم^(٢) .

ولاية العهد

فكر الملك على الصليحي بعد ذلك في ولاية العهد ؛ فلما بلغ الأمير محمد بن علي الصليحي أكبر أنجاله مبلغ الرجال ، رغب في أن يوليّه دولته لينوب عنه في حياته وبعد مماته . فكتب إلى المستنصر بالله سنة ٤٥٦ يخبره بما استقرّ عليه رأيه . فورد إليه سجل الإمام بالموافقة على هذا داعياً للأمير بالتوفيق ، ولقّبه بالأمير الأعرز^(٣) شمس المعالي^(٤) ، وأذن له الإمام بأن يذكر هذا اللقب على منابر البلاد اليمنية ، وكان وصول السجل المستنصرى إلى الصليحي في مدينة صنعاء في شهر رجب سنة ٤٥٦ . وتصادف أن توفي في شهر شعبان من نفس السنة الأمير أسعد بن شهاب والى الملك على الصليحي على زبيد وأعمالها^(٤) ، فرأى الصليحي

(١) وحصن مَثْوَة في مصانع رعين في مخلاف ذي رعين (صفة ١٠١ ، ١٢٥)

(٢) عيون ٧/٢٣ .

(٣) وأضيف هذا اللقب إلى ألقابه القديمة وهي : منتخب الدولة وصفوتها ، ذو المجدين

(عيون ٧/٧٦ ؛ انظر الملحق رقم ٢) .

(٤) وان قول صاحب قلادة النحر ٢/٤ ورقة ٦٢٨ من أن أسعد بن شهاب تولى زبيد سنة ٤٥٦ ، وظل حاكماً بها خمسة عشرة عاماً حتى أخرجه منها جيش بن نجاح سنة ٤٨٢ ، قول لأساس له من الصحة ، وقد ثبت بطلانه برواية صاحب العيون ٧/٧٦ .

أن يوتى ابنه الأعزّ على ما كان لخاله أسعد، وأراد أن يتركه حرّاً التصرف في إدارة شئونها لكي يختبره ويدربه على الحكم .

موت الأمير الأعزّ محمد الصليحي

ولقد وصل الأمير الأعزّ محمد بن علي الصليحي إلى زبيد في شهر شعبان من سنة ٤٥٧ . وبعد خمسة أشهر من حكم تهامة سار أبوه الملك الصليحي بصحبة الملكة السيدة الحرة أسماء بنت شهاب وولدها الموفق في شهر محرم سنة ٤٥٨ إلى زبيد ، وأقاموا في ضيافة الأعزّ مدّة قصيرة ، ثم عولوا على السير إلى صنعاء . فصحبهم الأعزّ مودعا ، وكان يريد أن يبلغ معهم الغمد . فلما صار بالمصقع أصابته الحمى ، فأمره والده بالرجوع إلى زبيد ، فرجع إليها . ودخها ليلة الثلاثاء لعشرين ليلة خلت من المحرم ، وقد ازداد عليه المرض ، فلم يممه . فتوفى في الثاني والعشرين من المحرم سنة ٤٥٨ ، وعمره سبع وعشرون سنة^(١) . ولما وصل خبر وفاته إلى والده وهو على وشك طلوع مسار مع الملكة السيدة أسماء اشتدّ عليهما الحزن^(٢) ، وقفل الملك علي الصليحي عائدا إلى زبيد بجميع من معه . فوصل إليها ليلة الاثنين ولم يكن ابنه الأعزّ قد دفن . فشيّع جنازته يوم وصوله ، ودفنه غربى قبر خاله أسعد بن شهاب .

وفي ذلك يقول القاضي عمران بن الفضل اليامي^(٣) :

(١) عيون ٧٨/٧ .

(٢) وقد روى عن علي بن محمد الصليحي قصة الرؤيين اللتين رآهما بعد موت ابنه الأعزّ محمد . وردت القصة في الرسالة المسماة بقصة رؤيا علي بن محمد الصليحي ، ويقال لها من تأليف الصليحي . وإنما يخيل لي أنها منسوبة إليه وأنها تأليف غيره ولكنه حكاهما على لسان الصليحي . وجاء في القصة أن الصليحي ناله من الأسف على ابنه محمد والحزن من بعده ، وأنه رأى في منامه كأنه جالس بين أيدي إمامه المستنصر في دار واسعة وهو يشكو إلى الله وإلى الإمام مما لحقه من الحزن والهم بوفاة ابنه الأعزّ ويقول له : « يامولانا انظر إلى هذا الركن قد انهدم حتى أنا أنظر الصحراء من خلفه » . وكان الإمام يعزبه ويسليه بقوله : « هذا الركن كان ركنا لولدك محمد . أنا أشيده لولدك أحمد حتى يعود كما كان . فلا تحزن ولا تنغم ولا والدته ولا كافة المؤمنين » . ولا تخلو هذه القصة من طرافة الخيال الشعري وحقائق تاريخية .

(٣) عيون ٧٨/٧

عَالَ صَبْرِي فِرَاقُ ذِي الْمَجْدَيْنِ وَجِفَانِي الْكُرَى وَأَسْهَدَ عَيْنِي
صَاحِإِنَ النَّسْدِي وَنَجَلَ عَلِيٌّ سَكَنَّا فِي ضَرْبِهِ لِحَدَّيْنِ
مَا رَأَيْنَا وَلَا سَمِعْنَا بِقَبْرِ قَبْلِ هَذَا مُضْمِنًا شَخْصَيْنِ
كَارْتَاهُ الشَّاعِرُ عَمْرُو بْنُ يَحْيَى الْهَيْثَمِيُّ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ جَاءَ فِيهَا (١) :

فَتَزَلَزَلَتْ شَمُّ الْجِبَالِ لِفَقْدِهِ وَأَضَلَّ سَالِكَهُ الطَّرِيقُ اللَّهْجَمُ (٢)
وَالشَّمْسُ كَاسْفَةً عَلَيْهِ حَسْرَةً وَالْجَوُّ فِي وَقْتِ الظُّهْرِ مُظْلَمٌ
إِن تَهْدَمَ الْأَيَّامُ قَبْرَ مُحَمَّدٍ (٣) فَسِنَاؤُهُ فَوْقَ السَّهَى لَا يَهْدَمُ

وَبَعْدَ أَنْ أَقَامَ الْمَلِكُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّلِيحِيُّ الْعَزَاءَ عَلَى ابْنِهِ الْأَعَزِّ سَبْعَةَ أَيَّامٍ
يَقْرَأُ فِيهَا الْقُرْآنَ أَرْسَلَ رِسَالَةً إِلَى الْإِمَامِ بِمِصْرَ فِي شَهْرِ صَفَرٍ سَنَةِ ٤٥٨ (٤) . وَفِي
هَذِهِ الْأَثْنَاءِ تُوْفِيَتِ ابْنَتُهُ مَيْمُونَةُ نَحْمًا عَلَى أَخِيهَا الْأَعَزِّ . وَقَبْلَ أَنْ تَصِلَ
رِسَالَةُ الصَّلِيحِيِّ إِلَى الْإِمَامِ كَانَ هَذَا قَدْ عَلِمَ بِوَفَاةِ الْأَعَزِّ ، فَأَرْسَلَ سَجَلًا إِلَى
الصَّلِيحِيِّ (٥) وَصَلَهُ وَهُوَ فِي أَبِيْنِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ٤٥٨ ، وَفِيهِ عَزَاءُ الْإِمَامِ
وَتَعْيِينُ الْأَمِيرِ الْمَكْرَمِ وَلِيًّا لِلْعَهْدِ بَعْدَ أَخِيهِ ، كَمَا كَتَبَ الْإِمَامُ سَجَلًا (٦) إِلَى
الْأَمِيرِ الْمَكْرَمِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ٤٥٨ يُوَضِّعُهُ بِوَالِدِهِ خَيْرًا .

رَدُّ الْمُسْتَنْصَرِ عَلِيٍّ طَلِبِ الصَّلِيحِيِّ لَزِيَارَةِ مِصْرَ

أَنْفَدَ الصَّلِيحِيُّ إِلَى الْإِمَامِ قَبْلَ وَصُولِ الرَّدِّ عَلَى رِسَالَتِهِ السَّابِقَةِ وَفَنَدَا
يَتَسَكَّوْنَ مِنَ الْقَاضِي عَمْرَانَ بْنِ الْفَضْلِ وَنَجِيبَ بْنَ عَفِيرٍ وَيُوسُفَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَعَنْتَرَ بْنَ
غَشْمٍ ، وَكَانَ يَبْنِي السَّمَّاحَ لَهُ بِالْحِجِّ « لِيَطَهَّرَ نَفْسَهُ مِنْ دَنَسِ الدُّنْيَا » وَيَقْضِي عَلَى

(١) عيون ٧٨/٧ .

(٢) اللهجم أى الضريق الواسع المذلل قد أثر فيه السابقة حتى استتب وكان الميم فيه زائد والأصل فيه لهج (ل / لهجم) .

(٣) فى رواية : عمر محمد .

(٤) عيون ٧٩/٧ - ٨٠ .

(٥) نفسه ؛ انظر الملحق رقم ٣ .

(٦) انظر الملحق رقم ٤ .

على الفساد الذي حلّ بالحرم المعظم ، ويقوم مناره ، ويقوم للعدل عماده ، ويممر
طرقه للسفر ، ويعطرها من المفسدين « (١) . فوافق الإمام على طلبه وأرسل إليه
سجلاً (٢) بذلك مؤرخاً في شهر ربيع الأول سنة ٤٥٩ ، وفيه نصح لداعيه بأن
يعالج الأمور في هذه الجهات بتأليف القلوب وتجنب الحروب ، وأن يؤثر الخير
والعافية ما استطاع ، وأن يجنب نفسه والناس الفتنة ما وجد إلى ذلك سبيلاً ،
وقال : « وأنت خير من لحظته عين الإمامة بالاصطناع ... وإن أمكنك ذلك
المكان ، بتأليف القلوب ، وتجنب سورة الحروب ، فوارد ذلك على
الأكباد ، إنه لآية المراد ، وغاية قصد القصد » . كذلك طلب الصليحي
من الإمام أن يسمح له بالثول بين يديه ، فرد عليه بأنه يشفق عليه لعمد
الطريق ومشقته .

ولعلّ السبب في عدم موافقة المقام الإمامي على ذهاب الملك الصليحي إلى
مصر ، يرجع إلى أن حالة مصر في ذلك الوقت كانت سيئة جداً بسبب الشدة
العظمى (٣) التي اجتاحت البلاد . وحسبنا أن نشير إلى الفتنة (٤) التي جرت في سنة
٤٥٤ بين ناصر الدولة بن حمدان وأتباعه الأتراك ، وفتوح الشامي وأنصاره العبيد ،
حينما وردت إلى مصر هدية موجهة من الملك علي بن محمد الصليحي إلى إمامه
المستنصر « عظيمة القدر لم يسمع بمثلهما » ، وأن نشير إلى ضعف الخليفة المستنصر

(١) عيون ٨٠/٧ — ٨٢ .

(٢) ورد السجل في عيون ٨٢/٧ — ٨٦ (انظر الملحق رقم ٥) . فد عهد الامام المستنصر
إلى الصليحي بأن يتوجه إلى حضرموت ونشر الدعوة في آفاقها . ومن أثر هذا التكليف أن دخل
الصليحي في حروب مع هذه البلاد ولكنه لم يفتحها (راجع د الإمام إبراهيم بن أبي قيس
الحضرمي) ، بل دخلت حضرموت بفضل مساعي الصليحي تحت نفوذ الصليحيين الديني في عهد الملك
المكرم .

(٣) اجتاحت الشدة العظمى مصر في المدة ما بين (٤٥٩ — ٤٦٦) وتعرضت في أثناءها
البلاد للنهب والسلب والحراب بسبب اختلال الأمن وانتشار الفوضى . ولما يئس المستنصر من
استصلاح الحالة استوزر بدر الجمالي فيما بين (٤٦٦ — ٤٨٧) وتولته الوزارة بدأ عصر
الوزراء العظام .

(٤) عيون ٦٦/٧ — ٧٢ .

(م — ٧ — الصليحيون)

أمام مطالبات ابن حمدان ولجاجة في السؤال . واملّ القام الإمامي خشي أن يطلع الصليحي ومن معه على حقيقة هذه الأمور ، فترك في نفوسهم أثرا غير مرضي . ويحتمل أن يكون الإمام رغب في ألا يعتمد الصليحي عن دولته فيشق عليه الأعداء عصا الطاعة إذا ما أنسوا بـمد الملك عنهم . وقد أثبتت الأيام أن البلاد جميعها كادت تخرج من قبضة الدولة الصليحية حين علموا بقتل عليّ الصليحي سنة ٤٥٩ ، وقد لاقى الملك المكرم صعبا بجمّة ، في إعادة الحياة إلى مجاريها وثبتت مركز هذه الدولة مرة ثانية .

قيام المكرم بأعمال الدولة

بعد أن استعد الملك عليّ استعدادا حسنا ، أوصى ابنه أحمد المكرم « بالعدل وحسن السيرة والسياسة ، وتقوى الله في الجهر والسريرة ، والعمل بأعمال الشريفة وإقامة دعائمها ، والائتمار بأوامرها والانتها عن محارمها » (١) . وفي العهد إلى المكرم قال القاضي الحسن بن أبي عقامة قصيدة طويلة جاء فيها (٢) .

هنا الدين والعليةا تقليدك الأمرأ فقد طوق التقليد هذا وذى نخرا
لممرى لقد طال انتظارها لذا وعدّاله الأيام والحول والشهرا
إلى أن أتى تحقيق ما كان ظنّه وللكون فعل ليس تفعله البشري
فلو ملكا قولاً إذن ثيبابه ولو ملكا بطشا إذن سجدا شكرا

ثم غادر الملك عليّ الصليحي صنعاء ، وترك فيها ابنه الأمير أحمد المكرم (٣) ، ومعه السلطان أحمد بن المظفر الصليحي (٤) . وفي هذا يقول الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي قصيدة جاء فيها :

(١) عيون ٨٨/٧ .

(٢) ورد نص هذه القصيدة في عيون ٨٦/٧ - ٨٨ .

(٣) وسيأتي ذكره في الباب الخامس .

(٤) في عيون ٨٦/٧ جاء : ومعه خاله أحمد بن المظفر الصليحي . والظاهر أن أحمد

ابن المظفر لم يكن خال المكرم .

ما لمن فارق الأجابة عندنا إن نهي دمه عن الفيض صبر
إن سيف الإمام كالبجر ذي الو ج له في البلاد ممد وجزر
ولكن ساءنا فراق علي فبأحمد ابنه لنا ما يسر
ذاك ببحر سقى به مكة الله وهذا لوفد صنعاء ببحر (١)

الملك الملوكي البني

قدم الملك علي أمامه خمسين ملكا من ملوك اليمن المغلوبين على أمرهم ،
ومئة وسبعين من آل الصليحي وغيرهم ، ممن أرادوا الحج معه من يام وجنب
وسنجان وأهل حراز . وقد رمى من سيرهم أمامه عدم ازدحام الطريق بهم .
ثم سار في ألى فارس وبين يديه خمس مئة فرس مطهمة بالسروج المحلاة بالذهب
والفضة ، وخمسون هجيناً (٢) ، وغير ذلك من الزينة والآلات ، مما لا يدخل تحت
الحصر (٣) .

هباته العير وقتل الصليحي وأسر السيرة الحرة أسماء

وكان قيامه من صنعاء في يوم الاثنين السادس من ذى القعدة سنة ٤٥٩ .
ولكن في هذه الأثناء كانت نار الحقد وحب الانتقام تلتهم قلوب بني نجاح بزعامه
سميد الأحول . فكانوا يتربصون الفرص للإيقاع بالصليحي والعمل على تقويض
دولته ، التي كانت سببا في زوال ملكهم . وكان يشجعهم على الاستمرار في
المطالبة بحقوقهم ، ويقوى عزمهم على الأخذ بثأر نجاح ، فرح البيشي أحد عبيد نجاح ،
الذي أخذ يمرض العبيد الأحباش ويشد أزرهم في الخفاء . فلما وصل الخبر إلى
الصليحي ، استقدم فرحا وعاقبه وذكر له إحسانه إليه وتقديمه ورفع مكانه . فأنكر
فرح ما نسب إليه وحلف الأيمان المغلظة ، وقرّر أنه سيذهب ليأتي رأس سميد

(١) بانخرمة : قلادة ٢/٢ ورقة ٦٠١ ؛ الأصهباني : خريدة ٢ / ورقة ٢٧٩ ، وجاء

في الخريدة في البيت الثالث :

ولكن ساءنا فراق علي فبتك ابنه لنا ما يسر .

(٢) كفاية ٤٩ .

(٣) أبناء/دار ٤٠ .

الأحول إلى الصليحي الذي صدّقه . ولكن فرحا لما ذهب إلى زييد أخذ
يحرص العبيد بقوله : إنه قد اشتهر أمركم فأدركوا نفوسكم ، وإلا فإنه قد حان
هلاككم^(١) . فلما بلغ الصليحي ذلك أمر بالقبض على فرح الذي ساقه أبو السعود
بن أسعد بن شهاب مكبلا ، فأمر الصليحي بقتله حين ثبت له فسادُه وعناده . وكان
من أثر ذلك أن شق الأحباش عصا الطاعة على مواليهم زييد حيث وثبوا على أبي
السعود وأحمد ابني أسعد بن شهاب فقتلواهما ، وقتلوا من كان منهما من أهل حراز
ونهبوا ما معهم من أموال وكراع^(٢) .

ولما قوى أمرهم عزموا على محاربة الملك على الصليحي ، فاستدعوا من كان
على رأيهم من العبيد بتهامة والحجاز للقيام معهم لحرب الصليحيين . وقد وقفوا
من عيونهم على أن الصليحي لم يكن معه أحد من أهل البأس والمراس ، لأن
رجاله قد تقدموه وجميع أمواله وأثقاله ماثوثة فيما بين هجر والمهجم ، لأن البلاد
قد تمهد مهادها واستقام عمادها وأمنت السبل وخضع كل عزيز وذل^(٣) . ولم
يكن مع الصليحي في المهجم إلاّ ابنه الموفق وزوجته السيدة أسماء بنت
شهاب وأخواه عبد الله وإبراهيم وجماعة من بني الصليحي . وكان الصليحي
لما علم بأن الأحباش في طريقهم لقتاله قد أنفذ عبيده لمقاتلة عدوّه . وقد عهد إليهم
بهذا الأمر لو توفقه فيهم لأنّه وليّ نعمتهم ، وله عليهم فضل وإحسان ، فهبّوا
مسرعين متظاهرين بالحماسة والإخلاص ، « ولكنهم أضمرُوا الخيانة والغدر ،
لأنهم حين التقوا في الطريق بيني جلدتهم ، غدروا بسيدهم وحرّضوا العبيد من
الحبشة على قصده ، ودلّوهم على موضعه وقالوا لهم : إن فاتكم غدا السبت لحق
بأصحابه وعسكره وامتنع عليكم . فأصفوا إلى نصيحتهم وقويت نفوسهم وصحّت
عزائمهم وساروا إليه مجدّين ، حتى فاجثوه بضيمة يقال لها أم الذهب ، وانقضوا

(١) عيون ٨٩/٧ .

(٢) نفسه .

(٣) الفاسي : تحفة الكرام ورقة ١٨٨ .

عليه في يوم السبت الحادي عشر من ذي القعدة، ومعه بنو عمه الذين أبلوا بلاء شديداً،
وكان السلطان عبدالله ابن محمد أشدّهم يومئذ إقداماً وأعظمهم بطشاً بالأعداء»^(١).

قتل الصليحي وأخواه عبدالله وإبراهيم وبعض أقاربه . أما الأمير الموفق
ابن علي الصليحي ومهنا بن علي بن الظفر الصليحي فقد اتجها إلى مكان السيدات
لحمايته ، ولكن العبيد ما لبثوا أن حاصروا هذا المكان واستمرّ حصارهم حتى يوم
الأربعاء الخامس عشر من ذي القعدة . فاستأمن مهنا ، وخرج إلى الأحول ، فأخذ
منه ميثاقاً شديداً على الحرّات الصليحيات وعلى من بقى من بني الصليحي وسواهم ،
وحلف له أغلظ الأيمان بأنه سيطلق سراحهم ليسيروا إلى صنعاء ، فوثق بقوله ، ونقل
السيدات إلى دار أخرى ، وغدر الأحول بالرجال فقتلهم عن آخرهم ، ونهب كلّ ما كان
في الدار من أموال جليّة القدر من العين والورق^(٢) وسائر ما يدخره الملوك^(٣) .
وكان الداعي قد أعدّها لينفق منها على الجند ، وعلى صالح البيت الحرام ، ويقدمه إلى
إمامه^(٤) . ومما غنمه ألف فرس وثلاثة آلاف جمل بمددها^(٥) .

وسألت الملكة السيدة أسماء بنت شهاب سميداً الأحول أن يسمح لها ، هي
ومن معها من النساء بالعودة إلى صنعاء ، فامتنع . ثم سار إلى زبيد ومعه النساء
ورأسا الملك علي بن محمد الصليحي وأخيه السلطان عبدالله محمولان على رحلين أمام
هودج الملكة أسماء . ونصب الرحان أمام الطاق الذي تنظر منه الملكة الحرّة أسماء
في الدار التي حلت بها ، إلا أن القائد بذل ما استطاع من الجهود لصيانة السيدات .

غرضه الصليحي من حج البيت الحرام

وفي قيام الصليحي للحج وقتله بالطريق قال حسين القمي^(٦) :
« قام الملوك^(٧) ، قاصداً مكة لحج البيت الحرام ، وتسهيل الحج لطالبي

(١) عيون ٧/٩٠ .

(٢) الورق هو المال من الدراهم المضروبة ، وكذلك الرقة والهاء عوض من الواو .

(٣) عيون ٧/٩١ .

(٤) أنباء/دار ٤٠ .

(٥) رسائل القمي ٤١ - ٤٢ .

(٦) عمارة/كاي ٦٤ .

(٧) المراد منه الصليحي كما ذكرناه في ص ٨٦ ، هامش رقم ٢ .

قصده كل عام . . . وعمارة مدارس من آثاره ، وإبانة ما عفا من مناره ، وأمان قاصديه وزواره ، وإجراء مارقاً من أنهاره ، وحط المؤن عن سفاره ، ومواساة من قطن . . . راجياً أن يتجر بأرباح المتاجر ، ويحوز في الدنيا شكر الوارد الصادر ، ويستولى في الأخرى على الأجر الكامل الوافر ، ويكون من الداخلين في قوله سبحانه وتعالى : **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** . واستمر في طريقه حتى وصل قرية العمدة^(١) في يوم الخميس التاسع من ذي القعدة ، ثم سار من العمدة وقصد سرده ، فنزل بها في يوم الجمعة . ولما وصل له الخبر بخروج العبيد من زبيد أخرج الصليحي له ما كان بحضرته من عبيد « وأعلمهم بمقصوده ، فحادوا عن طريق العبد عمدا . . . فلما سار العبد بإزاء سرده ، خرج المملوك لاستقباله ، وتخلف العبيد عن الخروج لقتاله ، وأعلموا ابن نجاح بانفراد الأجل الأوحده ، وأنها فرصة إن فاتته وقع في الندامة . . . وقادوه إلى الانتهاز والاعتنام . . . فاستشهد رحمه الله عليه ومن معه في الثاني عشر من ذي القعدة »^(٢) .

من هذه الوثيقة التي أوردتها القمي نرى أن الصليحي لم يقصد بلاد العراق ولا مصر لذاتها ، كما قال صاحب الأنباء^(٣) وصاحب اللطائف^(٤) ، ولم يكن يبغي الحج لذاته ، كما قال ابن الديبع^(٥) وبانخرمة^(٦) ؛ بل كان له برنامج إصلاحى حافل بالأعمال ، بعضه يتعلق بالمساعي الخيرية ، كتسهيل الحج وعمارة الآثار وحط المؤن وإجراء الأنهار ، والبعض الآخر يتعلق بزيارته لإمامه . وتحققاً لهذا البرنامج قام الصليحي بسفارته على النحو الذي وصفناه ، ولكنه ما لبث أن قتل نتيجة لخيانة هبيده وعدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة العدو .

(١) العمدة في أرض لسان في بطن تهامة ، ومواردها أسفل سهام وأسفل سرده ، وسوقها المهجم والكدراء كما ذكره الهمداني في صفة ١٠٥ — ١٠٦ . وقال القاضي محمد الحجري : لأنها قرية من قرى همدان من مديرية آل سريع .

(٢) رسائل القمي ٥ : ٥ ؛ قال إدريس (عيون ٩٠/٧) : إن قتله كان يوم السبت الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٤٥٩ .

(٤) الكبسي : اللطائف ١٧ .

(٣) أنباء / دار ٤١ .

(٦) قلادة ٢/٢ ورقة ٦٠٠ .

(٥) قره ورقة ٢٣ .

هذا وقد اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي قتل فيها علي الصليحي ، كما اختلفوا من قبل في السنة التي تولى فيها . فقال بعض : إن قتله كان في سنة ٤٧٣^(١) ، وقال بعض آخر : إن ذلك حدث في سنة ٤٥٩^(٢) . والصواب هو الأخير ، كما ورد في الوثائق المعاصرة ، وهي السجلات المستنصرية . وقد جاء في السجل المؤرخ في شعبان سنة ٤٦٠ الذي بعث به الخليفة المستنصر إلى أحمد المكرم ما يفهم منه ذلك ، فقد أظهر فيه المستنصر أسفه الشديد على وفاة الصليحي ، ثم نادى بالمكرم ملكاً من بعده^(٣) ، كما جاء في السجل المؤرخ في جمادى الثمانية من سنة ٤٦١ الذي أنفذه المستنصر إلى المكرم على يد القاضي ملك بن مالك أن المستنصر خلع على المكرم لقب « أمير الأمراء »^(٤) . ويؤيد صحة هذا الرأي مقاله عمارة^(٥) : « إن قتله كان في يوم السبت الثاني عشر من ذي القعدة سنة ٤٧٣ ؛ وقيل سنة ٤٥٩ ؛ وهي رواية صحيحة » .

وقد رثاه الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي بقصيدة جاء فيها^(٦) :

وأنشأ الحجَّ إلى مكة يعني رضا الله وآل الرسول
وارتجت الأرض له خيفة بمن بها بين فرات ونيل
وقام بالجيش وأضرابه شمَّ العرانيين كرامِ الأصول
فصار في المهجم في عصابة من قومه غالتهم دهباءُ غول
كاللث في الغابة دبَّت له رقطاءُ ليلاً ذات شخص ضئيل
فإن يكن نيل على غرّة فالبدر لا بدَّ له من أفول

وقال الشاعر الحسين بن علي القمي على لسان الحرّة الزكية السيدة تحفة بنت محمد الصليحي في رثاء أخيها الملك علي بن محمد الصليحي^(٧) :

(١) كشف ٤٤ .

(٢) عيون ٨٨/٧ ؛ كفاية ٤٩ ؛ أنباء / دار ٤١ .

(٣) السجلات رقم ٤٠ . (٤) نفسه رقم ٤٢ .

(٥) عمارة / كاي ٢٢ . (٦) عيون ٩٢/٧ .

(٧) صورة شمسية من مخطوط المتحف البريطاني نمرة ٤٠٠٤ لديوان أبي عبد الله الحسين بن علي بن محمد القمي . وفي المخطوط « تحفا » ، وهو تحريف .

لعمري ما طارت، طيورى بأسمدي
وذكركنى فقدى لأسمدي إختونى
وقد قعد الأجاب بعد أحبتي
رزيت من الأملاك كل متوج
ملوك ترى الأملاك حول دسوتهم
أأبى علياً أم أخاه الذى فدى
أم الثالك اللاقى الحراب بنجره
فليله أسند صرعت بشعالب
وهون وجدى أنهم ما نخرموا
أمام الخيس الحور تخفق فوقهم

غداة دهثنى الحادثات بأسمدي
ملوك من الاستشهادين بسردي
وإن كان لامفقود مثل محمد
كثير غبار الجيش طلاع أنجد
صفوا عكوفاً من قيام وسجد
وأكرم مفدى هناك ومفتدى
وقد نهكت من كل أغيد أصيد
ولله أحرار أذيلت بأغيد
بغير الواضى والوشيج المقصد
لواء معد مرتضى آل أحمد (١)

نوهيد اليمن تحت لواء الصليحي

بعد عهد الملك على الصليحي فى تاريخ اليمن عهداً قل أن يوجد الزمان بمثله ،
وذلك لأن هذه البلاد لم تجتمع للملك واحد ، بل « كان الرئيس منهم إنما كان رئيساً
على مخرجه ومخرجه لا يجاوز ذلك ، فإن نزع عنهم نازغ ، أو نبغ منهم نابغ ، فتجاوز
ذلك وإن بعدت مسافة سيره من مخرجه ، فإنما ذلك منه من غير ملك له موطن ،
ولا آباءه ولا لأبنائه ؛ كذلك كان أمر ملوك اليمن ، كان الواحد منهم بعد الآخر
يخرج من مخرجه ومخرجه فيصيب مما يمر به ، ثم ينشمر عند خوف الطلب راجعاً
إلى مخرجه من غير أن يدين له أحد من غير أهل مخرجه بالطاعة ، أو يؤدى له

(١) الخور ، يريد به الخيل المسرعة ، يقال فرس خوار الضان ، سهل المطف لينة ،
كثير الجرى ، جمع خور (ل/خور) ؛ ومعد هو الخليفة المستنصر الفاطمى .

خراجا»^(۱) ، بخلاف مقام به الصليحي ، فقد تمكن من جمع اليمن كله تحت لواء واحد . ويرى عمارة^(۲) « أن هذا أمر لم يمهّد في جاهلية ولا في إسلام » ، وبين ذلك العرشي^(۳) بقوله : « ولم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ما وقع لعليّ بن محمد الصليحي فإنه استولى على اليمن سهله وجبله وشماله وجنوبه وشرقه في مسدة يسيرة بعد أن قهر ملوكه » . فهو لذلك لا يقل في نظرنا عن بعض القواد الفاتحين الذين لمع اسمهم على صفحات التاريخ بما أحرزه من انتصارات وما قاموا به من أعمال مجيدة وإن كان ذلك لمدة وجيزة .

الأسس التي بنى عليها الصليحي سياسته

وعد الصليحي الرعية بأن يسير فيهم سيرة الحق والعدل، وعمل على تحقيق هذه السياسة ما وجد إلى ذلك سبيلا، فبعد أن تم له الاستيلاء على جبل مسار - كما رأينا - كتب كتابا نشر بين أهل حراز وقفنا منه على أنه كان يرغب في إقامة المثل العليا في حياة الشعب ، ونفى عن نفسه التهم التي أشاعها عنه أعداؤه ، وبين أنه « لم يكن متجبرا ولا مبتدعاً في الدين ، بل متمسكا بحبل الله المتين ، وداعيا لأمر المؤمنين المستنصر بالله »^(۴) . ووعده أهل حراز بأنه سيكون معهم حسن السيرة والعاملة بما يرضى الله والرسول ؛ وإن قوله : « أنصف المظلوم وأقم الظالم » لا يقل في قوته عن قول أبي بكر في خطبته يوم بايعه المسلمون : « والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه »^(۵) . فهو وإن كان لا يقرّ أبابكر في خلافته إلا أن سياسته كانت مبنية على أصول قويّة متينة .

ولما تمكن الصليحي من إخضاع ابن جهور ، أمر بجمع أهل حراز في عبري

(۲) عمارة / كاي ۱۸ .

(۱) طبري ۱/۱۶۲ .

(۳) بلوغ المرام ۲۵ .

(۴) عيون ۸/۷ .

(۵) ابن هشام : سيرة ۳/۴۷۳ .

دعاس ، ونزل لهم بعد أن ترك في مسار من يحفظه ، وقام في الناس فخطبهم بخطبة بليغة ، أمرهم فيها ، بوجوب التمسك بحبل الله ، والامتثال لأوامر الإمام ، ووعدهم بحسن السيرة والسياسة إذا هم عملوا بما أمرهم به .

ولما تم له فتح مكة المكرمة - كما ذكرنا آنفاً^(١) - عامل الناس هناك بالحسنى واستمالهم بما كان معه من أموال جليلة ، ونشر العدل ، فأدب القبائل التي كانت تتعدى على الحجاج ؛ فطابت قلوب الناس هناك ، ورخصت الأسعار ولهجت الألسن بالدعاء له ، لما قام به من خدمات لحجاج المسلمين .

التفاف الأمراء والملوك حول الصليحي

وبتلك السياسة ازداد التفاف زعماء اليمن حوله وفضل كثير منهم الإقامة معه في مسار . فقصده عمران بن الفضل اليامي وعباس بن الكرم السنجاني ومن معهما من أتباعهما ، كما توجه إليه السلطان عامر بن سليمان الزواحي هو وأهله ، فأسكنهم معه في مسار ، وتجمع بذلك منهم جمع كبير أجرى عليهم النفقات الواسعة .

ولما دان له جميع اليمن ، بنى في عاصمته صنعاء قصورا وأسكنها الملوك والسلاطين تحت رعايته وفي ضيافته . ولما قام لأداء فريضة الحج سنة ٤٥٩ ، أخذ معه هؤلاء الملوك ، وهذا يدل من غير شك على مبلغ حرصه لإعلاء كلمة اليمن ورفع شأن اليمنيين في المؤتمر الإسلامي .

سياسته الإدارية

وبعد أن ثل عروش الملوك الغلويين على أمرهم ، وقضى على دويلاتهم المفككة ، ولى مكانهم ولاية يثق فيهم ، فولى الأمير أسعد بن شهاب التهاشم وزيد ، وكان هذا الوالى يحمل للملك على بعد صرف أرزاق الجند ألف ألف دينار كل عام ،

(١) انظر ص ٩١ .

ولعله كان يأخذ الخمس من أموال الناس وفقا للفقهاء الفاطميين^(١)، كما ولى القضاء معه الحسن بن محمد بن أبي عقامة التغلبي من علماء السنة. وكان الأمير أسعد بن علي ويقول: « قام الحسن بأموال الشريعة قياما يؤمن عيبه، ويحمد عيبه »^(٢). وولى أخاه السلطان عبد الله بن محمد الصليحي حصن التمكن^(٣)، وولى الحسين بن مهلهل حصن الأخرج^(٤)، وولى السلطان سبأ بن أحمد الصليحي حصن أشيخ^(٥)، وولى السلطان عبد الله بن يعلى حصن خدد^(٦)، واستعمل الأمير أحمد المكرم على الجند وما والاها .

ومن ذلك نرى أن كل هؤلاء الولاة كانوا من أنصاره المخلصين ، وليس هذا بغريب فإنه رأى في ذلك خير وسيلة لتنفيذ سياسته ، أو بعبارة أخرى إن هذه هي السياسة الوحيدة التي كانت تصلح لضبط أمور الدولة في تلك الظروف ، إلا أنها كانت فيما بعد من أسباب ضعف الدولة بعد أن تغلغل نظام الإقطاع فيها .

وكان الصليحي لا يألو جهدا في أن يجمع حكام هذه الأقاليم من آن لآن كلما سمع بأن بعضهم قد حاد عن الطريق السوي ، ويتوجه إليهم بالنصح تارة والوعيد تارة أخرى، رغبة منه في صلاح الرعية على أيديهم ، فهو يرى أن الله خلق الخلق بالحق ، فهو لا يقبل إلا الحق ، فجمعهم مرة في مسار وقال لهم :

« إن الذي بلغني عن قوم منكم هو يفض الله ووليه ، وأنا أغضب مما يفض الله . فمن كان مني لم يتعد شيئا من الدين ، ولم يتعرض لسخط رب العالمين ولم يخالف مولانا أمير المؤمنين . ومن لم يكن مني أخرجته من جماعتي ونفيته من بلدي ،

(١) أنباء/دار ٤٠ ؛ والمعروف أن الفاطميين كانوا يأخذون الزكاة ونحوها من الصدقات الشرعية والخمس فيما يجب فيها الخمس ، لأنهم كانوا يأخذون من أموال الناس مطلقا كما يفهم من بيان صاحب الأبناء .

(٢) باخرمة : قلادة ٢/٢ ورقة ٦٣٥ ؛ وكان الحسن ملقبا بمؤمن الدولة وكان عالما بارعا في كثير من العلوم وله مؤلفات كثيرة وقد ولى القضاء الأكبر أيام الصليحيين ثم أيام جيش بن نجاح (عمارة : النكت ٢/٢٨ ؛ الأصبهاني : خريدة ٢/ورقة ٢٨٢) .

(٣) قرعة ٢٤ . (٤) عيون ٨/٧ . (٥) نفسه ٥٤/٧ .

(٦) خريدة ٢/ورقة ٢٧٩ .

وأجريت عليه من الحكم ما يجرى على أمثاله من المعتدين». ثم قال: «لا أصدقكم حتى يلتزم كل داع بصلاح من تحت يده، ويضمن ما يجرى ممن كان في جهته. فمن كابر وعاند ورفع أمره إلى أنزلت به ما يستحقه»^(١)، كما حرم عليهم أن يتناولوا من مصالح دينهم ودنياهم شيئاً ولو صغيراً إلا بإذنه، فكان ولاته في الأقاليم كانوا يقومون بأمر الدين والدنيا، أي أنهم كانوا مكلفين برعاية من كان تحت أيديهم من الرعية في أقاليمهم. وكان هؤلاء الولاة يسرون في جهاتهم وفقاً لسياسة مرسومة وضعتها الملك عليّ، لتكون أساساً ومنهجاً يسير على هديه كل الولاة ويكون هو مرجعهم في كل ما أشكل عليهم. وكان يدعوهم إلى مسار ويجتمع بهم من حين إلى حين، «يذكروهم ويبصرهم ويقربهم ويدينهم ويصلي بهم ويتلو عليهم بعد الصلاة بعض ما تيسر من العلم والحكمة»^(٢).

من هذا نرى أن الملك عليّ بن محمد الصليحي حكم البلاد حكماً مطلقاً كما كان في العصور الوسطى في جميع البلاد، ولكنه كان حكماً مستنيراً، فكانت أمور الدعوة والدولة مركزة في شخصه، إلا أنه كان مقيداً بالمثل التي قررها لنفسه «من إقامة الحق، وإقرار العدل».

الناحية الدينية في عهده

أما الناحية الدينية في عهده، فإن علياً الصليحي ظهر على صفحة التاريخ داعياً متمسكاً بأهداف دينه، حريصاً على ما جاء في الكتاب والسنة، غير مكره لأحد في الدين. فلم يرخص لأحد مطلقاً في التهاون بشيء من فرائض الدين^(٣)، ولكنه مع ذلك اتهم كما اتهم الفاطميون من قبله بالكفر والخروج على الدين الإسلامي. ومن عجب أن يذهب بعض المؤرخين إلى أن الصليحيين كانوا يدينون بالإباحة وتعطيل الشرائع.

فيقول الفقيه الحمادي عن مذهبهم: «...إنه مذهب الراحة والاستباحة، يريح

(٢) نفسه ١٣/٧.

(١) عيون ١٢/٧ - ١٣.

(٣) نفسه ١١/٧.

أتباعه مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله ، ويبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله»^(١) .
ويقول في مكان آخر : « وكان الصليحي الملعون شهما شجاعا مقداما ، فحرم الحلال
وأحلّ الحرام ، وناقض بجهد الإسلام ، وأبطل الصلاة والصيام ، والحج إلى بيت
الله الحرام »^(٢) .

وكيف يكون ذلك وقد عرفنا ما قام به من أعمال جلية في مكة عند ما حج
سنة ٤٥٤ ؟ وكيف ننكر ما قاله الفاسي^(٣) : « فطابت قلوب الناس ورخصت
الأسعار وأمنت الحاج أمننا لم يعرف لهم مثل من قبل ، حتى إنهم كانوا يعتمرون
ليلا ونهارا وأموالهم محفوظة ، ورحالهم محروسة » ؟ وكيف ننكر كذلك
ما قاله ابن الجوزي^(٤) : « فردّ بنى شيبة عن قبيح أعمالهم وأفعالهم مع الحاج ،
وردّ إلى البيت من الحلي ما كان بنو الطيب الأشراف قد أخذوه لما ملكوا بعد
شكر ، وكانوا قد عروا البيت والميزاب » ؟ إن ما قام به عليّ الصليحي في الأراضي
المقدسة كسبه ثقة كثير من أهالي البلاد الإسلامية^(٥) ، وما جلبه من الأقوات
إليها جعل الألسن تلهج بالدعاء له في كل مكان^(٦) .

هذا ما قاله المؤرخون وهو من غير شك شهادة طيبة في حق الصليحي ،
ولكن بعضا يرمونه بالخروج والمروق حقدا وحسدا ، ايشوهوا سمته ، ولا يمت
هذا إلى الإنصاف بسبب .

إننا نستبعد أن يكون كلام المفرضين صحيحا ، لأن تاريخ الصليحيين لا يدلنا
على شيء مما ذكروا . فالصليحيون كانوا يتخذون الدين الإسلامي الحنيف ،
وولاءهم لأئمتهم الفاطميين بمصر ، وسيلة لنشر نفوذهم وتوطيد حكمهم في البلاد التي
أخضعوها لسلطانهم ، كما كان دأب الحكومات والسلاطين في العالم الإسلامي في
ذلك العهد ، في تملقهم وانتسابهم لخلافة بنى العباس لذلك الغرض . وكيف ننكر

(١) كشف ١٢ . (٢) نفسه ٤٤ . (٣) تحفة السكرام ١١٨ .

(٤) مرآة الزمان ١/١٢ - ورقة ٨٨ . (٥) الفاكي : المتقى ٥٤ .

(٦) العيني : عقد الجمان المجلد من ٤٢١ - ٤٥٦ ورقة ٢٢٦ .

ما قاله الصليحي نفسه لأهل حراز (۱): «... فلم أطلع مسار متجبرا باغيا ولا متكبرا على البلاد عاتيا... وإنما قيامي بالحق الذي أمر الله عز وجل به، والعدل الذي أنزل في محكم كتابه... إنما أنا متمسك بحبل الله المتين، عامل بما شرع الله في الدين».

ناسخ مع أهل السنة

وكان الصليحي يتسامح، كما كان الفاطميون بمصر يتسامحون، مع علماء السنة، حتى سمحوا لبعض فقهاءهم بإقامة شعائرهم ونشر تعاليمهم في المساجد. فقد قيل إنه في سنة ۳۸۳ وثب رجل جعفري للجلوس في الجامع الأزهر للافتوى على مذهب أهل البيت، فشغب عليه الفقهاء من أهل الجامع، فبلغ القاضي ذلك، فقبض على بعضهم (۲). وهذا النص يدل على أنه كان بالأزهر في عهد الفاطميين فقهاء يخالفون المذهب الفاطمي، ويفتون وفق تعاليم مذاهبيهم. فلما جاء هذا الفقيه للفتيا على المذهب الإمامي شغبوا عليه، فاضطر القاضي إلى إصدار الأمر بالقبض على بعضهم لا لشيء إلا لأنهم لم يتسامحوا مع هذا الفقيه كما تسامحت الدولة معهم.

وهذا يشبه إلى حد كبير ما كان في عهد الصليحيين. ويدلنا على ذلك ما ذكره صاحب الأنباء نقلا عن الأسيدي في تاريخه: «بلغني أن الصليحي لما استقرت في صنعاء كان ينادي باجتماع المصلين في المساجد، وشق عليه أمر صنعاء، وذلك أن المصلين كانوا إذا اجتمعوا في المساجد يذكرونه ويحتجون على ظلمه وجوره؛ وربما كفروه وسفروا عليه وعلى أهل رأيه. فتضرر بذلك، وأمسك أياها» (۳).

كذلك فعل أسعد بن شهاب لما دخل زيد سنة ۴۵۶ والياً عليها من قبل الصليحي، «فأحسن السيرة في الرعية وأذن لأهل السنة بإظهار مذهبهم» (۴).

(۱) عيون ۱۸/۷ .

(۲) الكندي: كتاب الولاية والقضاء ۵۹۴ .

(۳) أنباء / دار ۴۰ .

(۴) قرعة ورقة ۲۲ .

ونشير أيضا إلى وصية الصليحي لابنه الأمير أحمد المكرّم لما تركه نائبا عنه في البلاد حين عزم على الحج في سنة ٤٥٩ . فقد أوصاه « بتقوى الله في الجهر والسريرة ، والعمل بأعمال الشريعة ، وإقامة دعائمها ، والالتزام بأوامرها ، والانتهاز عن محارمها »^(١) .

ويعتبر ما قاله المؤيد في الدين الشيرازي داعي دعاة المستنصر في قصيدة له^(٢) من الأدلة الواضحة على تمسك أهل الدعوة بالتكاليف الشرعية :

فكيف شرع الأنبياء ندفعُ وما لنا إلاّ النبيّ مرجعُ
بنوره في الدرجات نرتقى^(٣) وبالكرام الكاتبين نلتقى
ياربّ فالعن جاحدى الشرائع وارمهمُ بأجمع الفظائع
والعن إلهي من يرى الإباحة بلعنة فاضحة محتاحة

وقد ساعدت هذه السياسة الدينية الدولة الصليحية إلى حدّ ما على حفظ الأمن في البلاد الخاضعة لها ، مع وجود المعارضة القوية لمذهبها الرسمي . فانصرف الناس إلى أمور معاشهم مظهرين ، وتخير المنافسون في مقاومة هذه الدولة التي أصبح لا يمكن مقاومتها ، بعد أن رأوا من حسن سياسة الملك على وتشدّده مع الخارجين على الدين الحنيف ، ورفع له لأهل العلم والفضل مهما تكن نحلّتهم ، وتساعده مع أهل المذاهب الإسلامية الأخرى . « فلم ينكر على أحد من مذهبها من مذاهب فرق الإسلام على تشعبها ، بل أقرّ كل امرئ على ما كان عليه »^(٤) .

الاهتمام بالسمر والشعراء

عزف الملك على الصليحي أن الشعر العربي يعتبر سلاحا ماضيا في خدمة الدولة ، وأنه من أهم وسائل الدعاية لها . فلم يشأ أن يترك هذا السلاح دون أن

(١) عيون ٧/٨٨ . (٢) القصيدة الأولى من د المؤيد / كامل حسين .

(٣) في الديوان : نرقى . والصواب ما أثبتته رعاية للوزن .

(٤) عيون ٧/١٦ .

يشهره على خصومه أو يستخدمه في الدفاع عن دولته والمباهاة بفضائلها والإشادة بذكرها . فلا عجب إذا رأيناه يجزل العطاء للشعراء كما كان يفعل العباسيون والفاطميون . ومن أشهر الشعراء الذين قرضوا الشعر في عهده عمرو بن يحيى الهيثمي ، والحسين بن عليّ القمي ، والحسن بن أبي عقامة ، وقد ذكرنا شيئاً من أشعارهم في مناسبات سبق ذكرها .

وكان الصليحي نفسه ممن يتذوقون الشعر ، فصيحاً بليغاً^(۱) . وقد روى عنه بعض الأبيات ، قالها في مناسبات . فمنها :

أَنْكَحْتُ بَيْضَ الْهِنْدِ سُمْرَ رِمَاحِهِمْ
فَرءَوْهُمْ عِوَضَ النَّارِ تِشَارُ
وَكَذَا الْمُؤَلَّا لَا يُسْتَبَاحُ نِكَاحُهَا
إِلَّا بِحَيْثُ تُطَلَّقُ الْأَعْمَارُ^(۲)

ويروى أيضاً أن الملك عليّ بن محمد الصليحي قال في وراخ الحصن المشهور :
ما اعتذارى وقد ملكت وراخاً

عن قراع العدا وقود الرّعال

وكانت له نفس طموح ، فأنشد على لسان حاله :

وَأَلَدُّ مِنْ قَرَعِ الثَّانِي عِنْدَهُ فِي الْحَرْبِ : أَلْجَمُ يَا غَلَامَ وَأَسْرَجِ
خَيْلٌ بِأَقْصَى حَضْرَمَوْتِ مَجَالُهَا وَصَهِيلُهَا بَيْنَ الْمَرَاقِ وَمَنْبِجِ

وكان الصليحي فوق ذلك « عالماً وفقهياً مستبصراً في علم التأويل »^(۳) ، كما كان خطيباً ممتازاً . وقد وقفنا على بعض خطبه التي ألقاها في أهل حراز وأنصار الدعوة ، وهي تبين مقدار بلاغته وقدرته . ولا يبعد أن تكون الخطابة قد بلغت مركزاً مرتفعاً في عهد هذه الدولة العربية .

(۱) بانحرمة : فلادة ۲/۲ ورقة ۶۰۱ . (۲) نفسه ؛ الأصبهاني : خريدة ۲/ ورقة ۲۷۹ .

(۳) عمارة / كاي ۱۴ و ۱۵ .

الباب الخامس

عهد الملك المكرم أحمد الصليحي

(٤٥٩ - ٤٧٧)

قيام المكرم بأمر الدولة

ظهر أبو علي أحمد المكرم بن علي بن محمد الصليحي الهمداني ملك اليمن على صفحة التاريخ ، واتصف بالشجاعة وكرم الأخلاق . وفيه يقول صاحب قلادة النحر^(١) : « كان المكرم ضخماً شجاعاً ، وفارساً مقداماً » . وقد منحه الخليفة المستنصر بالله لقب « المكرم » في سنة ٤٥٦^(٢) ، وأصبح ولياً لعهد أبيه بعد وفاة أخيه الأكبر محمد الأعز في هذه السنة . ثم أخذ يتدرّب على إدارة شئون البلاد ، حتى عزم والده على الحج سنة ٤٥٩ ، فتابه عنه في حكم البلاد ؛ وكان قبل ذلك استعمله على الجند وماجاورها من البلاد . ولما جاء الخبر بقتل أبيه الملك علي الصليحي في المهجم ، وأسر والدته الملكة السيدة الحرّة الصليحية أسماء بنت شهاب وغيرها من حرائر بني الصليحي ، والقضاء على خيرة رجال دولته على النحو الذي ذكرناه في الباب السابق ، وقع المكرم في حيرة ؛ وكاد يُقضى على صرح الدولة الصليحية قضاء مبرماً ، لأن أعداءها لم يقفوا عند هذا الحد ، بل أخذ المناقون ينقضون عهودهم حتى خرج أمر الصليحيين من كافة بلاد اليمن ، ولم يبق لهم إلا التمكّر ، وكان العبيد قد حاصروه ، كما حاصروا مالك بن شهاب الصليحي في حصن مسار . وتآمرت القبائل من كحلان وهرّان وعنّس

(١) ٢/٢ ورقة ٦٢٧ .

(٢) عيون ٧٦/٧ .

وزُيِّدَ ويُنْحَصَبُ على الصليحيين ، وامتدَّت العدوى إلى صنعاء نفسها حيث كان المكرّم يقيم مع جماعة من خالصاء أتباعه لا يزيد عددهم على ست مئة من الحجازيين .

فماذا يعمل المكرّم ؟ وقد أحاط به الأعداء وطمع فيه المنافقون ، وظهر الناس بمظهر العداء الواضح ، وغدا المكرّم في حرج . وأنى له أن يتخلص من هذا الأزق ؟ ولكن يمكن تعليل هذا الموقف بأمرين :

أولاً : أن أهل اليمن لم يألّفوا الخضوع لسلطان حكومة مركزية ، وقد تمكن على الصليحي من ضمّ بلاد اليمن جميعها تحت لوائه ؛ وأصبح ملكه يمتدّ من الحجاز شمالاً إلى حضرموت جنوباً ، كما تمكن من تلوّن عروش ملوك اليمن الأقدمين وكبح جماحهم وإقصائهم عن إماراتهم بجمعهم في صنعاء تحت مراقبته وتعيين ولاية يمن يثق بهم بدلا منهم . وما استطاع الصليحي في حقة وجيزة أن يغير عادة اليمنيين وهي استقلال الشعوب وانفرادها . وثانياً : أن خضوع اليمن كلها لسلطان الصليحي لم يكن عن رغبة من أهلها ، بل كان نتيجة للحروب والرهبة والقوة الفائقة والدهاء السياسي ، فكانت حالة الشعوب خضوعاً في الظاهر والقلوب لم يتمكن منها حب النظام وإطاعة أولى الأمر ، ورأوا أن في موت الملك علي بن محمد الصليحي فرصة تمكنهم من العودة إلى ما كانوا عليه قبل تملكه من دويلات وإمارات وولايات مستقلة .

لذلك قرر المكرّم قتال هؤلاء الذين خرجوا عن حظيرة دولته مع علمه بأن هذا الخروج كان من معظم الأمراء والرؤساء والقبائل ، ولكن صدق عزيمته ذلك هذه المصاعب . ولما استعرت الأرض حول المكرّم ناراً ، كان لا بد له من معالجة هذه الحالة التي لم تر الدولة الصليحية مثلها ، فاستمدّت مما سمّيه شجاعة اليأس قدراً ، وأخذ يشجّع من ظلّ من أصحابه على الولاء وملاقة الصعاب . وقد صور صاحب العيون هذا الموقف بقوله^(١) : « .. وكان المكرّم يثبت أصحابه على الدين ،

(١) عيون ٧/٩٣ .

ويذكرهم بما وعد الله به عباده الصابرين ، وبما ابتلى به مواليه الطاهرين ، ويتلو ما أنزل الله في كتابه المبين : ألم . أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ .

واستطاع المكرم وأعوانه أن يرفعوا عن صنعاء الحصار وتتبعوا الأعداء ، فانتصروا في ناحية حضور انتصارا تنفّسوا بعده نسيم الأمل ، « وحارب الأعداء في كل مكان ، والله يعطيه النصر ويبسط يده عليهم »^(١) .

قواد المكرم وانتصارهم

وكان هذا النصر مشجعاً لأنصار المكرم على الاستماتة في الدفاع عن كيانهم . فانتصر قائده إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي بجمعة كُحلان وهران . وأخذ هذا الجوّ الظلم الذي أحاط بالدولة يصفو ، وبدأت هذه الشدة التي حاقت بها تنقشع تدريجياً بفضل شجاعة المكرم وحسن بلائه ، وبسالة جيشه العربي وقواده الأبطال .

وبينما كان المكرم يستعد لتابعة الأعداء وتحرير البلاد من المنافقين ، كان قواده عامر بن سليمان الزواحي ومدافع بن حسن الجنبي وعمران بن الفضل الياهي والحسن بن عمر السنحاني وغيرهم في طريقهم إلى مكة لأداء فريضة الحج مع الملك علي بن محمد الصليحي^(٢) ؛ ولكنهم قفلوا راجعين إلى صنعاء عندما سمعوا بقتل ملكهم في المهجم ، وقد لاقوا في طريقهم صعاباً كثيرة من الأعداء ، « فأوقعوا في طريقهم سبع عشرة واقعة ، في كلها يمنحون النصر على من عاداهم ، والظفر بركة مولاهم »^(٣) .

وصلوا إلى صنعاء في وقت كان المكرم في مسيس الحاجة لنجدتهم ، فكان

(١) رسائل القمي ٤٩ .

(٢) عيون ٩٣/٧ .

(٣) رسائل القمي ٥٠ .

فرحه بوصولهم عظيماً ، حتى إنه خرّ ساجداً لله شكراً على وصولهم . « فلما اجتمعوا به توأصوا بينهم بالصبر على قتل الباغين المفسدين ، والحماية والجهاد عن الدين ، وتوأصوا ألا يطالبوا الملك المكرم بدينار ولا درهم ، حتى يظفر بالعبيد ، وينال منهم ثأره بمدينة زبيد ، وتماقدوا على ذلك وتماهدوا الله سبحانه » (١) .

من هذا نرى أن المكرم أخذ يلتفت حوله قوّة من أنصاره ، وأصبح لزاماً عليه أن ينظم هذه القوّة ، ومما لاشكّ فيه أن هذا التنظيم يقتضى الكثير من التدبير وإعمال الرأي ، حتى يتمكن بهذه القوّة اليسيرة من إعادة الخارجين عليه إلى صوابهم ، ويأخذ بثأره من النجاحيين بتهمته . وقد أحسن المكرم التدبير ، ورأى بمساعدة خلصائه أن وجود والدته الملكة السيدة أسماء أسيرة في يد سعيد الأحول عدوهم الألد لا يمكن السكوت عليه . أصبحت هذه الصورة القائمة مرسومة في مخيلة المكرم تحزّ في نفسه وتقض مضجعه ، وقد انعكست هذه الصورة في نفوس أصحابه المخلصين ، فأصبحت نار الغيظ تأكل أكبادهم وتشجذ قرائحهم ، وتؤجج نفوسهم العربية الأبية . ولكن ما العمل ، وعوامل الاضطراب محدقة بدولتهم في الداخل وفي الخارج ، والفتن والثورات منبعثة في كل أرجائها ؟ فقد شقّ عليهم عصا الطاعة كل منافق مخادع ، وأصبح نفوذهم إلى الزوال أقرب . لذلك رأوا من الصواب كبح جماح كل من حدثتهم أنفسهم بالخروج عليهم ، والضرب على أيدي المنافقين ، وتطهير البلاد من الفتن والثورات وإعادة الأمن إلى نصابه ، ثم التوجه إلى الأخذ بالثأر .

فأرسل المكرم قائده عامر بن سليمان الزواحي إلى بلاد حمير وإلى مغرب اليمن لإصلاح الفساد . وقد جاء إليه أهل هذه البلاد طائعين ، ولكن القائد الزواحي قاتل المنتفضين قتالاً شديداً ، وتبهمهم في السهيل والوعر . وفي يوم السبت العاشر من شهر ذي الحجة سنة ٤٥٩ وصلت كتبهم إلى الملك المكرم مستجيرين (٢) . وجاءه بعد ذلك كتاب من قائده إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي يخبره

(١) عيون ٧/٩٤ ؛ رسائل القمى ٥١ . (٢) عيون ٧/٩٤ .

بانتصاراته على أهل بخصب ورعين بجهة كحلان وهران وأنهم دانوا له بالطاعة بعد حرب سجال^(١). فسرّ المكرم كثيراً ، وبدأ الروح المعنوي يدب في نفوس جنوده ، واتخذ من هذا النصر وسيلة لدفعهم لنصر آخر ، فذكرهم بما وعد الله به عباده الصابرين من النصر ولو بعد حين .

وقعة الملوي

وبينما كان المكرم وكبار رجال دولته مشغولين باتخاذ الأهبة لحفظ كيانه دولتهم وتخليصها من سطوة أعدائهم ، وإعادة ما تحت يد الأعداء من البلاد ، ظهرت في الأفق سحابة غطت هذا الجوّ برهة من الزمن ، وشغلت المكرم وأعوانه عن متابعة الأعداء ؛ تلك هي الحركة التي قام بها الأمير الداعي حمزة بن أبي هاشم بن عبد الرحمن بن يحيى الحسني^(٢) في سنة ٤٥٩ ، بعد أن التفّ حوله فريق من الناس بابعوه على القيام بدعوته . فقام هذا الداعي متحلياً بالتوحيد مدّعياً الإمامة ، وسمّى نفسه بأمر المؤمنين . فجمع إليه كثيراً من القبائل فصاروا حزباله وحرباً للصليحي ، وزحف إلى صنعاء ومعه خمس مئة فارس وخمسة عشر ألف راجل من همدان وغيرهم^(٣) إلى أن بلغ الملوي^(٤) .

(١) عيون ٧ / ٩٤ .

(٢) هو حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله (أخو الإمام الهادي يحيى) بن الحسن بن القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان قيامه بالدعوة في سنة ٤٤٩ ، وقاته في سنة ٤٥٩ ، ومشهده في بيت الجالد من بلاد أرحب (أبناء / دار ٤٠) وإليه ينسب الحزرات .

(٣) يقول إدريس في العيون ٧ / ٩٥ : « وكان مع الشريف ثمانية آلاف راجل وعدد كبير من الخيل . وكان أصحاب المكرم لا يزيدون على ألف راجل . ويقول صاحب الأنباء / دار ٤٠ : « وكان عدد جيش حمزة ثمانية آلاف وجيش علي الصليحي ألف وخمس مئة فارس وخمسة عشر ألف راجل » . ويظهر بعده عن الحقيقة ، ذلك لأن الداعي حمزة قتل في ٢١ ذي الحجة سنة ٤٥٩ ، وكان مقتل الملك علي بن محمد الصليحي قبل ذلك ، فكان في يوم ١٢ ذي القعدة من نفس السنة ، فتشابه علي صاحب الأنباء وصاحب المقطف ٦٦ أن قتل حمزة حدث في عهد الملك علي بن محمد الصليحي ، والصواب ما جاء في العيون ٧ / ٩٥ .

(٤) الملوي في بلاد أرحب ، ومشهد الشريف حمزة في بيت الجالد على مقربة من الملوي .

وفي هذه الأثناء أرسل المكرم إلى قائده عامر بن سليمان الزواحي يذعوه من المغرب ، فوصل في صبيحة الثلاثاء التاسع عشر من ذي الحجة سنة ٤٥٩ في خمس مئة من حمير ، وخرج من صنعاء برفقة القائد أحمد بن المظفر الصليحي وجماعة من العسكر ، وذلك في صباح يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي الحجة من نفس السنة . فوافقوا الداعي الشريف بالملوى في يوم الجمعة ، ووقع القتال بين الطرفين ، وكاد النصر يفلت من أنصار الملك المكرم ، ولكن الدائرة دارت على الشريف وأصحابه الذين ولوا هاربين تاركين الشريف وابنه ، فقتلا مع زعماء القبائل من أهل عسكرها . ويقول إدريس^(١) : « فأنجحت الموقعة إلا عن ثمان مئة قتيل من أصحاب الشريف » .

وفي هذا النصر ، وفيما كان من أمر يحصّب ورعين ، قال الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي^(٢) :

لك الله ، ذا السيفين ، يكلاً ناصرٌ

فجذبك بعد الأوحذ الملك قاهرٌ

فزع الفتن في حراز وبلاد بكيل

وكان الأعداء يترقبون نتيجة هذه الفتنة ويرجون لها النجاح . فلما انقشمت هذه السحابة ، عاد المكرم وأتباعه إلى التفكير في تصفية موقفهم مع أعدائهم ، ولم يروا من الحكمة أن يحاربوا النجاشيين في زبيد قبل أن يثبتوا أقدامهم في البلاد المجاورة المحيطة بصنعاء ، ويأخذون الأمان من جميع القبائل التي يخشون خروجها في غيبتهم عن بلادهم . لذلك أرسل المكرم من قواده : أحمد بن المظفر الصليحي وإسماعيل ابن أبي يعفر الصليحي وعامر بن سليمان الزواحي إلى حراز ، وكان كبار أهلها لا يزالون يدينون بالطاعة إلى سلطان الصليحيين ، على حين كان الدهاء منهم يحاصرون حصن مسار حيث كان به مالك بن شهاب الصليحي . وفي طريقهم إلى

(١) عيون ٩٥/٧

(٢) نفسه ٩٦/٧ وهي قصيدة طويلة .

هذا الحصن واقام من قبائل مجيِّح وكرار^(۱) وقدموا فروض الطاعة . وتقدم القواد إلى حصن مسار فاستولوا عليه ، واقام عسكرهم ثمانية أيام في حراز ، لم يتركوها إلا بعد أن أخذوا اليهود على من حولها من القبائل . ثم نهضوا لمحاربة بكيل ، وكانت شوكتهم على المنابذة قوية ، وصولتهم على المحاربة شديدة ، وشدتهم على الجلال عتيدة ، وآمالهم في الضلال بعيدة^(۲) . وقد بلغ جيش المكرم بكيل في أول المحرم سنة ۴۶۰ ، وأمر القواد جندهم بالكف عن القتال في ذلك اليوم . وأخذوا يرسلون بكيلا وبلاطفونهم ، فأبوا إلا اعتوا واستكبارا . فلما حان وقت الظهر هبطت بكيل للقتال ، ونشبت المعركة ، وحى وطيس القتال ، وكانت الدائرة على بكيل ، فقتل منهم ثلاث مئة وعشرون رجلا من بينهم كثير من رؤسائهم وأولى النجدة منهم^(۳) . وبعد أن استقرت الأمور في هذه الجهات عاد القواد الثلاثة في شهر صفر إلى صنعاء غامين ظافرين .

واقعة ذى أشرق

وفي هذه الأثناء انتهز بنو نجاح فرصة انشغال جيش المكرم في إخضاع بكيل ، وأغار بلال وأبو الفتوح ابنا نجاح بمساكر عديدة من العبيد وأهل تهامة على أسعد بن عبد الله الصليحي في حصن التمكنر ، ووقع بين الطرفين قتال شديد دارت الدائرة فيه على العبيد بنى أشرق بن قري المخلاف^(۴) ، فولوا منهزمين ، وغنم أصحاب الصليحي أموالا كثيرة ، ونجا بلال وأبو الفتوح بعد أن نظرا القتل عيانا^(۵) .

قيام المكرم لحرب العبير

لما ثبتت قدم الدولة الصليحية نوعا بعد القضاء على الثأرين والمنتقضين واستقرت

(۱) ذكر الهمداني مجيِّح وكرار من أسباع حراز (صفة ۱۰۵)

(۲) رسائل القمي ۵۲ .

(۳) عيون ۹۶/۷ - ۹۷ .

(۴) رسائل القمي ۵۳ ؛ وذو أشرق معروفة عامرة تابعة لمديرية ذى سفال على مقربة من

جبله ويشرف عليها من شمالها الغربي حصن التمكنر .

(۵) عيون ۹۷/۷ ؛ رسائل القمي ۵۴ .

الأمور في صنعاء وما حولها من المخاليف ، عوّل المكرّم على السير إلى زيد .
 واتفق في هذه الأثناء أن بلغه في شهر صفر سنة ستين وأربع مئة من أمه الملكة
 أسماء كتاب لطيف^(۱) . وقد احتالت بإيصال الخطاب إلى سائل وجعلته في رغيّف .
 فلما كسر السائل الرغيّف وجد الكتاب ، فأوصله إلى المكرّم ، وفيه له تنكيف^(۲) .
 وقد وجد المكرّم في هذا الكتاب خير مثير لحفاظ العرب ، فجمع الناس وأوقفهم
 على ما تضمنه كتاب أمه السيدة الحرة ، فضجوا بالبكاء^(۳) . ولم يزل المكرّم يخطب
 الناس في كل مكان ، ويقول لهم : « من يكن يرغب في الحياة فلا يكن معنا »^(۴) ،
 إلى أن صفا له من الخلصاء عدد غير كبير ، فخطبهم وعرفهم بأنهم سيقدمون على
 الموت ، فمن أراد الرجوع فليرجع . كما اتفق عند مسيره أن وصل عمران بن الفضل
 اليامي وحسين بن عمرو السنحاني ومنصور بن محمد اليامي في جماعة كثيرة من العرب .
 فانضموا إليهم وخرجوا قاصدين العبيد في زيد يوم الجمعة التاسع عشر من شهر صفر
 من نفس السنة ، كما انضم إليهم أحمد بن المظفر الصليحي وعامر بن سليمان الزواحي
 والحسين بن عمرو السنحاني وأبو الحسين بن مهلهل بن الدعام ومدافع بن الحسن الجنبي
 ومحمد بن علي اليامي . وأمر المكرّم بالألا يسير في عسكره إلا كل من آنس في نفسه
 البأس والصبر على الآلام وآثر الموت على الحياة ورضى بالشهادة . وترك المكرّم في
 صنعاء إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي نائباً عنه ، ومعه جماعة من أهل الحجاز وأهل
 حجاز . وقد أخذ قبل خروجه العهود والمواثيق على الشريف القاسم بن جعفر
 ابن الإمام المنصور القاسم العياني^(۵) وعلى أخيه ذي الشرفين محمد بن جعفر ،

(۱) قالت فيه : إنها قد صارت حاملاً من العبد الأحول ، ولأنه من الواجب أن ينقذها
 قبل أن تقع الفضيحة والعار ، كما رواه عمارة / كاي ۲۳ . وقد ذكر صاحب الأنباء / دار ۱ ؛
 أن العبد لم يتصل بها وأن هذا لم يحدث .

(۲) عيون ۹۷/۷ ؛ وفي كفاية ۵۰ قال : نلظفت إلى رجل مشرق فرمت إليه برغيّف
 وفيه كتاب لطيف إلى ابنها المكرّم . (۳) عمارة / كاي ۲۳ . (۴) قرّة ورقة ۲۳ .

(۵) الشريف القاسم هو بطل الهراية (انظر ص ۸۲ — ۸۳) الذي أكرمه الملك علي
 الصليحي وأبقاه لديه في صنعاء نحو عامين . وسار الشريف بعد ذلك إلى مكة فأقام بها سبع سنين ،
 ثم عاد إلى اليمن ، وأقبل على أعمال الزراعة وقتله بعض أهالي نهم في سنة ۴۶۸ (مقتطف ۱۱۲) .

وأحسن إليهما وأمر للشريف بكسوة فاخرة ودنانير كثيرة ؛ وعاهداه على الطاعة وعدم الغدر في غيبته فشكرهم على ذلك^(١) .

وخرج المكرم من قرية العمدة^(٢) في يوم الأربعاء لست بقين من شهر صفر في عشرة آلاف راجل وفارس^(٣) - «وهو أكرم عربي تمشى به الخيل»^(٤) - وخطبهم ووعظهم ، فقال : «إننا لم نزل لعرض من الدنيا نصيبه ، ولا مال نخزنه ، ولا شيء نذهب به من متاع الدنيا ، سوى إدراكنا ثأرنا من هؤلاء العبيد ، واستنقاذ حريمنا ، لا لقصده إضرار بأحد من الناس ، ولا لتغيير شيء مما يملكون ، ولا تمد على زروعهم ومواشيهم ونحن في طريقنا . . . وقد رجوت أن تكون سيرتكم جميلة ، ولكم حسن الأحدثة ، وحميد العاقبة . . . ولا تتعدوا على أحد في طريقكم ، إلا من وتركم ونال منكم»^(٥) .

وهذه الوصية تكشف عن فروسية المكرم وشهامة أخلاقه ، كما تبين لنا أنه أراد أن يثار لنفسه وقومه ، وينقذ والدته الملكة ، فهي جنده عن الأمور التي تخل بالنظام وتسيء إلى سمعته ، ورجا ألا يكون تعدي جندي سببا في إثارة سخط الأهلين عليهم^(٦) .

ثم قام المكرم فخطب جنده خطبة بليغة ، قال فيها : «أيها المؤمنون ، لا أريد

(١) عيون ٩٨/٧ ؛ وبالرغم مما بذل الملك على الصليحي وبالمك المكرم من الجليل نقض الفاضل الشريف تهوده (انظر ص ١٢٧) .

(٢) انظر ص ١٠٢ ، هامش رقم ١ .

(٣) قال ابن الديلم في قررة ورقة ٢٣. وفي بغية ورقة ١١ : « إن عدد جيش المكرم كان ثلاثة آلاف فارس غير المشاة » . وخالفه صاحب الأنباء/ دار ٤١ فقال : « إن جيشه كان يتكون من عشرين ألف حربة » . واتفق الاثنان على أن جيش الأحوال كان يتكون من عشرين ألف حربة . وفي عيون ٩٩/٧ قال : « إن عدد جيش المكرم كان عشرة آلاف بين فارس وراجل » ، وقد أثبتنا رواية الأخير .

(٤) عمارة/ كاي ٢٤ .

(٥) عيون ٩٧/٧ .

(٦) وكانت سيرة المكرم متمشية مع سيرة السلف الصالح . فالخليفة أبوبكر ، لما أوصى الجيش الذي أرسله بقيادة أسامة بن زيد لحرب بني غسان ، قال للجند : « . . . لا تخونوا ، ولا تغفلوا ، ولا تغفلوا . . . ولا تغفروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مشمرة (الحضري : محاضرات ١٧٣/١) .

منكم اليوم غير ما سمعتموه مني بالأمس وفيما قبله ، وفيما قلته كفاية ، وقد كنت أعرض عليكم الرجوع وفي المسافة إمكان ؛ فأما اليوم فقد صار الخيار إلى عدوكم لأنكم توغلتم عليه ، وإنما هو الموت أو العار بفرار لا يجدي»^(۱) ، واثقل بقول المتنبي :

وأوردُ نَفْسِي وَالْمَهْنَدُ فِي يَدِي

مَوَارِدَ لَا يُصْنِدِرْنَ مِنْ لَا يُجَادِلُ^(۲)

ثم وطىء المكرم وجنوده تهامة من شرق زبيد ، فقصدوا قرية التريبة ، ودخل مسجدها يوم الجمعة عند طلوع الفجر . وكان الشيخ الزاهد محمد بن علي من أهل القرية قد صلى الصبح ، ووقف يتلو حتى بلغ في الختمة إلى سورة البروج أو الطارق ، وإذا هو بفارس ركز رمحاً وأسنده إلى الجناح الغربي ، ثم قام إلى جانبه فصلى . قال الشيخ : « ما رأيت شخصاً في ولد آدم أمّ منه خلقة ولا أحسن منظراً ، وروائحهم روائح الملوك » . ولم يلبث الصباح أن تجلى ، وكان المكرم واقفاً عنده ، حتى ختم ودعا وأمن هو ومن معه على الدعاء ؛ وإذا الخيل قد أقبلت عند طلوع الشمس أرسالا ؛ وكل رعييل منهم يسلم ويقف ، وكان تحيتهم له : أنعم الله صباحك ، مولانا ، وأدام عزك ! ولا يزيدهم على الردأ كثراً من قوله : مرحباً يا وجوه العرب ، إلى أن تكاملوا ثم خرجوا من المسجد فركبوا خيولهم وقصدوا باب الشبارق^(۳) ، وهو الباب الشرقي من زبيد

واقعة زبيد

وحيث دنا المكرم من زبيد عسى جيشه فكان هو وأحمد بن المظفر الصليحي

(۱) عمارة / كافي ۵۴ - ۵۵ .

(۲) كفاية ۵۰ ؛ بغية ورقة ۱۱ .

(۳) يوجد بالسور الذي بناه سيف الاسلام طفتيكن بن أيوب حول زبيد سنة ۵۸۹ أربعة أبواب : اشترقي ويسمى باب الشبارق وينسب إلى القرية التي يطل عليها هذا الباب . والباب الثاني يتجه إلى الشام ويسمى باب سهام لأنه ينفذ إلى وادي سهام وهو وجه المدينة وغرتها . والثالث إلى المغرب ويسمى باب النخل وكان يسمى باب غلافة وهو ينفذ إليها . الرابع ويسمى باب القريب وينفذ إلى وادي زبيد ثم إلى قرية القريب (بغية ورقة ۷ - ۸) .

وعاصم بن سليمان الزواحي وأبو الحسين بن مهمل والحسين بن عمرو السنحاني في القلب ، ومعهم قبائل تهذ وسنحان وحمير . وكان عمران بن الفضل اليامي ومدافع بن الحسن الجنبي ومحمد بن علي اليامي في قبائل همدان من يام وجنب وسواهم في الميمنة . وكان مالك بن شهاب الصليحي في الميسرة ومعه الخرازيون . ثم أقبلوا على العبيد ، وهم صاقون علي باب الشبارق ، وكانوا ستة كراديس ، وعدددهم ثمانية عشر ألفا ، وهم مثل العارض الأسود^(١) .

تقابل الجيشان في يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ٤٦٠ . وقد قاتل سعيد الأحول وجيشه قتالا شديداً حتى انطوى عليهم الجناحان ، فانكسر جيشه كسرة شنيعة ، وهزموا شر هزيمة^(٢) ، فجالت عليهم الخيل جولة واحدة فانطحنوا طحن الرحي وآتى القتل على أكثرهم^(٣) . وكان سعيد الأحول قد أعدّ خيلاً مضمرة على الباب الغربي المسمى بباب النخل ، فسار مع من سلم من خواصه إلى البحر ، وقد أعدت له سفن هنالك ، فركبها من فورهِ ، وسار نحو جزيرة دَهْلِك^(٤) . وكان سبب نجاته انشغال المكرم ومن معه في الوصول إلى والدته الملكة السيدة أسماء . « فلم يتبع العبد أحد ، ولا أقيم له في ذلك صدٌّ »^(٥) ، ودخلت العرب زبيد عنوة ولم يزل القتال إلى صلاة الظهر^(٦) .

نخب من الملكة أسماء أم المكرم من الأسر

وكان المكرم أول من وقف تحت الرأسين المصلوبين تحت طاقة الملكة أسماء بنت شهاب . فقال لها المكرم وكانت لا تعرفه : « أدام الله عزك يا مولانا ! »

(١) وفي عيون ٩٩/٧ وصف تنظيم جيش الحبشة ، فقال : « وكردوس ميمنة ، وعن عينه كردوس أردفوه به ، وكردوس ميسرة ، وعن يساره آخر ، وكردوس قلب ، وكردوس آخر جعلوه كميناً في الحائط » .

(٢) رسائل القمي ٥٥ .

(٣) كفاية ٥٠ .

(٤) باخرمه : نثر عدن ٨/١ .

(٥) رسائل القمي ٥٧ .

(٦) عمارة/كاي ٢٥ ، قال : ظهر يوم الاثنين ١٩ صفر سنة ٤٦٠ .

فقلت : « مرحباً بأوجه العرب » . ثم سألته من هو . فقال لها : « أنا أحمد بن علي بن محمد » . فقلت : « إن أحمد بن علي في العرب كثير ، فاحسري عن وجهك حتى أعرفك » . فرفع المغفر عن وجهه^(۱) . فقلت : « مرحباً بمولانا المكرم ! من كان بجيئه كمجيئك فما أخطأ ، ولا أبطأ » . ثم دخل رؤساء العرب فسلموا عليها ، وقد كشفت عن وجهها ، وكانت هذه عادتها في أيام زوجها لسوء قدرها عمن يحتجب عنه النساء^(۲) . وقد نزل المكرم عن ظهر جواده ، وسجد لله شكراً على ما أحرزه من نصر ، وعفر خده في التراب ، وأحرق الدار التي استعصم بها العبيد^(۳) .

سيرة المكرم في الحرب والسلام

ولما دخل المكرم زبيد لم يجعل لأحد سبيلاً إلى حريم بني نجاح وأطلق من وقع في أيدي المسكر من أولاد العبيد . وقد يكون راعى في ذلك ماسار العبد من سيرة سليمة أثناء اعتقال الملكة أسماء وحرائر آل الصليحي . وقال عمارة^(۴) : « ونادى منادى المكرم يومئذ برفع السيف بعد الفتح وقال للجيش : اعلموا أن عرب هذه البادية يستولدون الجوارى السود فالجلدة السوداء تم العبد والحرب » .

وهنا نقف لتساءل : لماذا لم ينتقم المكرم لأبيه وعمه وأهله بالفتك بهؤلاء الذين وقعوا أسرى في يده ؟ . عرف عن المكرم كما عرف عن أبيه من قبل حسن السيرة في الرعية ، وقد تمسك بهذه الصفة لأنه وجد فيها الخير كله ، وكان يرى أن إدراك انثار ليس في الفتك بالأسرى ، بل إنه اكتفى بتخليص أمه وأقاربه ، وآثر أن يعامل الناس بالحسنى حتى يملك القلوب والأنفس ، كما ملك مشاعر الناس بانتصاراته ، فبر بوعده الذي أخذه على نفسه أمام جيشه ، فلم يرم من وراء ذلك إلا إلى تخليص أمه ، ولم يكن غرضه انتهاك الحرمات وإثارة الفتن ، فكبت

(۱) في تلك الحالة أصابه اهواء فارتعش واختلجت بشرة وجهه وعاش عدة سنين وهو ينتفض رأسه وتتحرك بشرة وجهه (عمارة/ كاي ۲۵ ؛ كفاية ۵۰) .

(۲) عمارة/ كاي ۲۶ ؛ كفاية ۵۰ .

(۳) عيون ۷/ ۱۰۰ .

(۴) عمارة/ كاي ۲۶ .

بذلك الفتنة في نفوس الأعداء ، وأطلق الألسن تلهج بالثناء عليه ، واشتهر أمر المكرم بما أظهره من ضروب الشجاعة وعلو الهمة . قال عمارة^(١) : « أدركت أهل زبيد إذا شتم السوق صاحبه وقيل له أتشم الرجل . فيقول الشاتم : الرجل والله هو الذي أخذ أمه من زبيد وقتل من الأحباش عشرين ألفاً دونه ، لعمرى هذا هو الرجل » . وهذه الأقوال تبين لمقدار مركز أحمد المكرم الصليحي في نظر اليمنيين ، لأن انتصاره على النحو الذي ذكره التاريخ أكبر وأعلى من جبروت المنتصر على عدوه ، وساعد على تثبيت مركز دولته ؛ فأحبته الموالى والمعاد ، وآثروا الخضوع إليه ، لا خوفاً من قوة بطشه ، بل رغبة في شهامته ، وقال الناس فيه : « والله الذي سماه ذا السيفين لحكيم » .

وقبل أن يغادر المكرم زبيد نقل الرأسين^(٢) من مكانهما وبني عليهما مشهداً . وفي ذلك قال عمارة^(٣) : « وأنا أدركت مشهد الرأسين » ، كلفه أقيم أياماً مهد فيها قواعد البلاد ، وأقام رسم الدعوة الهادية على العادة الجارية^(٤) .

عودة المكرم الى صنعاء

وفي يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ستين وأربع مئة خرج المكرم من زبيد يريد متابعة العبيد الهاربين ، لولا أن وصل إليه في هذه الأثناء من إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي عامله بصنعاء كتاب يذكر فيه أن الشريف قاسم بن جعفر العياني نقض العهد ، وأنه اتخذ من تغيب الجيش فرصة للانتفاض على صنعاء ، كما جاء في هذا الكتاب أن الوالى إسماعيل هذا قد اشتد عليه المرض ، وأن الحجازيين وأهل حراز قد وقع بينهم النزاع وساءت العلاقات . فخاف المكرم أن ينال المخالفون من صنعاء ما سولت لهم أو هامهم . فخف مسرعاً

(١) عمارة / كاي ٢٦ .

(٢) رأس على الصليحي وأخيه عبد الله نقلهما من أمام دار شجار بزبيد إلى مكان الدفن في صنعاء .

(٣) عمارة / كاي ٢٦ .

(٤) رسائل القمى ٢٦ .

للمودة ومعه أمه الملكة أسماء والحرار الصليحيات . وفي رجوعها إلى قصرها بصنعاء وخلصها من الأسر قال الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي (١) :

أَوْبَةُ أَسْمَاءَ إِلَى قَصْرِهَا بَعْدَ فِرَاقِ الْمَلِكِ الْأَوْحَدِ
وَبَعْدَ عَوَصَاءِ الْخَطُوبِ الَّتِي رَمَتْ بَنِي قَحْطَانَ بِالْمُؤِيدِ (٢)
كَرْجَمَةِ الشَّمْسِ وَقَدْ جَنَّهَا دَجْنٌ وَسُرْبَالٌ دُجِيٌّ (٣) أَسْوَدِ
فِيهَا مِنْ نَعْمَةٍ أَصْلَهَا بَأْسَ ابْنِهَا بَنِي الْعُلَى أَحْمَدِ

ومن هذه الحروب نلاحظ ظهور الروح الوطني واضحاً جلياً عند العرب فأخذوا يثيرون حماسة العرب على العبيد . وكان الأقباش يشعرون بأن العرب لن يتركوا ثأرهم . يتضح هذا من خطاب جياش بن نباح لأخيه سعيد الأحمول بعد قتل علي الصليحي ينصح له أن يفك أسر السيدة الملكة أسماء بنت شهاب ويردها إلى ابنها المكرم ، قتل علي الصليحي ويعفو عن بقية آل الصليحي ، ويكتب للمكرم ما معناه : «إنا أدركنا ثأرنا، واسترجعنا ملكنا، وقد أحسنا إليك وجلناك بصيانة والدتك والمعفو عن بني عمك» ، وإن فعل ذلك لم ينازعه أحد في ملك تهامة أبداً ، وإن خالفه أغارت عليه قبائل العرب وطلبت بثأرها . فلم يجبه أخوه إلى طلبه وتمثل بقول الشاعر :

لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَرَسْمَهَا

إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاتَّبِعْ رَأْسَهَا الذَّنْبَا (٤)

وفاته إسماعيل بن أبي يعفر والي صنعاء

وصل المكرم إلى صنعاء ليلة السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ستين وأربع مئة ، فوجد الوالي الأمير إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي قد اشتدت علته ، ولم يمهل المرض غير عشرة أيام ، ثم وافاه الأجل . فحزن المكرم لفقدته ،

(١) عيون ١٠١/٧ .

(٢) المؤيد الداهية الشديدة .

(٣) الدجى جمع دجية وهي ظلام الليل .

(٤) العرشى : بلوغ المرام ٢٥ — ٢٦

لأنه كان ركنا من أركان دولته ، وكانت قبائل بحصب وعنس ورعين تدين بولائه وتخاف بأسه^(١) ، ثم عين مكانه ابنه عبد الله ، وأطلق يده في كل ما كان يضطلع به أبوه .

فهم الفتن الرافلية

ثم أخذ المكرم بعد ذلك بعلاج الأمور التي تعقدت في أثناء غيابه وبصاح ما أفسده الطامعون . وكان أول هذه الأمور الفتنة التي قام بها الشريف القاسم ابن جعفر العياني^(٢) ، لأنه قرض عهد ، واستمال ذبيان^(٣) وبنى جبير^(٤) وبنى الدعام^(٥) وحرّضهم على خلاف الملك المكرم . ووعدهم بظهور عمه الحسين بن القاسم ، وكانت همدان قد قتله قبل ذلك الوقت بستين عاما^(٦) . وأضغهم بأنه سيظهر ويعلا الأرض عدلا ، فقال إليه فريق من الناس .

لذلك اتجه المكرم إلى ذبيان بجيشه وطارها بحجة أنهم قد استولوا على طعامه وفعّلوا أفعالا لا يمكن انكوت عليها ؛ وما زال بها حتى أصلح ما فسد منها . وقدم له كبراؤها الولاء فعاتبهم على سوء تصرفهم ، وقربهم وأحسن إليهم . ولما كان يوم الجمعة الرابع والعشرون من شهر جمادى الأولى سنة ٤٦٠ هـ هدوه على السمع والطاعة ، وأن يخرجوا في كل مكان يخرج فيه المكرم إلا تهامة ، فيهم بالخيار . إن شاءوا خرجوا ، وإن شاءوا تركوا وقعدوا ، وأنهم لا يابوو الشريف القاسم ولا يوالونه^(٧) .

(١) كان له حصن كحلان (عيون ١٠٢/٨) .

(٢) أنظر من ٨٢ - ٨٣ ، ١٢٠ (هامش ٤) .

(٣) هو بنو ذبيان بن عليان بن أرحب ، وبلد ذبيان وجبل ذبيان ووادي ذبيان من بلد همدان ثم من أرحب ، وهي بلد كثيرة الأعناب كما ذكر الهمداني (صفة ١١) . وما تزال هذه القبيلة من أرحب تسمى بهذا الاسم .

(٤) بنو جبير ، هكذا ورد أسمهم في عيون ١٠٤/٧ ، والمعروف الآن بنو جبر ضم الجيم وفتح الباء من حاشد .

(٥) الدعام هم من بني عليان بن أرحب من همدان (صفة ١١١ ، ٢٠١) .

(٦) عيون ١٠٤/٧ . (٧) صفة ١٠٥/٧ .

قام الملك المكرم لصلاح المغرب ، فانتهى إلى اللّومي^(١) حيث وافاه كتاب
والدته الحرة أسماء بنت شهاب تخبره بورود كتابين من أسعد بن عبد الله الصليحي
ومن علي بن سويد وعبد الله بن معمر ، قد جاء فيهما أن حسين بن مغيرة التبعي
وأبا العباس السُّخْطِي وأبا إسماعيل الكلالي نزلوا إلى الحمراء^(٢) بجميع أهل
يحصب ورعين ، وأن سعيد الأحول طلع من تهامة بجمع عظيم عازما صنعاء ، وأن
أخوى الأحول في جمع آخر مقابلون لمسكر أسعد بن عبد الله الصليحي بذي أشرق ،
وأنهم يستعجلون نهوض الملك المكرم . فلم يمكن المكرم الرجوع من المغرب
وقد قارب جبل مسور . فلذلك نهض من اللّومي ، فنزل بقية مدع^(٣) ، واقية
محمد بن إبراهيم الصليحي ، وحاشد بن كديس الصليحي عامل مسور ، ومشأخ أهل
لاعة ، ولحقه عامر سليمان الزواحي . ولما صار المكرم بالجبل وهو مقابل لجبل
حملان^(٤) المطل على كافة بلاد المغرب ، « فوجد أهل المغرب معتصمين فيه ،
لازمين لصياصيه »^(٥) . فوقف المكرم بالجبل إلى الليل ، ولما كان الصباح أمر جنده
بطلوع جبل حملان من غربي الوادي تحت قيادة عامر الزواحي ، ومن أعلى الوادي
تحت قيادة محمد بن إبراهيم وحاشد بن كديس ، وطلع المكرم بفرقة من جهة
وسط الوادي . فأقبل أهل الجبل من كل حدب ينسلون ويكرون ، وكان معظمهم
في الناحية التي كان فيه المكرم . فنزل المكرم عن جواده ، وصعد الجبل هو
في مقدمتهم لا تثنيه النبال والأحجار مما اضطر أهل الجبل إلى الفرار ، فلما ملك
المكرم جبل حملان « جاءوا إليه من جميع المغرب مدعنين ، . . . فعفا وأحسن
عليهم »^(٦) .

(١) واللومي يقع في جبل عيال يزيد من مديرية عمران .

(٢) الحمراء موضع معروف في جبل الشعر (هامش عيون ١٠٥/٧) .

(٣) عيون ١٠٦/٧ : قرية من قرى حير .

(٤) في رسائل القمي ٦٠ ، قال : « وكان حملان معقلا للعرب قديما ، وحصنا

يلجئون إليه عطيا » . وحملان على مقربة من حجة . وفي عيون ١٠٧/٧ نقلا عن سيرة المكرم ، قال :

« ومما يؤثر عن هذا الجبل أنه لم يطلع أحد إليه قط ولا ضم فيه ، وأن الأجل الأوحده

(يعني الملك علي بن محمد الصليحي) لما جاز مسور أطاعه أهله بغير قتال . »

(٦) عيون ١٠٧/٧

(٥) رسائل القمي ٦٠

واتصل الخبر بالمكرم أن سعيداً الأحول قد صار بالخلاف ، وأن التبعي والسُّخْطى والكلالى ويعفر بن الكرندي ومحصب ورعين قد صاروا ألباً واحداً في جموع عظيمة بالشوافي ، يهددون سيادة الدولة الصليحية . فنهض المكرم إلى صنعاء ، ثم صار منها يريد الخلاف وانتهى إلى وادي بينون^(١) ، وأخضع بني صعب من عنس وبني الحارث ومذحج في طريقه حتى وصل إلى جبل الشعر الذي تحصن فيه التبعي والسُّخْطى في معظم محصب ورعين وعنس ، وهم أهل النجدة والبأس ، فقام المكرم بجميع عساكره بهجوم عنيف في الوقت المعين على رأس الجبل معلنين بالتكبير والتهليل ، فأجفل أهل الجبل مولين تاركين كثيراً من الغنم والمتاع ، وفرّ التبعي والسُّخْطى ، واعتصموا بحصن القراخ^(٢) . فأمر المكرم بحصار الحصن وقتالهما . ولما جن الليل خرج السُّخْطى يريد النجاة ، فوافقه قوم من كحلان ، فسيق إلى المكرم ، فأكرمه وأحسن إليه . ولما علم التبعي بخذلان حليفه ، طمع في كرم الملك المكرم وعفوه ، وسبَّ نفسه ، فأعطاه الأمان . وكان من أثر هذه السياسة المرنة أن أقبل الناس على المكرم يطلبون الأمان ، فأجابهم إلى ما أرادوا ، إلا أن ابن مغيرة التبعي فرّ ولحق بسعيد الأحول . « وفي اليوم التاسع والعشرين من رجب سنة ٤٦١ توجه المكرم إلى صنعاء ، فدخلها في اليوم السابع من شعبان ، وهو يكثر من حمد الله والثناء على الإمام المستنصر الذي بركته ماتم له من فتوح^(٣) .

الأخذ بالثار من سعيد الأحول والمحبس

عم الهدوء أنحاء دولة المكرم بعد أن قضى على الفتن والثورات التي أقضت مضجعه منذ تولى الحكم في شهر ذي الحجة سنة ٤٥٩ إلى أن عاد إلى صنعاء في شعبان سنة ٤٦١ ، لأن الأعداء وجدوا فيه قائداً لا تلين قناته كما وجدوا في أنصاره قوة عزيمة وإيمان واستبسال في الحروب ، تدل على ثقتهم بملكهم ، ففكر في أن يثار من سعيد الأحول وبني جلده ليستريح من شرورهم .

(١) بينون، واد في بلاد المشرق عظيم الفيول، كثير المزارع والأعشاب (عيون ٧/١٠٨) .

(٢) القراخ، حصن مطل على مدينة الطويلة ، شمال غربى صنعاء .

(٣) عيون ٧/١٠٩ .

فتح نهامنا

كان المكرم يرى أن عدوه التقليدي لا يزال قائماً ، وأن والده شهيد أم الدهيم^(١) ، وأن ثاره بل ثار العرب جميعاً ، لا يمكن أن تنام عنه أعين العرب . فالدلم في عرفهم لا يعرض عنه إلا الدم ، ولا جزاء لمهرقه غير القتل ، والتبعة الأولى تقع على عاتق الأقربين ، فلم يكد المكرم يستقر شهراً واحداً في قاعدة ملكه حتى قام يستنهض العرب من جديد للأخذ بالثأر من العبيد . « فأمر برسالة قرئت على أعوانه في الوعظ والتذكير وفضل الجهاد وما فيه من الثواب العظيم ، واستبشر الناس بذلك وأجابوه بما أراد »^(٢) . وقام الشعراء يحرضون العرب على وجوب الأخذ بثأر ملكهم العظيم علي بن محمد الصليحي ، ومن هؤلاء الشعراء الحسين ابن علي الرقمي^(٣) الذي نظم قصيدة طويلة جاء فيها^(٤) :

أقحطان هزّي البيضَ واعتقلى الشُّمرَا

ورُدّي الموالى من دماءِ العدا حُمراً

ولا تُهدري ثأراً المظفرِ إنّه^(٥)

بني لكم مجداً وشاد لكم فخراً

سرى نحو بيتِ الله ، لله قاصداً

يروم من الله المشوبة والأجراً

(١) أم الدهيم ، موضع بمقربة من المهجم .

(٢) عيون ٧/١١٠ .

(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد القم . كان أبوه صاحب ديوان الخراج بتهامة ، وقد ظهر شأنه في أيام الملك علي بن محمد الصليحي . ولد ابنه الحسين بزيد وتأدب بها ، وكان يعد من فضلاء اليمن ورؤساء شعرائها (الجندي : السلوك ١/ورقة ٨٨) . وقال عماره عنه : « إنه كان شاعراً مترسلاً يكتب عن الملكة الحرورية بنت أحمد » (النكت العصرية ٢/٥٦٧) . وكان على صلة وثيقة بالسلطان سبأ بن أحمد الصليحي وأقام معه بمحمن أشيخ (عماره/كاي ١٢٧) ، ومدحه وأسرته بغير قصائده . وتوجد في المتحف البريطاني أوراق متزعة من ديوانه وشعره ، وقد أورد الداعي إدريس بعض قصائده في السبع السابع من العيون . وكان رئيس ديوان الإنشاء عند الصليحيين ، ويوجد في مكتبتنا المحمدية الهمدانية نسخة خطية من مجموع المكاتيب التي ألّفها على لسان السلاطين الصليحيين ، وأشرنا إليها في هذا البحث باسم « رسائل القمي » .

(٤) عيون ٧/١١٠ — ١١١ .

(٥) المراد من المظفر الملك علي بن محمد الصليحي .

ولما صحت عزائم العرب على القتال ، بعد أن استنهضهم الملك والشعراء والخطباء ، قام الملك أحمد المكرم من صنعاء في يوم الخميس غرة شهر رمضان سنة ٤٦١ قاصداً سعيداً الأحوال في زبيد ، فوصل إلى العمدة في يوم الأحد الخامس من ذلك الشهر ، وعرض عسكره في خارج القرية ، ثم وعظهم وحثهم على عدم النهب والسلب ، وتأمين الناس على أموالهم وأرواحهم ، وأنهم لا يريدون إلا قصد عدوهم ، فأطاعوه .

وفي صبيحة اليوم السابع من ذلك الشهر قصد المكرم زبيد حيث جاءته الأخبار بأن سعيداً الأحول قد تحرك في أول رمضان إلى المخلاف أو إلى عدن . فأرسل المكرم قائده عامر بن سليمان الزواحي في جُل من معه من جنب وسنحان وحمير إلى جهة نقيل صيد واتجه المكرم بمن معه من همدان وأهل حراز نحو جبل الشعر حيث كان سعيد الأحول وجيشه قد تعلقوا بالجبل^(١) فملك العرب قلوب الحبشة ، وأيقنوا بالهلاك ، فحمل المكرم عليهم حملة من يختار الموت على الحياة الفانية^(٢) ، وهزم العبيد هزيمة منكرة ، وأدرك رجل من شاكر^(٣) سعيداً الأحول فقتله عند قرية مائة^(٤) ، وأتى برأسه إلى المكرم . وقتل بلال بن بجاح وأخوه مالك بجهة نقيل صيد على يد عامر بن سليمان الزواحي . وعاد المكرم بعد ذلك إلى زبيد ، وفي يوم السبت غرة شوال صلى بالناس العيد ، وخطبهم خطبة أفاض فيها بالدعاء لأبيه ، على ما قبضه له من الأخذ بشاره^(٥)

(١) وكان عدد جيشه ١٢ ألفاً وجيش المكرم سبع مئة رجل ، وذلك لأن معظم جيشه كان مع الزواحي بجهة نقيل صيد (عيون ٧/١١٢) . (٢) نفسه ١١٢ . (٣) شاكر بن بكيل قبيلة همدانية مشهورة تسكن شمال اليمن ولها فروع (صفة ١٦٩ ، ١٩٤) . (٤) مائة ، قرية في رأس جبل بني الحارث ، ومتصلة بجبل الشعر مباشرة ، وكذلك بمخلاف جعفر وهي القفل الفاصل ما بين اليمن الأعلى والأسفل ، ويطل عليها حصن سلبة الذي يقول فيه أعشى همدان :

باعدان أوريان أو حصن سلبة دواء لمن يشكو السأم بارد
وبالقصر من إرباب لو بت ليلة لجاءك مثلوج من المساء جامد
(٥) عيون ٧/١١٣ .

ومما قاله : « اللهم وتعمد بغفرانك ورحمتك ورضوانك عبد أمير المؤمنين وداعيه الأجل الأوحى ، واجزه أفضل ما جزيت داعياً عمّن دعاه ، اللهم وأوزعنا شكر ما أنعمت به علينا من توحدك لنا بإدراك ثأره من الظالمين والإدالة به من أعدائه الفاسقين ، حتى صاروا بأسياقنا حصيدا خامدين ، فكما بكّت عذبيهم السّماء والأرض وما كانوا مُنظَرين » (۱) .

ترك المكرم زبيد بعد أن ولّى عليها السلطان أبا حمير سبأ بن أحمد المظفر الصليحي وأراد متابعة جيش بن نجاح ؛ فوصل إلى الهجر في صبيحة يوم الجمعة ۲۸ شوال سنة ۴۶۱ ؛ وعلم فيها بأن جيشا هرب إلى بلاد الهند. ثم اتجه المكرم إلى الساعد بعد ما خلف على الهجر عليا ومحمدا ابني مالك بن شهاب الصليحي وجماعة من أهل الحجاز وأهل المغرب .

ثم وصلت في هذه الأثناء السجلات المستنصرية تتضمن تشریفات وزيادة في الألقاب فقرأها على الناس في يوم السبت السابع من ذى القعدة . وجاءه الشعراء مهنتين بالنصر ، منهم الشاعر أحمد بن علي التهامي الذي قال قصيدة جاء فيها (۲) :

(۱) عيون ۱۱۳/۷ ؛ وقد جاء عمارة/ كاي ۳۰ برأى آخر في قتل سعيد الأحول ، وذكر أن قتله كان في سنة ۴۸۱ في عهد الملكة الحرة أروى بنت أحمد . واتبعه في هذا الحزجى (كفاية ۵۳) ويحيى بن الحسين (أبناء/ دار ۴۲) وابن الديبع (قرة ورقة ۲۴) . وهذا الرأي بعيد عن الصواب لأن قتله كان كما ذكرنا في سنة ۴۶۱ . وقد ظل حسين بن مغيرة التبعي صاحب حصن الشعر طوال مدة حكم المكرم عدوا للدولة الصليحية ، بالرغم من أن المكرم قد أعطاه الأمان وأكرم مثواه ، إلا أنه فر ولحق بسعيد الأحول بزبيد كما سبق أن ذكرنا ذلك . وقد ذكر المؤرخون الأربعة أن حسين بن مغيرة قد انضم إلى الملكة الحرة ودخل في طاعتها وهو الذي رسم لها الخيلة التي قتل بها سعيد الأحول . إننا نشكك أن يكون هذا المعاند المكابر في عهد المكرم ، وهو عهد قوة الدولة وسطوتها ، أن يصير حليفا اليوم للملكة الحرة ، فيساعد على قتل سعيد الأحول الذي كان يتخذ ملجأ له ، بل يعده أكبر مساعد له ضد هذه الدولة الحصينة . ثم إن هؤلاء المؤرخين ، قد أجموا على أن الملكة الحرة قد كاتبت في هذه الأثناء ، أسعد بن شهاب وعمران بن الفضل الياي ، وأمرتهما بالتوجه من صنعاء إلى تهامة . وهذا الأمر يخالف الواقع لأن أسعد بن شهاب كان قد توفي في شعبان سنة ۴۵۶ (عيون ۷۶/۷) . لذلك كله نرى أن هذا الرأي ، لا أساس له من الصحة ، وأن قتل سعيد الأحول كان في عهد الملك المكرم كما ذكر صاحب العيون .

(۲) عيون ۱۱۴/۷ — ۱۱۵ .

خَفَضَتْ / غُبَارَ الْعَارِ عَنْ ثُوبٍ يَعْرُبُ
وقد سحبت. أعطافه كلَّ مَسْحَبِ

بشمواء في صنعاء قرع طبولها

وربعانها بالمِرْقِ دون المحصن (١)

أدرت على دَرَبِ الحُصَيْنِ مع الضحى (٢)

رحى ذات قطب حاشدى ولولب (٣)

فأضحوها على الأبواب صرعى كأنهم

قبائل عاد في الصباح العصب (٤)

وجئت وأم المؤمنين وسرُّها

كزيب يوم الطفِّ حول المخضب (٥)

حماها الذي أعطاك ملكا كما حمى

بناتِ علي من مسوخ وأكلب

فإن ذكرت بالفخر يوم نسابها

قريش كعمرو أو كعيسى ومصعب (٦)

أو الخرق عتاب أو المرء خالد أو الشهم مروان الخطيب المهذب

وإخوتنا الأزدي اليمانيون إن أتوا بفرّ بنى الأيام آل المهلب

أتينا بنى السيفين أحمد إنه يفوق على الحيين أدّ ويعرب

(١) حاشية العيون : المحصب ، موضع بالحجاز .

(٢) الحصب ، هو نفس مدينة زييد .

(٣) حاشية العيون : اللولب المستدير . قال الأزهري : لا أدري عربي أم معرب .

(٤) العصب ، شديد الحر .

(٥) يريد به الإمام الحسين المخضب بالدماء .

(٦) عيسى ، هو عيسى بن موسى العباسي ، ومصعب ، هو مصعب بن الزبير بن العوام .

لقد طالهم نفرا ومجداً ونجدةً كما طال كسيوان على كل كوكب
أليس نظام المؤمنين أميرنا أباك وإن الفخر للمتسبب
وأمتك بنت القليل من آل جعفر فناهيك من أمّ وناهيك من أب
ومكنك الباري على لوح عرشه طراز العلي في مفخر النسج مذهب
فدم لبني قحطان يارأس عزمهم ومهيهم في الحادث المتعصب

نقل جثتي أبيه وعمه إلى صنعاء

ترك المكرم بعد ذلك قرية الساعد في نفس اليوم ، فبلغ المهجم وأمر بحمل جثتي والده وعمه في تابوتين إلى زبيد ؛ ثم سار بهما إلى صنعاء ؛ فقبورها بما أتى الجبانة ، وأمر ببناء مشهد جامع لهما^(١) ، وكتب بمض الشعراء على قبر الصليحي أشعاراً منها^(٢) :

في القبر ليث وبجر زاخر وجدى جود وطود وضرغام وصمصام
فأعجب بأن ضم هذا كله جدت بما له في قلوب الناس إعظام
فطُف به واقبض حَقَّ المجد إن له حقاً على كل حرٍّ جدُّه سام
هذا الذي أمس رُجَّتْ خَوْف سطوته نجد وبفناد والأحساء والشام
حتى إذا قيل هذا ماله مثل من الأنام تولت قتله حام
ولما عاد المكرم إلى صنعاء بعد دفن الجثتين جلس في مسجد كان قد بناه أبوه ،

(١) يقول صاحب العيون ١١٦/٧ : « ومشهد الصليحي اليوم قد عني المتغلبون الظالمون آثاره ؛ وهدموا مناره ... فإن عنايتهم في ذلك كثيرة ، وفي هدم القبور أفعال كبيرة ، وذلك شيء يتحاماه الكفار والمسلمون ، ويأنفون عنه ، وهؤلاء يقدمون » .

(٢) نفسه ١١٦/٧ .

وأخذ الشعراء ينشدونه قصائدهم ، ومن بينهم عمرو بن يحيى بن الحسين الهيثمي
حيث قال قصيدة جاء فيها^(١) :

وكيف لا نبكى ملوكا عنت لهم ملوك الشرق والمغرب
دارت راحى بأسهم من قري الشجر إلى نجد إلى يثرب
بما حوى البحر وشادوا العلى وأدركوا ثارات آل النبي
لم تطلع الشمس على مثلهم من غيرهم جودا ولم تغرب
ولم يمّت بجدهم إنما
غيبت الأجساد في التيرب^(٢)
وسعى ذى السيفين يحيهم ملاح في الليل سنا كوكب

وفاة الملكة الوالدة أسماء

استقر المكرم بعد ذلك في صنعاء ، وأخذ يصرف أمور دولته إلى أن توفيت
أمه أسماء بنت شهاب بصنعاء سنة سبع وستين وأربع مئة على ما ذكره الداعى
إدريس^(٣) ، إلا أن كتب التاريخ الأخرى ذكرت أن وفاتها كانت في سنة ٤٧٩^(٤) ،
وهذا الزعم بعيد عن الصواب إذ لم نعد نسمع بذكرها في الجزء الأخير من حياة
المكرم بعد أن صارت أمور الدولة والدعوة في يد زوجته السيدة الحرة أروى
بنت أحمد^(٥) .

(١) عيون ١١٧/٧ .

(٢) في أصل : في الترب . ولعل ما أثبتناه هو الصحيح ، والتيرب والتورب من أسماء
التراب ، وبه يستقيم وزن البيت .

(٣) عيون ١٢١/٧ ؛ انظر الفصل عن فضائل السيدة أسماء ص ٦٧ .

(٤) أنباء ٤٢/١١ ؛ قررة ورقة ٢٤ ؛ بفيه ورقة ١٢ ؛ وذكر الخزرجى في كفاية ٥٣
أن وفاتها كانت سنة ٤٧٤ .

(٥) عيون ١٢٢/٧ .

انتقال المکرم من صنعاء إلى ذی جبلة

وقدرأت الملكة الحرة بثاقب فكرها أن تجعل ذی جبلة^(۱) دار قراره فأشارت على زوجها الملك المکرم بذلك ، فقالت له : « يا مولانا ! أرسل إلى أعمال صنعاء ، ليجمعوا أو يحشدوا » . فأمر الملك المکرم بجمعهم وحشدهم . فلما حضروا الميدان أشرف عليهم من قصره ، فلم تقع عينه إلا على حامل سيف أو زمخ . ثم انتقل الملك المکرم إلى ذی جبلة ومعه امرأته السيدة ، فسألته أن يحشد أهلها ورعاياها . ففعل ، وأشرف عليهم ، فلم تقع عينه إلا على حامل هدية أو سائمتها . فقالت له : « العيش بين هؤلاء أفضل ، لأن ذلك أقر للملكة وثبوت قواعدها وأسهل جانباً في مصادر الأمور ومواردها ، وهي متوسطة بين اليمن الأعلى والأسفل ، وبها ينحصب العيش ويطيب المحل »^(۲) .

اعتظاف في حصن التعكر ونفوبصمه أمر الدولة لزوجه

ولما اقتنع المکرم بوجهة نظرها جعل ذی جبلة له مقرا وترك صنعاء بعد أن

(۱) اختط السلطان عبد الله بن محمد الصليحي في سنة سبع وخمسين وأربع مئة مدينة ذی جبلة بمخلاف جعفر بأمر أخيه الملك علي بن محمد الصليحي (انظر ص ۸۸) . وجبلة ، على ما قبل ، اسم لرجل يهودي كان يسكن فيها ويعمل الفخار في الموضع الذي بنى فيه السلطان عبد الله دار العز الأولى . وهي تسمى مدينة النهرين لأنها مدينة بين نهريين كبيرين جاريتين في الصيف والشتاء . ويقال في المثل المشهور إن جبلة لا يدخلها أحد إلا طاهر وصباحها صباح عروس . ولما انتقل المکرم إلى ذی جبلة اختط بها دار العز الثانية في ذی بور وكان حائطا فيه بستان وأشجارا كثيرة ؟ وهو مظل على النهرين وعلى الدار الأولى . وقال عبد الله بن علي الصليحي في وصف ذی جبلة :

هب النسيم فبت كالحيران شوقا إلى الأهلين والجيران
مامصر ؟ ما بغداد ؟ ما طبرية كمدينة قد حفها نهيران
خدد لها شام وحب مشرق والتعكر السامى الرفيع يان

« وأمرت الملكة السيدة ببناء الدار الأولى مسجدا جامعاً وهو المسجد الجامع الثاني . وبها قبر الملكة السيدة رحمها الله إلى الآن » كما حكاه عمارة / كاي ۳۰ . وأضاف عمارة قائلا : « وكان بناء دار العز الثانية الكبيرة سنة إحدى وثمانين وأربع مئة » .

(۲) عيون ۱۲۲/۷ .

وَلِيَّ عَلَيْهَا عَمْرَانُ بْنُ الْفَضْلِ الْيَاسِيَّ وَأَبَا السَّمْعُودِ بْنِ أَسْعَدِ بْنِ شَهَابٍ^(١) وَاسْتَقْرَأَ
بِدَارَ الْعَزَّةِ الَّتِي بَنَاهَا بَنُو جَبَلَةَ جَمِيعًا^(٢) . وَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً ، ثُمَّ اشْتَدَّ بِهِ مَرَضُ الْفَالَجِ
الَّذِي أَصَابَهُ بَعْدَ تَخْلِيصِ أُمِّهِ أَسْمَاءَ مِنَ الْأَسْرِ بِزَيْدٍ^(٣) ، وَأَشَارَ الْأَطْبَاءُ عَلَيْهِ أَنْ
يَحْتَجِبَ عَنِ النَّاسِ لِذَلِكَ السَّبَبِ^(٤) ، فَتَرَكَ ذِي جَبَلَةَ وَطَلَعَ حَصْنَ التَّمَعُكْرِ بَعْدَ أَنْ
فَوَّضَ لِرُؤُوسِهِ شُؤْنَ إِدَارَةِ الدَّوْلَةِ .

عمران بن الفضل الياسي وعزله من ولاية صنعاء

وكان الملك المكرم قد ولي على صنعاء القاضي عمران بن الفضل الياسي
الهمداني^(٥) أحد أقطاب الدولة الصليحية أيام سكون المكرم بن ذي جبله ، ثم عزله
عنها ، وكان ذلك من الأسباب التي كانت بها المباعدة بينه وبين القاضي عمران^(٦) .
وفي ذلك يقول القاضي عمران يخاطب المكرم والأمير سبا بن أحمد الصليحي :

ولا تجرحا بالعزل أكباد معشرٍ إذا غضبوا علَّ القنا وتكسرا
فلو أن مولانا معدداً أتاكما بمنزل توّلي الكلّ منا وأدبرا
فلا تفرقا من لَفِّهِ والداكما وعودا إلى عقليكما وتدبرا
فإن أنما أنكرتما ما نظمتُهُ

فصِدِّقْ غدا من ظلمة الشمس أزهرًا

(١) في كفاية ٥٣ وأنباء / دار ٤٢ وقررة ورقة ٢٤ أنه ولي أسعد بن شهاب . وهذا
يخالف الحقيقة لأن أسعد خال المكرم قد توفي سنة ٤٥٦ (عيون ٧/٧٧) والذي ولاه المكرم
على صنعاء أبا السعود ابن أسعد بن شهاب .

(٢) كفاية ٥٢ .

(٣) عمارة / كافي ٢٥ ، ٢٦ .

(٤) عيون ٧/١٢٢ .

(٥) هو عمران بن الفضل بن علي بن أبي زيد بن العمر بن صعب بن الفضل بن عبد الله
ابن سعيد بن الفوت بن الفز بن مذكر بن يام بن أصب بن دافع بن مالك بن جشم الأوسط بن
جشم الأكبر بن حبران بن نوف بن همدان ؛ ويلتقي نسبه مع الصليحيين من جشم الأوسط .
وقد اختارت همدان حفيده السلطان حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل الياسي بأمر صنعاء في
سنة ٥٣٣ ، وملكها بعده السلطان علي بن حاتم . وضربت باسمهما السكة وأقيمت لها الخطبة .

(٦) عيون ٧/٢٣١ .

وفي أثناء مرض المكرم وصل إلى باب التعمكر المسمى بباب كُتَيْب القاضي
عمران وجماعة كبيرة من الناس يريدون مقابلة الملك^(١) ، فمنعه القائمون على خدمة
المكرم من دخول الحصن ، لما به من مرض ، وصرفوا أمره إلى الملكة الحرّة
بندى جبلة ، ولكن هذا التصرف أغضب القاضي عمران^(٢) ، وقال في ذلك قصيدة
جاء فيها :

أَبَابُ كُتَيْبٍ إِنِّي لَكَ هَاجِرٌ عَلَى أَنِّي دَاعٍ لِمَوْلَاكَ شَاكِرٌ

وهي قصيدة طويلة كما حكاه صاحب العيون ، ذكر فيها أفعاله وسوابقه مع
الملك علي بن محمد الصليحي ، وظنّ أنّ سبب ردّه يرجع إلى سوء تصرف ابن هبالة
ونجم بن بشارة وكانا يتوليان خدمة المكرم ، وذكرهما في قصيدته هذه :

فَلَمَّا بَدَّيْنِ بَابَهُ ابْنَ هَبَالَةَ وَمَأْذُونَهُ نَجْمٌ فَعَمْرَانُ كَافِرٌ !

والواقع أنّ الملك أحمد المكرم لم يطلع التعمكر إلا بمشورة الأطباء عليه
بالاعتكاف . ولكن ما لبثت أن عادت المياه إلى مجاريها مرة أخرى بعد وفاة الملك
المكرم ، لأن القاضي عمران حارب النجاشيين في عهد الملكة الحرّة ، وقتل
في موقعة الكظّام سنة تسع وسبعين وأربع مئة كما سيأتي ذكره في الباب التالي .

(١) عيون ١٢٥/٧ .

(٢) وكان الملك المكرم إذا دخل عمران بن الفضل إليه ينزل عن السرير ويقوم لإقباله
ويأخذ بيده فيصعده إلى السرير معه . وقد دخل القاضي إليه ذات يوم مع سميه عمران بن
الشاعر العثماني وقد هجا الشاعر العثماني الملك علي بن محمد الصليحي لما أتى سميدا الأحوال برأس
الملك زييد منصوبا على الراية . فكان الشاعر المطلوب بعد أن ظفر الملك المكرم بسعيد بن تبحاح .
فقال القاضي عمران : لا أصعد السرير حتى تقضى لي حاجتي . فقال له المكرم : هي مقضية ولو
كانت في أمان العثماني . فقال عمران : ذلك أريد ، وهذا الغلام ولده . فقام الغلام وأنشد قصيدة
أبيه مطلعها :

ماذا ترد على الركبان عدنان إن لم تجد بجميل الصبح قططان

فقال المكرم بعد تمام الإنشاد : إن صدقتي ظي فإنك تجد أباك قد هلك . إنني لأجد هذا
الشعر من آخر نفسه . ويروى أن الشاعر قد مات قبل وصول ابنه إليه (المرجع نفسه
١١٩/٧ - ١٢١) .

أحمد المكرم ذو السيفين

وقد بلغت الدولة الصليحية في عهد الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي أقصى اتساعها، ولم تكسب أرضاً ولا نفوذاً أكثر مما كسبته في عهده، فقام الملك المكرم بأمر الملك والدعوة في جزيرة اليمن وفي الجهات المضافة إليها^(١). ولعل الظروف التي حاقت بالدولة في عهده بمد مقتل أبيه العظيم الملك الأوحده علي الصليحي وذلك بما أحرزه في وقت قصير من انتصارات (Blitzkrieg) هي التي جعلت المؤرخين يصفونه بأنه « كان ملكاً شجاعاً شهماً جواداً هماماً وفارساً مقداماً »^(٢). وأبدى إمامه الخليفة المستنصر بالله الفاطمي مسرته على انتصارات المكرم بقوله^(٣): « ... عرض بحضرة أمير المؤمنين ملطف يبشر بذكر سلامتك، ويسخر الأقدار لإرادتك، ومواجهتك وجوه الظفر في أبواب وجهتك ومقاساتك، للخطوب بعد الخطوب، واصطلائك بنار الحروب، مما لو جرى في مثله في السنين لكانت قضيتها عجيبة، وحالتها غريبة، فكيف في هذه الأشهر القريبة؟ وإنك ما لقيت ذا بنى عليك وعتو، إلا وقصصك الله قيص ظفر به وعلو، قد جعل الله وله الحمد النصر للوائك عذبا، كما جعل الأعداء لنار سيوفك حطبا، فامتلاً إهاب أمير المؤمنين مسرة بك وفيك، وحمداً لله سبحانه كثيراً على نجاح مساعيك وإصابة مراميك، وكونك خير خلف لأبيك » الخ. فترى أن لقبى « ذى السيفين »^(٤) و « داعى السيف »^(٥) الذين منحهما الخليفة الإمام المستنصر أحمد المكرم قبل أن يكون سيد اليمن قد انطبقتا عليه تماماً.

خطابة المكرم

وكان المكرم فوق ذلك، كما قال عمارة: « فصيحاً خطيباً مشهوراً بالثبات والإقدام، ولم يكن في زمانه من يتعاطى حمل رمح وسيفه وقوسه وشدة قوته وعظيم خلقته ».

(٢) باخرمة: ثغر عدن ٢ / ٥٧

(٤) السجلات رقم ٣ .

(١) عيون ٧ / ١٢٣ .

(٣) السجلات رقم ٤٠ .

(٥) عيون ٧ / ١٥٢ ؛ زهرة ١ / ٨٣ .

وقد لسننا فصاحة المكرم وقدرته الفائقة على الخطابة عندما أخذ يخطب أتباعه ويحثهم على وجوب تخلص أمه من الأسر في زبيد ، فلاحظنا إيماننا صادقاً وعزيمة ماضية وشجاعة نادرة في دفع العرب نحو الهدف المنشود .

توحيد العملة

ولما رأى المكرم أن العملة تعتبر من مظاهر سيادة الدولة ، وأن توحيدها يعمل على رواج التجارة ، أمر بصك الدينار الملوكي الذي ينسب إليه ، وكتب عليه : « السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين » . وقال عمارة^(١) : « . . . وإلى اليوم الدينار على هذه السكة إلى أن ولي الداعي الملك عمران بن محمد الزريعي ، فسك ديناراً آخر كتب عليه : « أوحده ملوك الزمن ملك العرب واليمن عمران بن محمد » . ومما لا شك فيه أن المكرم سك الدينار لأنه وجد أن عدم توحيد العملة في البلاد يدعو إلى اضطراب النقد . وكانت الدنانير المستعملة قبل ذلك إما سعيديّة^(٢) أو عثريّة^(٣) وغيرها^(٤) . وكان هذا يدعو إلى المضاربة بين قيمة العملة المستعملة المتعددة ، وإلى التعقد في التعامل ولا سيما في التجارة .

ثم إن المكرم يحتمل أنه قد طلب إلى الناس وجوب التعامل بهذه العملة الجديدة ، إما لرغبة في إزالة مظاهر سيادة الدول التي سبقته في حكم هذه البلاد ، وأنه حمل الناس على استقبال عهد جديد له سياسته ونظمه وأهدافه ، وإما أنه كان يقصد من ذلك أن يحمل الناس على بيع ما عندهم من عملة قديمة بأثمان رخيصة .

(١) عمارة / كاي ٢٣ .

(٢) نسبة إلى سعيد الأحول بن نجاح .

(٣) نسبة إلى بلدة عثر وهي تقع شمالي زبيد .

(٤) أنباء / دار ٤٠ .

ومعنى ذلك أن الحكومة تعمل على أن تسحب عملة لها قيمتها فى نفوس الناس بشرائها منهم بأقل من قيمتها الحقيقية ، وهذا ما يعود على مالية الدولة بالربح .
ويلاحظ أن الملك المكرم أحمد بن على الصليحي برغم شجاعته وشهامته وفصاحته ومواهبه ، وبرغم مجهوده الجبار فى توحيد بلاد اليمن لم يستطع أن يستمر فى الحكم على الدولة التى أنشأها والده العظيم الملك على بن محمد الصليحي ، والتى استرجعها المكرم بعد أن أفلتت من يديه ، وذلك بسبب اشتداد مرض الفالج الذى لازمه منذ أن خلّص أمه السيدة الملكة الحرة أسماء بنت شهاب من أسرها بزويد . فاعتكف بحصن التعكر ، وترك - إلى حين وفاته فى شهر جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وأربع مئة^(١) - شئون الدولة والدعوة فى أيدي زوجته الملكة السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحية .

(١) وقد اختلف المؤرخون فى سنة وفاته ، فزعم بعضهم أنها كانت سنة أربع وثمانين وأربع مئة (كفاية ٥٣ ؛ قره ورقة ٢٤ ؛ عمارة / كاي ٣١ ؛ باخرمة : قلادة ٢/٢ ورقة ٦٢٨ ؛ الكبسي : اللطائف ورقة ٢٠) ، وقال إديس إنها كانت سنة سبع وسبعين وأربع مئة . وقد أثبت روايته السجل المستنصرى الموجه إلى الملكة الحرة المؤرخ فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وأربع مئة (السجلات رقم ٤٨) مما يدل على أن الملك المكرم قد توفى فى نهاية سنة سبع وسبعين وأربع مئة وأن الخليفة المستنصر أرسل عزاءه الشخصى مع الأمير أبى الحسن جوهر المستنصرى ، كما جاء فى السجل المؤرخ فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربع مئة (السجلات رقم ٤٦) أن المستنصر أمر بإرسال كافة المراسلات إلى على بن المكرم بعد وفاة المكرم .

الباب السادس

عهد السيدة الحرّة الملكة أروى بنت أحمد الصليحية

(٤٧٧ - ٥٣٢)

السيرة الحرّة الملكة

كان أهل اليمن يخاطبونها بلقب « سيدتنا الحرّة الملكة » حبا فيها وإجلالا لها ، وهي أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي^(١) . وُلدت سنة أربعين وأربع مئة ؛ وروى أن أبها أحمد بن محمد بعثه الملك علي الصليحي بعد استيلائه على حصن مسار مع الوفد اليمني إلى الخليفة المستنصر بالله بالقاهرة لكي يستأذن الخليفة الفاطمي في إظهار الدعوة في أنحاء اليمن ، وأنه مات في عدن بسقوط البيت الذي كان يسكنه ، وأن أروى كانت في هذا الوقت في طفولتها^(٢) .

(١) وقد اشتهرت باسم « سيدة » ، والواقع أن اسمها « أروى » ؛ وقد ذكر عمارة / كاي ١٦ اسمها وهو « الحرّة الملكة السيدة أروى ابنة أحمد الصليحي » . ويؤيد ذلك ما ذكره صاحب العميون ٢٠٣/٧ - ٢٠٤ حيث قال : « وكان (عبد المجيد) قبل ذلك يكتب الحرّة الملكة .. » « من ولي عهد المسلمين ، ابن عم أمير المؤمنين » ، ثم كتب : « من أمير المؤمنين » ، فقالت : « أنا أروى ابنة أحمد ، بالأمس ولي عهد المسلمين ، واليوم أمير المؤمنين . لقد جرى في غير ميدانه ... الخ . فالظاهر أن لفظة سيدة لقب للملكة وليس اسمها لها ، لكنه أطلق عليها بكثرة استعماله لها .

كذلك وقع الاختلاف في اسم جدها الأعلى . وروى عمارة / كاي ٢٨ أنها ابنة أحمد ابن جعفر بن موسى الصليحي ، واتبه المؤرخون الآخرون في هذا ببعض الاختلاف كما جاء في رواية الجدي والحزرجي أنها ابنة أحمد بن محمد بن جعفر (نفسه ص ٢٨) أو لم يذكروا أسماء أجدادها . قد جاءت أسماءهم في وصيتها (انظر المالحق رقم ٩) . وضبط صاحب العميون ٢١٨/٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ نسبها إلى أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي . فلذلك اعتمدنا في أسماء أجدادها على شهادة وصية الملكة نفسها وعلى رواية العميون .

(٢) تعليق كاي رقم ٢٩ .

وأما الرذاح بنت الفارع بن موسى الصليحي . وقد تزوجت الرذاح بعد موت زوجها من عامر بن سليمان بن عبد الله الزواحي ، فرزقت منه بسليمان بن عامر ، أخو الحرّة لأُمّها^(۱) .

وقد قامت بتربيتها وتهذيبها وتأديبها السيدة الحرّة أسماء بنت شهاب زوجة الملك على الصليحي ، فنشأتها تنشئة طيبة فاضلة ، وذلك لاهتمام على الصليحي بها ، فكان كثيرا ما يقول لأسماء : « أكرمها ، فهي والله كافلة ذرارينا ، وحافظة هذا الأمر على من بقى منا » . ويحكى عمارة^(۲) أنها روت رؤيا لأسماء ، قالت فيها : « إنها رأت في المنام أن بيدها مكنسة ، وأنها تكس قصر مولانا على الصليحي » . فقالت لها أسماء : « كآني بك والله وقد كنت آل الصليحي ، وملكت أمرهم » .

فضائل الملكة السيرة أروى

وكانت الملكة أروى على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة إلى جانب ما تمتعت به من جمال الخلق ؛ فكانت بيضاء اللون مشربة بحمرة ، مديدة القامة ، معتدلة البدن ، تميل إلى السمنة ، كاملة المحاسن جمهورية الصوت ، قارئة ، كاتبة ، تحفظ الأخبار والأشعار والتواريخ وأيام العرب^(۳) ، ولها تعليقات وهوامش على الكتب تدل على غزارة مادتها . وكان يقال لها بلقيس الصغرى ، لرجاحة عقلها وحسن تديرها^(۴) . وكانت الحرّة الملكة ، كما قال صاحب العيون : « متبحرة في علم التنزيل والتأويل والحديث الثابت عن الأئمة والرسول عليهم السلام . . . وكان الدعاء يتعلمون منها من وراء الستر ، ويأخذون عنها ويرجعون إليها »^(۵) .

وامتازت ملكتنا بالصلاح والتقوى والخبرة الواسعة ، والمعرفة الفائقة بأحوال الناس ، مما ساعدها على إدارة شئون بلادها في ظروف سيئة أحاطت بالبلاد . قال إدريس^(۶) : « وكانت امرأة فاضلة ذات نسك وورع وفضل وكمال عقل

(۲) نفسه ۲۸ .

(۴) كفاية ۵۱ .

(۶) نفسه ۱۲۲/۷ .

(۱) عمارة / كاي ۲۸ .

(۳) عمارة / كاي ۵۹ ؛ كفاية ۵۱ .

(۵) عيون ۲۰۸/۷ .

وعبادة وعلم ، تفوق الرجال فضلا عن ربّات الحجال ، وتستحق مدح الشاعر حيث قال :

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للملال «

وقال أيضا^(١) : « وقد استحققت التقديم والتفضيل على الفضلاء من الرجال . وكان الإمام المستنصر أصدر إليها أجلّ أبواب دعوته ، فأفادها من علوم الدعوة ، ورفعت عن حدود الدعاة إلى مقامات الحجج » .

وفي ذلك قال أحد أقطاب الدعوة في عهد السلطان الخطّاب بن الحسن الحججوري الهمداني^(٢) ردا على اعتراض المعارضين أن الإناث لا يستحقن رتبة الحجية^(٣) : « نقول إن القمص البشرية الجسمانية لا قول بها ولا عمل عليها . . . إنا نجد من هو ظاهر بقميص الإناث هو في أعلى الرتب وأشرفها كالزهراء البتول . . . وخديجة ابنة خويلد . . . ومريم ابنة عمران . ونجد أيضا بالمعكس من هو ظاهر بقميص الإناث وهو أسفل سافلين من رتب الاستحالة . . . إن الذكر والأنثى من القمص البشرية لا يعرب عن حقيقته ولا يهدى إلى طريقته ، بل العرب والمهادى الظاهر بها ، وهذا من المعنى القمص البشرية الجسمانية التي يكشف لنا حقيقة باطنة حتى يقع على الحكم بأنه ذكر أو أنثى ، وهو ما يظهر من الأفعال في الطاعات والقبول . . . ومن أفعال الخير . . . فإن ظهر عنه خير لا شرّ فيه ، وطاعة لا معصية معها ، وولاية لا مكابرة بعدها ، وقبول لا يمازجه ردّ ، ينجع فيه آثاره وتشعشع منه وقع العلم بأنه قد رسخ عنده ما ألقى إليه وقبله وأمر منه . . . ومن هذه الطريق يتبين المؤمن الوليّ من الجاحد النوى . . . فإذا كان الظاهر بقميص الإناث قد أحرز جميع الخلال المحمودة فقد خرج من دائرة الاستفادة

(١) عيون ٧/١٣١

(٢) حصن ما يأتي من رسالته المسماة بفاية المواليد ١٣ - ٢٦ .

(٣) المصدر الصناعي من لفظ الحجّة . والحجّة في مصطلح الدعوة هي درجة من درجات الحدود على درجة داعي الدعاة أو باب الأبواب ، وعادة يكون الحجّة ممثلا للإمام في بحر من بحار الدعوة أو جزيرة من جزرها الإثنى عشرة . ولا يراد من هذه الكلمة المعنى المفهوم «حجة الله» .

وصار بمنزلة الذكور . . . وإذا كان الظاهر بقمص الذكور غير محرز لجميها ، فهو أبدا مستفيد بمنزلة الإناث . . . والإناث والذكور لا من يكون قبل الأجسام التي هي القمص عندهم ، بل من قبل الإفادة والاستفادة فقط .

ومما مدحت به الملكة الحرة الصليحية قول الخطاب بن الحسن الحجوري^(١) وهو لا يمدح أحدا إلا الحرة الملكة ، وذلك من خالص ولائه وعظيم إجلاله لها :

هم النفوس على النفوس مدارها وبها تبين كبارها وصفارها
وإذا تفرس في الوري متفرس ببصرة لاحت له أخبارها
إن النفوس فروع أجسام وما تبديه من هم النفوس ثمارها
وحياة أفضلها التقى إذ بالتقى تحوى بها مما ابتغت آثارها
كوحيدة الزمن التي أضحت التقى وشعارها من مخضه ودثارها
رضى الأئمة سعيها فتوطدت في الأرض دولتها وقرقرارها
وتواصلت بركاتها ممدودة منها جبايل ما استرم مغارها
موصولة بجبالها تبقى على مر الزمان وصرفه أسرارها

وإذا الملوك أطاعت الرحمن لم نخذل وطالت في الوري أعمارها

وجرت لها بيمين وسعادة موصولة بدوامها أطيارها
أما علاك فإنها مشهورة لاحت أدلتها وطال منارها
شهدت عداك بها فإن هم طالبوا

إدراكها فقصارها إقصارها

(١) عيون ٢٢١/٧ — ٢٢٢ . ولا توجد هذه الأبيات في نسخة د الخطاب الموجودة

في م. م. ه. ولم يمدح الخطاب أحدا من معاصريه إلا الملكة الحرة وأستاذه المقيد . انظر ص ١٩٣

— ٢٠٤ من هذا الباب عن حياة الشاعر ومميزات شعره .

(م — ١٠ — الصيحيون)

أنتم بنو الأصلوح جوهر يعرب وسواكم أصدافها وبجارها
ولأنت يا ابنة أحمد تنميك من تلك اللآلى الفائقات كبارها
أنقذت من يمم الضلالة أهلها كانوا بها طام بهم تيارها

كما مدحها الشاعر الحسين بن علي بن محمد القيم^(١) في قصيدة أولها :
أعلمت أن من الرماح قُدودا ومن الصفاح محاجرا ونهودا
ومنها :

أعلى الأنام أبا وأكرم طيبة وأنتم أعراقا وأصلب عودا
لو كان يُعبَد للجلالة في الورى بشر لكانت ذلك العبودا
أو كان في أتوابها بلفيس ما هابت سليمانا ولا داودا
وإذا الوفود تأخّرت، وفدّت عطا ياها ، فكانت للوفود وفودا
هي نعمة الله التي ماؤها عدا ولا معروفها محجودا
هي رحمة الله التي ما زال من فوق البرية ظلها ممدودا

هذه الصفات الفاضلة ، التي لم تتجمع قط إلا في قليل من نساء العالم ، قد
تجمعت في السيدة الملكة الحرّة في بلد كان - ولا يزال - الرجل ينظر فيه
إلى المرأة نظرة أمة مملوكة لأبيها - إن كانت في عصمته ، ولزوجها إن كانت
في حصانته^(٢) .

(١) د أبي عبد الله حسين بن علي القمي ورقة ٥ - ٦ .

(٢) يقول محمد حسن في كتابه قلب اليمن : « إن المرأة في اليمن لا قيمة لها في المجتمع إلا
من حيث خدمة الزوج ، وإنتاج النسل والطهي ، وغير ذلك من مهام تدبير المنزل . فكان
لنظرة الرجل إلى المرأة هذه النظرة القاسية أثر عميق في نفسها ، عاشت عليها دهرًا طويلًا
حتى غدت ترى نفسها وضيفة مهملة مملوكة . وما يدل على قيمتها في نظر الرجال ، ذلك المثل
السائر في هذه البلاد وهو : المرأة ناقة وإن هدرت ، وهذا المثل وحده يكفي مثونة السئوال
عن قيمة المرأة الحقيقية في هذه البلاد » .

وهذا الظلم الذي فرضه المجتمع على المرأة اليمنية كبت شعورها وسلبها تفكيرها الحر .
ولو قدر لها أن تعيش حرة ، لما تخلفت عن ركب الحضارة ، بل كان لها نصيب السبق على كثير
من نساء العالم . وقد أثبتت الملكة الحرّة والسيدة أسماء بنت شهاب صحة هذا الرأي ، ودلنا
على أن العقل القحطاني عيب ، ويمكن أن يكون أحسن من كثير من العقول إذا تهيأت له الظروف .

افتراها بالأمر أحمد المكرم

وكان من الطبيعي بعد ما علمنا كل هذا عن السيدة ، وبعد ما وقفنا على مقدار اهتمام السلطان على الصليحي ، وزوجته السيدة أسماء بنت شهاب وعنايتهما بها ، أن تختار زوجة لابنهما الأمير أحمد المكرم . وكانت السيدة قد اقترنت بالمكرم بعد أن تولى منصب ولاية العهد سنة ثمان وخمسين وأربع مئة ، وكان لها من العمر ثمان عشرة سنة^(١) وفي هذا الزواج قال الشاعر الحسين بن علي القمي قصيدة مدح فيها المكرم ، جاء فيها^(٢) .

وكريمة الحسين^(٣) يكنف قصرها

أسد تخاف الأسد من صولاتها

وتكاد من قرط الحياء تغض عن تماها المرئي في مرآتها

ظفرت يداك بها ، فيخ إتما لك تذخر العلياء مضموناتها

وكان الصليحي أصدقها عدن حين زوجها من ابنه المكرم ، ولم يزل ارتفاع عدن من حين زواجها يرفع إليها وهو مئة ألف يزيد وينقص^(٤) .

فأنجبت علياً ومحمدا وفاطمة وأم همدان . فأما علي ومحمد فسنتكم عنهما فيما بعد ، وأما أم همدان فقد تزوجت من ابن خالها أحمد بن سليمان بن عامر بن سليمان ابن عبد الله الزواحي ، فرزقت منه بعبد المستعلي ، وتوفيت سنة ٥١٦ . وأما فاطمة فتزوجت من شمس المال على بن السلطان سبا بن أحمد الصليحي ، وتوفيت في سنة ٥٣٤^(٥) .

(١) نظرا لأن الملكة عاشت اثنتين وتسعين سنة ، وأنها توفيت سنة ٥٣٢ . فتكون قد ولدت سنة ٤٤٠ ، كما ذكره صاحب العيون ٢٢١/٧ نقلا عن صاحب المفيد . ويكون سنها عندما بنى بها المكرم سنة ٤٥٨ هو ثمان عشرة سنة .

(٢) الأصبهاني : خريدة القصر ٢/٢٥٤ .

(٣) رواية الحريرة : وكريمة الحسين ، والظاهر فيها تحريف .

(٤) عمارة كاي ٤٩ . (٥) عمارة / كاي ٢٩ ؛ انظر ص ١٦٤ هامش رقم ١ .

نشاطها السياسي

بدأت الملكة أروى نشاطها السياسي في عهد زوجها الملك المكرم . وفي ذلك قال عمارة : « لما توفيت أسماء بنت شهاب والدة المكرم ، فوَضَّ الأمر لزوجته الملكة السيدة الحرّة . فاستبدت بالأمر واستغفته في نفسها وقالت : إن المرأة التي تراد للفراش ، لا تصلح لتدبير أمر ، فدعني وما أنا بصدده »^(۱) .

وكانت تستشير في هذه المدة القاضي عمران بن الفضل اليامي ، وأبا السمود ابن أسعد بن شهاب . ولما توفي زوجها سنة ۴۷۷ ، لاقت الملكة الحرّة وحدها عبء هذه المسئولية الجسيمة ، وأصبحت بتفويض من الخليفة الفاطمي المستنصر تتصرف في أمور الدولة والدعوة^(۲) في اليمن والهند وعمان ، فلاقت بسبب هذه المسئولية مصاعب كثيرة ، كادت تززع أركان الدولة الصليحية ؛ ولولا ما جيلت عليه الملكة من حسن التدبير وحسن اختيارها للرجال ، لعصفت بها تيارات الفتن والخلافات الداخلية .

نولية علي بن أحمد المكرم

قال عمارة ، واتبعه الآخرون^(۳) : إن المكرم قبل أن يتوفى « أسند الوصية في الدعوة إلى الأمير الأجل الأوحّد النصور المظفر عمدة الخلافة أمير الأمراء أبي حمير سبأ بن أحمد المظفر بن علي الصليحي » . وانفرد إدريس^(۴) نقلا عن السجلات^(۵) برأى آخر وهو الأصح « بأن المكرم عندما توفي كتمت الحرّة الملكة الأمر إلى أن جاءها سجل أمير المؤمنين المستنصر بالله بإقامة ولدها المكرم الأصغر عبد المستنصر علي بن المكرم أحمد » ، كما أمر المستنصر بأن ترسل كل المراسلات إلى علي بن المكرم ، وكلفه بالقيام بمرافق الدعوة وأمور الدولة بقوله^(۶) : « . . . وقد رأى أمير المؤمنين أن يصطنعك ويلحقك برتبة أيبك وينصّبك منصبه ويرقي بك درجته . . . وأمره (أي الأمير أبا الحسن جوهر

(۱) عمارة / كای ۲۹ . (۲) عيون ۱۲۳/۷ ؛ السجلات رقم ۵۰ .

(۳) عمارة / كای ۳۱ ؛ كفاية ۵۲ . (۴) عيون ۱۲۶/۷ — ۱۳۰ .

(۵) السجلات رقم ۱۲ ، ۲۶ . (۶) السجلات رقم ۱۲ .

المستنصرى) أن يقدّمك النظر فيما كان أبوك تعلمه من الدعوة الهادية والأحكام في سائر اليمن وسائر الأعمال المضافة إليه برّاً وبحراً وسهلاً ووعراً ونازحاً ودانياً وقريباً ونائباً . . . حتى خصّك من ملابس الإمامة بشريف الحباء» (١).

وقد ذكر هذا الكلام في السجل المستنصرى الصادر في شهر ربيع الأول سنة ٤٧٨ (٢)، ولم يكتف المستنصر بذلك، بل دلّ على مبلغ اهتمامه بهذا الأمر بأن سيّر الأمير أبالحسن جوهر المستنصرى بهذا السجل، وكلفه بأن يقوم بتعزية الملك علي بن المكرم في والده وأن «يشد أزره ويظهره بالتشريف على رءوس الأشهاد ليلتف حوله المؤمنون ويجمع أنف المخالفين وتجتمع كلمة الأمة تحت لوائه وتنقمع نار الفتنة».

ولم يقف حسن سمي المستنصر في هذا الأمر عند هذا الحدّ، بل أمدّ الملك علي ابن المكرم بالتأييد وأوصاه بأن يهتدى بهدى أمير المؤمنين «حتى تتألف لك الضمائر وتوافقك القلوب والسرائر وتستوثق الأمور لك في البادية والحاضر» (٣)، كما أرسل المستنصر إلى الأمير محمد بن المكرم يأمره بطاعة أخيه الملك علي «ومؤازرته وموالاة من يوالي أمير المؤمنين ومعاداة أعدائه». وأرسل كذلك إلى كافة السلاطين والمقدمين والمؤمنين بل وإلى الملكة الحرة نفسها يأمرها بضرورة طاعة الملك علي عبد المستنصر والامتثال لأوامره، وأن تعول عليه في سرها وجهرها، وتمتعين بأهل الدعوة في اليمن علي من عاداهم وعاداها (٤).

وفي سنة ثمانين وأربع مئة أرسل المستنصر سجلاً آخر إلى الملك علي لقبه فيه بلقب «سليل الدعوة ونجلها» (٥). وقد قصد الإمام بذلك أن يشمر الجماعة في بلاد اليمن بمكانة علي من الدعوة ويبين لهم مدى تأييد الإمام له، وأنه قد اختاره في رئاسة الدعوة والدولة في اليمن، لما كان لآبائه من فضل في رعاية الدعوة الفاطمية.

(١) انظر الباب السابع (ص ٢١٨ — ٢٢٠) فصل عن تبادل الهدايا. وإتنا نرجح أن الكسوة التي أرسلها الخليفة الفاطمي إلى علي بن أحمد المكرم كانت من الثوب الديبقي، وهذا النوع كان ينعم به علي الأمراء وخدمهم (راجع القريري: خطط ١/٤٤٠).

(٢) السجلات رقم ١٤؛ عيون ١٢٩/٧. (٣) عيون ١٢٩/٧.

(٤) نفسه ١٣٠/٧. (٥) السجلات رقم ٣٧.

ويدن على ذلك ما جاء على لسان المستنصر نفسه حيث قال : « وأعدك أن دعاقد أمير المؤمنين وأولياؤه نجوم في سائه ، إذا خوى نجم أطلع نجما ، وسيوف إذا أغمد حسام انتضى حساما » (۱) .

ثم إن المستنصر لكيلا يدع فرصة لمنافسة هذا الصغير الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره بين في هذا الكتاب أن الخليفة قلده هذا المنصب بالرغم من صغر سنه ، وأنه لا ضير في ذلك فإن المستنصر نفسه قد تولى الخلافة وهو دون الثامنة من عمره ، ثم قال المستنصر : « وقد جاز هذا في الإمامة وهي الدرجة التي تلي النبوة ، فكيف في الدعوة التي لأمر المؤمنين أن يتصرف فيها على اختياره » (۲) .

وهكذا دأت سياسة المستنصر على بعد نظره ، فقد رفض تولية السلطان أبي حمير سبا بن أحمد الصليحي بالرغم من وصية المكرم له ، وولى على بن المكرم لأنه يعلم أن الملكة أروى من القوة والكفاية بحيث يمكن الاعتماد عليها في تنفيذ السياسة التي ترضى الفاطميين (۳) ، ولا ريب فهي « سيدة ملوك اليمن . . . وولية أمير المؤمنين » . ولعله أدرك شيئا آخر هو أن المحافظة على مبدأ الوراثة في الابن الأكبر خير ضمان لعدم إثارة المنازعات ، وخصوصا أن هذا المبدأ كان معمولا به في عهد الدولة الفاطمية إلى أيام المستنصر . ففضل تولى الطفل على بن المكرم بدلا من السلطان سبا ، بالرغم من أن الأخير كانت تؤهله لهذا المنصب سنه وشخصيته الممتازة وغيرته على الدولة والعمل على رفع شأنها ، كما تؤهله أيضا مواقفه الحميدة في عهد الملك المكرم ، ووصية المكرم له تعتبر أحسن شهادة بذلك .

نشاط أبي حمير سبا

واقعد كانت مؤازرة الإمام للملكة الحرة وابنها على بن المكرم والعمل على جمع كلمة أهل الدعوة حولهم وتخريض جميع المسلمين على وجوب طاعتها ، سبا في أن تخلى السلطان سبا عن المطالبة بحقه ، وتمكنت الملكة الحرة بحسن سياستها وتقديرها الصحيح لمواقب الأمور ، من أن تقضى على هذه الفكرة ، فجعلت الأمير

(۱) السجلات رقم ۳۷ .

(۲) نفسه رقم ۳۷ .

(۳) عمارة / كاي ۳۵ .

سبا نائبا عن ولدها وحاميا لدمار دولته من المعتدين . فأبلى في ذلك بلاء حسنا .
فدخل سبا في حروب متوالية مع جيّاش^(١) بن نجاح ، وذلك لأن
حصون^(٢) بنى المظفر كانت مطلة على تهامة وهي أقرب إلى تهامة من جميع الجبال .
فكان إذا برد النسيم زح العرب بقيادة سبا إليها ، وارتحل جيّاش عن البلاد ،
ويقيم سبا يجبي خراجها ويبسط العدل فيها ، وكان يحتسب للعمال ما قبض منهم
جيّاش في أشهر الصيف والخريف . فإذا انفصل الشتاء وانصرم الربيع ارتحل بمن
معه من العرب من تهامة إلى الجبال ، وملك جيّاش تهامة إما بالقتال وإما لشدة
الحرّ وانتشار الوباء في العرب . ويقول عمارة^(٣) : « وإذا عاد جيّاش إلى زبيد
نشرت المصاحف ، وابتهلت له الرعايا بالدعاء ، وظهرت الفقهاء ، وتطاوت العلماء ،
واحتسب جيّاش للعمال ما قبضه منهم سبا ونوابه في مدة الشتاء والربيع » .

(١) وكان جيّاش شاعرا فصيحاً ، وله ديوان شعر ضخيم وعدة مجلدات نثر . وهو
مؤلف كتاب « المفيد في أخبار زبيد » . ومن قوله :
إذا كان علم المرء عون عدوه عليه فإن الجهل أبقى وأروج

ولما انتقم الملك المكرم لقتل أبيه بأن قتل سعيداً الأحول بن نجاح سنة ٤٦١ هـ هرب
جيّاش إلى بلاد الهند . وما لبث أن عاد إلى اليمن متنكراً حينما علم بمعرض المكرم واضطراب
أحوال دولته . وكان قد اشترى في الهند جارية هندية تزوج منها وأحضرها معه إلى اليمن .
وقد أنجب منها ابنه المسمى الفاتك الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٤٩٨ . فظل هو
وزوجته الهندية ووزيره خلف بن أبي الطاهر الأموي مختفين بزبيد حتى عرف جيّاش أن الوالي
أسعد بن عراف (والي زبيد من قبل المكرم) حدث بينه وبين وزيره علي بن القم نزاع
اضطر الوزير أن يقول يوماً : « عجل الله لنا بكم آل نجاح » (أنباء/دار ٤٣) ،
كما قال في مناسبة أخرى : « عجل الله لنا بكم آل نجاح » (قرة ٤٠) . فاغتيب جيّاش
من هذه الأخبار . وأخذ يعد العدة ، فاتصل بالحبشة المتفرقين بالبلاد وأمرهم بالاستعداد
كما انصل بوزير الوالي وهو علي بن القم ، وتعاهدا على كتمان الأمر حتى يتخلصوا من أسعد
ابن عراف حاكم زبيد . ولما استوثق جيّاش لنفسه أمر بضرب الضبول والأبواق ، وتارب معه
عامّة أهل المدينة وطرّدوا الوالي . ولم يمض شهر واحد حتى أصبح بركب في عشرين ألف حربة
من عبيده وبنى عمه (أنباء/دار ٤٣) . ويروى أن وزير الوالي علي بن القم لما تعرف على
جيّاش أمر أن تحلى دار الأمير الأعز محمد بن علي بن محمد الصليحي ، ففرشت وحملت إليها زوجة
جيّاش الهندية ، فولدت له ابنه الفاتك في الليلة التي ملك فيها زبيد .

(٢) ومنها مقرو وصاب وقوارير والظرف والشرف (عمارة / كاي ٣٣) .

(٣) نفسه ٣٣ .

وقعة الكظام وهزيمة العرب

ولما طال ذلك على جيش أشعث وأتعبه حرب العرب وخشى منهم الغلب، دبّر له وزيره خلف بن أبي الطاهر^(۱) حيلة، فأرسل من يشير على الأمير سبأ الصليحي بوصوله إلى زبيد^(۲)؛ وقد كاتبه أعيان من فيها يبدل الطاعة وأخفوا الغدر، فاطمأن الصليحي إلى قولهم؛ وذهب إلى زبيد، ومعه ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل. وكان جيش أشعث أعدّ الجموع، واستنصر بالشريف يحيى بن حمزة بن وهاس^(۳)، وكثير من زعماء جيوش جيش أشعث، فكتبوا الصليحي غدرا وكيدا. فلما انتهى سبأ وفرقتة إلى باب زبيد وكان الشريف وغيره ممن مع جيش كميناً، فظهروا على الناس بفته ووقعت بينهم موقعة الكظام^(۴) في يوم الجمعة الخامس من ذي الحجة سنة تسع وسبعين وأربع مئة حيث انهزم سبأ ومن معه. وقتل الأميران قيس بن أحمد بن مظفر (أخو الأمير سبأ) ومحمد بن مهنا الصليحيين، وحمل الشريف

(۱) المنسوب إلى زياد بن أبيه دعي أبي سفيان بن حرب الأموي « كما قال صاحب العيون ۱۳۳/۷ . صحب هذا جيشاً إلى بلاد الهند ، وعاهده على أن يقاسم الأمر ولقبه « قسم الملك » وبه رجع إلى الملك (بالمخرمة : تقع عدن ۷۰/۲) ، وساءت العلاقة بينه وبين جيش أشعث بعد ذلك فأقصاه عنه (الأصبهاني : خريدة ورقة ۲۷۶) .

(۲) هذا ما رواه إدريس (عيون ۱۳۳/۷) . وقال عمارة / كاي ۳۳ : « أشار الوزير خلف بن أبي الطاهر على جيش أشعث بأن يعتقله ويقبض على أمواله وأملاكه ويقيم محمد بن العفاري وزيراً له . ففعل ذلك . ثم إن خلف نقب الحبس وهرب إلى سبأ . فحسن موضعه منه . فلم يزل يحسن لسبأ النزول إلى تهامة وضمن له من الحيل والمكائد ما يقطع به دائرة جيش لسبأ ما لا يقوم به مقام النصف وأن يشترط على سبأ إبعاد الوزير خلف من عنده . فلما فعل جيش أشعث ما أشار به الوزير استحكمت أطماع العرب في بلاد تهامة » .

(۳) نزهة ۶۱/۱ . هو من أشرف تهامة عسير تعرف بالخلاف السليمانى ، وهم ينتسبون إلى موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وهم أقارب لأشرف مكة ، وذريتهم لا تزال معروفة في تهامة عسير ، ومن قراهم صيبا وأبو عريش وحرش وضمد والملح والقبية وغيرها . هذا ما أئده لنا شيخنا القاضي محمد الحجري .

(۴) كذا في نزهة ۶۲/۱ ؛ عيون ۱۳۳/۷ ؛ وفي رواية الأنباء/دار ۴۳ : « القظام » . وترجح رواية العيون والنزهة ، ولعل هذه الواقعة حصلت بالقرب من الكظام التي قد تكون في نواحي زبيد . والكظام جمع كظيمة ؛ والكظيمة هي شبه بئر من سطح الأرض إلى مجرى الماء الذي تحت الأرض ، تستعمل هذه لتنظيف مجرى الماء تحت الأرض ، وهذه الكظام منتشرة في أرجاء اليمن ، كما أفادنا شيخنا القاضي .

يحيى بن حمزة على القاضي عمران بن الفضل اليايى ، فطمعه طعنة مات بسببها بعد أيام^(١) ، وعُقر فرس الأمير سبا ، فاضطر أن يسير راجلاً في غمار الناس حتى حمله بعض جنده على جواده^(٢) .

وفى قتل القاضي عمران بن الفضل اليايى قال الشريف يحيى بن حمزة مفتخراً من شعر أوله^(٣) :

أبلغ زياراً حيث حَلَّ زارُ

ومنها :

ونجا الحجازيُّ الرئيسُ بطَمَنِيَّةِ

نَجَلًا لها تحت القميصِ خُوارُ^(٤)

ثم اعتذر إلى السلطان سبا بن أحمد فيما كان من نصره للحبشة في قصيدة أولها^(٥) :

يا راكبا جِسْرَةَ كَالقَارِبِ القِطْمِ

هوى لِقَارِيَّتِهِ الكَدْرِيَّ من أُمَمِ^(٦)

(١) يقول إدريس (نزهة ٦٣/١) : إن أحمد بن عمران بن الفضل اليايى خرج ومعه أخوه الحسين يطلبان بثأر أبيهما ، فترلا تهامة وتعرفا على الإمام فقتلاه انتقاماً لقتل أبيهما . وقد أيد هذا الخبر صاحب الأنباء/دار ٤٣ .

(٢) عمارة / كاي ٣٣ - ٣٤ ؛ عيون ١٣٣/٧ .

(٣) عيون ١٣٣/٧ .

(٤) نجلا ، مقصور من نجلاء لضرورة الشعر . وخوار وجوار أى صوت يسمع من الطعنة عند خروج الدم منها .

(٥) عيون ١٣٤/٧ .

(٦) الجسر الضخم من كل شيء ومؤثته جسرة يريد فرساً أو ناقة . القارب قاصد الماء والقطم الذى يشهى أى شيء ، يريد به العطشان والكدرى نوع من القطا أخضر اللون والأمم القريب . وفى الأصل ربه : بالباء الموحدة والأقرب لقارية بالياء المثناة لأنه يصف طائراً من القطا الكدرى يطلب الماء ليروى ظمأه . ولفظ الكدرى بدل من لفظ القارب . يقول : يا راكبا فرساً ضخماً أو ناقة ضخمة تشبه فى سيرها القطا الكدرى الذى يطلب الماء من قريب ليروى ظمأه ، كما فسر لنا البيت الأستاذ مصطفى السقا .

إلى قوله :

وقد يعزّ علينا ما أصابكم منّا بغير رضا كف ولا قدّم
والله يعلم أنّي يومَ وَقَعْتكم لم أمس إلا على جَمْرٍ من النَّدَم
وأنّ فَيْض دمٍ منكم كفيض دمٍ بكرِ بلاءٍ وثأرُ الطَّفِّ لم يَرَم^(١)
فأجابهُ السلطان عبد الله بن يَمَلَى الصليحيّ على لسان سبّا :

يا راكباً راحَ لا يَلْدوي على أَحيد

لَقيتَ دَاعِيَةَ التوفيقِ والنعم

إلى قوله :

فليس قيس وإن جَلّت رزِيَّتُهُ وكانَ صنويّ لحي لحي ودي
ولا الهُمّ أبو موسى وصاحبه محمّدٌ وهما من أوثق العِصم
بأوّل القوم منّا حَمٌّ موهُم بين الأسنّة والهنديّة الخُدُم
والسيف يأكلنا حيناً ونُرْتعه حينئذٍ إذا شاء في الأعناق والقِصم

وملك جيش زبيد، ولم يقدر العرب على أخذ تهامة بعد هذه الموقعة^(٢) برغم محاولات الأمير المفضل بن أبي البركات لاسترجاعها، وكانت هزيمة العرب ضربة قاسية على كيان الدولة الصليحية، بل على فكرة وحدة البلاد اليمنية تحت راية العروبة. وذلك الأمر لم يتم فيما بعد بفضل مكابد الوزير العربي ونصرة الشريف للأجباش، ولم ينفذ الأخير الندم بعد فوات الآونة.

موقف الملكة من النزاع بين السلطانين سبّا الصليحيّ وعامر الزوامي

وفي عهد الملك علي بن المكرم قام نزاع بين الصليحيين والزواحيين، وكان هؤولاء سداة الدولة الصليحية ولحمتها، فشغل ذلك النزاع الملكة الحرة حقة من

(١) والطف، موضع عند الكوفة (ق/طف).

(٢) عمارة / كاي ٣٣.

الزمن ، لأن المخالفين انتهزوا هذه الفرصة ووجدوا في هذا النزاع وسيلة لذلك صرح الدولة الصليحية ، وإفسادها بالسمي لدى المتخاصمين في توسيع شقة الخلاف ، مما دعا الملكة الحرة إلى أن تعرض الأمر على الخليفة المستنصر بالله الذي أسرع في رده ، وكلف الملكة بوجوب العناية لفض هذا النزاع بين أبي حمير سبا ابن أحمد الصليحي وأبي الربيع عامر بن سليمان الزواحي ، وشدد عليها في ضرورة وضع حد لهذا النزاع بين الاثنين حرصاً على سلامة الدولة . وفي ذلك يقول المستنصر : « وأما ما كان بين السلطانين الأجلين أبي حمير سبا بن أحمد الصليحي وأبي الربيع عامر بن سليمان الزواحي — أعزها الله — فقد عرف أمير المؤمنين ما تكررت به مكاتباتك مع نعيم الشاعر الهلالي ، ثم مع سعد الله ورفيقه الشيرازي ، وساقه رسولك أبو النصر — سلمه الله وحفظه — بما كان من تسديد السلطان أبي حمير في جميع ما جرى بينه وبين السلطان أبي الربيع عامر ابن سليمان الزواحي من المشاجرة والمنافرة ، وما أفضت فيه على السلطان أبي حمير من الثناء والتزكية والإطراء ، وما ترضينه من حسن الطاعة ولين قيادة من المرافقة والتابعة ، وإبقائه على ما طلب منه من المصانعة ، ولو كان مهضوماً فيه ، من غير اضطرار إلى ما اعتمده من حسن احتمالته وتفاضيه . وتلك سجية تعرب عن السلطان أبي حمير سبا بتميز وسداد وخلوص نية واعتقاد . ومعلوم أنه ليس بمغبون من لطف وأجل ، ولا بمهموم من سدد وتأنى واحتمل ، وتعجل استيفاء حظه من رضا الله سبحانه ورضاه أمير المؤمنين بما يعود عليه فيه من جميل الذكر والثوبة وطيب الأجر ، ما ينوب له عن عظيم الظفر والنصر ، وما يحمد العاقبة من سداد الحال ، ويرتق فتوق هذا الشعب والاختلال . وقد شكر له أمير المؤمنين ما طالعت به من هذه الأوصاف الحميدة والمقامات الرشيدة ، وأسعده في إجابته من هذه الجملة مما يحدوه على امتراء ما أكسبه فيه الرضا ، ومهد له دواعي الزلفى »^(١) .

ولما كانت مسألة هذا النزاع تعتبر مسألة حيوية بالنسبة لبقاء دولة الصليحيين واستمرار نفوذ الفاطميين في اليمن فإن الخليفة المستنصر لم يأل جهداً في أن يتولاها

(١) عيون ١٣٤/٧ — ١٣٥ ؛ السجلات رقم ٣٦؛ وقد اتبعنا نص العيون لأنه أصح .

بمنايته ورعايته لكي يقف تيار النزاع ويثبت قدم هذه الدولة ، فبادر في شهر ربيع الأول سنة ٤٨٠ وأرسل إلى سلاطين الصليحيين وإلى الزواحين وإلى مشايخ الحجاز وكل رجال الدين وأهل الدعوة في اليمن رسالة^(١) يحثهم فيها على تناسي الأحقاد وبأمرهم بوجوب طاعة الملكة الحرّة وابنها الملك علي بن المكرم والتعاقد والترافد في نصرّة الدّعوة . ويعتبر هذا السجل شهادة هامة على اعتراف الإمام بفضل الدولة الصليحية على الدعوة الفاطمية ، كما يعتبر من أهم العوامل التي ساعدت على تثبيت مركز الدولة في الصدر الأول من حكم الملكة الحرّة .

وكان من أثر إرسال هذا السجل أن انتظمت الأمور وأذعن المؤمنون هناك لأوامر الإمام ودانوا بالطاعة للملكة الحرّة .

وقد سرّ الخليفة المستنصر كثيرا حين جاءت الأخبار من الملكة بأن النزاع بين الصليحيين والزواحين قد انتهى على أحسن حال ، وقد وقفنا على ذلك الخبر من سجل أرسله المستنصر إلى الملكة الحرّة في شهر ربيع الأول من سنة ٤٨٠^(٢) ، ومن رسالة أخرى أرسلها إلى ابنها الملك علي في شهر ذي القعدة من سنة ٤٨١^(٣)

وفاة ابني الملكة محمد وعلي

وقد توفي ابن الملكة الأصغر وهو الأمير محمد بن أحمد المكرم في حياة أخيه علي بن أحمد . ولم تطل الأيام حتى قضى الله بوفاة الملك علي بن أحمد المكرم . فعاد السلطان سبا يطالب بحقه في تولى أمور الدولة والدعوة . ولكن الملكة الحرّة لم تتمكن من ذلك ، بل « قامت هي فكفّلت كافة المؤمنين والدعاة اليامين والحدود المستجيبين خير كفالة ، وأوضحت البرهان في ولاية الأئمة ، وأظهرت معالم الدعوة للتابعين وأبانت وما وهنت لما أصابها في سبيل الله »^(٤) .

(١) السجلات رقم ٣٨ .

(٢) نفسه رقم ٤٩ .

(٣) نفسه رقم ٢٢ .

(٤) عيون ٧ / ١٤١ .

السلطان سبا بخطب الحرة الملكة للزواج

فأخذ السلطان سبا سبيلاً آخر لإقناعها بأن طلب يدها للزواج . وقد ظن أنه يستطيع أن يصل بهذه الطريقة لتحقيق غرضه مع أنه كان يفهم تماماً أنها لن ترضى بهذا الزواج ، وكيف يتم ذلك وقد سبق أن استعفت زوجها الملك المكرم بقولها له : « إن المرأة التي تراد للفراش لا تصلح لتدبير أمر فدعني وما أنا بصدده »^(١) . حدث هذا في حياة زوجها الملك المكرم الذي كانت نشاطه الحكيمة . أما الآن وقد تولت تدبير شئون الدولة الداخلية والخارجية وحدها ، بل وأمور الدعوة ، فإنه يبعد كثيراً أن تقبل هذا الزواج السياسي .

ولما رفضت السيدة الحرة ذلك وأنكرته غاية الإنكار جمع السلطان سبا بن أحمد جموعه وسار من حصن أشيخ^(٢) بجيشه إلى ذي جبلة ، للمحاربة الملكة ، بل أراد من هذا إظهار قوته وسؤدده . فجمعت هي أيضاً جموعها . فتناور الفريقان وتناوشا ، وكادت رحى الحرب تدور بينهما إلا أن سليمان بن عامر بن سليمان الزواحي (أخو الملكة الحرة لأمها) ألقاها الموقف ؛ فقد أشار على السلطان سبا أن يتصل بالخليفة المستنصر بالله ليستعين به في فض هذه المشكلة . فقال له : « والله لا أجابتك إلى مرادك إلا بأمر المستنصر »^(٣) . فترك سبا النهج العسكري ، ورجع إلى حصن أشيخ ، وسير إلى المستنصر رسولين ، هما القاضي أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل الأصبهاني وأبو عبد الله الطيب . وقد ساعدته في تحقيق مطلبه رغبة المستنصر في استتباب الأمن في اليمن ، وفي إقرار الوحدة بين أنصار الدولة الصليحية والدعوة الفاطمية . فلما وصل هذان الرسولان إلى القاهرة ولم يرض الخليفة

(١) عمارة / كاي ٢٩ .

(٢) من أعظم حصون الجبال في رأس جبال آنس (أنباء / دار ٤٣) . وكانت خزائن بني المظفر في الحصن ، وكان للسلطان المنصور أبي جبير سبا الصليحي ، والحصن واقع في محلاف بني سويد . وهو على مسافة مرحلتين من صنعاء ويسمى الآن حصن ظفار . راجع ياقوت : البلدان / أشيخ .

(٣) قرعة ورقة ٢٥ .

(٤) نفسه ٢٥ .

عن بقاء هذا النزاع بين أنصاره ، عمل على أن يجذب إليه الفريقين المتنازعين بزواج السيدة من السلطان سبا . فكتب إليها يأمرها بقبول أمر الزواج . وأرسل كتابه مع أحد الأستاذين ويعرف بحامل الدواة يمين الدولة^(۱) . فصار بصحبة هذين الرسولين حتى دخلوا على السيدة الملكة ، وهي بدار العز في ذى جيلة . فتكلم الأستاذ الرسول وهو واقف بين وزرائها وكتابها وأهل دولتها قيام لقيامه ، فقال : «أمير المؤمنين يقرأ السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية وحيدة الزمن سيدة ملوك اليمن عمدة الإسلام ذخيرة الدين عصمة المؤمنين كهف المستجيبين وolie أمير المؤمنين كافلة أوليائه الميامين ، ويقول لها : وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا . وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من الداعي الأوحد المنصور المظفر عمدة الخلافة أمير الأمراء أبي حمير سبا بن أحمد بن المظفر الصليحي ، على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عينا وخمسون ألفا أصنافا من تحف ولطائف وطيب وكساوي» . فقالت : «أما كتاب مولانا فأقول : إِنَّ الْقِيَّ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، ولا أقول في أمر مولانا : أَيُّهَا الْمَلَأَ أُنْتُونِي فِي أَمْرٍ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ . وأما أنت ، يا ابن الأصبهاني ! فوالله ما جئت إلى مولانا من سبأ بن بئبئ يمين ، ولقد حرفتم القول عن موضعه ، وَسَوَّأْتَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ» . ثم تقدم وزيرها زريع بن أبي الفتح والقاضي الأصبهاني ونظراؤهما إلى السيدة الحرة ، ولم يزالوا يلاطفونها حتى أجابتهم إلى تحقيق رغبة الخليفة^(۲) . فمقدوا عقد الزواج ، ولم

(۱) أنباء / دار ۴۳ ؛ عيون ۷ / ۱۴۳ .

(۲) أنباء / دار ۴۳ — ۴۴ ؛ عيون ۷ / ۱۴۳ ۱۴۴ .

يلبث سبا بن أحمد أن سار في أمم عظيمة إلى ذى جبلة ، فأقام شهرا والضيافات
الواسعة تخرج إلى مخيمه كل يوم حتى أنفقت على عساكره مثل ما قدمه من المهر .
ورأى أبو حمير من عالي همتها ما حقر نفسه معها ، وندم على خطبتها . وروى أنه أرسل
إليها سرا يستأذنها في الدخول إليها بدار العز ليوم الناس أنه دخل بها ، ففعلت ذلك .
وزعم قوم من أهل ذى جبلة أنه اجتمع بها ليلة واحدة ، ثم ارتحل في صبيحتها .
وقال آخرون إنها بعثت إليه جارية شبيهة بها ، وعرف ذلك السلطان سبا ،
فباتت الجارية واقفة على رأسه ، وهو جالس لا يرفع طرفه إليها ، حتى إذا طلع
الفجر صلى ، وأمر بضرب الطبول ، ثم سار^(١) .

فضائل السلطان أبي حمير سبا بن أحمد الصليحي

ومع ذلك فإن الملكة الحرة قد أقامت السلطان سبا في الدعوة والملك . وكان
هذا فاضلا ورعا تقيا زاهدا^(٢) . قال عمارة : « . . . ويقال إن الداعي سبا بن أحمد
ما وطىء أمة قط ولا شرب مسكرا ، وكانت زوجته الجمانة بنت سويد بن زيد
الصليحي تقول : أنا لا أغير على مولانا سبا ، لأنه لا يطأ أمة قط »^(٣) .
وكان فوق ذلك كريم الأخلاق طيب الأسباب والأعراق ، يقصده الشعراء
وظلاب الندى . وقد أقام معه في أشيخ الشاعر الحسين بن علي بن القم ومدحه
وأمرته بفر قصائده ، منها^(٤) :

إن ضامك الدهر فاستعصم بأشيح أو

أزرى بك الفقر فاستمطر بنان سبا

ما جاءه طالب يبغي مواهبه إلا وأزمع منه فقره هربا

(١) عمارة كاي ٣٦ ، قال : وقال سبا للجارية : « أعلمى مولانا أنها نظفة شريفة
لا توضع إلا في مستحقها » ثم سار ، فلم يجتمعا بعد .

(٢) عيون ٧ / ١٤١ .

(٣) وأضاف عمارة / كاي ٣٦ إلى هذا : والعريبات تقول ما نسلت حواء مثل الجمانة
غير أسماء بنت شهاب .

(٤) عيون ٧ / ١٤٢ ؛ نزهة ١ / ٦١ .

تَخَالَ صَارِمَهُ يَوْمَ الْوَعَى نَهْرًا تَصَرَّمَتْ مِنْ دَمِ حَافَاهُ كَهَبًا
بَنَى الْمُظْفَرُ مَا امْتَدَّتْ سَمَاءُ عِلَا إِلَّا وَالْفَيْتُمُ فِي أَقْفَاهَا شَهَبًا
إِنَّ امْرَأًا كُنْتُ دُونَ النَّاسِ مُطْلَبَهُ لِأَجْدَرِ النَّاسِ أَنْ يُحْظَى بِمَا طَلَبَا
وفيه يقول ابن القم (١) :

وما يلتقى صدقُ الودادِ وطاعة ال

مدول ، ولا جودُ ابنِ أحمدَ والجَدْبُ

كريمٌ إذا جادتُ فواضِلُ كَفِّهِ

تَيَقَّنْتُ أَنَّ الْبَخْلَ مَا يَفْعَلُ السَّحْبُ

أَجَارَ فَلَ خَوْفٌ ، وَأَحْيَا فَلَ رَدَى

وَجَادَ فَلَ فَقْرٌ ، وَرَامَ فَلَ صَعْبُ

وَبَثْنِي عَلَى قِصَادِهِ فَكَأَنَّهُ يَجَادُ بِمَا يُجْدِي وَيَجْبِي بِمَا يُنْجِبُو

كُتِبَتْ إِلَيْهِ وَالْفَارِوزُ بَيْنَنَا

وَكَانَ جَوَابِي جُودَ كَفِّهِ لَا الْكُتُبُ

ومن شعره فيه أيضا (٢) :

مَعَالِيكَ لَا مَا شَيَّدَتْهُ الْأَوَائِلُ وَجَدُّكَ لَا مَا قَالَهُ فِيكَ قَائِلُ

وَمَا الْمَجْدُ إِلَّا حَيْثُ يَمْتَمُّ قَاصِدَا وَمَا النَّصْرُ إِلَّا حَيْثُ تَنْزِلُ نَازِلُ

مَلِيكَ يَقْضِي الْجَيْشَ وَالْجَيْشَ حَافِلُ

وَيُنْجِلُ صُوبَ الْمِزْنِ وَالْفَيْثَ هَاطِلُ

سَحَابِ غَوَادِيهِ أُجْبِنُ وَعَسْجِدُ وَلَيْتَ غَوَادِيهِ قَنَا وَقَنَا بِلُ

(١) عيون ٧ / ١٤٢ .

(٢) نفسه ٧ / ١٤٣ .

تَوَفَّى الأَعَادَى بِأَسْمِهِ وَهُوَ بِاسْمِهِ وَرَجَوُ المَوَالِي جُودَهُ وَهُوَ صَائِلٌ
وَكَانَ السُّلْطَانُ أَبُو حَمِيرِ سَبَا فُصِيحًا شَاعِرًا يُجِيبُ الشُّعْرَاءَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ شُعْرِهِمْ،
ثُمَّ يُجِيزُهُمْ وَيُزِيدُ فِي بَرِّهِمْ؛ وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ القَيْمِ مَدَحَهُ فَأَجَابَهُ بِمِثْلِ شِعْرِهِ، وَأَجَازَهُ
بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ لَا تُصَدَّرُ إِلَّا عَنْ مِثْلِهِ. فَقَالَ فِي ذَلِكَ الحُسَيْنِ القَيْمِيُّ (١):

وَلَمَّا مَدَحْتُ الهَزْبَرِيَّ ابْنَ أَحْمَدِ

أَجَازَ ، وَكَافَانِي عَلَى المَدْحِ بِالمَدْحِ

فَعَوَّضَنِي شِعْرًا بِشُمْرِي ، وَزَادَنِي

عَطَاءً ، فَهَذَا رَأْسُ مَالِي ، وَذَا رِجْحِي

شَقَقْتُ إِلَيْهِ النَّاسَ حَتَّى لَقِيتُهُ

فَكُنْتُ كَمَنْ شَقَّ الظَّلَامَ إِلَى الصُّبْحِ

فُقُبِّحَ دَهْرٌ لَيْسَ فِيهِ ابْنُ أَحْمَدِ

وَنُزَّةٌ دَهْرٌ كَانَ فِيهِ مِنَ القُبْحِ

الرُّؤَسَاءُ المَفْضَلُ بْنُ أَبِي البَرَكَاتِ الحَمْبَرِي

وَظَلَّ أَبُو حَمِيرِ سَبَا فِي حِصْنِ أَشْبِيحَ ، بِقَدَمِ المَسَاعِدَةِ إِلَى المَلِكَةِ ، فِي كُلِّ مَا بَعُودَ
عَلَى الدَّوْلَةِ بِالْخَيْرِ ، حَتَّى وَافَتْهُ المَنِيَّةُ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ (٢) . وَتَوَفَّى بَعْدَهُ
السُّلْطَانُ عَامِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الزَّوَاهِرِيِّ فِي سَنَةِ اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ .
وَكَانَ مِنْ أَهْلِ السُّوَابِقِ فِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ ، وَمِنْ أَعْيَانِ رِجَالِ المَلِكَةِ
الصُّلَيْحِيَّةِ . وَلَمَّا مَاتَ السُّلْطَانُ سَبَا خَرَجَتْ صَنْعَاءُ وَأَعْمَالُهَا عَنْ مَمْلَكَةِ الصُّلَيْحِيِّينَ ،
وَارْتَفَعَتْ أَيْدِيهِمْ عَنْهَا ، وَلَمْ يَبْقَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِيهَا ذِكْرٌ . فَاسْتَوْلَى عَلَى صَنْعَاءُ وَأَعْمَالُهَا
يَوْمَئِذٍ السُّلْطَانُ حَاتِمُ بْنُ الفُشَيْمِ المَغْلِسِيُّ المَهْمَدَانِيُّ ، وَكَانَ نَاهِضًا كَافِيًا (٣) . وَلَمْ يُحَاوَلْ

(١) عيون ١٤٣/٧ .

(٢) عيون ١٦٨/٧ ؛ وفي أنبا . / دار ٤٤ ؛ وكفاية ٥٩ جاء أنه توفي سنة ٤٩٢ .

(٣) كفاية ٥٩ .

الملكة إعادة صنعاء إلى مملكتها ، بل قبلت الأمر الواقع ، وانجملت إلى تدعيم ما بقي من هذه المملكة . فأقامت الفضل بن أبي البركات بن الوليد الحميري على قيادة الجيش ، وإدارة شئون الدولة التي كانت بحاجة إلى شخصية قوية . وكان هذا يتوصّف للملك المكرم بندي جبلة ، وهو من صفار الدار ، الذين يدخلون على الملكة برسائل الملك المكرّم . وقد كان والده أبو البركات والياً على التمكر من قبل المكرم^(١) ، ولما توفي بعد المكرّم ، جعلت الملكة التمكر إلى ابنه خالد ابن أبي البركات نحو سنتين ، ولكن الفقيه عبد الله بن المصوع قتله^(٢) ، فتأر له أهل الحصن بقتل الفقيه . فجعلت الملكة ولاية التمكر إلى الفضل بن أبي البركات . وكان التمكر مقر ذخائر بني الصليحي التي صارت إليهم من ملوك اليمن^(٣) ؛ وكانت تطلع من ذي جبلة في أيام الصيف فتقيم به ، وإذا برد الجو سكنت بندي جبلة . والفضل يتصرف عن أوامرها ، ويدخل عليها مع خواص وزرائها والأمراء والأكابر من عبيدها . وهو رجل الدولة ومدبرها ، والمرجع إلى رأيه وسيفه . والحرّة لا تقطع أمراً إلاّ به ، فعظم بذلك شأنه ، وعلت كلمته ؛ وغزاهته مراراً ، فتارة له وتارة عليه . وهبط عدن مراراً ، ولم يبق باليمن من يساميه . وقد قال للحرّة يوماً وهي في التمكر : « انظري ، يامولاتنا ! إلى ما كان في هذا الحصن من ذخورك ، فانزلي به إلى دار العزّ ، فاعزليه في بعض هذه القصور . أما هذا الحجر (يعني

(١) وكان التمكر للسلطان عبد الله بن محمد الصليحي كما ذكرنا سابقاً . فلما قتل مع أخيه علي بن محمد الصليحي بالمهجم واستولى المكرم على البلاد ، جعل أمر التمكر إلى ابن عمه أسعد بن عبد الله الصليحي . فسأت سيرته ، فنقله عن التمكر وعوضه عنه بمصون ريمة . وجعل أبا البركات الحميري والياً في التمكر وأعماله ، وولى أخاه أبا الفتح بن الوليد الحميري حصن تغز (كفاية ٥٤) .

(٢) كان ابن المصوع المذكور فقيهاً فاضلاً سليماً ، « وكان ذا دنيا واسعة ، وكان يواصل الأمر خالد بن أبي البركات لكونه الحاكم على بلدة ذي السفال . وكان الوالي يأمنه ويأمر أن لا يمنعوه عن الطلوع متى شاء . وكان الأمير لا يحتجب منه لما يعتقد فيه من الخير والصلاح ، فسولت له نفسه أن يقتل الوالي استغلالاً لدمه لكونه على مذهب الدعوة ... فلما خلا الفقيه بالأمير قتله . ثم صاح صياحاً باتزعاج ، فتبادر أهل الحصن ، فوجدوا الأمير مقتولاً ، فقتلوا الفقيه » (كفاية ٥٤ - ٥٥) .

(٣) عمارة / كاي ٣٧ ؛ أبناء / دار ٤٤ .

التعكر) فتركه لي ، فلا طاعة لك على ما فيه بعد اليوم . فقالت : « لو لم تقل هذا القول ما أحوجتك إليه ، الحصن حصنك ، وأنت رجل البيت ، ولا حرج عليك مني فيما عاد لسمو قدرك ، وعلو أمرك » . ففجّل منها وأطرق ؛ ونزلت الحرة إلى ذي جيلة ، وكان الفضل يترضاها في طلوع التعكر ، فلا تفعل ، وهي مع ذلك تواصل برّه بما يحسن عنده موقعه ، من الجوارى والمغانى والكساوى والطيب والعبيد والأستاذين وغير ذلك ؛ ولم تسمع وشاية أحد فيه (١) .

مواقف الفضل

وله في نصرتها مواقف حميدة ، منها أنه بولى قيادة الجيش لمحاربة السلطان سبا بن أحمد الصليحي حين خطب الحرة الملكة ولم تجبه إلى طلبه ، كما حارب شمس المعالي على بن سبا بن أحمد الصليحي صاحب حصن قيصان ، وأخرجه منه سنة ٤٩٥ ، وملك حصون بني المظفر في نفس التاريخ المذكور (٢) ، وكان على ابن سبا بن أحمد هو زوج فاطمة بنت المكرّم من الحرة . وحدثنا عمارة (٣) أنه تزوّج عليها ، فكتبت إلى أمها تستنجدها ، فأمدتها بالفضل بن أبي البركات في عساكر ، ولبست فاطمة زى الرجال . وفصلت من حصن زوجها في عسكر الفضل ، فسيرها إلى أمها الملكة ، وأدار الحصار على شمس المعالي حتى أخرجه من حصنه بأمان على نفسه . فاتصل هذا بالوزير شاهنشاه الأفضل مستنجدا به ، فلم يلتفت الأفضل إليه ، ولا الأمير شجاع الدولة الذي كان أغناه في اليمن ، فعاد إلى اليمن وملك بعد حصون أبيه ، ولكن الفضل دسّ عليه من قتله بالشّم سنة ٤٩٥ .

وحارب الفضل عمرو بن عرفطة الجنبي (٤) وغيره من سنجان وعلس وزبيد ،

(١) عمارة / كاي ٣٨ .

(٢) نفسه ٣٨ .

(٣) نفسه ٣٦ .

(٤) نفسه ٣٨ ؛ عيون ٧ / ١٨٤ .

واسترجع للملكة نصف خراج عدن^(۱) من آل الزريع .

نصرة الملكة الحرّة لمنصور بن فائق على استرداد تهامة

وحدث في سنة ثلاث وخمس مئة ما لم يكن في الحسبان ، ذلك أن أولاد جياش اختلفوا فيما بينهم ، وكادت الفتن الداخلية تقضى على دولتهم ، ولما لم تكن الدولة الصليحية قادرة على حفظ كيائها في هذا الوقت ، لم تتمكن من انتهاز هذه الفرصة وتسترد تهامة . ولكن هذا الخلاف أدى إلى خروج منصور بن فائق بن جياش من زبيد فرارا من عمه عبد الواحد ، وسار في عبيده وعبيد أبيه ، ونزلوا في رحاب الملكة الحرّة ، فأكرمت مشواهم ، وتمهدوا للملكة بدفع ربع متحصل تهامة إذا هي ساعدتهم ونم نصرهم على عبد الواحد^(۲) ، فأرسلت المفضل بن أبي البركات بجيش كبير ، يساعده جيش آخر بقيادة زريع بن العباس وعمه مسعود بن الكرم الهمداني^(۳) .

ثورة الفقهاء بالنعكر وموت المفضل

ووات على النعكر من يحفظه في غياب المفضل الذي تمكن من الاستيلاء على زبيد بعد حصار طويل وطرد عبد الواحد . وما طل المفضل في تولية منصور

(۱) لما تزوج الكرم السيدة الحرّة أروى بنت أحمد سنة ۵۸ : جعل الملك على الصليحي خراج عدن وهو مئة ألف دينار صداقا لها (انظر ص ۱۴۸) . ولما قتل الصليحي تغلب بنومر على عدن ، فأخرجهم الكرم وأخرجهم منها . وولاه العباس ومسعودا ابني الكرم الهمداني . فجعل للعباس حصن النعكر وباب البروما يدخل منه . وجعل لمسعود حصن الحضراء وباب البحر وما يدخل منه ، وإليه أمر المدينة ، واستخافها لحرّة الملكة . فلم يزل ارتفاع عدن يحمل لايها كل سنة إلى أن توفي العباس بن الكرم ، خلفه ابن زريع ، وبنى مسعود على ما تحت يده ، وكل واحد منهما يحمل ما عليه . ولما فكر في خلع طاعة الحرّة حاربهما المفضل واستخلص منهما نصف ارتفاع عدن (عمارة / كاي ۴۸ ؛ باخرمة : نقر عدن ۲ / ۸۶) .

ونساءات المفضل تغلب أهل عدن على النصف الثاني ، فسار إليهم أسعد بن أبي الفتوح وصالحهم على الزريع . وتغلب أهل عدن على الزريع الباقي بعد ثورة الفقهاء بالنعكر (عمارة / كاي ۴۹) .

(۲) باخرمة : نقر عدن ۲ / ۸۶ .

(۳) وكانا والي عدن من قبل الحرّة وقد قتلا على باب زبيد سنة ۵۰۳ ونول أمر عدن

بعدهما أبو السعود بن زريع وأبو الغارات بن مسعود (نفسه ۲ / ۸۶) .

ابن فاتك^(۱)، ولكن لما جاءت الأخبار بأن التمكر قد استولى عليه جماعة من الفقهاء بمساعدة بني الزر الخولانيين، قفل راجعا وحاصر الحصن مدة، ولكنه لم يقدر على اقتحامه، وذلك لأن الفقهاء السنيين بالإضافة إلى قبيلة خولان^(۲) التي كانت تظاهرهم، دافعوا عنه مجيدا. وما زال الحصار عليهم، ثم رأى الفقهاء أن خولان خذلهم^(۳)، فدبروا حيلة.

ويقول عمارة^(۴): «إن عمى إبراهيم بن محمد بن زيدان كانت له البيعة، وحلف الأيموت حتى يقتل المفضل، فعمد إلى حظاياه من السراري، وأخرجهم في أكمل زي وأحسنه، وجعل بأيديهن الطارات وأطلعهن على سقوف القصور بحيث يشاهدن المفضل، ويسمع هو وجميع من معه أصواتهن. وكان المفضل أكثر الناس غيرة وأنفة، فقيل إنه مات في تلك الليلة»^(۵). وكانت وفاته في شهر رمضان سنة أربع وخمس مئة. ولما مات المفضل طلعت الملكة من ذى جبلة، وحطت بالربادي^(۶) على باب التعكر، وكاتب الفقهاء بالنزول من الحصن، على أن يقترحوا عليها ما شاءوا، فأجابوا إلى ذلك واشتروا عليها شروطا وفت لهم بها. وولت التعكر مولاها فتح بن مفتاح.

سائر الأئمة المفضل الحميري

وكان المفضل، كما ذكره الخزرجي^(۷): «حازما عاقلا شجاعا شهيدا، له عدة مكارم وجملة مفاخر، لسكنها دون مكارم سبأ بن أحمد. وكان جوادا ممدحا، قصده الشعراء من الأماكن البعيدة. ومن جملة من قصده مواهب بن حديد المغربي، وامتدحه بفرر قصائد، يقول في بعضها:

يا مالك الدين والدنيا وأهلها
ومن بعزته الإسلام ممتسك

(۱) يرى الخزرجي (كفاية ۵۶) أن المفضل هم أن يقدر به وبأخذ زيد منه.

(۲) المراد بخولان هنا هي طائفة من خولان العالية كما أفادنا شيخنا القاضي محمد الحميري

(راجع صفة ۱۰۷).

(۳) عيون ۱۷۹/۷. (۴) عمارة / كاي ۳۹.

(۵) وقيل إنه امتنع خاتما مسموما كان بيده، فأصبح ميتا والخاتم في فيه. وما هذا

القول إلا خرافة، كما قال شيخنا القاضي، بل مات كذا لشدة غيرة وأنفة.

(۶) الربادي، اسم المنطقة التي منها التعكر. (۷) كفاية ۵۵.

قد قيل جاور لتغنى البحر أو ملكا

وأنت يا ابن الوليد البحر والملك

وهو الذي جرت الغيل من خنوة^(١) إلى مدينة الجند ، ومدحه القاضي أبو بكر اليافعي فقال^(٢) :

وأقل مكرمة له وفضيلة إجراؤه للغيل في الأجناد

شق الجبال الشاخات كأنما كانت [معالمها متون] وهاد^(٣)

وذلك أنه حفر في الصفا حفرا عديدة ، وخرق بعضها إلى بعض ، وأجرى الماء فيها في مواضع لا يصدق بها إلا من رآها ، ثم لما جاء إلى موضع بين جبلين أمر الصناع فبنوا جدارا من الجبل إلى الجبل ، طوله مئتا ذراع ، وعرضه نحو من عشرة أذرع بالحديد ، وارتفاعه نحو من خمسين ذراعا ، بحيث إذا رآه شخص يقول ما فعل هذا إلا الجن ، وبني مسجد الجند وجدد بناءه من المقدم والجناحين ما هو مبني بالحجارة وسقفه على ذلك . وقال صاحب قلادة النحر^(٤) : « إن محمد بن زياد المأربي مدحه ، فوصله الفضل بألف دينار » .

وكان من صفات الفضل أنه عندما عظم أمره كان يحتجب عن الناس ، حتى لا يرجى لقاءه ، ثم يظهر فيغنى من اجتمع بيابه من الوفود ؛ ويصل إليه الضعيف والقوى ، فينظر في أحوال الأعمال والعمال ؛ ويجيب عن كل كتاب وصل إلى الباب ، ثم يغيب ، فلا يظهر ، ولا يوصل إليه .

(١) وخنوة من أخصب قرى اليمن وهي شمال الجند والغيل هذا لا يزال موجودا .

(٢) في الأصل : إخرافه .

(٣) ورد البيت في الأصل ناقصا بسبب الخزم مع وجود آثار تحمل على الظن أن تتمه

كما دونه بين الفوسين الأستاذ على النجدي .

(٤) بخرمة : قلادة ٢/٢ ورقة ٦٦٥ .

ثورات بنی الزر و خولان

وقد أدت وفاة المفضل إلى خروج بعض الجهات على الملكة الحرة . فاستولى مسلم بن الزر على حصن خدد^(۱) ، وأخرج منه السلطان عبد الله بن يعلى الصليحي الشاعر الأديب . ثم أظهر ولاءه إلى الملكة ، بأن قدم ولديه عمران وسليمان كرهينة عندها ، فاهتمت الملكة بتربيتهما . ولما توفي مسلم ملك بعده ابنه سليمان حصن خدد ، وبقي عندها عمران الذي تولى على حصن التمكر سنة خمس وخمس مئة بعد أن تخلص من فتح بن مفتاح ، الذي شق عصا الطاعة على مولاته الملكة^(۲) . واحتال عليه بنو الزر . وذلك أنهم خطبوا ابنة لعمران فزوجوه بها ، فلما كانت ليلة الزفاف وصل جماعة منهم فأخرجوه من الحصن^(۳) . فلما حصل التمكر بيد عمران واصل الحرة الملكة بيد الطاعة ، فلم يلتفت إليه . فازداد نفوذ ابني الزر تبعا لذلك ، وامتدت أيدي خولان على الناس وعاثوا في الأرض الفساد ، فكانت الحرة إذا رأتهم قد طفقوا أرسلت إلى عمرو بن عرفطة الجنبي سطرأ أو سطرين بخطها ، فيقبض على بلاد ابني الزر ، فلا يخلصهما منه إلا الفزاعة إليها والسؤال لها في صرف العرب عنهما .

قال عمارة^(۴) : حكى لي السلطان يزيد بن عيسى الواثلي قال : فكتبت لي بخطها إلى عمرو بن عرفطة الجنبي برقة فيها : « إذا وقفت على أمرنا هذا فارتحل عن بلاد بني الزر مشكورا » . فلما وقف عمرو بن عرفطة عليها نادى في الناس بشعار الرحيل . فلم يمض ساعة وبقي منهم أحد . فقال عمران لأخيه : « هذا وربك العزّ والطاعة » .

أسعد ابن أبي الفروع الحميري

وحرصا على سلامة الدولة أقامت الملكة مقام المفضل ابن عمه الأمير أسعد بن

(۱) خدد في الجيش شمالي التمكر . ذكره الهمداني في صفة ۷۸ .

(۲) عمارة / كاي ۲۱ .

(۳) كفاية ۵۶ .

(۴) عمارة / كاي ۴۱ .

أبي الفتوح بن العلاء بن الوليد الحميري من القيام بدولتها والذب عن مملكتها والتوجه إليها أمرته . وكان متوليا حصن تعز وصبر إذ كان أبوه قبله واليا عليهما . فأخذ هذا يدير شئون الدولة على أحسن حال حتى غدر به رجلان من أصحابه ، فقتلاه بين البابين في حصن تعز سنة أربع عشرة وخمس مئة^(١) .

الموفق ابن نجيب الدولة

ولما تعقدت الأمور على الملكة الحرة ، أرسلت إلى الحكومة المصرية تطلب منها إعارتها مستشارا لمساعدتها في تدبير شئون دولتها . وقد شعرت الخلافة الفاطمية بأن مركز الدولة الصليحية بدأ يتزعزع ، فبادر الوزير الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي^(٢) في سنة ٥١٣ بإرسال الأمير موفق علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة يصحبه عشرون فارسا^(٣) مختارة منتقاة إلى بلاد اليمن ، ليقوم بهذه المساعدة . وكان ابن نجيب الدولة قد قدم من مصر قبل وفاة الأمير أسعد بن أبي الفتوح الحميري . فقررت الملكة إقامته في مدينة جبلة للاستشارة والناورات الحربية . وكان متفهما في أصول الدعوة الفاطمية ، مستبصرا في مذهب الشيعة . وكان على خزائن الكتب الأفضلية بمصر . وكان نبيا ، حسن التدبير ، كثير المحفوظات ، قويا بتلاوة القرآن على عدة روايات^(٤) ، ويلقب بألقاب تدل على سمو قدره ، منها : الأمير المتعجب ، عزّ الخلافة الفاطمية ، فخر الدولة العلوية ، موفق في الدين ، ولي أمير المؤمنين^(٥) . من هذا يتضح أنه كان موضع ثقة الخلافة الفاطمية ، ولا بد أن يكون هذا الرسول مكافأ أمورا هامة ، لعلها ترجع إلى رغبة الخليفة الأمر بالله بن السننلي في أن يستفيد من نشاطه ومهارته في تمكين الدعوة المستعملية^(٦) في نفوس أهل اليمن ، وفي تعزيز مركز الملكة الحرة ، بعد أن طمع فيها زعماء البلاو ، واستقلوا بما تحت أيديهم .

إعادة الأمن بفضل مهود ابن نجيب الدولة

وقد كان ابن نجيب الدولة عند حسن ظن الدولة الفاطمية به ، فلما وصل إلى

- (١) كفاية ٥٦ ؛ أنباء / دار ٤٦ ؛ باخرمة : نمر عدن ١٧ .
(٢) لم يرسله المأمون البطامحي كما قال ابن ميسر في كتابه أخبار مصر ٧٠/٢ .
(٣) عيون ١٨٠/٧ . (٤) كفاية ٥٧ .
(٥) عيون ١٨٠/٧ . (٦) نفسه ١٤١/٧ .

جزيرة دهلك لقيه من عدن الداعي محمد ابن أبي العرب من ولد صاعد بن حميد الدين ، فكشف لابن نجيب الدولة أسرار اليمن ، وأحوال الناس وأسماءهم وكناهم ، وتواريخ مواليدهم ، وما تحت ثيابهم من شامة أو جراح أو أثر نار^(١) .

فجاء إلى ذي جبلة ، وتشرف بمقابلة الملكة الحرة ، فقلدته إمرة جيوشها . فاستخدم أربع مئة فارس من همدان وغيرهم ، وقدم عليهم الطوق الهمداني^(٢) . واشتد بهم جانبه ، وقويت شوكرته . وتمكن من وضع حد للخلافات الداخلية ، وإعادة الأمن والطمأنينة إلى البلاد^(٣) . وكان أول عمل قام به هو تأديب الخولانيين ، لأنهم كانوا قد بسطوا أيديهم على الرعايا في البلاد ، واستهانوا بالسيدة الحرة . فطردهم من ذي جبلة ونواحيها ، وأوقع بمن بقي منهم حتى لم يبق منهم إلا ما كان منتسبا إلى الملكة . فلما رأت منه ذلك أمرته أن يسكن الجند . فضاقت الأمر به على سلاطين اليمن^(٤) .

وقد أمنت البلاد ، واستقرت الأمور ، ورخصت الأسعار بحسن سياسته وتدييره ، وأقام العدل ، وعف عما في أيدي الناس من الأموال ، وأقام الحدود ؛ وعز به جانب الملكة ، وانقمع أهل اليمن عن الطمع في أطراف بلادها^(٥) .

وقد كان برنامج ابن نجيب الدولة مقصورا على إخضاع إمارات اليمن الصغيرة للسيدة الملكة الحرة ، فتحسنت بجهوده الفذة مركز الدعوة في اليمن ، كما ساعد الملكة على عدم تسرب النزارية إلى هذه البلاد . وبذلك لم تتفرق كلمة الفاطميين فيها كما تفرقت في مصر .

تقوية الوزير المأمون لابن نجيب الدولة

ولم يقف نفوذ ابن نجيب الدولة عند هذا الحد ، بل لقد بلغ هذا الشأو البعيد

(١) عمارة / كاي ٤٢ - ٤٤ . (٢) عيون ١٨٣/٧ .

(٣) ابن محرمة : قلادة النحر ٢/٢ ورقة ٦٦٦ .

(٤) عيون ١٨٢/٧ ؛ وأبناء / دار ٤٦ . وهؤلاء الملوك هم سليمان وعمران ابني الزر

و منصور بن الفضل وسبا بن أبي السعود ومفضل بن الزريع (عمارة / كاي ٤٣) .

(٥) عمارة / كاي ٤٣ .

النجاح في عامين اثنين بين سنتي ۵۱۳ - ۵۱۵ . وكان نجمه لا يزال في صعود لأنه بعد وفاة الأفضل بن بدر الجمالي في رمضان سنة ۵۱۵ أمده المأمون البطائحي وزير^(۱) الخليفة الأمر بأحكام الله ، بالمال والرجال ، فسير إليه أربع مئة قوس أرمني وسبع مئة أسود^(۲) وقبل ذلك يقليل تمكن ابن نجيب الدولة من أن يستخدم ثلاث مئة فارس من سنجان بقيادة الطوق الهمداني بالإضافة إلى من انضم إليه من أهل الدعوة . وقد ساعدت هذه العوامل على ارتفاع شأنه عند الملكة الحرة ، وبخاصة بعد أن كتب إليه الوزير المأمون بالتفويض في الجزيرة اليمنية ، وبسطيده ولسانه^(۳) وأوجب عليه تقديم المساعدة للسيدة الحرة في كل ما تطلبه .

موقعة زبير وهزيمة هبسي ابن نجيب الدولة

ولقد أطمعه هذا المركز الحربي الممتاز في محاربة الدولة النجاشية في زبير في سنة ثمانى عشرة وأربع مئة ، والوزير يومئذ بها من الله الفاتكي أحد عبيد بنى نجاح . وكانت عشرة رماة من الأرمن أصحاب ابن نجيب الدولة قد استأمنوا إلى أصحاب زبير . ولما تراخى الرجال في الحرب ، رمى رجل من العشرة المستأمنة بسهم ، فلم يخط أنف الفرس الذى عليه ابن نجيب الدولة . فسقط على بن إبراهيم إلى الأرض وشبّ الفرس عن ابن نجيب الدولة نافرأ ، فانهزم عسكره ، فقتل السودان بأسرهم ، ولم ينج من الأرض سوى خمسين وكانوا أربع مئة قوس . وأما ابن نجيب الدولة فقاتلت عليه همدان أشد قتال ، حتى أردفه منهم رجل يقال له السباعي . وكان في همدان الطوق بن عبد الله الهمداني ، فأبلى هو وقوم معه . وعار^(۴) جواد ابن نجيب الدولة من الوقعة صلاة الظهر يوم الجمعة ، فأصبح يوم السبت بمدينة الجند ، وبينها

(۱) وقد تولى المأمون البطائحي الوزارة من أول ذى القعدة سنة ۵۱۵ إلى ۴ رمضان سنة ۵۱۹ (انماظ ۳۳۸) ، وكان ذلك في عهد الخليفة الأمر بالله بن المستعلي الذى تولى الخلافة سنة ۴۹۵ حتى قتل سنة ۵۲۲ .

(۲) عيون ۱۸۲/۷ (۳) عمارة / كاي ۴۳ .

(۴) عار الفرس ، أى انقلت وذهب ههنا وههنا (صح / عار) .

وبين زبيد أربعة أيام . ولم يمتس الخبر إلا بنى جبله ليلة الأحد بأن ابن نجيب الدولة قد قتل . ثم وصل على بن إبراهيم بن نجيب الدولة إلى الجند بعد أربعة أيام . وركب إلى ذى جبلة ، واجتمع بالحرة^(١) .

خلاص ابن نجيب الدولة من مصادم - بطون الحمير

وعضدته الحرة الملكة وأعطته الأموال ، وجمعت إليه الرجال بعد فشله بزبيد . فما زال يغزو العدو إلى أقصى البلاد ، على أن ابن نجيب الدولة لم ينج من حسد منافسيه الذين أخذوا يوقعون بينه وبين الملكة الحرة . فأخذت علاقته بها في الفتور منذ سنة ٥١٩ حتى إنه أثر عنه أنه رماها بالخبل ، فقال : « قد خرفت واستحق عندي أن يحجر عليها » . ثم اجتمع عليه سلاطين اليمن سليمان وعمران ابني الزر وسبا بن أبي السعود وأبي الفارات وأسعد بن أبي الفتوح والمنصور ابن المفضل في ألقي فارس وثلاثة آلاف راجل ، فأحاطوا به في الجند . وكانت الجند ذات سور ، وكان مع ابن نجيب الدولة من همدان أربع مئة فارس منتقاة كل فارس منهم يعد بمائة فارس ، منهم الطوق ابن عبد الله الهمداني ومحمد بن أحمد ابن عمران بن الفضل بن علي الياحي وعلي بن عبد الله الصليحي وعلي بن سليمان الزواحي وأبو الفيث بن سامر ومحمد بن الأعز .

ولما اشتد الحصار على ابن نجيب الدولة ، وهو في أشد التعب يستغيث بها . كتبت الحرة الملكة على جاري العادة منها إلى عمرو بن عرفطة الجنبي . فأتاها ، فخيم بنى جبلة . وبمئت إلى وجوه القبائل ففرقت فيهم عشرة آلاف دينار مصرية ، وقالت للرسول : أشيعوا في المسكر أن ابن نجيب الدولة فرّق في الناس عشرة آلاف دينار مصرية ؛ فإن أنفق السلاطين شيئاً من الذهب المصرى ، وإلا ارتحلنا . فلما خوطب السلاطين بذلك وعدوا الناس . فلما كان من الليل ، ارتحل السلاطين ، كل واحد منهم إلى بلده ، وأصبحت الحشود من كل بلد بلا رأس ، فانفض الناس عن الجند . فقيل لابن نجيب الدولة : هل أبصرت هذا التدبير للتي

(١) عمارة / كاي ٤٣ - ٤٤ ؛ وعيون ٧ / ١٨٣ .

قلت إنها قد خرفت؟ فركب إلى ذى جبلة، وتنصّل واعتذر^(۱).

ولكن هذا التصرف الذى أنقذ ابن نجيب الدولة ودلّ على خنكة الملكة الحرة فى حرصها على إبقاء كلمة الفاطميين فى اليمن هى العليا، قد أغضب سلاطين هذه البلاد، لإخفاقهم فى التشفى من منافسهم.

ولما رأى الخليفة الأمر الفاطمى أن سياسة ابن نجيب الدولة التى رسمها له الفاطميون قد حادت عن الخطة المرسومة، أرسل إليه يستدعيه إلى مصر. وبذلك انتهز سلاطين اليمن الفرصة، واتصلوا برسول الخليفة الأمر، فشوّها سمعة ابن نجيب الدولة لديه. وكان من سوء حظ ابن نجيب الدولة أنه لم يحفل بهذا الرسول، بل سفهه فى مجلس حافل، مما ساعد على تدبير مؤامرة انتهت بالقضاء على ابن نجيب الدولة. وفى ذلك قال عمارة^(۲): «ضمن الأمير الكذاب (رسول الأمر إلى اليمن) لهم هلاك على بن نجيب الدولة بفصلين: أما أحدهما، فقال: اكتبوا على يدي إلى مولانا الأمر كتباً تذكر فيها أنه دعاكم إلى نزار وراودكم على ذلك وامتنعتم؛ والفصل الثانى، اضربوا سكة نزارية وأنا أوصلها إلى مولانا الأمر بأحكام الله، ففعلوا ذلك. وتصادف أنه عندما وصل من اليمن كانت العلاقة قد ساءت بين الخليفة الأمر ووزيره المأمون البطائحي، فقبض الخليفة على الوزير، فأوصل الأمير الكذاب الكتب والسكة إلى الخليفة الأمر»، وفيها ما يدل على انصراف ابن نجيب الدولة عن الدعوة المستعملة وانحيازه إلى طائفة النزارية.

القبض على ابن نجيب الدولة ونسبته إلى رسول الخليفة

وقد تركت هذه المؤامرة أثراً سيئاً فى نفس الخليفة، فأرسل إلى اليمن الأمير الموفق ابن الخياط فى مائة فارس للقبض على ابن نجيب الدولة. ولما وصل إلى الملكة الحرة فى ذى جبلة طلب منها ابن نجيب الدولة، وكانت قد قبضت عليه بحيلة^(۳)،

(۱) عمارة / كاي ۴۵؛ عيون ۱۸۳/۷ — ۱۸۴.

(۲) عمارة / كاي ۴۶.

(۳) قال عمارة ما معناه: إن ابن نجيب الدولة توجه إلى زيد عن كره منه. فدخل أعداؤه على الملكة الحرة، ورجوا منها أن تحتفظ به، لأن الإمام لا يطلبه إلا منها، =

وامتنعت عن تسليمه ، وقالت : « أنت حامل كتاب ، فخذ جوابه ؛ وإلا فاقعد حتى أكتب إلى الخليفة ويعود جوابه »^(١) . فخوفها وزرأؤها سوء السمعة ، وأفهموها بأنه داع لنزار ، وأن هذا خطر على دولتها . ولكنها برأتها مما نسب إليه ، وأظهرت طهارته ، ومع ذلك سلمته إلى الرسول سنة ٥٢٤ امتثالاً لأمر الإمام ، بعد أن استوثقت له من ابن الخياط بأربعين يمينا^(٢) . وكتبت إلى الخليفة الأمر وأرسلت إليه كاتبها محمد بن الأزدي^(٣) - وكان أدبياً منشئاً للديوان مجيداً للألفاظ - رسولا ، وسيرت معه إلى الخليفة بذرة من الجواهر تقوم بأربعين ألف دينار^(٤) . ثم خرج ابن نجيب الدولة من ذى جبلة وهو في قفص من الخشب ، والناس ينظرون إليه ، فقال لهم : « ما تنظرون ؟ أسد في قفص ! » .

نهاية ابن نجيب الدولة

ويختلف المؤرخون في نهاية ابن نجيب الدولة ، فبعضهم يقول : « إن السيدة الحرة سلمته إلى رسول الخليفة ، وبالرغم من شفاعتها للخليفة وأخذها الأيمان الغليظة على الرسول ألا يمسه بسوء ، تأمر أعداؤه مع الرسول على إغراقه ، وقد تم ذلك عند باب المنذب ، كما أغرق معه رسول السيدة الحرة^(٥) . وبعضهم يقول : إنه وصل إلى مصر وشهر به في القاهرة في سنة ٥٢٢ كما قال ابن ميسر^(٦) ، وقيل إنه لا يعلم ما جرى لابن نجيب الدولة بعد خروجه من اليمن » .

= قمارضت الملكة ، وأرسلت إليه الشريف أسعد بن عبد الصمد بن محمد الحوالي ، وكان ابن نجيب الدولة يثق فيه . فأدركه بعيدا عن الجند بليلة ، وأخبره بأن الملكة مشرفة على الموت ولا تثق بأحد إلا بك . فرجع ، فاحتفظت به ، وقيدته بقيد من فضة زنته خمسون أوقية (عمارة / كاي ٣٦ - ٤٧) .

(١) نفسه ٤٧ .

(٢) نفسه ٤٧ .

(٣) كذا ورد الاسم في كفاية ٥٨ ؛ وذكر في عمارة / كاي ٤٧ (الأزرقى) وصححها

كاي (بابن الأزدي) ، وفي العيون ١٨٥/٧ : ابن الأردبي .

(٤) عمارة / كاي ٤٧ .

(٥) نفسه ٤٨ . وقد أيد ما قال عمارة صاحب العيون ١٨٥/٧

(٦) ابن ميسر : أخبار مصر ٧٠ .

ومهما يكن من أمر ، فإن نجم ابن نجيب الدولة قد أخذ في الأفول منذ دب
النزاع بينه وبين السيدة الحرة الملكة ، ومنذ أن ساء التصرف في أمور الدولة .
أضف إلى ذلك حقد سلاطين اليمن عليه ومؤامراتهم ضده . ومع ذلك فإن الملكة
أرؤى فقدت بخروجه من اليمن أنشط أنصارها ومساعدتها . فتجلى طمع السلاطين
فيها في نفس اليوم الذي فارق فيه ابن نجيب الدولة مدينة ذي جيلة ، إذ دخل
عليها سليمان وعمران ابنا الزر شامتين في ابن نجيب الدولة ، وخرجا من عندها
وهما يقولان : « صدق الفقيه في قوله : قال عبد الله بن عباس : كنا ندخل
نسمع الحديث من عائشة فلا نخرج حتى نعلم أنها امرأة » . فكان آخر
دخولهما عليها (۱) .

على بن عبد الله الصليحي

وبعد رحيل ابن نجيب الدولة اختارت الملكة الحرة السلطان على بن عبد الله
الصليحي ابن أخي السلطان على بن محمد الصليحي ، للدفاع عن دولتها ؛ ونعت
بفخر الخلافة ، وقد مدحه الشاعر محمد بن أحمد بن عمران بقصيدة جاء فيها (۲) :

يا غادياً مُزَمِّعاً في السَّيرِ معتزماً لا يتقى الأين والوَعَثَاءُ والألما
واحمل سلامي إلى المختار من كُثْب فخر الخلافة والتم كَفَّهُ أَمَّما
وحاز من نسب الأصْلُوحِ ذرْوته وحاشد واعتلى الهامات والقما
رئيس همدان بل كهلانَ أجمعِها بل قرم قحطانَ حازَ العلم والكرما
أوفى بني الدهر في شام وفي يمن قولا وفعلا وأعلى يعربِ همما
ومنصبا ومحلا شاخا وعلا عند الفخار وأسنى رهطه شيما
لما رأى الله ركن الدين منهدما والعدل مهتظما والحق مخترما

(۱) عمارة / كاي ۴۸ .

(۲) عيون ۷ / ۱۸۶ — ۱۸۷ . وقد ورث هو وابنته الأميرة أروى بنت على بن

عبد الله ممتلكات الملك المهكرم بعد وفاة الملكة الحرة .

جاء بالرتبة العليا وشرفه بدعوة الدين حتى عزَّ وانتظما
ولكننا لا نعرف شيئا عما قام به على هذا من الأعمال ، لأن المصادر التي
تحت أيدينا لا تذكر شيئا عنه . ولكن يظهر أن الدولة قد أخذت في الانهيار
في هذا الوقت ، وهذا ما سندكره فيما بعد .

القاضي ملك وبعثته الى مصر

ونظرا لأننا في صدد الكلام عن عهد الملكة السيدة الحرة ، نشير إلى بعض
ما وجدنا في مصادر الدعوة اليمينية عند الدعاة الذين حملوا لواء الدعوة الفاطمية
في عهدها ، ونشاطهم في تأييد الدعوة والدولة .

لعب قاضي قضاة اليمن ملك بن مالك الحمادي الهمداني^(١) دورا هاما في تاريخ
الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن . وقد عاصر الملك علي بن محمد الصليحي والملك
المكرم والملكة الحرة . وذكر إدريس^(٢) نقلا عن السلطان حاتم بن إبراهيم
الحمادي المتوفى سنة ٥٩٦ ، أن عليا الصليحي لما تم له فتح جزيرة اليمن بأسرها
أرسل إلى الخليفة المستنصر الفاطمي كتابا مع قاضي قضاة اليمن وجماعة من وجوه
الأولياء^(٣) ، يطلب منه أن يأذن له بالحج إلى مكة والمسير إلى مصر لزيارة الإمام
في القاهرة والنهوض إلى العراق . ويمكننا أن نقرر أن هؤلاء الرسل قد وفدوا
إلى مصر في سنة ٤٥٤ ، ذلك لأن المصادر كلها قررت أن القاضي ملك أمضى
خمس سنوات في القاهرة ، ثم عاد إلى اليمن سنة ٤٥٩ أو ٤٦٠ أي بعد
قتل الملك علي الصليحي بقليل . وبعد أن سلم سفير اليمن القاضي ملك إلى الخليفة
ما استودعه الملك علي بن محمد الصليحي من الرسالة والسفارة ، أنزل الخليفة

(١) في النزعة ١ / ٨٤ - ٨٥ قال : « وهذا الداعي ملك بن مالك هو من بني
حماد من همدان ، وحماد وحماد أخوان . وكان محل ملك في لهاب من نواحي حراز ثم سكن في
قرار ملك بني الصليحي في صنعاء ثم في ذي جيلة » .

(٢) عيون ٧ / ١٠٣ .

(٣) ورد أسماؤهم في السجلات رقم ٥٥ (الموجه إلى السيدة أسماء بنت شهاب المؤرخ
في سنة ٤٦١) : قاضي قضاة اليمن ملك بن مالك وعبدالله بن علي ومحمد بن حسن وحسين بن علي
وعبد الله بن عمر وأبو البركات بن أبي العشيرة .

القاضي في دار المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي^(١) باب أبواب الإمام^(٢) المستنصر بالله الفاطمي . وكان المؤيد يناجي الإمام بالفسح للقاضي فلا يجاب إلا بالقول : « كيف يستأذن وقد آن وقت الشتاء » ؟ وأقام لك بمصر خمس سنوات . ويقول حاتم بن إبراهيم الحامدي^(٣) : « وفي مدة إقامة القاضي الأجل ، كان لا يفارق المؤيد ، بل ظل بين يديه يسأله ويأخذ عنه ، ويكتب ما استفاده منه إلى أن استوعب ما عنده » . وأخيرا قدم إليه القاضي سبعا وعشرين مسألة ، فقال : « ما جواب هذه إلا من مولاك » . فدخل القاضي على المستنصر بالله فأجابه عنها جميعها ، وكساه عن كل جواب حلة من حلل الشرف^(٤) . وظاهر هذه البعثة ، كما ذكر الحامدي ، هي رغبة الملك علي بن محمد الصليحي في أن يسمح له الإمام بالحج وزيارة القاهرة وطرده العباسيين من بغداد ، ولكن هذا الأمر لا يستدعي إقامة القاضي خمس سنوات في القاهرة ، وخصوصا أن سرعة إنجاز ما يطلبه الملك على الصليحي من الخليفة الفاطمي كثيرا ما كان يحل صعاب الأمور ، والذي يلفت النظر حقا ، اهتمام زعماء الدعوة في مصر بالقاضي لك . ونظرا لأن الملك عليا الصليحي كان على صلة برياسة الدعوة في مصر بتبادل الرسائل والرسول

(١) راجع مقال حسين الهمداني في (JRAS (1932) ص ١٢٦ - ١٤٦ ؛ د المؤيد ١٨٤ - ١٨٦ ؛ سيرة المؤيد ١٧ ؛ الباب التاسع من هذا البحث .

(٢) كانت هذه الوظيفة في أول نشأتها سرية لا يعرف بها أو بصاحبها إلا رجال الدعوة المقربين . ولما تركر الحكم الفاطمي أعلنوا هذه الوظيفة ورفعوا الستار عن صاحبها ، فأصبحت الوظيفة خطيرة . فمنها ينبعث التوجيه السياسي والديني والعلمي . ولا يمنع هذا اللقب إلا لمن سبق أن تدرج في مراتب الدعوة . ويعتبر داعي الدعوة الصلة بين الإمام وبين حدود الدعوة ، كما يتضح ذلك من قول المؤيد في الدين عند كلامه عن داعي الدعوة القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن أبي حنيفة النعمان في عهد المستنصر : « وتوجهت بعد ذلك إلى المرسوم بالقضاء والدعوة الذي كان باب حطتنا ونحن بالبعد ، والواسطة بيننا وبين مجلس الإمامة » . (سيرة المؤيد ٨١ - ٨٢) . ومن أعماله رياسة الدعوة الفاطمية وأخذ العهد على المردين مباشرة أو بواسطة نوابه ... (خطط ٣٩١/١) .

(٣) عيون ١٠٣/٧ . ونقل هذا الخبر الحسن بن نوح البهروزي في كتابه الأزهار ٧١/٢ - ٧٥ والشيخ شرف على في كتابه عيون المعارف ٥٦ ؛ .
(٤) عيون ١٠٣/٧ .

في المناسبات المتعددة فلا بد أن رؤساء الدعوة كانوا على إمام تام بحقيقة شخص
ملك ، ومدى مركزه في الدولة والدعوة في بلاد اليمن .

ومما لا شك فيه أن القاضي ملك بحضوره المجالس المستنصرية التي كان يلقبها
المؤيد في دار العلم ، وبملازمته باب أبواب الإمام هذه المدة الطويلة وقف على
التعليمات المهمة التي أولاه إياها باب الأبواب . هذه التعليمات والإشارات التي سيكون
لها الأثر الفعال في توجيه الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن ، ومما يدل على مبلغ اهتمام
الإمام وباب أبوابه المؤيد بقاضي قضاة اليمن وبدعوة اليمن ، ما جاء في سجل^(١) أرسله
المستنصر بالله إلى السيدة الحرة أسماء بنت شهاب والدة المكرم حيث يقول :
« ... وساق إلى ولدك (المكرم) من التشریفات والألقاب ما شفعه بما هو
أزيد من ذلك صحبة رسلكم : قاضي قضاة اليمن ملك بن مالك ، وعبد الله بن علي
ومحمد بن حسن ، وحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وأبو البركات بن أبي
العشيرة — سلمهم الله — فلقد جاهدوا وصبروا ، واجتهدوا في الخدمة
وما قصرُوا ، والله تعالى يبلغهم مقصدهم سالمين برحمته . . . » .

وكان المؤيد من أكبر الشخصيات الذين حملوا لواء الدعوة لا في مصر
فحسب ، بل في كثير من البلاد ، وبخاصة بلاد اليمن . وفي ذلك يقول إدريس^(٢) :
« فهو بالنسبة للدعاة القاعين أب ، وكلهم إليه بعلمه منتسب ، لأنه سلم للداعي ملك
ماعنده » .

نفوذ الوزراء في مصر

ويجب أن نقرر حقيقة أخرى وهي : أن المؤيد لما حضر إلى مصر من بلاد
فارس ، وترقى في مناصب الدعوة حتى أصبح باب أبواب الإمام ، وجد أن أمور
الدعوة والدولة ليست في يد الخليفة ، بل وجد الوزراء قد سلبوه السلطة ، لذلك
رأى أن مصير الدعوة بهذا الوضع ينحدر إلى الضعف ، بل قد يكون الزوال على يد
هؤلاء الوزراء . وقد أخذ نفوذ الوزراء يزداد لضعف نفوذ الخليفة ، ولا أدل من

(١) السجلات رقم ٥٥ .

(٢) عيون ١٨٨/٧ .

إقحام اسم بدر الجمالي^(١) في معظم مكاتباته إلى محار الدعوة ، ومعظم رسائله التي بعث بها بعد سنة ٤٦٧ إلى الصايحين قد ذكر فيها اسم بدر مشفوعا بالثناء والتقدير العظيم^(٢).

تحويل التراث الأدبي الفاطمي إلى البهر

ونخلص من هذا إلى الصورة التي ظهرت في مخيلة الداعي المؤيد ، أن الدولة على هذا الوضع مصيرها إلى الزوال . لذلك وجب تحويل آداب الدعوة إلى مكان يضمن حفظها ، ولم يكن هذا المكان إلا اليمن . وساعد على ذلك أن الدعوة الفاطمية الرسمية كانت قد استقرت في بلاد اليمن ، لأن دعوة اليمن هي الوحيدة التي ظلت موالية لدعوة الفاطميين الرسمية بعد أن فقدت تلك الدعوة نفوذها لضعف أمرها في كل من شمال إفريقية ومصر وسورية والمراق وفارس^(٣).

(١) هو ابو نجم بدر الجمالي أمير الجيوش مملوك جمال الدين بن عمار ، تولى الوزارة للخليفة المنتصر بالله في يوم ٢٨ جمادى الأولى سنة ٤٦٦ وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ٤٨٧ .

(٢) والمستنصر إذ يعترف لبدر في إنقاذ دولته بمحبه والثناء على جهوده في سبيل رفع الدعوة الفاطمية يطلب من الصليحين أن يشاركوه هذا التقدير السامي ، ويتخذ من بدر وابنه الأفضل هداة يهتدون بهما ، وقد أمدتنا رسائله بصورة واضحة عن ثقة الخليفة ببدر حتى إنه وضع وأمر الدعوة والدولة جميعها في يده . وقد ورد اسم بدر في رسائل المستنصر إلى الملك المكرم في سنة ٤٧٠ ، فيقول : ... ولم يكن له بد من ... أن يحمله محل الوالد ويجعل له مكان الملك وينزله في عقد خلافة الإمامة ... فول وجهك نحو هذا السيد الأجل ، واجعله قبله دينك في مصادرك ومواردك (السجلات رقم ٣٤) . لما تمكن بدر من نفس المستنصر وصار يؤلف الكتب في أصول الدعوة اتخذ منه المستنصر بابا لدعوته ، ووضعه في مركز لم يضع فيه وزيرا قبله ، وأخذ الخليفة يحتم على أتباعه وجوب طاعته . فأرسل إلى الملكة الحرة سجلا مؤرخا في شوال سنة ٤٧٢ يطلب منها أن تحنو حذوه وتسترشد بنصائح الوزير بدر (السجلات / الهمدانى ٣١٤) ، فأصبح المستنصر بهذا الوضع مملوك السلطة والإرادة كما كان ابنه المستعلى . كذلك في عهد الأفضل بن بدر الجمالي ، فأصبح النفوذ والسلطان المطلق بيد الوزراء . وكان التحمس للدعوة ونصرتها أو إضعافها تابعا لرغبة الوزراء ومبولهم . فالأفضل كان يميل ميل السنين ، فألقى الكثير من الأعياد الفاطمية المحضة (حسن إبراهيم : الفاطميون في مصر ٢٧٩) .

(٣) انظر مقال حسين الهمدانى في J.R.A.S. (١٩٢٣) ص ٢٦٣ .

وقد بدأ هذا التحول بالفعل على يد القاضي ملك بن مالك الذي عاز إلى بلاد اليمن يحمل تقليد المكرم ملكا خلفا لأبيه . ولما علم المكرم بأن ملك كان بعد عودته من القاهرة مكافئا من قبل الإمام تنفيذ سياسة معينة ، كان لا يقطع أمرا من أمور الدولة والدعوة إلا إذا استشاره ، نظرا لمكانه العظيم في نفسه ، حتى إنه كان إذا لقيه في طريقه ترّجل عن جواده ، احتراماً لمقامه ، وحفظاً لا كيد ودّه (١) . فكان القاضي ملك ينهيه عن ذلك بقوله : « إنك في الملك في مقام الإمام عليه السلام ، فلا ينبغي لك أن تتواضع عن منزلتك » (٢) .

تفويض رئاسة الدعوة اليمنية إلى القاضي ملك

وصفوة القول أن المكرم جعل ملك رئيس الدعوة في اليمن ، تحقيقاً لرغبة الإمام ، فكان المكرم « داعي السيف » وكان ملك « داعي القلم » (٣) ، وكان ملك قبل ذلك قاضي القضاة (٤) . وفي ذلك يقول إدريس (٥) : « وأرسل الإمام عليه السلام الداعي الأجل ملك بن مالك إلى اليمن ؛ فأقامه داعياً مع الداعي الملك المكرم ؛ وأمر المكرم بأن يقوم بالسيف والقاضي ملك داعي القلم ؛ وجعل إلى الملك المكرم أمر الملك والسياسة ، وإلى الداعي ملك إقامة القضاء ، ولكن لا يمكن أن نجزم بأن القاضي ملك كان يقوم وحده بأمر الدعوة والمستنصر يقول : « . . . والدعوة الهادية المستنصرية ثبتها الله في الأعمال اليمنية بفضل سياسة المكرم الذي ضمّ شمل الأولياء ، وجمع الآراء على ما عاد بنظام الدين وإشراقه » (٦) ، ويقول

(١) وقد تمشى في ذلك مع القاعدة التي اتبعها الخلفاء الفاطميون مع قضاة دولتهم ، فالخليفة المستنصر بالله ، كان إذا خرج القاضي اليازوري من عنده مشى جميع أهل الدولة في ركابه (العسقلاني : رفع الإصر ورقة ٨٣ - ٨٤) .

(٢) عيون ١٠٤/٧ .

(٣) نفسه ٨٣/٧ .

(٤) « كان يختار لهذا المنصب من يتوسم فيهم العلم بكتاب الله وسنة رسوله وكان يزكبه لذلك أن يكون رجلاً عفيفاً ورعاً تقياً لا تأخذه في الحق لومة لائم » (مشرفه : نظم الحكم بمصر في عهد الفاطميين ٢٣٢) .

(٥) نزهة ٨٣/١ . (٦) عيون ١٢٧/٧ .

في موضع آخر موجهها الكلام إلى الملك علي المكرم: « . . . وأمر أن يقلدك النظر فيما كان أبوك تقلده من الدعوة الهادية والأحكام في سائر اليمن وسائر الأعمال المضافة إليه » (١) .

ومن هذا يتضح أن المكرم كان الرئيس الأعلى للدولة والدعوة، ولكنه ترك أمر الدعوة للقاضي الملك يتصرف فيها بالرجوع إليه . ومع ذلك فإننا نلاحظ أنه قد حدث تغيير جوهري في دستور الدعوة في اليمن، فقد كان أول الملوك الصليحيين وهو الملك علي بن محمد الصليحي رئيساً للدولة، كما كان رئيساً للدعوة، أي أن أمور الدولة والدعوة كانت مركزة في شخصه ؛ فهو والحالة هذه أشبه بيمض شيوخ الجبل عند النزارية، بحيث لا يفرق عنهم، إلا في أنه يدعو لإمام ظاهر، يظهر الولا، والطاعة له (٢)، على حين كان المكرم رئيساً للدولة ويشترك معه القاضي ملك في إدارة شؤون الدعوة .

فصل الدعوة عن الرولة

في الشطر الأول من حكم الملكة الحرة معها الإمام لقب حُجَّة، وقال صاحب العيون (٣): « . . . فرفعت بذلك عن حدود الدعاة إلى مقامات الحجج، وكفلت كافة المؤمنين، والدعاة الميامين، والحدود والمستجيبين خير كفالة، وأوضحت البرهان في ولاية الأئمة عليهم السلام، وأظهرت معالم الدعوة للتابعين، وأبانت وما وهنت لما أصابها في سبيل الله ». واستعمانت في تثبيت قواعد الدعوة بقاضي القضاء ملك الذي لقب في عهدا بداعي البلاغ . واستمر القاضي بوظائفه العديدة التي ذكرناها آنفاً إلى أن وافته المنية في السابع والعشرين من شهر جمادى الأخرى سنة عشر وخمس مئة ودفن بلهـاب (٤) .

(١) عيون ٧ / ١٢٩ .

(٢) طه شرف، النزارية ٢٧٤ .

(٣) عيون ٧ / ١٤١ .

(٤) صحيفة الصلاة ٣٣٩ .

يحيى بن ملك

ولما توفي القاضي ملك خلفه ابنه يحيى في نفس الوظيفة التي كان يعمل فيها أبوه مع الملكة الحرة . « فاستمر ينصب الدعاة ، ويوضح معالم الدين ، ويحيى مراسمها ويبين شريعته ، ويفسر تأويله وحقائقه »^(١) . وبفضل جهوده التي بذلها تحت رعاية الملكة الحرة ، تمكنت الدعوة الفاطمية المستعملة في بلاد اليمن ، وما انضاف إليها عمان والهند^(٢) ، وزادت ثقة الإمام بالصلبيين ، لأنهم برهنوا على صدق إخلاصهم لمذهبهم وولائهم له . فلما توفي الخليفة المستعلى سنة ٤٩٥ وخلفه ابنه الأمر ، قامت الملكة الحرة له بالدعوة خير قيام ، وساعدها في ذلك الداعي يحيى . « فاستقامت بهما أمور الدين في أقطار اليمن ، ووضحت بهما الفروض الشرعية والسنن ، ومضت بهما الأحكام ، وأقيمت شعائر الإسلام ، وعرّف الحلال والحرام »^(٣) . واستمر يحيى يعمل في وظيفة أبيه مع الملكة الحرة حتى توفي في ٢٨ جمادى الآخرة سنة ٥٢٠^(٤) .

نولية الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي أمر الدعوة

ولما تبين للملكة أن مملكتها أخذت تتزعزع أركانها للأسباب التي سنذكرها فيما بعد ، قررت بثاقت فكرها أن تفصل الدعوة عن الدولة فصلاً تاماً ، كما كان الحال في مصر ، حتى تباشر الدعوة نشاطها العملي والديني مستقلة عن تأييد الدولة ، ففصلت هيئة الدعوة كلية عن إدارة الحكومة ، فأصبح يقوم بأعباء هذا النظام الثنائي (Dual hierarchy) رؤساء مختارون لإدارة شئون الدولة والدفاع عن الملكة ، وآخرون للدعوة .

فأقام الداعي يحيى والملكة الحرة الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي الهمداني

(١) عيون ٧/١٤٤ .

(٢) نفسه ٧/١٢٣ - ١٢٤ ؛ والسجلات رقم ٥٠ .

(٣) عيون ٧/١٤٤ .

(٤) صحيفة الصلاة ٣٣٩ .

في رئاسة الدعوة ، وفي اختياره رئيسا للدعوة يقول إدريس^(١) : « اجتمع عدة من سلاطين اليمن إلى قاضي القضاة وداعى الدعوة باليمن يحيى بن ملك . وكل من أولئك السلاطين يرى أنها ستقع إليه بإقامة الدعوة الشريفة الإشرارة ، ومتطلع إلى أن يلى إيراد الأمر فيها وإصداره . والذؤيب بن موسى متواضع مع علو مرتبته لأبويه ، إلى ما يشار إليه من على منزلته . فحين اجتمعوا عند القاضي الأجل يحيى ابن ملك بن مالك أعلن بالتعريف بفضل الداعى ذؤيب بن موسى وعالى مقامه ، وأنه المعاضد له ، والخالف له بعد انقضاء أيامه ، وتلا على السلاطين والمؤمنين التقليدين من الحرة الملكة السيدة ولىة أمير المؤمنين ، وكافلة أوليائه الميامين ، ومن داعى الدعوة وقاضى القضاة يحيى بن ملك ذى الحجّة الماضية البراهين ، فسمع أهل الفضل والديانة قول الحرة الملكة حجة الإمام الأمر ، وقول داعيه يحيى ابن ملك ، ولم يكن منهم جاحد ولا مكابر . »

وكان قد وقع في دستور الدعوة تغيير جوهرى ، بسبب اختفاء الإمامة من مسرح مصر ، مركز الدعوة الفاطمية ، ودخلت الدعوة في اليمن في عهد الملكة الحرة والداعى الذؤيب بن موسى مرحلة أخرى . وصارت الدعوة منظمة دينية بحثة بعد سقوط الدولة الصليحية ، يموزها تعاون الدولة وتأبيدها ، مع أنها كانت تحاول عدّة محاولات طوال القرون لإنشاء دولة مستقلة في المناطق التي قطنها أولو الدعوة .

استنار الإمام الطيب والدعوة اليمنية

فلنرجع إلى مصر برهة من الزمن ، لكي نعرف ما حصل هنالك من الانقلابات والحوادث التي أدت إلى هذا التغيير في نظام الدعوة باليمن .

أنجب الخليفة الأمر قبل مقتله بقليل طفلا في الليلة المصباحة باليوم الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة ، وسماه الطيب ، وكناه أبا القاسم

وكتب سجلات البشارة بهذا المولود والنص على إمامته ، ومن ذلك سجله إلى الملكة الحرة الصليحية^(۱) ، فقال فيه :

« . . . أما بعد ، فإن نعم الله عند أمير المؤمنين لا يحصى لها عدد . . . ومن أشرفها لديه قدرا . . . بأن رزقه مولودا زكيا مرضيا ، . . . وذلك في الليلة المصباحية بيوم الأحد الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة ، . . . سماه الطيب . . . وكناه أبا القاسم كنية جده نبي الهدى . . . ولمكانك من حضرة أمير المؤمنين المكين . . . أشعرك هذه البشرى . . . لتأخذني من المسرة بها بأوفى نصيب ، وتذيعها فيمن قبلك من الأولياء المؤمنين ، إذاعة يتساوى بالمعرفة بها كل بعيد وقريب ، . . . » الخ

وأرسل الأمر إلى الحرة الملكة الشريف محمد بن حيدرة « بسجلات تتضمن السلام عليها ، . . . وكان مما سفر به إليها سنديل كم سمل ، وأمر الشريف ابن حيدرة بتسليمه إليها »^(۲) . فلما وصل الشريف وسلم إليها السجلات الآمرية وذلك المنديل فاضت عيناها بالدموع حين وقفت على المنديل ، « فعلت أنه نعى إليها نفسه »^(۳) . والمحتمل أن الشريف كان من الحاضرين حينما نص الأمر على تعيين ابنه الطيب للإمامة بعده ، ولذلك نديه الأمر للسفارة إلى اليمن^(۴) . ومن المحتمل أيضا أن السجل الذي ذكر فيه المولود الطيب ، كان من ضمن السجلات التي أتى بها الشريف إلى اليمن .

فأذاعت الملكة ببشرى المولود في جميع أنحاء مملكتها ، وقامت هي والذؤيب ابن موسى الوادعي بأخذ البيعة والعهد للطيب والدعوة إليه ، وأمرت الملكة عند قراءة مجالس الحكمة بالصلوات على الطيب بن الأمر^(۵) .

(۱) عمارة / كاي ۱۰۰ - ۱۰۲ ؛ عيون ۱۹۲/۷ - ۱۹۳ ؛ والمعق رقم ۸ .

(۲) عيون ۱۸۹/۷ .

(۳) نفسه ۱۸۹/۷ .

(۴) نفسه ۱۹۴/۷ .

(۵) نفسه ۱۹۴/۷ .

وقد قتل الخليفة الأمر بأحكام الله في الثالث، من ذي القعدة من سنة أربع وعشرين وخمس مئة^(١) بيد جماعة من النزارية . فأظهر الوزير أبو علي أحمد ابن الأفضل مذهب أهل السنة ، بعد أن أقام الدعوة للخليفة المزعوم أبي القاسم المنتظر القائم في آخر الزمان المهدي حجة الله على العالمين . واستولى على أمور الدولة وقبض على ابن مدين صاحب الرتبة وقتله . وقتل من أصحاب ابن مدين الدعاء ابن رسلان والعزيزي ونسلان . وهرب قونص^(٢) إلى اليمن ، وعاد بعد ذلك فقتل . وأقام ابن مدين قبل مقتله في رتبته صهره القاضي أبا علي ، وأمره أن يخرج الإمام الطيب خوفاً من عدوان الوزير ابن الأفضل . فاستتر القاضي صهر ابن مدين بستر الإمام الطيب وسافر معه . « وكان ابن مدين المنتصب بالدعوة إلى الطيب في الديار المصرية و قامه الأمر بأحكام الله في الرتبة البابية ، وأشار الأمر إلى القاضي أبي علي صهر ابن مدين بحفظ رتبته . فغاب القاضي بغيبة الطيب . فلم يعرف إلا المخلصون أين مقصده ومثواه . وما زال الستر إلى هذا الأوان ، والإمامة جارية في الإمام الطيب أبي القاسم أمير المؤمنين وعقبه الطاهرين في كل وقت وزمان » . هذا ما رواه صاحب العيون^(٣) .

فلما قتل الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل في نهاية فترة شغور^(٤) خرج عبد المجيد بن محمد بن المستنصر من سجنه ، وادعى إمرة المؤمنين والإمامة .

(١) في رواية العيون ٧ / ١٩٠ فتك النزارية بالآمر يوم الثالث من ذي القعدة سنة ٥٢٦ ، وكانت نقلته ليته بعد تجديد النص على ابنه الطيب . وهذا التأريخ يخالف جميع المصادر . فلذلك اعتمدنا على التأريخ المشهور بدلا من رواية صاحب العيون .
(٢) عيون ٧ / ٢٠٢ — ٢٠٣ : وقونص دون الثلاثة في المنزلة .
(٣) نفسه ٧ / ٢٠١ — ٢٠٢ .

(٤) فترة شغور من الثاني من ذي القعدة سنة ٥٢٤ يوم اغتيل الأمر إلى الخامس عشر من المحرم سنة ٥٢٦ يوم تولى الحافظ عبد المجيد الخلافة الفاطمية بمصر . وكان عبد المجيد قائما بحفظ القصر وظاهر الملك وولايه عهد المسلمين ، لا يدعى الإمامة ولا يعرف بها عند الخاصة والعامة إلى أن ظهر الوزير أبو علي بن الأفضل الذي تغلب على الديار المصرية وقصد إلى القاهرة وسجن عبد المجيد . ومالا الوزير على ذلك ابنه الحسن بن عبد المجيد واعتقل أباه حتى قتل ابن الأفضل وبعده الحسن بن عبد المجيد .

وذلك حين استتر من الدعاء مع الطيب، وقتل من قتل على يد الوزير أبي علي ابن الأفضل في هذه الفترة .

وذهب بعض المؤرخين^(١) المتأخرين البعيدين عن مسرحى الدعوة - المصرى واليمنى - مذهبا آخر فى أمر عقب الأمر والإمامة بعده، فقالوا ما معناه : إن الأمر لما اغتيل فى سنة أربع وعشرين وخمس مئة خلف امرأته حاملا فبويغ بولاية العهد لابن عمه عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ، ولم يبايع بالإمامة حتى يظهر الحمل . فلما وضعت زوجته أنثى ، عهد إلى الحافظ عبد المجيد بالخلافة . وأما المقرئ فلم يقل إنها وضعت أنثى بل ذكر أن برغش وهزار الملوك أقاما الأمير عبد المجيد ، « وأنه يكون كفيلا لمنتظر فى بطن أمه من أولاد الأمر » . ثم ذكر استبداد أبى علي بالوزارة والقبض على عبد المجيد وسجنه ، وخروجه من المعتقل بعد قتل أبى علي الوزير . فاستطرد المقرئ قائلا : « وأخذ له العهد على أنه ولى عهد كفيلا لمن يذكر اسمه » ، وأشار إلى الوزير رضوان الذى أخذ فى إهانة حواشى عبد المجيد الحافظ ، « وهم بخلمه وقال : ما هو بإمام ، وإنما هو كفيلا لغيره وذلك الغير لم يصح » .

وقال ابن الفرات^(٢) : « إن أهل صنعاء يرون له (الأمر) ولذا يسمى الطيب ، وهم أمرية المذهب ، وبالشام جماعة من الأمرية » . والأمرية فى اليمن هم فى الواقع الذين يسمون بالطيبية ، لأن أتباع الأمر هم أتباع ابنه الطيب ، إلا من اتبع الإمامة الحافظ عبد المجيد فسموا المجيدية ، ولم يبق منهم أحد فى اليمن حتى بعد مدة وجيزة من الزمن .

وإننا نرى أن سجل الأمر^(٣) الذى ذكرناه آنفا خير رد على من يذهب إلى القول بأن الأمر لم ينبج قبل موته . ولقد أورد عمارة اليمنى (وهو ليس من أهل الدعوة) هذا

(١) النويرى : نهاية الأرب ٨١/١٦ ؛ أبو الفداء : المختصر ١١٤/٢ - ١١٥ ؛

العيني : عقد الجمان ٣/ورقة ٥٥١ ؛ السيوطى : حسن المحاضرة ١٦/٢ - ١٧ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ١٠/٣ . نرى أن ابن الفرات (المتوفى سنة ٨٠٧) غير

مصيب فى قوله إن جماعة من أتباع الأمرية لا يزالون بالشام ، يعنى فى القرن التاسع ، لأن نفوذهم كان سائدا فى بلاد الشام لفترة من الزمن ، ثم أزاله الزاروق وأصبحت الشام مجالا حيويا للزاروقية .

(٣) عمارة / كاي ١٠٠ - ١٠٢ ؛ عيون ١٩٢/٧ - ١٩٣ ؛ انظر الملحق رقم ٨ .

السجل، كما أورده صاحب العيون نقلا عن مؤرخي الدعوة اليمنيين السابقين. ونحن نرجح قول عمارة اليمنى والمؤرخين اليمنيين لإمامهم بالحقائق، وقربهم في الزمن والدعوة يستحق الترجيح.

وباختفاء الإمام الطيب دخلت الدعوة في اليمن دورا جديدا يعرف بدور الدعوة الطيبية، وانفصلت الدعوة اليمنية عن مصر نهائيا، وأصبحت اليمن هي المركز الرئيسي للدعوة الفاطمية المستعملة الطيبية. واستقلت اليمن عن الخلافة المصرية بعد اغتيال الأمر، وظلت الملكة الحرة تحافظ على ولائها للإمام الطيب ودعوته والأئمة الفاطميين من قبل. ومما لا شك فيه أن الملكة ورياسة الدعوة في اليمن كانوا يعرفون مكان اختفاء الإمام الطيب كما يظهر من تقليدها السلطان أحمد بن أبي الحسين بن إبراهيم بن عمر الصليحي بوصيتها إذا وافقها النية، أن يقوم بتنفيذ ما جاء في الوصية، وأن يوصل كل ما ذكر فيها من مجوهراتها ومصوغاتها على باب الإمام الطيب وأن يأخذ عليها الخط الشريف الإمامي بوصول ذلك.

شخصية الطيب التاريخي

ويقول الدكتور محمد كامل حسين مستندا إلى التاريخ والعقل معا^(١): «فقصة الطيب هذه أقرب إلى الأساطير الخيالية منها إلى الواقع التاريخي. فإن أحدا من المؤرخين [لم يـ] يذكر وجود الطيب بن الأمر إلا ما نراه في كتب دعائه. فالصليحيون ودعاة الدعوة الطيبية بعدهم هم فقط الذين تحدثوا عن الطيب بن الأمر، بينما سكت المؤرخون عنه ولم يذكروا حتى اسمه في كتبهم؛ بل ذهب المؤرخون إلى أن الجهة التي كانت حاملا عند موت الأمر بأحكام الله وضعت أنثى، ولكن الصليحيين قالوا بل وضعت الطيب، وإن السيدة الملكة الحرة كانت كفييلته وأنها سترته فلا يعرف أحد شيئا عنه! ونحن نتساءل عن سبب ستره مع أن الدولة

(١) وبعد أن حررنا ما سبق أرسل إلينا صديقا الفاضل الدكتور محمد كامل حسين مقالا، وذلك بدعوة منا، عن عقائد الدعوة، فله منا الشكر على إجابة دعوتنا، والعذر على ما أبدينا من آرائنا، خدمة للعلم والتاريخ.

كانت دولة الصليحيين والسلطان في أيديهم . فلم قبلوا أن يدخلوا إمامهم الستر وأن يخفوه ما داموا يدعون له ويدنون بطاعته وإمامته ؟ يخيل إلى أن الصليحيين وضعوا قصة الأمر هذه ، حتى يتخذوها ذريعة للانفصال من سلطان الفاطميين الديني ، وأن يستقلوا بالنفوذ السياسي والديني معا . وأوحى دهاء الملكة الحرة وذكاؤها الشديد وحرصها على أن تجمع في يدها السلطتين السياسية والدينية إلى أن تقول بأنها كافل الإمام المستور وحقته الكبرى . وسار على نهجها كل داع مطلق في الدعوة إلى الآن .

وإننا نرى وجاهة في رأى صديقنا الفاضل الذي ذكرناه آنفا ، وأن من حق الباحث أن يتساءل ويناقش ويشك ، حتى يصل إلى معرفة الحقائق أو ما قرب إليها . وإننا نرى أن ما روى عن الطيب بن الأمر يكتنفه بعض الغموض من حيث مسألة استتار الإمام واختفائه في ظروف خاصة ، كمسائل أخرى تتعلق باستتار الأئمة الفاطميين . ونقول إن استتار الإمام لا يبقى سترًا إذا كانت أحواله وأموره مكشوفة واضحة . والذي يدعشنا أن الأمر لم يعلن ولاية عهد ابنه الطيب في دار الخلافة بمصر بالرغم مما روى اليمينيون أنه نص على تعيين الطيب للإمامة بعده . ونحن لا نستطيع أن نفسر هذا إلا أن الإمامة ينحصرها رئاسة الدعوة وأهلها ، وأما الخلافة فلم ير أنه جاء الأوان لإعلان ولاية عهده ، واغتيل نجاة .

وبالرغم من ذلك تؤيد وجهة نظر الدعوة اليمينية على أساس وثيقة معاصرة هامة - وهي السجل الأمري الموجه إلى الملكة الحرة . وهذا السجل لورده المؤرخ الفقيه عمارة اليميني الحكيم (٥١٥ - ٥٦٩) في كتابه تاريخ اليمن . وقد عاش الفقيه في اليمن ، ثم انتقل في سنة اثنتين وخمسين وخمسة مئة في عهد الخليفة الفارز الفاطمي إلى مصر ، ورفض أن يتخذ مذهب الدعوة دينًا ، بالرغم من حبه للفاطميين ومنغريات المناصب والمكاسب المادية . ولم يكن هذا للمؤرخ طيبًا ولا مجيدًا بل ولا فاطميًا في ميوله الدينية ، بل تمسك بمذهب أهل السنة ، ولكنه كان ملتمسًا بحقائق الأمور في المسرحين اليميني والمصري . وزيدنا اعتمادًا عليه أنه تحدث عن الطيب بن الأمر وذكر سجل الأمر الموجه

إلى الملكة الحرّة وهو بين أصحاب الدعوة المجيدية المصرية التي كانت تحارب الدعوة الطيبية بكل شدة . فلم يخف عمارة من إتيان الوثيقة في كتابه ، ولم يتملق أو يلفق ، بل ذكرها بكل بساطة كما دته . والظاهرة هذه أدنته إلى مشنقة الأيوبيين . فزى أن علماء الدعوة الطيبية لم ينفردوا بالتحدث عن الطيب الإمام المستور ، بل تحدث قبلهم هذا المؤرخ السنّي الفقيه الثقة الجليل القدر .

والظاهر من رواية المقرّبي التي ذكرناها آنفا أن الأمر كان له أولاد غير الذي كانوا يتوقعون ولادته . ولو صحت رواية المقرّبي نستطيع أن نقول إن الطيب كان من هؤلاء الأولاد . ولم يذكر أحد من المؤرخين أسماءهم ولا نعرف شيئا عنهم إلا أن المقرّبي أشار إلى أن عبد المجيد « كان كفيلا لمنتظر في بطن أمه من أولاد الأمر » . ولو صحت رواية المقرّبي فإنه لجأز أن الأولاد كانوا أناثا ، ولكننا لا نعرف عنهن شيئا ؛ ويجوز أن الأولاد كانوا ذكورا . وليس الأمر بعيدا لأن الأمر كان كمثلته من خلفاء المسلمين وأمراء المؤمنين لم يقتصر على زوجة واحدة . وإننا نعتقد أن الأمير عبد المجيد كان كفيلا للطيب ، لا لمنتظر من أولاد الأمر . وذلك لأن المقرّبي ليس دقيقا دائما في تسجيل الحوادث .

ولم نعث في كتب الدعوة التي تحت أيدينا ما يثبت أن الصليحيين قالوا إن السيدة الملكة الحرّة كانت كفيلا للطيب وأنها سترته . ولم يذكر صديقنا المحقق مصادره . ولقد روى مؤرخو الدعوة اليمنية معلومات هامة عن هيئة الدعاة الذين كلفوا كفالته وستره ، وعمالاقوا في هذا السبيل من القتل على أيدي الوزير أبي علي بن الأفضل الذي أظهر مذهب أهل السنة بعد أن أقام الدعوة للخليفة المزعوم أبي القاسم المنتظر القائم في آخر الزمان المهدي . وليس هناك تناقض بين كفالة ابن عم الأمر الأمير عبد المجيد بن محمد بن المستنصر لخلافة الطيب وبين كفالة الدعاة لإمامته . فقد وجد الأمير بعد خروجه من المعتقل أن الدعاة قد قتلوا ، وأن الطيب قد استتر في فترة اعتقاله في السجن ؛ ومن المحتمل أنه لم يكن يعرف ملجأه ولا متوأمه ، فأصبح طريقه إلى الخلافة ممهدة ، وأظهر الخلافة والإمامة معا لنفسه ، مع أن هذا العمل يناقض مبدأ الإمامة منذ الفاطميين ويردها إلى القهقري .

وقد ذكرنا فيما سبق ما قال ابن الفرات عن الأمرية في الشام واليمن والطيب ابن الأمر ، ولكننا اعتمدنا في تأييد وجهة نظرنا على سجل الأمر نفسه وعلى تسجيل المؤرخ المعاصر القاضي الفقيه عمارة اليميني ، وبين هذا وذاك أوردنا تفاصيل ذكرها علماء اليمن .

هذا من الناحية التاريخية . وأما بقية الاعتراض فنقول إن الصليحيين كما أوضحنا لم يخفوا الطيب بل الدعاة في مصر أخفوه . وإن سلطان الصليحيين في أواخر عهد السيدة الملكة الحرة أخذ في الزوال ، ولم يبق في دولتها إلا بعض الحصون والمعقل ، وانقرض أمرهم بعد وفاتها . ونسب الأستاذ العليم إلى الصليحيين وإلى ذكاء الملكة ودهائها وضع قصة الأمر هذه « على أن تجمع في يدها السلطتين السياسية والدينية إلى أن تقول بأنها كافل الإمام المستور وحجته الكبرى » الخ . إذا كانت مملكتها في أواخر عهدنا أخذت تنهار ، فإننا نرى أن قبولها دعوة الخليفة الحافظ عبد المجيد يساعدها على استرجاع بعض نفوذها وفي تقوية سلطتها السياسية إلى حد كبير ، لأن الفاطميين في أيام الحافظ عبد المجيد كانوا لا يزالون يملكون أمبراطورية قوية الجوانب . وكان الملك سببا الزريعي استطاع أن يوطد مركزه في اليمن الأسفل بفضل مساعدات الخليفة الحافظ وسفيره المقيم باليمن . ولكنها لم تفعل هذا ، بل رفضت دعوى الحافظ ، وهي تعرف أنها تخسر صداقة دولة قوية ، وتعرف أن ما بقي من مملكة الصليحيين تنتهي بعد موتها إذا لم تكسب حلفاء أقوياء ، وبقيت الملكة تحافظ على ولائها للإمام الطيب ودعوته والأئمة الفاطميين من قبله ، وتقول : « حسب بنى الصليحي ما علموه من أمر مولانا الطيب » كما رواه عمارة اليميني . فهذا يدل على أنها لم تكن ترمي إلى هدف سياسي لما فصلت دعوة اليمن من الخلافة المصرية .

وقد عرفنا من المصادر التاريخية أن ملكتنا السيدة الحرة كانت امرأة كسائر النساء إلا أنها امتازت بعلمها وفضلها وتقواها وعبادتها حتى فاقت الرجال ، وأنه لم ينسب إليها الكذب والخديعة والغدر والخيانة وما شا كلها من الرذائل . ومن الطبيعي أن سيدة عظيمة كهذه يكون لها ولأمرها أولياء ومؤمنون

يحبونها إلى درجة العبادة ، ويكون لها أعداء يريدون القضاء عليها وعلى أمرها .
أضف إلى ذلك أنها كانت رأس مجتمعا يتمتع بقسط كبير من السؤدد والنسب
والإباء والشرف والحرية حتى سميت باسم « سيدة ملوك العرب » . وكان في هذا
المجتمع سلاطين بني الصليحي وخولان ويام وهمدان واليعارب ذوو بأس وشهامة ،
وبالرغم من ولائهم للملكة كانوا يعارضون أحيانا خططها السياسية والحربية ،
كما شاهدنا في معارضتهم للأمير ابن نجيب الدولة مستشار الملكة المصري ، وفي
قول السلطانين الخولانيين ابني الزر شامتين في سقوط المستشار المصري ونصرتها
له : « صدق الفقيه في قوله : قال عبد الله بن عباس : كنا ندخل نسمع الحديث
من عائشة ، فلا نخرج حتى نعلم أنها امرأة » . وكان في هذا المجتمع اليمني علماء
ومفكرون امتازوا عن غيرهم بمعارفهم الواسعة وتفكيرهم وخبرتهم بأحوال الناس
أمثال الشيخ يحيى بن ملك الحمادي والحبر الذؤيب بن موسى الوادعي والسلطان
الخطاب الحجوري والشيخ إبراهيم الحامدي وعلماء آل الوليد العبشمي . فإنا
نستبعد أن امرأة مهما بلغت في الدهاء والذكاء نستطيع أن نخدع مثل هذا المجتمع
بأمره ، وفي كل زمان . ولم نسمع أن أحدا من هؤلاء السلاطين والملوك والزعماء
والشايخ والعلماء احتج أو أشار إلى اختراعها هذه « القصة » . ولم نسمع أن
ملوك بني حاتم اليامين الهمدانيين الذين تحرروا من اختلاف انذاهب وانفصلوا
عن الدعوة الفاطمية ، أو السلطانين الخولانيين سليمان وعمران ابني الزر اللذين
اشتهرا بمعارضتهما للملكة ومستشارها المصري ، أو السلطان سبا بن أبي السمود
بن زريع الجشمي صاحب عدن الذي استماله سفير مصر القاضي الرشيد أبو الحسن
أحمد بن علي الفسائي الأسواني^(١) إلى دعوة الخليفة الحافظ عبد المجيد ، أو السفير
المصري نفسه الذي كان يحارب الملكة ودعوتها إلى الطيب بن الأمر بالله وعلمه ،

(١) هو أبو الحسن أحمد بن علي بن محمد بن الحسين بن الزبير الفسائي الأسواني . وكان
من أهل الفضل والنباهة والرياسة ، كما كان أوحد عصره في الفقه والرياضيات والهندسة .
وله كتاب « الجنان ورياض الأذهان » . وقد قال الجندي : « إنه قدم اليمن رسولا من
صاحب الديار المصرية الحافظ ، وأقام فيها مدة وانتفع به وبعلمه كثير من أهل اليمن (بأنقرة :
تفر عدن ٤٠/٢) .

أو غيرهم تسكلموا أنها أو الصليحيين وضعوا قصة الطيب هذه..

وقد حاول الأمير عبد المجيد (الخليفة الحافظ) بعد اختفاء الإمام الطيب أن يتصل بالملكة الحرة ، فراسلها ليستميلها إلى قبول خلافته ، وإعلان ولائها لشخصه ، ولكنه أخفق في جميع محاولاته . وفي ذلك يقول إدريس^(١) « .. وكان عبد المجيد يكتب الحرة الملكة ابنة أحمد حجة الأئمة في الجزيرة اليمينية ذات الرتبة السنية ، من ولي عهد المسلمين وابن عم المؤمنين » ، ثم كتب إليها : « من أمير المؤمنين » فقالت : « أنا أروى ابنة أحمد ، بالأمس ولي عهد المسلمين ، واليوم أمير المؤمنين . لقد جرى في غير ميدانه ، وادعى أمرا يبعد عن مكانه » . وأعلنت أهل دعوتها أنه قد نكث عهده وخالف رشده ، وادعى ما ادعاه الظالمون من قبله ، وارتقى ل مقام ليس من أهله » .

ولما عجز عن استمالتها أرسل القاضي الرشيد داعيا له باليمن ، فاستطاع استمالة بعض السلاطين بالوعود والمال . ولم تقف عرقلة الحافظ للدعوة اليمينية عند هذا الحد ، بل اتصل ببني زريع^(٢) في عدن واستعان بهم في نشر الدعوة باسمه . وكان القائم منهم في هذا الوقت هو سبأ بن أبي السعود بن زريع الجشمي الهمداني ، الذي نصبه داعيا له في اليمن . ويقول إدريس^(٣) : « وكان السلطان سبأ بن أبي السعود يظهر الدعوة إلى الحافظ . . . وقد ذكر أنه لم يجب عبد المجيد وبدع إليه إلا تقية وخوفا . . . نخاف سطوته وصولته وعدوانه ، وإنه كان باقيا على طاعة الإمام الطيب » . فاستاءت الملكة الحرة من عمل عبد المجيد هذا ، وفي ذلك يقول صاحب الأنباء^(٤) : « إنه وصل العلم بقتل الخليفة الأمر سنة ٥٢٤ بمصر

(١) عيون ٢٠٧/٢ .

(٢) هم رؤساء همدان وهم من جشم ثم من يام بن أصبا . وكان لخدم زريع بن العباس جهاد واجتهاد في قيام الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن في عهد الملك علي بن محمد الصليحي وابنه المكرم ، وإليهم يرجع الفضل في مساعدتهم ضد الدولة النجاشية . ثم ظلوا على ولائهم للدعوة المستعلية بعد وفاة المستنصر (راجع بانحرمة : نثر عدن ٤٠) .

(٣) عيون ٢٠٤/٧ .

(٤) أبناء / دار ٤٧ .

وقيام الحافظ بعده ، فأضافت السيدة دعوته إلى الزريعيين » . ويقول صاحب العيون : « ورأت أن الإمساك عنه ، والإغضاء أجدر ، ولم تظهر الإنكار عليه ، تقية من السلطان عبد المجيد . . على دينها ، ورعاية لأهل دعوتها ومملكاتها وأهلها » (١) .

فإذا كانت الملكة الحرّة هي التي اخترعت أسطورة الطيب ، فلماذا لم ينتهز القاضي الرشيد فرصة وجوده في اليمن لبيان حقيقة هذه الأسطورة ، فيسهل عليه المهمة التي أرسل من أجلها ؟ ولماذا لم يرسل الحافظ لسلطين اليمن - الناقين منهم على الملكة - ليفهمهم مبلغ تجرؤ الملكة على مقام الإمامة ؟ ولماذا سكت المؤرخون اليمنيون المعروفون بكرههم للفاطميين والصليحيين عن هذه الأسطورة ؟

ومها يكن من أمر ، فإن مجهود الحافظ عبد المجيد وسفيره باليمن قد نجح إلى حد ما ، فضمّت الدعوة الطيبية ، وتفككت أوصال الدعوة الصليحية بسبب هذه المناورات والخلافات .

وليس من المعقول أن الملكة السيدة تخدع الناس كلهم وتخدع نفسها في أواخر أيام حياتها . وذلك لأن الإمامة مسألة لها خطر وقداسة عند جميع فرق الشيعة . ومما لا شك فيه أنها كانت تؤمن بإيماناً صادقا مخلصا بوجود إمامها المستور ، بل تعلم هي وبعض أوليائها مثوى الإمام ومقامه ، كما هو ظاهر في نص وصيتها (٢) .

استفلال دعوة اليمن عن مصر

ثم إن دولة الصليحيين لم تكن في يوم من الأيام تابعة سياسيا للدولة الفاطمية ، بل إن حبهم وإخلاصهم لمذهبهم الديني هو الذي جعلهم يفرضون على أنفسهم تبعيتهم المذهبية للفاطميين . ولم تر طوال مدة حكم الصليحيين أن الخلفاء الفاطميين تدخلوا سياسيا في شئون هذه الدولة . وعلى ذلك فالملكة الحرّة ومن سبقها من

(١) عيون ٧ / ٢٠٥ .

(٢) عيون ٧ / ٢٠٩ - ٢١٨ ؛ انظر الملحق رقم ٩ .

سلاطين الصليحيين كانوا مستقلين سياسيا بلا دم ، ولكن ولاءهم لآئمة الفاطميين في مصر يجعلهم يخضعون لرغبات أممهم صاغرا وكابرا .

أما فصل الدعوة اليمنية عن الدعوة الفاطمية باسم الدعوة الطيبية ، فلم يكن الغرض منه كذلك هو الاستقلال الديني . ولم تكن الدعوة الطيبية دعوة جديدة ، كما يقول صديقنا الفاضل ، وإن كان هناك بعض الفوارق ، لأنه هو نفسه عاد ، فقال : « . . . إن آراء الفاطميين في التوحيد هي نفس آراء الدعوة الطيبية » . ثم قال في مكان آخر : « . . . فالعبادتان الظاهرة والباطنة هما أسس المذهب الفاطمي ، وعندهم أخذ الصليحيون هذه الأسس ولم يغير وافيهما شيئا » . فثبت أن دعوة اليمن بالرغم من أنها انفصلت عن الخلافة الفاطمية القائمة في مصر سياسيا بقيت مستمرة في عقائدها ومحتفظة بأدابها على ما كانت عليه الدعوة الرسمية في مصر .

وكانت الملكة الحرة حجة إمامها الفاطمي في الجزيرة اليمنية ، فذلك كانت تتمتع بقسط كبير من السلطان المطلق في أمور الدعوة حتى قبل انفصال الجزيرة عن مركزها الرئيسي بالقاهرة . وقد نصبت الملكة الذؤيب بن موسى الوادعي في حد « الداعي المطلق » ، فأصبح مركزه بذلك عظيما ، لأنه ينوب عن حجة الإمام بل عن الإمام نفسه . وأصبح هو المصدر الذي تستقى منه علوم الدعوة ، فلا نجد داعيا من الدعاة يكتب في التأويل إلا بعد الرجوع إليه ، بعد أن كان هذا مباحا لعلماء الدعاة في دور الظهور ، وبعد أن كان باب الاجتهاد مفتوحا كذلك لهم بإذن الإمام وحججه . وأما الآن (دور الستر) فلا يسمح لأحد إلا بدراسة علوم الدعوة وجمعها وتنقيحها ، وذلك أيضا بإذن الداعي المطلق .

السلطان الخطاب بن الحسن الحمجوري

عاضد الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي في إقامة الدعوة مأذونه السلطان

الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري^(١) الهمداني ، ومركزه في الدعوة على الداعي المطلق الذؤيب . وفيهما قال إدريس^(٢) « وهما في العلم مناره وعلمه الذي لا تخبو ناره » وقال أيضا^(٣) : « وكان الخطاب بن حسن أبا الملكة من الرضاع — ذا منزلة جليلة ، وهو أرفع الدعاة بعد الداعي الذؤيب بن موسى ، وعاضده في إقامة الدعوة الآمرية والطيبية في أوان الحرة الملكة السيدة الصليحية وبعد وفاتها ؛ وكانت له عندها مزية جليلة ومرتبته وفضيلة . وهو من دعاة أيام الظهور والستر » . وكان الخطاب معروفا بالفضل والعلم والشمر والحكمة ، وباللباس عند الشدائد والإقحام في الحروب ، وبالورع والزهد ، وبالملك والسؤدد^(٤) .

وقال باخرمة وإدريس نقلا عن صاحب المفيد^(٥) : « ومن شعراء اليمن المجيدين الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ » وله ديوان شعر^(٦) ، فهو من الشعراء المعروفين في اليمن . وقد شاركه أخوه الأكبر سليمان بن الحسن الحجوري في هذه

(١) حجور حى من همدان ، وهم ولد حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب ابن جشم بن حاشد . وحجور حى عظيم باليمن والشام والعراق تقارب نصف حاشد . ومنهم بنو الصليحي بيت الأخرج ، وهم من بني عبيد بن أوام بن حجور (هامش العيون ٢٢٢/٧ ؛ إكليل ٩٧/١٠ — ٩٩) والخطاب من ولد حريث بن شراحيل ثم من ولد موله بن حجور ثم من قدم من ولد عليان بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد . ابن حبران بن نوف بن همدان (إكليل ٩٧/١٠ — ٩٩ ؛ عيون ٢٢٢/٧ ؛ نزهة ٨٦/١) وذكر أبو محمد الهمداني في صفة ١١٣ بلاد حجور من جبال حاشد ، وقال حجور أربعون ألفا . وفي انسابه إلى حجور يقول الخطاب (د الخطاب ١١١) :

قوى حجور جناح نى أطير به وأهل عزى من دون الورى قدم
لا يبدلون لرسم حين أرسمه ولا أبدل رسما غير ما رسموا

(٢) عيون ٢٢٢/٧ .

(٣) نفسه ٢٢٦/٧ .

(٤) وذكر إدريس (٧ / ٢٢٤) نقلا عن عمارة اليمن في كتابه المسمى بأنموذج ملوك اليمن ما يوصف من أحكام السلطان الخطاب صاحب مدينة الجريب وفطنته وذكرائه في معرفة القضايا التي كانت ترفع إليه .

(٥) باخرمة : قلادة النحر ٢ / ٣ ورقة ٦٣٥ — ٦٣٦ ؛ عيون ٢٢٢ / ٧ .

والظاهر هو كتاب المفيد لعمارة .

(٦) مخطوط ديوان الخطاب محفوظ بالمكتبة المحمدية الهمدانية . وسندكر مصنفاته

في الباب العاشر .

الناحية الفنية . وقال إدريس^(١) : « إن ديوان سليمان معروف جيداً ولا يزال موجوداً »^(٢) . وقال إدريس^(٣) نقلاً عن مؤلف ديوانهما : « إن الخطاب وسليمان كانت لهما معرفة قوية حتى عرفا باسم «مِقْوَالِي قحطان» ، وأجيز لسليمان في ست مئة كتاب قراءة ، ولأخيه الخطاب في أربع مئة ، وركب سليمان أيامه في ثلاث مئة فارس ، وركب الخطاب أيامه في خمس مئة فارس » .

ومعظم قصائد الخطاب كانت في مدح آل بيت الرسول والأئمة ، وفي الحكم والحقائق ، وفي الرد على المعترضين على الدعوة ، والفاخرة . ولم يمدح أحداً من معاصريه إلا الحرة الملكة ابنة أحمد « وصاحب الرتبة السابق » (ولم يذكر اسمه) ، وهذا على سبيل الاعتراف بالجميل وتلقي العلم . ولعله يريد بالسابق الذؤيب بن موسى الوادعي .

ونورد هنا بعض الأبيات التي تشف عن أسلوبه في الشعر ، وولائه للملكة الحرة وللأئمة الفاطميين بمصر ، وعقيدته في النظام الفكري الفاطمي ، وإخلاصه وحماسه للدفاع عن حوزة الدولة الصليحية ، والتي تلقى ضوءاً على شخصيته الفذة ، فلنقتطف من غير قصائده الأبيات الآتية^(٤) . قال :

مَلِّتُ بدارِ الحسِّ طولَ تَوَانِي وسجني وتمذيبي بها وبلائي
وَجَمَعَ لَطِيفِي بالكثيفِ ولزَّهُ إليه الأشقائي وطول عنائي
ومالي سوى فوز المَمَادِ إرادة وخلقى من الأجسام كل غشاء
كعَلَى بدارِ القُدسِ أرجع كالذي وجدت به من عزّة وعلاء

(١) عيون ٧ / ٢٢٣ .

(٢) ذكر الأصبهاني في خريدة القصر (مخطوط بالكتبة الأهلية بباريس رقم ٣٣٢٩ ورقة ٢٧٥) سليمان بن أبي الحفظ من شعراء اليمن ؛ وأورد بيتين من شعره :

كنتم تمنون ريحاً أن يهب لكم من النسيم ولو يومين تتصل
جاءكم مثل ما عاد به هبت من العقيم التي عاد بها هلکوا

وقد بحثنا عن ديوان سليمان بدون جدوى .

(٣) عيون ٧ / ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٤) وقد لخص ستروطمان في Miscellany ١٣٨ - ١٣٩ موضوعات هذه القصيدة .

ولألاء نور واقتدار وغنية
 حننت إلى تلك المقامات والتظى
 أرى الموت جسرا والأحبة خلفه
 وهل يكره الموت امرؤ متعلق
 غداراضيا في كل أمر مسلما
 تحضت لإخواني صريح نصيحة
 وأودعتها روحا من القدس بباريا
 وذلك أني قد بلوت فلم أجذ
 سراب كما قال الإله ببيعة
 ولا شيء إلا ما علمتم بحبله
 ألا واغسلوا من كل حقد قلوبكم
 ولا تجملوها للحقود أو انيا
 وإياكم والكبر والحسد اللذين
 دعوه وسوء الخلق والمجب أنها
 فلا تسبينوا بالحدود وعظّموا
 تلقوا بحسن السمع والطوع أمرهم
 ولا تسألوا الم ذاك، وارضوا وسموا
 فتلك صفات المؤمنين وسمتهم
 ورأى لكم أن لا تحبلوا بشرطها
 بذلت لكم نصيح الأمين لأني
 فمن شاء فليأخذ ومن شاء فليدع

ومحض جلال باهر وسناء
 فؤادي بحر الشوق والبرحاء
 وعابره من أسعد السعداء
 بعروة إخلاص وحبل ولاء
 لمولاه ديننا ليس فيه رأي
 تعرفهم أني من النصحاء
 إلى كل داء منهم بشفاء
 مذاهب هذا الخلق غير هباء
 تراءى لقوم مصححين ظاه
 وعروته للمرة النجباء
 عليكم فداء الحقد أخبث داء
 فإن إناء الحقد شر إناء
 خلائق أعداءكم نعماء
 مقامات تلك الصفوة العظاء
 بما جاءكم لو جاءكم بفناء
 بغير اعتراض منكم ومراء
 وسيرتهم نقلا عن العلماء
 إذا كنتم ممن يعسوب رأى (۱)
 على كل خالصان من النصحاء
 نصائح لم تبدل لأخذ كفاء

ولا الذكر لى أنى من الفصحاء
 لحيان فى تبه الضلالة نانى
 إن استيقظت لى أنفس الجهلاء
 بصقلى وتهذيبى بها وجرلاى
 صباغنا به تضحى من البلغاء
 بظلماتها فى جملة السجناء
 فتى لىس معدودا من العقلاء
 به عقل طبع ذا عمى وعياء
 دفاع مضر واجتلاب غناء
 به فليلازم سنة الفضلاء
 بذلك أضدادا من القدمات
 مقاما وشندا وأيديا بهواء
 له من كتاب الله عدة آتى
 فإنى له لمن أبغض البغضاء
 إليهم بمكر منهم ودهاء
 وزورا مبيحا منهم لدماء
 كهمل معتر فى الغلاء وشاء
 رعاياهم فى جملة النظراء
 فتضحى وتمسى فى كلاً وكلاء
 أمين ويسقيها بحوض رواء
 تشيع من أشياعه بيرعاء

ولا طلباً للشكر من آخذ بها
 لحبت بها الطموس من سبل الهدى
 وأيقظت من نوم الجهالة أنفساً
 عسى تنجلي منهن نفس صديفة
 فيصبح إكسيري مهياً ذاتها
 وتخلص من سجن الهيولى الذى غدت
 ولن يدرك الحال الذى أنا واصف
 أريد به عقل المعارف ، لم أرد
 شبيهاً بعقل فى البهائم همته
 فمن كان مهتراً لما أنا واصف
 ولا يعتمد خرق الشريعة تابعا
 ومتموه ديناً عندهم وادعوا به
 وأول كل منهم بقياسه
 ألا كل من هذا السبيل سبيله
 وقالوا كذا قول الأئمة واعتزوا
 لقد قال إفكاً فى الذى قال عنهم
 وأجفل عنهم ذا السواد الذى غدا
 به امتدت الأيدى إليهم وأصبحت
 نوافر من راع شفيق يصونها
 ويوردها المذب الفرات وشربها
 وما يتقى بطش السباع رعية

وما ذاك إلا زُبْدٌ مَخْضَمٌ الذي
 أبان ليس من نسل ابن مرّة أصلهم
 عليهم شعار المؤمنين ومختمهم
 أضلوا بما جاءوا فريقي غواية
 فريقاً نَحْمًا ما قد نَحْموه مقلداً
 وثانٍ رماهم والإمام الذي اعتروا
 وأصبح من يدعو إليه لديهم
 تبادره الدهاء في كلّ مشهدٍ
 حلفت بـولاي الذي كفروا به
 لأنهم بالقتل من كلّ حيّة
 له مَخَضُوا في الكفر شرّاً سقاء
 تسموا لمن كادوه بالخلفاء
 وسبباً قومٍ جلةٍ حُلَماء
 وأدلوهم فيها بغير رشاء
 عقول أولاك السادة الكبراء
 إليه من الفحشا بكلّ خناء
 تهبماً بهم من حملة التهماء
 وترميه من شتمٍ بكلّ بداء
 وهم مدعو نصح له ووصفاء
 أحق ولا كانوا من الشهداء

وقال يخاطب أهل الدعوة في أنحاء اليمن (١) :

أبانا لي تحيتي واغما الشكر كثيراً يا أيها الرابكان
 من ثوى ساكننا بصنعاء فالبو نرنا بينها إلى تجران
 فإلى حازر فالبوادي فميرزا نرنا فمالي الذراء من كوكبان
 فشبابم فنور فإلى الغر ب [فـ] من حمير ومن همدان
 مؤمنها خصاً ذوى الاعتقادا ت التي لاتزل والأديان
 كل صافي اليقين موفربما عاهد الله مخلص الإيمان
 صفو صفو الأفلاك لب الهبولي من قديم وزبدة الأزمان
 أن سلام عليكم أولياء الله حقاً يا شبيعة الرحمن
 هل أنا كم ما كان مني من الكشف لأهل الضلال والطغيان

(١) د الخطاب ١٠٥ - ١٠٧ .

وقيام بدعوة الأمر المنصور جهراً في موضعى ومكانى
فنفيت الأصنام والجبت والطاغوت عنها وسائر الأوثان
وأيضاً يذكر ما أقام من الدعوة إلى الأمر بأحكام الله الفاطمى وإقامة الخطبة
له وباسمه وضرب السكة حيث يقول (١) :

حرام على النوم غير غرارى يلم بجفنى بعد طول نغارى
وأظهر أعلام الهدى مستطيلة أشعة أبقار بها ودرارى (٢)
وأظهر للمنصور مولاي دعوة موطدة فى مسكنى وقرارى
وأعلنها كشفاً بغير تستر وأكشفها جهراً بغير سرارى
أمتلى يلهيه فيلهو بكلمة ترسم أوتار وشرب عقارى
ويرضى بما يرضى به من معيشة من الناس فى دنياه كل حمارى
فمن مبلغ مولانا ابنه أحمد نهايتى القصى وقطب مدارى
سلامى وإلماى وزاكى تحيتى وإن بعدت دارى وشط مزارى
أمولاتنا حقت لديق نصيحتى حقيقة علم ليس فيه تمارى
وما كان من كشفى القناع لمذهبى جهاراً فلم أخش العدا فأدارى
خطبت لمولانا وأظهرت سكة عليها اسمه طارت بكل مطارى
لدى معشر جبل الضلالة عندهم مغار وجبل الدين غير مغارى
وفارقت أولادى وأهلى وما حوت جيما يدي من فضة ونضارى
ورمت رضا المنصور فيما أتته إذا فارقت درى قشور صحارى (٣)

(١) لا توجد هذه القصيدة فى نسخة ديوانه الموجودة فى مكتبتنا المحمدية الهمدانية ،
فنقلنا هذه الأبيات من عيون ٧ / ٢٢٦ - ٢٢٧ .
(٢) وفى رواية : مستطيرة أشعة أبقار لها البيت .
(٣) صحار ، بلد فى أرض حجور فى سرة المصانم (صفة ٦٩ و ٧٢) .

فهل لي يا مولانا منك عاضد ممين به يضحى زنادى وارى
أمولاتنا لا تركيني بقفرة وحيداً لأعدائى تروم دمارى
وقومى بأمرى والحظيني بلحظة فلحظك غادر بالسعادة جارى
ولى غرض لا بدلى من مناله بلا رقبية منى ولا بحذار
سامضى لها عزمى فإمّا منية تجين بفك من وثاق أسارى
وأن لا علتى بي دعوة أمرية بها وإليها نسبتى وشعارى

الحرب بين الخطاب وإفرون

وكان الخطاب يسكن مع إخوته في مدينة الجريب^(٢) . وبعد وفاة أبيه حدث نزاع بينه وبين أخيه الأكبر سليمان الشاعر ، أدّى إلى قيام حرب بينهما دامت مدة طويلة من سنّى الخمس مئة إلى أربع عشرة وخمس مئة . فغلب الخطاب على الأمر وجعل الجريب مسكنه ومقر مملكته . ويذكر إدريس^(٣) نقلاً عن مؤلف ديوانهما أن « سليمان ركب أيامه في ثلاث مئة فارس ، وركب الخطاب أيامه في خمس مئة فارس . وانترج عنه سليمان إلى قومه من حجور بنى أفلح بالعرق^(٤) ، ثم إلى الأمير أبى الغارات على بن يحيى بن حمزة بن وهاس السلماني بالساعد^(٥) ، ثم إلى الحدة آل نجاح يزيد وإلى قوادهم الفوانك مفلح ومنصور بن مفلح ومن الله وإسحاق بن مرزوق وأبى محمد سرور وأحمد بن مسعود الجزلى ، فجيتس مستنصراً بهم على أخيه ، فاستغار بغارات عليه » . ولكنه لم يتمكن من أخذ البلد الجريب ، لأن الخطاب تعلق بآل الصليحي بنى جبلة أيام الحرة الملكة السيدة ابنة أحمد .

(٢) عيون ٧ / ٢٢٢ : الحريث . والصواب الجريب كما جاء في د الخطاب ونزهة ١ / ٨٦ . وهو بلد في سرة قدم وسوقهم الأعظم يتسوقه يوم وعده ما يزيد على عشرة آلاف إنسان ؛ وأجريب من بلاد حجور هي سوق لأهل تهامة وعتر وجميع بلد همدان كما ذكرها أبو محمد الحمداق في صفة ٦٩ و ١١٣ .

(٣) عيون ٧ / ٢٢٤ .

(٤) كذا في عيون ٧ / ٢٢٣ . وفي صفة ٦٩ و ١١٣ : العرق بلد في سرة قدم .

(٥) سبق أن ذكرنا نسب الأشراف السليمانيين الفاطنين بتهامة عبر ص ١٥٢ .

وأخيرا تمكن الخطاب من سليمان فقتله غيلة ، رماه بحربة تسمى المريجة ، ولبث في الأمر بعده وبعد قتل أخيه أحمد بن الحسن (١) . وكان أحمد بن الحسن « قد قتل أختها جميعا ظلما وعدوانا ؛ وكانت امرأة مؤمنة سالحة » (٢) . فيدل قول إدريس على أنها كانت تميل إلى الدعوة وتنسب إلى حزب أخيها السلطان الخطاب ، فلذلك قتلها أخوها أحمد بن الحسن . ويظهر أيضا أن أحمد بن الحسن احتضنه أخوها الأكبر سليمان لا لجنبه ، بل لبعض الخطاب . وذلك « ذنبه الذي فرق بينه وبين أخيه سليمان » (٣) وأدّى هذا النزاع إلى الحرب بين الخطاب وإخوته وطرده إياهم من مقر مملكة أبيهم السلطان الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري - الجريب . وهناك سبب آخر أكثر خطورة من قتل أختهم الحرّة البرّة . وهو انتساب السلطان الخطاب إلى الدعوة وحماسه في تدعيمها ونشرها في اليمن . وفسر صاحب العيون حربه لإخوته قائلا (٤) : « إنهم كانوا مخالفيين له في المذهب والسيرة ، مباينين للدولة الصليحية مناصبين لها ، كثيرى البنى على الخطاب » . وقد تفاقم الخلاف بين الإخوة بسبب التجاء سليمان إلى أعداء الدولة الصليحية وخصوصا الألد منهم آل نجاح يزيد . ومع ذلك كان الخطاب متألما بهذا النزاع الدموي بينه وبين من يربطه الرحم حيث يقول متضرعا إلى الله (٥) :

يامن رضيتُ مسلماً لقضائه ورضيتُ حُكمهُ
وعلمتُ أنّ جميع ما يأتى به عدلٌ وحِكمَةٌ
• • • • •
• • • • •
• • • • •
فافرّجْ يمنك عن وليّك مُسرّعا ماقد أغمّه

(١) غيون ٧ / ٢٢٣ .

(٢) نزعة ١ / ٨٧ .

(٣) نفسه .

(٤) غيون ٧ / ٢٢٦ .

(٥) الخطاب ١١٨ - ١٢٠ .

وارحم تضرعه ونفس كربه عنه ونعمه
وابصره نصراً يستقيده من العدا عاصي الأزمه
وأدله منهم إنهم أعداء غدر للأئمة (۱)
لا يحفظون لمؤمن عهداً ولا يرعون ذممه
فترى الولي بهم حليف كآبة وأخا مهمه
تطوى محامده بهم وتشيع الأبخاس ذمه
لو يعضدون بقوة لتقاسموا دمه ولحمه (۲)
لا ينظرون له وشيخ قرابة وأكيد حرمة
قد صيروا إيمانه وولاءه لله جرمة
فتألبوا غصبا عليه وأكثروا بالغيب رجه (۳)
ورموه عن قوس العدا وة طالبين بذاك ظلمه
متناصرين عليه يطلق كلهم بالكيد سهمه
فإليك يا مولاي يدعو رافعا يده ووجهه
متوسلا بمن ارتضيت من الهداة المستئمه (۴)

فترى أن السبب الحقيقي الذي أدى إلى الحرب بين الإخوة كان النزاع حول
« إرمهم » الجريب عاصمة بلاد أبيهم السلطان الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري .
أقسمت بالله رب الناس كلهم أن الجريب لمشكال لها كنها
لكننا قد نراها أنها « إرم » (۵)

وقد اشتد الخلاف كما ذكرنا آنفاً بمقتل أختهم الصالحة ، ثم بالتجانبهم
إما إلى الصليحيين أو إلى النجاشيين ، فصار الخلاف سياسياً ؛ ثم أخذ

(۱) هامش الديوان : أداله الله من عدوه أي جعل له الدولة عليه .

(۲) في رواية : لم يعضدوه بقوة . (۳) تألبوا عليه أي اجتمعوا عليه .

(۴) المستئمة أي الداعية إلى الأئمة . (۵) د الخطاب ۱۱۳ .

صبغة دينية ، وقد تغالى الفريقان في حب الأبعد وبنفض الأقارب ، فيقول الخطاب مفتخرا بموالاة الأئمة (۱) :

وأقصوا مناويهم ولو كان والدا
أو أبنا وخصوه بكلّ جفاء
ووالوا مواليهم بصفو محبّة
ولو أنه من أبعد البُعداء

فهكذا نرى كثيرا من الحوادث في تاريخ اليمن ترجع إلى أسباب شخصية أو سياسية ثم تنتهي إلى التحزب المذهبي والتعصب الديني وتآليب المسلمين بعضهم على بعض . فياحبذا لو اجتمع الأخوان سليمان والخطاب - مقولا قحطان - واتحدت قواهما واثلفت مواهبهما في إعلاء كلمة قحطان !

وقد انتصر الخطاب على إخوته وكان الانتصار في الحقيقة فشلا وهزيمة . وأراد أن يتدارك بعض ما فاته من أهل بيته وصلة الرحم ؛ فضم إليه أولاد أخيه سليمان وآواهم وقام بأمرهم ورباهم . فلما كبروا أظنّاهم بعض الناس وذكروهم مقتل أبيهم سليمان وإدراك الثأر . ففتكروا به على غرة وقتلوه بمضجعة (۲) .

ووجدت بعد مقتله قصيدته الميمية (۳) التي كان قد قالها وكتبها قبل وفاته، مطلعها:

الدهر يعتد ما يجرى به القلم (۴) والمرء يلحقه النعماء والألم (۵)

ومنها :

يا أيّها الناطق الناهي يحذرنى إنّ الحذير من المقدور مخترم
إن كان قد حلّ حقاً ما أحاذره فليس لي من قضاء الله معتصم (۶)

- (۱) د الخطاب ۵۱ .
(۲) ولم يمت الخطاب في ميدان القتال ، كما ذكره سنروطمان في Miscellany ۱۳۶ .
(۳) د الخطاب ۱۱۰ - ۱۱۵ ؛ نزهة ۱ / ۸۸ - ۹۰ .
(۴) رواية نزهة ۱ / ۸۸ : يتبع ما يأتي به القلم .
(۵) كما في نزهة . ديوان: تحفظه . (۶) نزهة : إن كان حقاً قضى ما كنت أحذره .

كم مُفسد مُردٍ لم يدر ذى مَرَحٍ إلا وقد حلّ من بأسى به النقمُ
 كم من أعاد ذمّرت الخيلَ نحوهم بكلّ أروع في عرينه شَمُّمٌ (١)
 حتى تركتهم والناس قولهم (٢) كانوا وكان لهم عزّ له حَرَمٌ (٣)
 فإن أصرّ مثل ما قد صيرته يدي فالله أكبر وهو العادل الحكيمُ
 ولستُ أجزع من موتٍ على كرم وذاك أكرم شيء فاسمه الكرمُ
 أقسمت بالله ربّ الناس كلهم باري الأنام ومن يُخشى به القسم (٤)
 أنّ الجريب لشكالٍ لسا كنها لكننا قد زأها أنها إرَمٌ
 هذا لآخر منا من يحلّ بها (٥) فسوف يبقى على أفعاله الندمُ (٦)
 يا أيها الدهر كم تلهو بفرتنا أشكو إلى الله دهرًا ليس يلتزم (٧)
 وهكذا الناس دنياهم تبدهم وهكذا قد مضى من قبلنا أَمَمٌ
 ويذهبون شتيتا في الورى مزقًا بين البرية لا عُرب ولا عجمُ

ويظهر أنه قال هذه القصيدة وكان ألمه أهدما يكون بعد وفاة الملكة الحرّة ،
 وكانت هي قطب مداره ، فوجد نفسه «وحيداً بقفرة لا تلحظه بلحظاتها ولا تقوم
 بأمره» . وظل الخطاب يعاضد صاحب الرتبة السابق الذؤيب بن موسى الوادعي
 بعد وفاة الحرّة الملكة في إقامة الدعوة حتى وافته المنية .

- (١) ذمّه الرجل أى حضه على الأمر ليجد فيه . وفي رواية : زمت الخيل نحوهم وكل
 أروع تليت . والأروع الشهم الذكى الفؤاد ومن يعجبك بجهاره منظره .
 (٢) كما في نزهة . ديوان : حتى تركت يقول القائلون لهم
 (٣) نزهة : له كرم .
 (٤) كما في نزهة . ديوان : باري الفوس يحيى به السقم .
 (٥) نزهة : من يقيم بها وسوف يبكي البيت . وفي هامش نزهة : قوله فس لآخر
 من من يقيم بها فصل فيه بين المضاف وهو قوله لآخر وبين المضاف إليه وهو قوله من يقيم بها ،
 فصل بينهما بقوله منا .
 (٦) نزهة : وسوف يبكي البيت .
 (٧) كما في نزهة . ديوان : ليس ينصرم .

مآثر الملكة أروى الجليذ

وإذا كانت الدول الناهضة في العصر الحاضر تعمل على تنمية اقتصادياتها بشتى الوسائل ، لإسعاد شعوبها وتوفير الرخاء لأكبر عدد من سكانها ، ورفع مستوى المعيشة بين أفرادها ، وهى بذلك لاتدع ناحية من نواحي الإنتاج إلا أولتها عنايتها المرموقة لتصل إلى هدفها المنشود ، فهتم بالزراعة والصناعة والتجارة والمواصلات . ويعتبر هذا العمل من قبل هذه الدول عملاً مشكوراً ، كما يعتبر من أهم الأسباب التى تساعد على تقوية مركز الحكومات في نظر الرعايا . فإذا كان مدى تقدم الدول الآن يقاس بمقدار ما تقدمه الحكومات من إصلاحات في سبيل رفع مستوى المعيشة للشعوب ، فإننا نقف معجبين عند ما نعرف أن ملكتنا الحرة السيدة أروى بنت أحمد ، قد سبقت الحكومات المتحضرة المعاصرة في اهتمامها لتنمية اقتصاديات اليمن ، فقد اهتمت الملكة برعى المواشى وتحسين النسل لى توفر للشعب بمختلف طبقاته اللحوم والألبان ، بل توفر القوة والغنى . فقد أثر عنها أنها وقفت أراضى واسعة في نواحي جيلة وحقل قتاب ، تصرف غلاتها في شراء الفحول من البقر كما أوقفت أراضى كثيرة ثمينة خصبة لرعى المواشى ، وهذه الأوقاف لاتزال موجودة إلى الآن ومعروفة باسم « صلبة السيدة » . حدث هذا في العصور الوسطى مما يدل على أن الملكة أروى سبقت في تفكيرها ووعيتها دول العصر الحديث التى تعمل بشتى الوسائل على تنمية اقتصادياتها ، وتصرف الأموال الطائلة في سبيل ذلك .

وشىء آخر لا يقل أهمية عما ذكرنا يدل على سبق ملكتنا في تفكيرها لعصرها ، وهو الاستعانة بالمستشارين من الدول الأخرى ، على الرغم من وجود شخصيات وزعماء وسلاطين ممتازين في بلادها . فقد أثر عنها أنها أرسلت إلى الخليفة الأمر تطلب منه إرسال أحد رجاله الشهود لهم بالكفاية والقدرة ، وأجابها لذلك بأن أرسل إليها ابن نجيب الدولة^(١) ، وهذا ما تفعله الدول في العصر

(١) انظر ص ١٦٨ .

الحديث، فتستعين بالخبراء الأجانب، على الرغم من توافر رجالها الممتازين وتقدمها في مضمار الحضارة.

وعرفت الملكة كذلك أن التجارة تعتبر مرفقا هاما من مرافق الاقتصاد الوطني، وأن هذا المرفق يعتمد على المواصلات التي تعتبر الدعامة الأولى لتسهيل نقل المتاجر، فعبدت الطريق من رأس جبل سمارة (نقيل صيد في عهدها) إلى السياني على مسافة ثلاثة مراحل. ويعتبر هذا أول الطرق الزراعية الممهدة في اليمن ومن أفيدها إلى الآن.

وأولت الملكة عنايتها بالحركة التعمير والبناء التي تعتبر دعامة قوية من دعائم استقرار الحكم ورضا الشعوب، فأنشأت الكثير من المدارس، ومنها مدرسة لتدريس الصححين بذي جبلة، وأنشأت المصالح العامة المتعددة. وبنت المساجد، فهي التي وسعت جامع صنعاء الجناح الشرقي. منه وصححت عمارته وزينته، وأمرت أن يكتب فيه أسماء جميع الأئمة من علي بن أبي طالب إلى إمام عصرها وأثبتت ذلك في الحائط القبلي من المسجد الجامع، وكان اسمها مكتوبا على الأحجار البيضاء التي بين أبواب الجامع، ولكن العصبية لم تترك من الكتابة غير البسمة^(١)، وأعيد بحص وأشراس في دولة الملك حاتم بن أحمد الياقني الهمداني ثم كشط في عهد دولة آل يحيى من الأشراف^(٢). وبنت كذلك مسجد الضربة في بلاد يريم، والمسجد الجامع في جبلة؛ ولها علاوة على ذلك أعمال جبلة وآثار باقية لا تخفى على أحد إلا على أمه لا يعرف القمر.

كان من نتيجة سياستها الرشيدة ومنحها لرعاياها حرية العقيدة أن أصبحت سمعة اليمن عالية، لعمل الحاكم لمصلحة الشعب وإتاحة الفرصة لجميع الكفايات أن تشارك في بناء هذا الوطن، ولأن السيدة اعتبرت أن اليمن ملكا للشعب لا لنفسها ولا لأسرتها فقط، فقامت «في أرض الله، لا لعلو، أو لما يستفاد».

(١) عيون ٧ / ٢٨٨.

(٢) نفسه؛ انظر الملحق رقم ٩.

وصية الملكة

وقد أورد صاحب العيون في السبع السابع من كتابه وثيقة هامة هي وصية السيدة الملكة^(١)، كتبها قبل وفاتها بسنة، أي سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة، وعهدت عهدا، وأجرت علامتها، وأخرجت جميع الأشياء التي ذكرت في الوصية، وعابها شهود، « وإنما فعلت السيدة ذلك قربانا تقررت به إلى إمامها الطيب لما رجوه من ثواب الله، وتأمله من رضوانه، ولأن تكون يوم الفزع الأكبر من الآمنين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم^(٢). »
وجعلت السيدة الملكة ولي وصيتها، والقائم بها والمنفذ لها، السلطان أحمد بن أبي الحسين بن إبراهيم بن محمد الصليحي، وأن يقوم بتنفيذ ما جاء في الوصية، ويوصلها بجملتها إلى باب الإمام الطيب، ويأخذ عليه الخط الشريف الإمامي بوصول جميع ذلك. وقبل السلطان أحمد بن أبي الحسن بن إبراهيم بن محمد الصليحي ما أسند إليه.

وفاة الملكة الحرة

وفي غرة شهر شعبان من سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة توفيت الملكة الحرة عن اثنين وتسعين سنة من العمر، ودفنت في جامع ذي جيلة أيسر القبلة، في منزل متصل بالجامع. وكانت هي التي تولت عمارة هذا الجامع، وهيأت موضع قبرها فيه^(٣) وذكر إدريس^(٤): أن بعض ملوك اليمن أراد أن يخرج جثتها من قبرها حين ظن بعض الفقهاء كونها في الجامع. ففتحوا عن قبرها حتى انتهوا إلى التابوب، فوجدوا فيه قفصا مقفلا ففتحوه، فأصابوا فيه كتبا وأحكاما تشهد أنها استثنت فيه ذلك المنزل الذي دفنت فيه عن المسجد لقبرها فيه، ووجدوا بذلك علامات القضاة وشهادة

(١) عيون ٧ / ٢٠٩ — ٢١٨؛ انظر الملحق رقم ٩.

(٢) نفسه ٢١٨. (٣) نفسه ٢٢٨. (٤) نفسه ٢٢٨.

الشهود الثابتة عند الحكام . فردُّوا قبرها على ما كان عليه وردُّوا رتبته وحجارتها إليه .
ويقول إدریس (۱) : « وقبرها إلى اليوم ، يزوره جميع فرق الاسلام ، ويعترف
بفضلها الخاص والعام ، ويأتى إلى قبرها من أصيب بظلم ، أو حاجة أو علة في بدنه ،
أو بليَّة ، فيتشفعون بها إلى الله تعالى في كشف ما انتابهم بفضلها » .

وقد رثى الملكة الحرة بعد وفاتها كثير من الشعراء . فزار قبرها القاضي حسين
ابن عمران بن الفضل الياقوتى فى ذى جيلة ، وقال قصيدة جاء فيها (۲) :

وقفت على قبر الوحيدة وقفة	وقد زين منها مسجد وستور
فقبلته واستفتت ربا ترابه	وعاود قلبى رنة وزفير (۳)
وسالت دموع العين منى كأنها	بشط مجارى المقتلين سطور
ولله منها روح قدس تميزت	فصارت بأعلى الدائرات تطير (۴)
خلا القصر فى ذى جيلة من مكارم	يحن إليها بائس وقسير
ومن جود بحر بالعطايا نواله	على معتفيه عسجد وحرير
ومن درس ماضم الكتاب وبعده	صلاة وتسبيح مما وطهور
وما سمعت أذنى ولا راع ناظرى	نجاوب قينات بها وحمور
ولو كان داعى الموت يثنيه دونها	قبيل وينجى من سطاء عسير
لقام له من حمير كل أرعن	سحاب المنايا حيث حمل مطير
وصار له من صيد كهلان جحفل	تسير الجبال الشم حيث يسير
ولو حال دون الموت عنها مبلط	منيع يرد الطرف وهو حسير

(۱) عيون ۷ / ۲۲۸ .

(۲) نفسه ۷ / ۲۲۹ .

(۳) ساف الشيء يسوفه وبسافه سؤد وسافوه واستافه كله . والاستفاف الاشتقاق

(ل / سوف) .

(۴) تريد بالدائرات اندراجات فى المعاد .

لكن لها في حصن قیضان معقل^١ تقصر عنه في الملو طيور^(١)
ولكن أبي إلا خفياً بشخصه حقير وما يسطو عليه كبير

وقال القاضي محمد بن أحمد بن عمران بن الفضل الیامی رثیها :
نأت ربة القصر الشريف عن القصر فأیأس راجی النصر فيه عن النصر
إذا اجتث دهر الشردوحة روضة فقضبانها لا تستقیم علی المنصر
سخطت علی أهل الزمان لفعلهم حقیقون أهل المعصر یاربة المعصر
فصاروا بلا نور یتبهون فی العمی وذلك تمثیل لما كان فی مصر^(٢)
فكم ظلمة یغشونها ومضلة وكم إصر ذنب یحملون علی إصر
رجونا بها بدء الظهور ونشره فعدنا إلى الستر الحقیقی والحصر^(٣)
وقد ینقص التیار من بعد مده ویضطرّ حرف المدّ حینا إلى القصر
فذاك كسوف الشمس قد طال مكثه وهذا خسوف دائم المكث للبدر
وذاك سرار لا انجلاء لیله وهذا محاق لیس یسفر عن فجر
وزجو فروعا ثمّ الله نبتهها وأبدها بالنصر والفتح والقهر

لهم وبهم رجاؤنا وسؤلونا
لأنّ رجاء الیسر فی عقب المسیر

وأورث أملك الأنام وسيطهم
علی بن عبد الله عالی ذرّاً الفخیر^(٤)

(١) استولى على الحصن الأمير المفضل الحميري بعد أن طرد هلي بن سبأ بن أحمد الصليحي سنة ٤٩٥ . فدخلت حصون بني المظفر في مملكة السيدة الحرة (انظر ص ١٦٣ و ٢٤٠) .

(٢) يشير إلى اغتصاب الخافض عبد المجيد الإمامة والخلافة في مصر .

(٣) يبدأ دور الفتن باختفاء الإمام أبي القاسم الطيب بن الأمر .

(٤) أغلب الظن أنه السلطان علي بن السلطان عبدالله بن محمد الصليحي . وعلى بن عبدالله هذا هو ابن عم الملك المكرم . فورث أملاك بيت الصليحي بعد وفاة السيدة . وقد قيل إن الأميرة أروى ابنة علي بن عبد الله كانت مقيمة في قصر الملكة الحرة حينما طلقها منصور بن المفضل الحميري وتزوجها الملك محمد بن سبأ الزريعي (انظر ص ٢٤٠ - ٢٤١)

فصبراً على ريب الزمان وصرفه

فأوفراً أهل الأجر حظاً أولو الصبر

ومما قاله السلطان الخطّاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري في قصيدة

يرثيها (۱) :

عليك سلامُ الله والصلواتُ
وكافاك عنا بالذي لك عندنا
كفلت جميع المؤمنين كفالةً
وقتٍ بأمر الله فيهم فأخلصت
أمولاتنا يا من يباهر نورها
أجلك عن موت بروحك نازل
بصرتُ بأمر منك ما بصرت به
ولاح لي السرُّ الذي حجبتهم
فقالوا مقال الجهل ، غبت بميتة
وهل غاب عنا أو يغيب الذي اغتدت

له رتب في الدين منحيظات
أما نوره سار ، أما لحظاته
بنا وهو ناء الدار متصلات ؟
أليس لنا منه إليه محرك
ومنا وعنا تصدر الحركات ؟
أما قال مولانا على سلامه
علينا مقالاً أسندته ثقات :
نملمكم منكم وعنكم نفيديكم
أشياء سوى هذا المقال فهاتوا
وأزعم أن الأولياء تقدمت
مقاماتهم كفر مقال : ماتوا

فكيف بمن هم في كفاله غدوا وظلّوا بها مستكفّلين وباتوا ؟
فلا غرو أن ذكريات سيدتنا وملكتنا ستبقى خالدة في قلوب اليمنيين مدى
الدهور ، كما بقيت إلى يومنا هذا مآثرها وأعمالها الجميلة التي تنطق بعظمتها ، وستظل
وحيا ونورا في حياة الشعب مهما اختلفت الطرق واشتدت الأزمات وبعدت
المسافات وتخلّفت القوافل ، لأنها وحيدة كلّ زمان وسيّدة اليمن والعرب
ولحظاتها متصلة بهذه البلاد العربية الغير السعيدة .

أما نوره سار ، أما لحظاته بنا وهو ناءِ الدار متّصلاتُ
أليس لنا منه إليه محرّكٌ ومنا وعنا تضدر الحركاتُ

الباب السابع

العلاقات بين الدولتين الفاطمية والصلحية

مظاهرها وآثارها

الألقاب

حرصنا على أن يكون التسلسل التاريخي متصلًا إلى حد الإمكان ؛ لذلك بقيت بعض المعلومات التي أفردنا لها هذا الباب . ويلاحظ أنه لم يكن هناك في أيام الخليفة المعز لدين الله تنافس على الألقاب من الوزراء وكبار رجال الدولة ، كما كان في أيام من أتى بعده من الخلفاء ، فقد لقب هؤلاء بالألقاب كثيرة . ولعل ذلك يرجع إلى حيطة المعز من أن تخلق هذه الألقاب طبقة ممتازة لها نفوذ سياسي واجتماعي . ولكن ليس معنى هذا أنه لم تكن هناك ألقاب للوزراء في عهد المعز ، بل كانت هذه الألقاب محدودة ، وتنسب إلى الدولة أو الخلافة أو الملة أو الإمامة . ويدل اهتمام الوزراء وكبار رجال الدولة بهذه الألقاب وحرصهم عليها فيما بعد على :
١ - ضعف الخلفاء ، ورغبتهم في استرضاء من يمنحونهم هذه الألقاب ، كما يدل على قوة من تمنح إليهم ونفوذهم ؛

٢ - أن الخليفة كان يمنحها للمقربين إليه إرضاء لهم إما لقوة نفوذهم أو لخدماتهم ؛

٣ - أن الوزراء وكبار رجال الدولة كانوا يعتبرونها مظهرًا من مظاهر علو شأنهم في نظر الرعية ، بل دليلاً على ثقة الإمام بهم ؛

٤ - أن هذه الألقاب شجعت الذين منحوها على الاستبداد بالأمر ، دون الخلفاء ، مما أدى إلى زوال ملكهم في النهاية .

ولما كان سلاطين الصليحيين قد قاموا بخدمات جليلة للدولة الفاطمية وجد الخلفاء أن في منح الألقاب لسلاطينها وأمرائها خير وسيلة لاكتساب ولائهم . وكانت هذه الألقاب تطلق على أبناء هذا البيت كما كانت تمنح على الأمراء والوزراء في مصر . فالخليفة المستنصر لقب الملك علي بن محمد الصليحي بلقب الأوحده (١) ، ومنحه لقب عمدة الخلافة تقديرا له على الخدمات التي قام بها في مكة وغيرها (٢) ، كما منحه لقب تاج الدولة (٣) ، وأول من تلقب بهذا اللقب في عهد الدولة الفاطمية الوزير بهرام الأرميني النصراني (٤) .

وكان الخليفة المستنصر يذكر في مكاتباته (٥) ألقاب الملك علي الصليحي على النحو الآتي : « السلطان الأجل ، الملك الأوحده ، أمير الأمراء ، عمدة الخلافة ، تاج الدولة ، ذو المجددين ، سيف الإمام ، المظفر في الدين ، نظام المؤمنين ، شرف المعالي » .

ولما أمر الخليفة المستنصر بجعل الأمير محمد بن علي بن محمد الصليحي ولي عهد أبيه ، منحه الألقاب الآتية : « منتجب الدولة وصفوتها ، ذو المجددين ، الأمير الأعز ، شمس المعالي » ، كما لقب الابن الأوسط بلقب الأمير المكرم ، ولقب الأصغر بلقب الأمير الموفق (٦) ، وأرسل سجلا آخر إلى الصليحي (٧) ، لقب فيه ابنه الأكبر بلقب ذي المجددين ، ولقب الأوسط بلقب ذي السيفين ، ولقب الأصغر ذي الفضيلتين .

(١) عيون ٧ / ١٦ . وأول من لقب بهذا اللقب في الدولة الفاطمية هو الوزير أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي (الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ٣٥) ، كما تلقب به أبو محمد بن علي بن عبد الرحمن اليازوري سنة ٤٤٢ (نفسه ٤٠) . ولقب به كذلك الحسن ابن القاضي ثقة الدولة وسنائها المعروف بابن كدينة حين تولى الوزارة سنة ٤٥٥ (نفسه ٥١) ، كما لقب به الوزير أبو سعد منصور المعروف بابن زينون سنة ٤٥٨ (نفسه ٥٤) .

(٢) السجلات رقم ٤ .

(٣) عيون ٧ / ١٦ .

(٤) النويري : نهاية الأرب ١٦ ورقة ٥٠ .

(٥) عيون ٧ / ١٦ ، ٨٠ ، ١٥٢ ؛ السجلات رقم ٤ ، ٨ .

(٦) عيون ٧ / ٧٦ ؛ انظر الملحق رقم ٢ .

(٧) السجلات رقم ٣ .

ولما توفي الأمير الأعز في الثاني والمشرين من شهر المحرم سنة ٤٥٨ أرسل
المستنصر سجلاً^(١) إلى الملك علي الصليحي في شهر جمادى الآخرة سنة ٤٥٩ ،
جاء فيه أن الإمام ولي المكرم وليا للعهد ، وزاد في ألقابه شرف الأمراء ، عز الملك ،
كما زاد في ألقاب أخيه الأصغر لقب شرف الملك .

ومما جاء من ألقاب المكرم في سجلات المستنصر نذكر : « الملك الأجل ،
الأوحد ، المنصور ، سيف الإمام ، عظيم العرب ، عمدة الخلافة ، شرف الأمراء ،
عز الملك ، منتجب الدولة وغرسها ، ذو السيفين ، تاج الدولة ، عماد الملة وغيث
الأمّة ، أمير الأمراء ، سلطان أمير المؤمنين ، وعميد جيوشه » وغيرها^(٢) .

ورزق المكرم ابنه محمدا فأرسل المستنصر سجلاً إلى الملكة الحرة
في ١٥ رمضان سنة ٤٦١ يهنئها بالمولود السعيد ، ويتمنحه لقب الأمير نجيب
النجباء^(٣) ، كما لقبه في سجل آخر أرسله في ربيع أول سنة ٤٨٠ بلقب : سليل
الدعوة ونجلها^(٤) .

وما جاء في السجل الذي أرسله المستنصر بإقامة الطفل علي بن أحمد الصليحي
ملكاً بعد وفاة أبيه الملك المكرم سنة ٤٧٧ الألقاب الآتية : « الملك الأجل
الأوحد ، المنصور ، العادل ، المكرم ، عمدة الخلافة ، تاج الدولة ، سيف الإمام ،
المظفر في الدين ، نظام المؤمنين ، عماد الملة ، وغيث الأمّة ، شرف الإيمان ، مؤيد
الإسلام ، عظيم العرب ، سلطان أمير المؤمنين ، وعميد جيوشه »^(٥) .

(١) عيون ٧ / ٨٢ — ٨٦ ؛ انظر الملحق رقم ٥ .

(٢) نفسه ٧ / ٨٠ ؛ انظر الملحق رقم ٤ ؛ السجلات ٤٢ و ٦٠ .

(٣) السجلات رقم ٦٥ .

(٤) نفسه رقم ٣٧ .

(٥) عيون ٧ / ١٢٦ — ١٣٥ ؛ السجلات رقم ١٤ .

وقد أراد المستنصر بهذه الألقاب الرنانة أن يشد عزم الملكة الحرة والدة هذا الطفل وأن يظهره أمام شعبه بأنه ملحوظ بالعناية .

وذكرت الملكة في السجلات الواردة إليها من مصر بالألقاب الآتية^(١) :
« الحرة ، السيدة ، السيدة ، الرضية ، الطاهرة ، المخلصة ، المسكينة ، ذخيرة الدين ، عصمة المسترشدين ، عمدة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، كافلة أوليائه ، اليامين ، ولية أمير المؤمنين ، عمدة الإسلام ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن » .
من ذلك نستطيع أن نقرر أن هذا المظهر من مظاهر العلاقة بين الدولتين ، له ناحيتان :

أولا : أن خلفاء الفاطميين كانوا عادة يمنحون هذه الألقاب كبار رجال دولتهم . وقد رأوا أن السلاطين والملوك الصليبيين لا يقلون في نظرهم عن هؤلاء ، لأنهم يضطلعون بتأدية رسالة مهمة لدولتهم . لذلك كان الخلفاء يمنحونهم هذه الألقاب الرنانة تشجيعا لهم على الاستمرار في صدق وفائهم وإخلاصهم للفاطميين .

ثانيا : أن هذه الألقاب كانت تقابل من جهة الصليبيين بالارتياح والشكر للإمام على هذه العناية وهذا الاهتمام وكانت من جهة أخرى تظهرهم أمام رعاياهم بمظهر القوة . فكان المخلصون للدولة والدعوة يتفانون في نصرتهم ، لأنهم رسل الإمام ودعائه الذين يعملون على إعلاء كلمته . وكان الآخرون من الرعايا ، كلما وجدوا اهتمام الخليفة بهذه الدولة ، وأنه يشد أزرها بما يعمل على بقائها ، يخافون الخروج عليها ، لأنها تستند إلى قوة دولة كبيرة ، كان لها من السلطان والجاه ما لم يكن لدولة بني العباس في ذلك الوقت .

التعزية

تعتبر المجاملات مظهرا من مظاهر حسن العلاقة بين الدولتين ، وقد تجلت هذه المجاملات في مناسبات أربع ، هي : التعزية ، والتهنئة بالأعياد ، والتهنئة بالمواليد وتبادل الهدايا .

(١) عيون ٧ / ١٤٣ ؛ عمارة / كاي ٣٥ .

فعمد وفاة الأمير الأعز في الثاني والعشرين من شهر المحرم سنة ٤٥٨ ، كما تقدم ذكره ، أرسل المستنصر إلى الصليحي سجلاً^(١) يعزیه في ابنه وولى عهدہ ، كما أرسل سجلاً آخر^(٢) يعزیه في ابنه هذا وابنته ميمونة^(٣) .

ولما سمع الخليفة بمخبر قتل الملك علي الصليحي استدعى القاضي ملك ، وكان بالقاهرة في ذلك الوقت ، وعزاه وسمح له بإقامة العزاء على هذا الفقيد في حضرة الإمام^(٤) . وأرسل إلى المكرم سجلاً^(٥) تلتف فيه كثيرا ، كما أرسل له سجلاً^(٦) آخر أظهر فيه أسفه الشديد لفقد الملك علي بن محمد الصليحي .

وكذلك فعل المستنصر ، عند وفاة المكرم سنة ٤٧٧ ؛ فأرسل إلى ابنه علي بن المكرم سجلاً^(٧) يعزیه في والده ، ويدعو له بالبقاء .

ولما توفي الأمير محمد بن الملك المكرم أحمد ، جاء سجل الخليفة إلى الملك علي بن المكرم يعزیه في أخيه ، ويدعو للفقيد بالجنة ، ويعدده حسن الثواب^(٨) . وبعد قليل توفي الملك علي بن المكرم في نفس السنة ، فأرسل الخليفة إلى الملكة الحرة يعزیه في ابنها ، ويشد أزرها بالدعاء لها وبالتوفيق وحسن الثواب^(٩) .

التهنئة بالأعياد

وتعتبر التهنئة بالأعياد عنصراً آخر من عناصر المجاملة بين الدولتين ، وقد

- (١) عيون ٧ / ٧٩ ؛ انظر الملحق رقم ٤ .
- (٢) نفسه ٧ / ٨٢ — ٨٦ ؛ انظر الملحق رقم ٥ .
- (٣) توفيت بعد وفاة أخيها حزناً عليه (نفسه ٧ / ٧٨) .
- (٤) نفسه ٧ / ١٠٣ .
- (٥) السجلات رقم ٦٠ .
- (٦) نفسه رقم ٤٠ .
- (٧) عيون ٧ / ١٢٦ — ١٣٠ ؛ السجلات رقم ١٤ و ٤٦ .
- (٨) السجلات رقم ٢٤ .
- (٩) عيون ٧ / ١٤١ .

جاء في السجلات المستنصرية^(١) عدة سجلات إلى سلاطين اليمن تهنئة بالأعياد ،
ووصفا لهذه المناسبات السعيدة .

فأرسل المستنصر إلى الملك علي محمد بن الصليحي سجلا يهنئه بالعيد ويكلفه
نشر هذه التهنئة في ربوع دولته ، وذلك في عيد الفطر سنة ٤٥١ ، كما أرسل إليه
في عيد الفطر سنة ٤٤٥ ، ويحوى وصف عظمة المستنصر عند ذهابه إلى المصلى
لأداء سنة هذا العيد ، ثم عودته إلى قصره . ووجه كذلك إلى الملك أحمد المكرم
سجلا بمناسبة عيد الأضحى سنة أربع وسبعين وأربع مئة ، يقدم فيه المستنصر التهانى
بالعيد ، ويذكر أنه صلى صلاة العيد بصحبة الوزير بدر الجمالي ، ويسأل المكرم أن
ينشر التهنئة في أنحاء اليمن .

التهنئة بالمواليد

وأما النوع الثالث من أنواع المجاملة فهو التهنئة بالمواليد . ولما رزقت الملكة
الحرية بابنها محمد أرسل المستنصر إلى الملك المكرم سنة إحدى وستين
وأربع مئة سجلا^(٢) أظهر فيه سروره بسماعه عن المولود الذكر الذى أنعم
الله به عليه ، ومنح المولود لقب الأمير نجيب النجباء ، وكتب بخط يده شبه
العودة ليشد بها عضده ، داعيا له أن يجعله الله مبارك الناصية ، ويتولاه بالعيشة
الراضية عنه .

وهكذا بعث المستنصر عند ولادة ابنه أحمد القاسم في المحرم سنة سبع وستين
وأربع مئة والذى لقب باسم المستعلى بالله فيما بعد إلى الملك المكرم سجلا^(٣) ،
يزف له فيه البشرى ، ويختصه بهذا الخبر لما للملك المكرم من المنزلة الممتازة عند
الخليفة ، ولأنه يرى إدخال السرور عليه بهذه المناسبة ، ثم يعرفه أن هذا الابن

(١) السجلات رقم ١ ، ١٣ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٦٤ .

(٢) السجلات رقم ٦١ .

(٣) عيون ٧ / ١٥٢ — ١٥٣ ؛ انظر الملحق رقم ٧ .

هو الذي سيتولى أمر الإمامة والخلافة من بعده . وقد جاء في السجل : « وقد وهب الله غلاما زكيا شديدا أزر الإمامة ودل على بقاء كلمته في عقبه إلى يوم القيامة ... » الخ

وقد أرسل الخليفة الأمر بأحكام الله عندما رزق بابنه الطيب أبي القاسم في الليلة المصباحة باليوم الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة إلى الملكة الحرة سجلا^(۱)، ينقل فيه هذه البشري، لتأخذ « من المسرة بها بأوفى نصيب » ، ويكلفها أن تدبغ هذا الخبر « إذاعة يتساوى بالمعرفة بها كل بعيد منهم (أي المؤمنين) وقريب » .

الهدايا

ويعتبر تبادل الهدايا بين الدوائين مظهرا من مظاهر العلاقات الودية بينهما ، إلا أن الملك علي بن محمد الصليحي والسيدة الحرة الملكة كانا يتهافتان في تقديم الهدايا الثمينة والمتنوعة ، ولم يأت من مصر إلا السجلات المنمقة والتشريفات والكساوى المحلاة بأسماء « الأئمة الطاهرين وآبائهم الأكرمين » ، مع ما كان الخلفاء الفاطميون يتمتعون به من ثروة لا تعد ولا تحصى .

ولما استقر أمر الملك علي بن محمد الصليحي في اليمن بعد وفاة نجاح ، وجه إلى صاحب مصر المستنصر بالله في سنة أربع وخمسين وأربع مئة « هدية جليلة منها سبعون سيفا قوائمها من عقيق » الخ^(۲) . وعنها يقول إدريس^(۳) : « هدية ... عظيمة القدر ، لم يسمع بمثلهما ، كما ذكر أهل السير ، فيها فنون كثيرة من الذهب والفضة والسلاح والوشى والمسك والعنبر والكافور والعود الهندى الرطب والأستاذين والجواري وكثير من الأمتعة ، يبعد حصرها ، ويعظم أمرها » . فلما انتهت الهدية إلى أسوان أخذ سلطان العرب أخو ابن حمدان ناصر الدولة في شحن

(۱) عمارة / كاي ۱۰۰ - ۱۰۲ ؛ عيون ۷ / ۱۹۲ - ۱۹۳ ؛ انظر الملحق رقم ۸ .

(۲) كشف ۴۳ ؛ كفاية ۴۸ .

(۳) عيون ۷ / ۶۶ - ۷۲

الهدية في المراكب ثلاثين يوماً ، يظل راكباً فيها من الصباح إلى المساء »
ونقلت الهدية إلى القاهرة ثم إلى قصر المستنصر بالله بعد كثير من التنافر
والتكالب والفتن التي حدثت بين الأتراك والعبيد والكتاميين . وكان الصليحي
بعث بالهدية ، كما رواه الخزرجي^(١) ، « رجلين من قومه أحمد بن محمد ، والد
السيدة الصليحية ... وهو الذي أنهدم عليه الدار بدمن ، والثاني أحمد بن المظفر ،
والد السلطان سبأ بن أحمد » . فأزّل الخليفة السفيرين منازل الإكرام ، وأخرجت
إليهما الكسا والتشريفات ، وأمر للصليحي برايات ، وكتب له الألقاب ، وعقد
له الولاية على جميع اليمن^(٢) .

وفي سنة تسع وخمسين وأربع مئة لما عزم الملك علي بن محمد الصليحي على
الحج وزيارة الخليفة في القاهرة استعد لذلك الأمر وعول على أن يقدم للإمام
هدية تليق بالمقام . وفي ذلك يقول إدريس^(٣) : « فجعل يضم إليه الأموال ، ويقدم
في ذلك الأحمال ، من خالص الورق والنضار ، والطرف الحسنة التي تزهى في أعين
النظار ، ويرتفع خطرهما على الأخطار » .

وكان الخليفة الفاطمي قد يرسل الكساوي إلى سلاطين اليمن وأمرائها .
وقد أرسل المستنصر إلى الأمير أحمد المسكرم ولي عهد الدولة الصليحية بعد موت أخيه
الأمير الأعز في عهد الملك الصليحي تشريفاً ، وكما جاء في السجل الخاص بذلك المؤرخ
ربيع الأول سنة ٤٥٨ إلى الملك علي بن محمد الصليحي : « ... وقد أمر أمير
المؤمنين بالرجوع إلى ولدك الأوسط كان ، وهو اليوم الأكبر حفظه الله ...
وأنشأ من التقليد ما يكون لفؤادك مثبتاً ... وعزز بإنفاذ تشريف من ملابسه
يظهر عليه بين الأولياء رونق جماله .. » الخ^(٤) .

(١) كفاية ٤٨ .

(٢) عيون ٧ / ٦٨ (ولم يذكر صاحب العيون أسماء الرسل) ؛ كفاية ٤٨ ؛ الكسبي :

اللطائف السنية ١١ .

(٣) عيون ٧ / ٦٨ .

(٤) نفسه ٨ / ٨٠ ؛ انظر الملحق رقم ٣ .

وهذه الكساوى كانت تحمل عادة عبارات كهذه : « بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبى عميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين » الخ^(١).

ويلاحظ أن ما يتم بالإيجاء والتلميح أبعداً مما يتم بالطرق الصريحة المباشرة . ولا ريب أن الخلافة الفاطمية ما كانت لتنفق نحو ست مئة ألف دينار سنوياً^(٢) في هذه الناحية إلا إذا كانت ترجو من وراء ذلك كسباً أدبياً ومادياً كبيراً من حيث استمالة الناس واجتذاب قلوبهم بمظاهر الإنعام والعطف ، إذ أن المادة والمظاهر والمناصب ذات أثر كبير في حياة أغلب الناس ، تفعل في نفوسهم أكثر مما تفعل المثل العليا أو تواضع طلبة العلم وتكشف المثاليين . ثم إن هذا الإنعام يجعلنا نميل إلى اعتبار ذلك العمل ضرباً من الإنعام بالأوسمة والأوشحة التي يمنحها رؤساء الدول في العصر الحديث .

وقبل خروج الصليحي للحج ، يقول صاحب الأنباء^(٣) : « ... برز جهازه ، وما أعد من الأموال والذخائر إلى المسجد الجامع بصنماء ، وجملة كالخزانة . ولقد كان ملء جانب المسجد الذي كان عليه السقف ، غريبه ، صناديق مملوءة من الذهب والفضة » .

وتعتبر وصية الملكة أروى ، التي تركت بمقتضاها كل ما تملكه من جواهر وحلى ، بل كل ما تملكه من ثروة منقولة ، إلى الإمام الطيب ، لتكون « لها قرباناً وشفيعاً يوم الفرع الأكبر » ، تعتبر هذه نوعاً من الهدايا ودليلاً واضحاً على مقدار إخلاصها وولائها لإمامها المستور .

وكانت هذه الهدايا تقابل من خلفاء الفاطميين بالرضا التام ومنح الألقاب على أبناء الدولة الصليحية .

(١) Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe ج ٧ / رقم
نقطة ٢٥٠٦ / سنة ٤٤٦ . وراجع أيضاً المرجع نفسه ج ٧ / القطع : ٢٦٠٨ / سنة ٤٥٠
و ٢٦١١ / سنة ٤٥٠ و ٢٦٨٤ / سنة ٤٦٥ و ٢٧٥٣ / سنة ٤٧٨ .

(٢) القرينى : خطط / ١ / ١٢٦ .

(٣) أنباء / دار ٤٠ .

أثر العلاقات داخل اليمن

وقد يلاحظ أن السبب الرئيسي في سرعة انتشار نفوذ الصليحيين في اليمن ، فضلا عن سيرتهم الفاضلة واتحاد معظم قبائل همدان وحير تحت لوأهم ، يرجع إلى الفوائد التي كسبتها دولتهم بفضل اتصالحهم بالخلافة الفاطمية وبمنظمة الدعوة بمصر ، لأن الدعوة أنفسهم كانوا يعترفون بأن المستجيبين لم يدخلوا حظيرة الدعوة إلا رغبة في تكوين دولة أهل بيت النبي . فترى أن ولاءه للأئمة الفاطميين واتصاله بالخلافة الفاطمية بمصر ساعد الملك علي بن محمد الصليحي عند ما قام بتأسيس دولته . فقد ساعدته الدعوة في امتداد نفوذه وتقوية مركزه حتى تمكن بهذه الطريقة وبقوة عزيمة وبمهمته أن يكون سيد اليمن الكبرى . وكان هذا الاتصال بالخلافة المصرية في نفس الوقت نقطة ضعف لكيان الدولة وبقائها . وهذا سنذكره في فصل عن سقوط الدولة الصليحية .

نفوذ اليمن خارج حدودها

(الحجاز) أما عن امتداد نفوذ الصليحيين في خارج بلاد اليمن ، فقد ذكرنا فيما سبق^(١) ما حدث بعد دخول الملك علي بن محمد الصليحي مكة سنة أربع وخمسين وأربع مئة من إقامة الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر ، ورد بني شيبه عن قبيلهم أعمالهم ، وتأديب الشريف ، وإصلاح ما أفسده بنو الطيب الحسنيون في الحجاز ، وترخيص الأسعار ، ونشر الأمن والطمأنينة في البلاد المقدسة ، ثم ترك البلاد للأشراف بعد ذلك ، وعودته إلى اليمن ظافرا غانما رضا المسلمين .

(عمان والبحرين والأحساء) فقد كان انتصاره في الحجاز وسياسته الرشيدة وحماسه للدعوة جملة ومن تولى رئاسة الدولة بعده موضع الثقة عند الخلفاء الفاطميين الذين كلفهم الإشراف على شئون الدعوة في البحرين والأحساء والهند والسند .

(١) انظر الباب الرابع من ٨٨ — ٩٣ .

ففي عهد الملك أحمد المكرم ، لما علمت الدوائر الحكومية بضعف حكم عمان ، نتيجة للثورات التي قامت فيها على حكوماتها الموالية للخلفاء العباسيين ، وأن هذه البلاد كانت منذ أيام أبي طاهر الجنابي واقعة تحت تأثير القرامطة ، وأن حكم القرامطة لم ينته فيها إلا تحت تأثير ضغط العباسيين ، عواتق على مد نفوذ الخلافة الفاطمية عليها . فمنح الملك المكرم رياسة بلاد عمان الدينية والسياسية معا ، على الرغم من أنها كانت خارجة عن نطاق حكمه ، كما عهد إليه بالإشراف على الدعوة في الأحساء والبحرين . ويتبين ذلك من السجل المستنصرى الموجه إلى الملك المكرم المؤرخ في شهر ربيع الآخر من سنة تسع وستين وأربع مئة^(١) ، فيجعل فيه المستنصر « ولاية تلك الأعمال (الأحساء وعمان) جميعها ، دانها وقاصيها : مطيعها وعاصيها » مردودة إلى المكرم ؛ ويأمره أن يكون الأمير عبد الله بن علي العلوي الملقب بمستخلص الدولة العلوية أمير الأحساء نائباً عنه فيها وأن يمدد من جهته . وذلك لأن له مواقف حميدة في إقامة الدعوة العلوية وتصرتها على أعدائها من الخوارج وانتزاع جل تلك الأعمال منهم .

ولما انصرف الداعي إسماعيل بن إبراهيم عن الدعوة في عمان في عهد الملكة الحرة باحترافه التجارة ، أخبرت الحرة المقام الإمامي بذلك ، واقترحت تعيين حمزة سبط حميد الدين المتوفى ، بأمر الدعوة في هذه البلاد ، فجاء سجل الإمام^(٢) إلى الملكة بتقرير وجهة نظرها ، وشكرها على حسن رعايتها لما تحت يدها من أقطار . (السند وشمال الهند) أما الدعوة في الهند ، فنظراً لأن هذه البلاد ستصبح بعد اليمن وارثة لهذا التراث الديني الأدبي ، وجب علينا الرجوع إلى الوراثة قليلاً ، لكي نعرف متى وصلت الدعوة إلى تلك البلاد .

سبق أن عرفنا أنه في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أي قبيل

(١) السجلات رقم ٥٤ .

(٢) عبون ٧ / ١٢٣ — ١٢٥ ؛ السجلات رقم ٥٠ .

قيام الطولة الفاطمية في شمال إفريقيا بقليل ، كان الأئمة الفاطميون يرسلون دعواتهم إلى كثير من البلاد ، ومن بينها الهند . فقد رأينا أبا القاسم منصور اليميني يرسل ابن أخيه الهيثم داعيا إلى بلاد السند ، حيث استجاب له كثير من أهلها^(١) .

يقول عباس الهمداني ما معناه^(٢) : بدأت الدعوة في السند ، وأخذت من هذا الوقت تنمو تدريجيا حتى انضم إليها أهل ملتان وكجرات (البنجاب) ، وفي عهد الخليفة المعز كثير دخول المستجيبين في الدعوة ، كما يتضح ذلك من قول القاضي أبي حنيفة النعمان^(٣) حيث قال : « ودعوة اليميني فاشية في السند » . وكرر هذا القول ابن حوقل^(٤) ، وزاد عليه دي خويه^(٥) قائلا : « إن النفوذ الفاطمي وصل إلى بلوخرستان (بلاد مكران) . وقال إدريس^(٦) : « إن الخليفة المعز أرسل إلى الهند داعيا تمكن من تحويل عدد كبير من المجوسية ، ولكنه سمح لهم بإبقاء بعض معتقداتهم الغير الإسلامية » ، ثم تولى داعيا آخر وهو حلم بن شيبان^(٧) ، ولقد أرسل إليه الخليفة المعز رسالة في رمضان سنة أربع وخمسين وأربع مئة^(٨) ، وقد تمكن هذا الداعي من قتل حاكم السند وهدم معبد هناك وبناء مسجد في مكانه^(٩) . وقد ذكر هذا الحادث البيروني في كتابه الهند^(١٠) حيث قال : إن حلم بن شيبان هجم على ملتان ، ثم على حدود السند ، وخرَّب بلاده ، وحطَّم معبدا هناك ، وبني مسجدا مكانه .

ولما غزا محمود الغزنوي الهند لأول مرة سنة ٣٩٢ هـ توجه نحو ولاية ملتان

(١) راجع الباب الثاني ص ٣٨ ؛ افتتاح ١٨ ؛ عيون ٦ / ٢٨ .

(٢) وقد استنتطنا محتويات هذا الفصل من رسالة الدكتور عباس الهمداني (جامعة لندن سنة ١٩٥٠) ببعض التصرف وتركنا التفاصيل والمراجع الواردة فيها .

(٣) افتتاح ١٨ . (٤) السالك ٢٠ / ٤١٠ .

(٥) De Goeje : Memoires, 176

(٦) عيون ٦ / ١١٧ .

(٧) نفسه ٦ / ١٠٠ .

(٨) نفسه ٦ / ١١٤ — ١١٧ .

(٩) نفسه ٦ / ١١٧ .

(١٠) البيروني : الهند ٥٦ .

حيث كان يحكمها أبو الفتح داؤود بن ناصر الذي قام بالدعوة الفاطمية في أوائل القرن الرابع الهجري . ولما اقترب محمود الغزنوي هرب الأمير داؤود بجواهره إلى سيلان ، وقضى الغزنوي على الدولة الفاطمية هناك . وقد انتقم الغزنوي من أولى الدعوة شرّاً انتقاماً ، فقتل منهم آلافاً^(١) . وما لبث أبو الفتح داؤود أن رجع إلى بلاده ، فعزّ به جانب الدعوة ، وانتمشت الفاطمية في ملتان بعد وفاة الغزنوي . ولما تولى السلطان معز الدين الغزنوي عاد إلى اضطهاد الفاطمة مرة ثانية . مالبت أن حدث في سنة ٦٣٤ في عهد السلطانة رضية أن تجمع الفاطميون من جهات الهند مثل كجرات والسند وغيرها في عدد كبير جداً ، ولكنهم فشلوا في محاولتهم لإعادة دولتهم .

(غربي الهند) هذا فيما يتعلق بانتشار الدعوة في الجهات الشمالية من شبه قارة الهند . وأما عن انتشارها في كجرات والدكن على الساحل الغربي ، فإن ذلك يرجع من غير شك إلى نشاط الدعوة اليمنية في عهد الصليبيين .

يرى عباس الهمداني أن داعي الدعوة الموحدة في الدين الشيرازي (المتوفى في شوال سنة ٤٧٥) باب الإمام المستنصر هو الذي أمدّ القاضي ملك بن مالك الحمّادي الهمداني مدة إقامته بمصر (٤٥٥ - ٤٦٠) بالتعليمات التي تتعلق بضرورة نشر الدعوة في الهند تحت إشراف الدعوة اليمنية ، وأنه من أثر هذه التعليمات أن أرسل ملك داعيه عبد الله إلى الهند في سنة ستين وأربع مئة . وقد ذكر خوج بن ملك في مجموع الرسائل^(٢) ما معناه : إن وصوله (يعني

(١) البغدادي: الفرق ٢٧٧

(٢) والشيوخ خوج من كبار حدود الدعوة بالهند توفي في سنة ١٠٠٢ . وقد ألف بمئات رسائل ست وهي سرور الأولياء ، وبذر الخبة والشفاء ، وحديقة النعم المشتهة ، وبذر البداية ، وحديقة الجنان ، ورسالة في خصائل داؤود بن قطب شاه . لجمعها ولخصها ورتبها سيدي عبد العلي بن عبد القادر في كتاب سماه مجموع الرسائل الست لسيدي خوج بن ملك ، وترجم الكتاب الأخير باللغة الكجراتية بعنوان كوكب الفلك .

عبد الله) كان بأمر من درّس عليه وأخذ عنه واقتبس منه ، وهو بعض علماء اليمن المسمى ملك بن مالك الحمّادي . وروى خوج بن ملك أن مولاي عبد الله العربي (أغلب الظن كان يَمِنيا) وزميليّه الهنديين بالم نات^(١) (مولاي أحمد) وروب نات (مولاي نور الدين) كانوا بمصر أيام إقامة القاضي ملك في القاهرة ، وأسلم الأخيران بيد داعي الدعوة المؤيد . ثم وجّه المؤيد هؤلاء الدعوة إلى اليمن تحت قيادة ملك ، وسيّرهم ملك بعد وصولهم إلى اليمن لنشر الدعوة في الهند في السنة المذكورة .

ويروى^(٢) أن الدعوة الثلاثة وصلوا إلى الساحل الغربي من كجرات الهند بميناء كبايت . وتسرب عبد الله العربي في المزارع والبساتين والقرى في تستر شديد ، وتعلّم اللغة المحليّة المسماة بالكُجراتي ، حتى تمكّن أن يقنع مضيفه الفلاح كاكا أكيلا (العم وحيد) وامرأته كاكى أكيلى (العمة وحيدة) ، ثم كاهن المعبد ذا النفوذ الكبير ، ثم الوزير تارمل ، ثم عاهل ولاية فن الملك سدھراج جيسنغ بن بهارمل ، يبطلان عبادة الأوثان . وقبل هؤلاء دعوته إلى الإسلام . فانتشرت الدعوة في كثير من بلدان كجرات .

وتوجّه مولاي أحمد (بالم نات) ومولاي نور الدين (روب نات) إلى دهن كام ، وهي بلدتهما في الدكن بمقتضى التعليمات التي أصدرها لهما رئيس الدعوة اليمنية وقاضي قضاة اليمن لملك الحمّادي . « فانتشر الإيمان من هذه القرية حتى عمّ

(١) وفي رواية : لام نات . ويظهر أنه اسم مولاي أحمد الهندوكي .

(٢) ولم نثر على هذه الرواية في كتب إدريس التاريخية ولا في المصادر اليمنية إلا أن المصادر الهندية أوردتها نقلا عن رسائل خوج بن ملك بتفاصيل كثيرة يخالف بعضها بعضا وأدخلت فيها عناصر الأسطورة . وإننا لانشك في صحة هذه الرواية عامة ، ومن الممكن أن إدريس لم يكن يعرف تفاصيل هذه القصة ، فاعتمد على ما وجد في الوثائق الموجودة في اليمن وأهمها السجلات من معلومات ومن تعيين مرزبان بن إسحاق للدعوة بالهند حوالي سنة ٤٧٦ . ويرى عباس الهداني أن كتاب عيون الأخبار لم ترد فيه تفاصيل كثيرة . ويرى أيضا أن « عدة من الدعوة بعثهم الصليحيون ورؤساء الدعوة اليمنية إلى الهند حتما ، ولكن ليست عندنا مصادر وردت فيها أسماؤهم ، إلى أن نقل في سنة ٩٤٤ مركز الدعوة من اليمن إلى الهند » .

(م — ١٥ — الصليحيون)

الحى « ، كما حكاه خوج بن ملك ، فقد دخلت الدعوة في الدكن (الهند) سنة ستين وأربع مئة^(١) .

وكانت الدعوة الهندية متصلة اتصالا مستمرا بمركزها في اليمن ، ورؤساء الدعوة باليمن كانوا متصلين ، كما يظهر من رسالة الملك المكرم أحمد الصليحي الموجّه إلى إمامه المستنصر ، يطلب من الإمام السماح والإذن لدعاة الهند بإظهار الدعوة جهرا . قال فيها^(٢) :

« . . . فالملوك ينهى أن رسل داعى الهند عنده مقيمون . كانوا في هذه الفتنة قد عادوا من بلادهم بالأجوبة عن التشریف الصادر إليهم من الحضرة قدسها الله ، عن يد الأجل الأوحده . فأخذت [با] لأجوبة والزكوات من أيديهم . وكان مضمون الأجوبة لسؤال في الإذن بالقيام وإظهار الدعوة بالقهر . وأما باللسان فقد سبق لهم الإذن [من] الملوك لرغبته في انتشار أمر مولاه وعلوّ دعوته يسأل [في] تشریفهم بكتاب يتضمن ما طالع به والإذن لهم في القيام [با] إظهار الدعوة جهرا . والله سبحانه يؤيدهم بتأييد وليّهم [و] ينصرهم على عدوهم . والسلام على مولانا وسيدنا [مه] د أبى عميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين عليه وعلى [آبا] نه الطيبين الطاهرين وأبنائه الأكرمين المتجبين [أف] فضل الصلوة والتسليم . صدر غرة ذى الحجة سنة ستين [وأر] بمائة . . . » .

وقد أجاب المستنصر عن إحدى رسائل الملك المكرم الصليحي في سجله المؤرخ في ربيع الأول سنة ثمان وستين وأربع مئة بقوله^(٣) :

« . . . وأما ما أوردته من شأن الداعى المقيم بالهند ومضيه لسبيله ، فالله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ، وقولك في دعاء الحاجة إلى من يسدّ مسدّه ، ويحفظ نظام المؤمنين بتلك الديار جاهدا جهده ، فأنت أقرب الناس من ذلك الخط ،

(١) عباس الهمداني : بحث ١٧٤ .

(٢) رسائل القمي ٧١ .

(٣) عيون ٧ / ١٢٣ ؛ السجلات رقم ٤١ .

وأولاهم بالقبض فيه والبسط ، فافسح في ذلك وفي سواه غاية الأمل واللحظ ،
ولك من سكون أمير المؤمنين إليك أوفر الحظ . فدبر من يسنده مسدده ، وكاتب
بذكر من يقع الاعتماد عليه لنعضده بالمكاتبة ونشده . . . » .

ولما وقع اختيار المكرم على تعيين مرزبان بن إسحاق بن مرزبان للدعوة
بالهند ، سنت القوانين بالقاهرة ، وأرسلت إلى اليمن ، على يد الأمير معز الدولة
طوق بن ناسك في سنة ست وسبعين وأربع مئة^(١) .

وتوفي مرزبان بن إسحاق . فأرسلت الملكة الحرة تخبر الإمام بذلك ، فأجابها
المستنصر في سنة إحدى وثمانين وأربع مئة بالموافقة على تعيين أحمد الابن الأكبر
للداعي المتوفى بدلا من أبيه للقيام بالدعوة في بلاد الهند^(٢) .

ثم أخذت الدعوة في الهند تنتشر وتكسب أيضا وأعوانا ، وظلت تابعة
للدعوة اليمنية ، حتى انتقلت في سنة أربع وأربعين وتسع مئة إلى الهند .

فالدولة الصليحية في اليمن وما انضاف إليها من بلاد أخرى صارت أداة
فعالة لنشر نفوذ الخلافة للفاطمية ؛ أو بعبارة أخرى : إن هذه العلاقة التي قامت
بين الدولتين كانت ذات فائدة مزدوجة لهما . فبينما كانت من جهة سببا في مدد
نفوذ الفاطميين إلى كل هذه الجهات ، كانت من جهة سببا في توسع رقعة نشاط
الدولة الصليحية في داخل اليمن وخارجها ، وفي نفس الوقت كانت سببا من
أسباب ضعف دولتهم ، كما سنذكره في باب سقوط الدولة الصليحية .

العلاقات الاقتصادية

بدأت علاقة مصر التجارية ببلاد اليمن منذ أيام الفراعنة لحاجة هؤلاء إلى
حاصلاتها وخاصة البخور اللازم للمعابد ولتحنيط الموتى . وكان لهذه السلع سوق
نافقة في ثغر ظفار على الساحل الجنوبي من جزيرة العرب . وزاد اتصال المصريين
ببلاد بنت^(٣) ، وبالتالي ببلاد اليمن ، في عهد تسلط دولة معين عليها أيام الأسرة

(١) السجلات رقم ٦٣ .

(٢) نفس المرجع رقم ٥٠ ؛ عيون ٧ / ١٢٣ — ١٢٥ .

(٣) بنت ، هي بلاد الصومال والجهات المقابلة لها من بلاد الحبشة .

الثامنة عشرة الفرعونية . ولما انتقلت السيادة في بلاد اليمن إلى دولة سبأ ، أصبحت اليمن جسرا بين الشرق والغرب ، وكان لها مع بطليموس الثاني (٢٨٣ - ٢٤٥ ق . م .) علاقات تجارية خطيرة .

ولما سقطت مصر في يد الرومان سنة ٣٠ ق . م . حاول هؤلاء القضاء على تجارة حمير ، فأعاد الإمبراطور تراجان حفر قناة سيروس تريس^(١) التي كانت قد طمت بالطمي في أواخر عهد البطالسة ، كما تحالف مع الأحباش ، وأصلح ثغور البحر الأحمر ، وحاولت حمير المقاومة ولكن بدون جدوى ، فتدهورت العلاقات التجارية واضمحلت ، كما حدث لسبأ ومعين من قبل .

هذا ما كان من أمر علاقة مصر التجارية باليمن في العصور القديمة . أما في العصور الوسطى فإن العلاقات بين الدولتين العباسية والفاطمية كانت دائما علاقات عدائية ، لأن الفاطميين لم يستطيعوا تأسيس سلطانهم السياسي والديني إلا على حساب العباسيين . وقد نجح الفاطميون بالدعاية تارة ، وبقوة السيف ، وبذلل المال ، واستغلال مطامع الأفراد تارة أخرى ، في يسط نفوذهم على شمال إفريقية وصقلية ومصر والشام وآسيا الصغرى وعلى سواحل البحر الأحمر ، كما اعترف بسطانهم حكّام اليمن وأمرء الموصل وبلاد ما وراء النهر ومكة والمدينة ، بل وبفداد حضرة العباسيين .

ولقد أخذ النزاع بين الدولتين مظاهر مختلفة ، تخص منها المنافسة التجارية ، لأن الدولة العباسية كان يهتما دائما أن تعمل على عرقلة سياسة الدولة الفاطمية في جميع نواحيها . ولكن نظرا لأن النزاع بين الدولتين لم يحتدم في الفترة التي سبق حكم الخليفة المستنصر الفاطمي فقد اعتمد كل من الدولتين في تجارتها الخارجية على ناحية معينة من غير التعرض لتجارة الدولة الأخرى . فكان اعتماد

(١) وسميت هذه القناة باسم قناة أمير المؤمنين عند فتح العرب بقيادة عمرو بن العاص ، وهي تصل النيل بالبحر الأحمر .

الفاطميين على التجارة مع دول البحر المتوسط ، لأن الدول الغربية فضلت الطريق من الشرق إلى الغرب عبر مصر على الطريق المنافس له عبر بلاد الجزيرة والشام ، لإتته يستغرق وقتا أقل . ولذلك كانت تكاليف النقل أقل بكثير ، مما أدى إلى رخص أسعار السلع بالنسبة إلى السلع التي كانت تنقل عن طريق بلاد الشام . ومهما يكن من شيء ، فإن تجارة الفاطميين قبل القرن الخامس الهجري كانت رائجة مع المدن الإيطالية وفرنسا وأسبانيا وصقلية بل مع الدولة البيزنطية في حالة استقرار السلام بينهما . وقد أدى الاتصال التجاري بدول البحر الأوسط إلى إهمال طريق الجنوب ، بل إلى إهمال بلاد اليمن والهند .

ويمكننا أن نعلل عدم اهتمام الفاطميين باليمن والهند بعد قيام دولتهم تعليلا اقتصاديا . ذلك لأنهم لم يهتموا بالتجارة في هذه البلاد اهتماما كافيا ، وقد دفعهم إلى ذلك أن الدولة العباسية لم تكن قد بدأت تنافس الفاطميين بصورة جدية في هذه الناحية ، لأن تولى البويهيين السلطة في بغداد أوجد بينهم وبين الفاطميين تفاهما يقوم على أساس اتفاقهم في المذهب الديني . ومع ذلك فإن التجارة بين مصر والهند والصين كانت قائمة في أيام ابن خرداذبه ، وذلك عن طريق البحر الأحمر ، إلا أنه لم تكن هناك عناية كافية بهذه التجارة . وكان هذا الطريق على ما ذكره ابن خرداذبه معروفا من قديم الزمن إلا أنه لم يكن حيويا ولم يكن مركز تفرع عدن في الأهمية كما هو الآن .

ولما استولى السلاجقة على بغداد تغيرت الأوضاع في الشرق إزاء الفاطميين ، فقتل السلاجقة عددا من الموالين للفاطميين في بلادهم ، كما قتل محمود الغزنوي عددا كبيرا منهم في السند ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تحالف المسلمون مع الدولة البيزنطية ضد الفاطميين ، ومنع البيزنطيون القمح عن مصر .

وإذ قيل لنا إن الخليفة المستنصر الفاطمي « قد نظر إلى بلاد اليمن في عهد الصليحين نظرا كليا ، وأظهر فيها البرهان جليا » لاعتبارات سياسية ودينية وأدبية ، فإننا نرى أن الناحية التجارية لم تكن في مقدمة هذه الاعتبارات ، مع كونها ناحية حيوية تتصل بصميم الحياة .

وأما المصادر والوثائق التي عثرنا عليها فلا تذكر شيئا عن النشاط التجاري أو التعامل المالى أو التعاون الاقتصادى بين مصر واليمن فى عهد الصليحيين . بل كل ما نجد فى السجلات ومصادر أخرى يمنية ومصرية هو اهتمام الفاطميين بنشر دعوتهم فى اليمن والمناطق التابعة لها . وكانت مصر قد اجتازت أزمة اقتصادية شديدة فى عهد المستنصر ، فزعزعت أركان الدولة ؛ ولكن المياه رجعت إلى مجاريها بعد أن تولى بدر الجمالى منصب الوزارة ، وانتعشت اقتصاديات مصر مرة أخرى ، واستقرت الأمور ، وتوثقت الروابط السياسية والدينية بين مصر واليمن كما تظهر من هذه الوثائق ، إلا أننا نتفقد فيها بدون جدوى ذكر مسائل اقتصادية أو مساعدات مالية بين الدولتين المواليتين . وقد رأينا فيما سبق أن الملك على بن محمد الصليحي كان يبعث إلى إمامه بمصر « هدايا جليلة القدر لم يسمع بمثلاها » ، ورأينا أن الملكة الحرة الصليحية تركت بمقتضى وصيتها كل ما تملكه من الجواهرات والمصوغات بل كل ما تملكه من ثروة ، منقولة إلى إمامها المستور أبى القاسم الطيب . وقد رأينا أيضا أن مصر لم تمنح على الصليحيين إلا الألقاب تارة وجلايب فضفاضة من النوع الدقيق ، ولم تبعث إليهم إلا تشريفات وتهاى وقمازى وغيرها من المجاملات ، بل لم تساعد الدولة الصليحية فى أشد أزماتها وأنكد أزماتها بالمال ولا بالحيش ؛ وتركت أعباء الحروب فى داخل اليمن وخارجها على عاتق حلفائها المخلصين . ولما طلبت الملكة فى أواخر عهدا حينما تدهورت الحالة باليمن من إمامها مساعدات بعثت مصر إليها فى سنة ۵۱۳ الأمير الموفق على بن إبراهيم بن نجيب الدولة مستشارا يصحبه عشرون فارسا إلى اليمن ليقوم بهذه المساعدة . وأمد الوزير مأمون البطائحي ابن نجيب الدولة مندوب مصر باليمن « ببعض المال وأربع مئة فوس أرمنى وسبع مئة أسود » . فهذا كل ما عرفناه من عون عسكري لليمن . وأغلب الظن أن هؤلاء الأرمن والسود كانوا مرتزقة أو عبيدا أراد الوزير أن يتخلص منهم . وإذا وجدنا أن الملك المكرم أحمد الصليحي سبك الدينار المسمى أو أن الأمير الخطاب بن الحسن الحجورى ضرب سكة باسم الخليفة المنصور أبى على الأمر بأحكام الله فهذا يدل على أمرين : أولا مدى ولاء الصليحيين للفاطميين ؛ وثانيا

فوائد محققة لرواج التجارة المحلية والهوض بالحالة الاقتصادية بدون علاقة بالمعاملات المالية بين البلدين .

ولقد أفادت اليمن في هذا العصر لو تحولت طريق التجارة إلى جنوب جزيرة العرب . ولكن الخلافة الفاطمية لم تبذل باليمن عناية تامة ، لتكون علاوة على الاعتبارات السابقة قاعدة تجارية تقع على الطريق بين مصر والشرق ، مع أنها اهتمت بأمر المهند لغرض ديني بحت ونشر نفوذ الدعوة الفاطمية في أقصى البلاد ، لا لإنعاش التجارة بطريق اليمن .

فيمكننا أن نقول إن إهمال الدولتين في إيجاد التعاون الاقتصادي والتعامل التجاري الذي يربط البلاد اقتصاديا ويقويها ويفذّرها كان سببا من أسباب ضعف الدولة الصليجية .

الباب الثامن

أسباب ومظاهر سقوط الدولة الصليحية

أسباب سقوط الدولة الصليحية

لقد أصبح للدولة الصليحية بفضل مؤسسها علي بن محمد الصليحي مركز ممتاز في العالم الإسلامي . فقد تمكن الصليحي من جمع اليمن كله تحت لواء دولته ، كما مد نفوذها إلى البلاد المقدسة في الحجاز شمالا وحضرموت جنوبا . وفي عهد خلفه أحمد المكرم صارت عمان والأحساء والبحرين والهند والسند تحت النفوذ الروحي للدولة الصليحية ؛ فبلغ هذا النفوذ أبعد غاياته في عهد الملك المكرم . وهذه الدولة التي حاولت أن تسعد رعييتها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، ما لبثت أن أخذت في الضعف ، شأنها في ذلك شأن كل كائن حي .

وإذا أردنا أن نعرف أسباب هذا الضعف ، وجب أن نرجع ذلك إلى أصول بعيدة ، لا يمكن أن نتغاضى عنها .

نظام الإقطاع

ولقد استفادت هذه الدولة من غير شك من الحالة التي سبقتها . وكانت اليمن ، كما ذكرناه فيما سبق ، تسود فيها الفوضى والانحلال قبل ظهور الملك علي بن الصليحي ، ويحكم عليها الأمراء والسلاطين وبخاصة أقوام بنو النجاشي العبيد في تهامة اليمن ، فباستيلاءهم على حكم تهامة وما جاورها وجدروح التمرد والتدمير بين القبائل العربية التي عبرت عن عدم ارتياحها لهذه الحالة بالانضواء تحت راية ملك عربي ينتمي إلى صميم قحطان ، وقبول بعض القبائل الدخول في الدعوة الفاطمية مع كونها تخالف إلى حد ما عقيدتهم ، بعد أن رأوا من علو همة الصليحي وانتصاراته

وحسن سياسته وحرصه على مصالح رعيته . وانفل انتشار نفوذ الصليحي في البلاد يرجع إلى رغبة تلك القبائل في التخلّص من حكم العبّيد ، بل من الحكم مطلقا . ولكن هل ارتاحت العرب واطمأنت بعد هذا ؟ وقد صير الصليحي شتات أمرهم وحدة يمنية جامعة ، وقضى على الدويلات وأطاع سلاطينها ، وأدخل نظاما من نوع آخر بدل الفوضى والانفرادية واستقلال النظام القبلي . بقدر ما ترتب على هذه الوحدة (وحدة اليمن) من منافع محققة للشعب ، وما بذله الصليحيون من جهد لإسماعاد شعبهم طوال مدة حكمهم ، وما فعلته هذه السياسة من تثبيت مركز دولتهم ، فإن عوامل الانحلال والتدمير أخذت في الظهور مرة أخرى ، بعد أن وجدت هذه القبائل وزعمائها أنها فقدت ما كانت تتمتع به في ظل النظام القبلي المستقل ، الذي كان منتشرا في الجهات المختلفة وحلّ محله نظام الإقطاع في عهد الدولة الصليحية ، لتستعويض به عن الحكومة المركزية ابتغاء الحصول على قسط من الأمن . أضف إلى ذلك ما ذكرنا فيما سبق من إهمال الدولة الصليحية والخلافة الفاطمية في تحقيق التعاون الاقتصادي والتبادل التجاري بينهما ، بل استنزفت الدولة قسما كبيرا من مالية الدولة في الحروب الداخلية والخارجية بسبب العداء القائم بين هذه الدولة وأصحاب المذاهب الأخرى .

ومما لا شك فيه أن الزراعة والفلاحة هما قوام هذا المجتمع ، وأن جمهور ذلك المجتمع يتكون من الفلاحين . وبذلك تكونت طبقة من المستأجرين ضخمة العدد ، ولم تكن هذه الطبقة إلا من القبائل الفقيرة التي لم ترض بحكم الصليحيين . ولما كانت ثروة الدولة تعتمد الاعتماد السكّاني على المتحصل من هؤلاء المستأجرين ، فإن عدالة سلطان الصليحيين كانت تقتضيه أن يسهر على مصلحتها ويضرب على أيدي الولاة المخالفين لتعاليمه ، ليحول بذلك دون انتشار روح التدمير بينهم . وقد رأينا أن الملك عليّ الصليحي وعد عماله بالتنكيل إذا رفع إليه شيء مما نهاهم عنه ، كما أمر جميع الرعية أن يرفعوا إليه ما يكون من العمال من فعل القبيح والحسن ، حتى ينزل بهم من إنعامه وعقوبته بحسب أفعالهم (١) .

(١) عبون ١١/٧ ؛ انظر ص ٨١ من الباب الرابع .

وقد دعاه إلى ذلك خوفه من أن ظلم الولاة قد يشير حنق الرعية، وتعلم ذلك ممن سبقه حكم اليمين، فمرف أنه بسياسة اللين المقرونة بالحزم يمكنه أن يحفظ دولته من أعاصير الفتن والثورات. وكان الصليحي قد وزع السلطة في البلاد بين من يثق فيهم من الصليحيين والزواحيين، فأصبح كل حصن يحكمه أحد أعوانه، غير أننا نرى أن هؤلاء الولاة كانوا مقيدين بسياسة خاصة، رسمها لهم الصليحي ليسيروا على نهجها، واسكن على الرغم مما يبدو في هذه السياسة من المنافع لمصالح الرعية، ولحرص الصليحي على استقرار الأمن في ربوع دولته، ما لبثت الأمور أن تغيرت بعد قتله في الهجوم سنة تسع وخمسين وأربع مئة، وذلك لأن مدة حكم المسكرم استنفدت كلها في الحروب، فلم يقدر أن يلتفت كثيرا لمصالح الرعية. فأخذ نفوذ حكام الحصون يزداد، وأخذ روح التذمر والاستياء من هذا النظام يزداد تبعا لذلك. هذا إلى ما استتبعه ذلك من الأعباء الثقيلة التي كان يقع غرمها على طبقات الشعب الفقيرة وحدها ولم يكن هذا التذمر يرجع إلى عدم تمودهم هذا النظام الجديد، وحده، بل كان يرجع إلى حرمانهم الامتيازات والمنافع التي كانت تتمتع بها طبقة رؤساء الإقطاع الذين كانوا يختارون من قبائل أرسقراطية معينة كالصليحيين أو الزواحيين أو اليامين، لتضمن الدولة الصليحية تنفيذ سياستها. ولعل كثرة الحروب التي قام بها الملك المسكرم ترجع إلى الاستياء الذي جعل حكمه غير مستقر، مما استنفد كثيرا من الجهد والمال. وقد تمكن مع ذلك من حفظ دولته من هذه الأعاصير المضطربة، بفضل ما أوتي من شجاعة وعزم.

ولما توفي الملك المسكرم سنة سبع وسبعين وأربع مئة، وانفردت زوجته الملكة الحرة بالحكم، وأنس حكام القلاع ضعفها، تانت نفوسهم إلى الاستقلال بما تحت أيديهم. وعلى الرغم من أنها استعملت الحكمة والدهاء، وسيرت الأمور في الصدر الأول من حكمها، باعتمادها على رجال ذوي كفاية وعلى معاضدة الخلافة الفاطمية لها، كانت عوامل الانحلال والضعف أقوى من هذه السياسة. فأخذت مظاهر الضعف تظهر بوضوح كما تقدمت الملكة في السن، واستفحل أمر الولاة الطامعين.

عهد أهل المذهب

أضف إلى ذلك أن الصليبيين استطاعوا أن يكونوا دولتهم وسط بحر خضم من السنين، وأن هذه الدولة كانت تحكم مجتمعا يدين معظمه — ما عدا الزيدية — برباطة الخلافة العباسية على العالم الإسلامي، وكان يحق على نفوذ الخلافة الفاطمية ودعوة الفاطميين في اليمن، وأن الفقهاء والعلماء بالخصوص تمادوا بدون هوادة أن يثيروا الجماهير إلى تكفير أهل الدعوة، ونسبوا إليهم ظلما وعدوانا تحليل الحرام وتحريم الحلال^(۱). فالتفت الجماهير بفضل مسعى الفقهاء حول بني النجاشي الذين صاروا في نظرهم رمزا للمذهب السنّي، وفضّلت حكم العبيد الحبشة على وحدة اليمن تحت ظل دولة الصليبيين العربية. وقد ساعد بني النجاشي وجود آلاف مؤلفة من الحبشة الذين استعمروا تهامة اليمن وبعض الجزائر الواقعة على الساحل الغربي من اليمن، والذين كانوا يتكثرون لمعاودة دولتهم في تهامة. وقد أهمل الصليبيون اتخاذ إجراءات حاسمة للقضاء على هذا الاستعمار الأجنبي، بمدن مجاورة عديدة من تسكتهم ضد العرب. ولا يمكننا أن نعزو هذا العداء كله إلى النظام الإقطاعي، الذي أوجدته الدولة الصليبية وحده، بل إن رغبة النجاشيين في إعادة سلطانهم، ورغبة الأهالي في حكمهم، لأنهم يمثلون مذهب أهل السنة، كان سببا جوهريا في إثارة الحروب بين الفريقين وإضعاف الدولة الصليبية. وكان النصر في النهاية لبني النجاشي،

(۱) راجع كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار الفرامطة تأليف الفقيه محمد بن مالك الحمادي من فقهاء أهل السنة باليمن في أواسط المئة الخامسة، وما نسبته إلى أبي القاسم منصور اليمن وعلي بن محمد الصليحي وإلى الدعوة من الأكاذيب والأباطيل، من غير أصل ولا أساس، بعد أن ادعى أنه دخلها، وعرف أسرارها، واطلع على كتبها، وتصنع جميع ما فيها. وقد وقفنا على ما بلغ من حقد هؤلاء الأفاضل الفقهاء الذين ثاروا على الأمير المفضل الحميري بالتمكّر، حتى أخرجوا حظاياهم من السراري وجعلوا بأيديهم طارات وأطلعوهن على سقوف قصوره بحيث يشاهدن ويسمع أصواتهن، لكي يموت من الغيرة والغمظ، ووقفنا أيضا على ذهاب الملكة إلى باب التمكّر للمفاوضة، وعلى إيفائها شروطا اشترطوا عليها. والمعروف إلى الآن أن الملكة وقفت أوقافا جليلة القدر تصرف منها على تدريس صحيح البخاري مع كونها فاطمية المذهب، وذلك لكي يرضى بهذا العمل الفقهاء ورعاياها السنّيون. فكافأها الفقهاء بمطالبة لإخراج جثتها بعد وفاتها.

نخلص لهم حكم تهامة . ولم يتمكن الأمير الفضل ابن أبي البركات الحميري ، وبعده الأمير موفق علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة من فتحها ، واستمرت الدولة النجاشية في تهامة حتى سنة أربع وخمسين وأربع مئة ، حين استولى عليها علي ابن مهدي الحميري^(۱) وبقى بها حتى أزال ملك بني مهدي السلطان توران شاه الأيوبي سنة تسع وستين وخمس مئة .

وكان أئمة الزيدية ورؤساؤهم ، كما كان الحبشة ، مثار اضطراب شديد في عهد الدولة الصليحية . فقد ظلوا في حالة حرب معهم طوال مدة حكمهم لليمن . وذلك يرجع إلى العاملين الديني والسياسي معا . وكان الأئمة الزيدية ينافسون الخلفاء الفاطميين في الإمامة والحكم . وأيد الصليحيون دعوى الفاطميين برياسة المسلمين . فاحتكوا بالصليحيين برغم اشتراكهم في التشيع وحب أهل بيت النبي الذي كان يجمع الفريقين . وكان العامل السياسي أقوى من الاختلاف الديني ، لأن الدعوة الفاطمية وقفت من يوم حضور الإمام الهادي إلى الله بحبي ابن الحسين باليمن حجر عثرة إزاء توسع الدعوة الزيدية باليمن . فما استطاع الأئمة نشر دعوتهم والتي هي أحسن . وذلك لأن الدعوة الفاطمية رمت إلى نفس الهدف ، وهو إنشاء دولة موالية لأهل بيت النبي باليمن بعد ما كابدوا من ظلم واعتساف أيدي الأمويين والعباسيين ، وأدركت مطالبها في أيام منصور اليمن^(۲) ، ثم في عهد الصليحيين بصورة أوسع وأقوى من المجهود الزيدي . فاشتبك الفريقان أو الدعوتان في صراع دموي ، للوصول إلى نفس الغاية . وإنما نرى أن هذه الغاية كانت سياسية أكثر من أن تكون دينية بحتة ؛ والدليل على ذلك ما رأينا من انضمام رؤساء الزيدية لدولة الحبشة العبید السنيين والتحالف معهم ضد الصليحيين ، كما فعل الإمام أبو الفتح الديلمي حين استولى الملك علي بن محمد الصليحي على صنعاء أو كما فعل أشرف الخلفاء السلجوقي حينما دعوا الغز الذين احتلوا مصر أن يحتلوا اليمن .

(۱) كان من حمير من قرية العنبرة في قرب زيد . وكان ظهوره سنة ۵۳۱ . قضى على الدولة النجاشية في تهامة سنة ۵۵۴ حتى قضى على ملكه توران شاه الأيوبي سنة ۵۶۹ (عمارة / كاي ۹۲ — ۳۰) .

(۲) الباب الثاني من هذا الكتاب .

وقد وقفنا على الحوادث التي حدثت بسبب احتكاكهم بالدولة الصليحية في عهد الملك علي بن الصليحي وفي عهد ابنه الملك المكرم ؛ وذكرنا ما كان من انضمام الشريف يحيى بن حمزة السليمانى إلى النجاشيين في موقعة الكظام وما كان من هزيمة العرب تحت راية الصليحيين^(١) . وظلت صعدة نتيجة لهذا النزاع منطقة للتجادب بين القوتين ، حتى عهد الملكة الحرة سنة ٥١١ ، حيث ثار الأمير المحسن ابن الحسن^(٢) داعى الإمام أبى طالب يحيى بن أحمد بن الحسين الهارونى الديلمى^(٣) واستولى على نجران والجوفين والظاهر وحصن ثلا ، وقاتل الصليحيين حتى قتل السلطان سليمان بن عامر بن سليمان الزواحى في وقعة نشبت بين ثلا وكوكبان في سنة ٥١١ . ولم يقو الصليحيون بعد ذلك على إعادة نفوذهم في اليمن الأعلى .

وهذا العداء الذى رسخ في قلوب أهل المذاهب يفسر لنا الأسباب التى جعلت حكم هذه الدولة لليمن حكما غير مستقر ، بل جعلت حكمهم كأنه قائم على فوهة بركان ، لا يستقر له قرار ، كما يفسر لنا الحروب المستمرة التى قامت بها الدولة الصليحية . وكانت الدولة النجاشية من جهة ، والفقهاء من جهة ، والأشراف من جهة ، من أهم العوامل التى أضعفت الدولة الصليحية ، لأنهم ظلوا طوال حكم الصليحيين (٤٣٩ — ٥٣٢) في حالة حرب معهم ، مما جعل الدولة تستنفد الكثير من جهودها في سبيل مقاومتهم .

عدم التعاون بين الحاكم والمحكوم

فإذا كانت الحكومات التى تمثل الأغلبية في الشعوب لم تتمكن من تحقيق العدل السياسى والاجتماعى في مجتمعاتها من أقدم العصور إلى الآن ، فإنه لا يفتظر من أقلية فاطمية المذهب تحكماً أكثرية سنية أن يتحقق هذا العدل على يديها .

(١) ص ١٥٢ — ١٥٤ .

(٢) هو المحسن بن الحسن بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم المختار ابن الناصر أحمد بن الهادى يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى ، قام بدعوة الإمام أبى طالب باليمن . ولم يزل على إمارته حتى قتله الجدادون بصعدة .

(٣) هو أبو طالب الصغير يحيى بن أحمد بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهارونى من بلاد الجبل والديلم .

ولكن يمكن أن نقول إن بلاد اليمن كانت أحسن حالا تحت حكم الصليحيين مما كانت عليه قبل ذلك الحكم ، وذلك نتيجة للوحدة التي أوجدتها الدولة الصليحية ؛ بل إن الصليحيين عملوا إلى حد كبير على إسعاد شعبهم طوال مدة حكمهم ، بما خولتهم الظروف المحيطة بهم . ولكن إذا كانت هذه الدولة لم توفق إلى ما قصده ، فذلك يرجع إلى أن معظم الرعية كانوا يمتقدون في كفر رؤسائهم . وليس من السهل أن ينزع هذا الاعتقاد من صدورهم مهما قدم لهم الصليحيون من خدمات .

كما ينبغي ألا يفوتنا أن أمور الحكم إنما تستقيم حينما يكون التعاون والتضامن بين الحاكمين والمحكومين في الأصول التي يقوم عليها النظام . فليس يكفي أن يكون الحاكم نقي الضمير ، مؤثرا للعدل ، مصطنعا للمعروف ، حريصا على رضا الله ، كافيا بعد ذلك لمشكلات السياسة ، خراجا منها إذا ادلهمت ؛ وإنما يجب أن يكون لرعيته حظ من هذا الضمير الحى اليقظ ، ومن حب العدل ، وإيثار المعروف . وهذه المشكلة وأجهتها الدولة الصليحية في اليمن ، فلم يكن هناك تضامن صحيح بين ملوك هذه الأسرة والكثرة الضخمة من رعاياهم .

مظاهر سقوط الدولة

على الرغم من أن هذا التضامن كان قائما بين السلاطين من آل الصليحي وبين الطبقة الأرستقراطية التي أوجدها النظام الإقطاعي في عهد الصليحيين من الزواحين والياميين وغيرهم ، وعلى الرغم من أن الملكة الحرة قد استعانت ببعض الشخصيات في إدارة شئون دولتها ، إلا أن الحالة أخذت في الضعف والانحلال لأسباب ذكرناها آنفا .

فقد استقل النجاشيون كما رأينا بتهمامة وزيد بعد موقعة الكظائم سنة تسع وسبعين وأربع مئة . ثم استولى عليها علي بن مهدي الحميري الرعيني^(١) سنة أربع وخمسين

(١) من حمير من أهل قرية الفجرة من سواحل زيد وحاصر ابن مهدي زيد ، واستنجد أهل زيد الشريف الرسي أحمد بن سليمان صاحب صعدة ، فأجدهم طمعا في الملك ، واشترط عليهم أن يملكوه عليهم وأن يقتلوا مولاهم فأنكأ فقتلوه . ثم عجز الإمام الشريف عن نصرهم وهرب ، كما رواه عمارة / كاي ٩٦ .

وخمس مئة ، وقام بعده ابنه مهدي بن علي وعبد النبي بن علي حتى انتهت دولة
 بني مهدي بتهامة زحف السلطان توران شاه الأيوبي سنة تسع وستين وخمس مئة .
 وبعد وفاة السلطان أبي حمير سبا بن أحمد الصليحي سنة اثنتين وتسعين
 وأربع مئة خرجت صنعاء من الدولة الصليحية . واستولى عليها السلطان حاتم
 ابن الفشم الفلسي الهمداني^(١) وناصرته قبائل همدان ، وصارت بعده إلى ابنه
 عبد الله بن حاتم ، ثم إلى أخيه معن بن حاتم . ثم خلعت همدان وولت مكانه كلا
 من هشام وحماس ابني القبيب الهمداني . ثم اختارت همدان السلطان حاتم بن أحمد
 (المجيدي) بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني^(٢) بأمر صنعاء وأعمالها في سنة
 ثلاث وثلاثين وخمس مئة . وملكها بعده ابنه السلطان علي بن حاتم . وضربت
 باسمها السكة وأقيمت لها الخطبة^(٣) . وانتصر علي بن حاتم اليامي في وقعة
 ذي عُدَيْنَه على جيوش عبد النبي بن علي بن مهدي الحميري نصر أعظما وفرّ عبد النبي
 إلى زيد . فانتسعت رقعة دولة الهمدانيين على معظم اليمن الأعلى في عهد السلطان
 علي بن حاتم ، حتى أزاله وأخاه السلطان بشر بن حاتم اليامي الملك العزيز
 سيف الإسلام طفتكين بن أيوب عن صنعاء وذمرمر وغيرها من الحصون
 والمعاقل^(٤) .

وصارت عدن ونواحيها إلى تعزّ والجند وجبلة وما يليها في ملك بني زريع
 ابن العباس بن الكرم الجشمي الهمداني إلى أن استولى عبد النبي بن علي
 ابن مهدي على التعكر والجند وتعز وجبلة وغير ذلك من المعاقل والمدن . فبقيت عدن
 في أيديهم حتى أزالهم عنها الملك العظيم توران شاه بن أيوب ، وتسلم بعده الملك
 العزيز سيف الإسلام طفتكين بن أيوب الدمولة وحب بعد أن حاصرها أربعة
 عشر شهرا . وخرج منها جوهر المعظمي والي بني زريع ، وكان معه فيها ابنا عمران
 ابن محمد بن سبا الزريعي الصغيران .

(١) من بني الفلّس ثم من مذكر ثم من يام (عيون ٧ / ٢٣١) .

(٢) كان القاضي عمران بن الفضل اليامي جد السلطان حاتم بن أحمد واليا على صنعاء

فغزله الملك الكرم الصليحي ؛ ثم قتل في وقعة الكظائم في عهد الملكة .

(٣) عيون ٧ / ٢٣١ . (٤) نفس المرجع ٧ / ٢٣٢ .

وكان سليمان وعمران ابني الزر من خولان قد استقلا بحصني خدد والتمكر سنة أربع وعشرين وخمس مئة ، وذلك بعد أن فادر ابن نجيب الدولة سواحل اليمن . ثم استولى عليهما بنو زريع ، ثم ابن مهدي إلى أن طوى الغز بلاد اليمن . وقد انتهت معارضة الصليحيين للدولة الزيدية بصعدة بعد وقعة ثلا في سنة إحدى عشرة وخمس مئة . وبعد أن قتل الحدادون الأمير المُحسّن بن الحسن بصعدة قام بأمر الحسبة الأمير علي بن زيد بن إبراهيم^(١) في سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة . وفي السنة التالية قام المتوكل على الله أحمد بن سليمان^(٢) بأمر الإمامة فصارت صعدة وما يليها لبني الهادي ، وشهارة وما يليها لبني القاسم العياني ، وتهامة الشام إلى وادي عين للأشراف من بني سليمان^(٣) . ولما صار أمر الخلاف السليمانى بيد الشريف غانم بن يحيى بن حمزة قامت بينه وبين عبد النبي بن علي بن مهدي حروب كثيرة قتل فيها غانم بن يحيى سنة ستين وخمس مئة^(٤) .

عصر منصور آل الصليحي وأموالهم

وكان منصور بن الفضل بن أبي البركات الحميري مستوليا على ذى جيلة وملك بني المظفر في أشيخ وحصونهم بعد وفاة أبيه الفضل سنة أربع وخمس مئة . وكان يدين بالطاعة إلى الملكة الحرة حتى وفاتها سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة . وبعد ذلك استولى على ما كان تحت يدها من حصون وذخائر وأموال . ولما تقدمت به السن وصار لا يقدر على حماية هذه الحصون من الطامعين ، وأعيته الشيخوخة عن التحرك ، باع حصون بني الصليحي ومدنهم سنة سبع وأربعين وخمس مئة^(٥) ، وهي ثمانية وعشرون حصنا ومدائن ، منها مدينة ذى جيلة وحصن

(١) هو علي بن زيد بن إبراهيم الملبح بن المنتصر محمد بن القاسم المختار بن الناصر أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين .

(٢) هو أحمد بن سليمان بن المطهر بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين .

(٣) أنباء / دار ٥٢ .

(٤) المتقطف ٧٣ .

(٥) عيون ٢٠٧/٧ . وذكر صاحب العيون (٢٣٢/٧) أن بقي في أبدي بني

الصليحي حصن أشيخ وحصن قيسان إلى أن أزالهم عنهما سيف الإسلام طفتكين .

التحكر. وذى أشرق وإب . وقد ابتاعها المتوج محمد بن سبا بن أبي السمود الزريعي بمئة ألف دينار . وطلق منصور زوجته الصليحية الأميرة أروى بنت علي بن عبد الله بن محمد الصليحي . فزوجها الملك محمد بن سبا^(١) ، فانتقلت حصون آل الصليحي وذخائرهم وماورثت الأميرة أروى الصليحية من الثروة إلى محمد بن سبا الزريعي ، ثم إلى ابنه عمران ابن محمد بعد وفاة أبيه في سنة ستين وخمس مئة . فقوى نفوذ الملك محمد بن سبا الزريعي تبعاً لذلك ، وطاش فرحاً لما صار إليه من المال والقوة والمعاقل والمقائل^(٢) . ونزل منصور بن الفضل إلى حصن تعز وصبر ، ولم تزل صحته تتدهور حتى وافاه الموت سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة . خلفه ابنه أحمد ، واستمر هذا مالكا لتعز وصبر حتى سنة ثمان وخمسين وخمس مئة ، حيث اشتراها منه علي بن مهدي . وانتقل أحمد إلى الجند فسكنها إلى أن توفي سنة ثلاث وستين وخمس مئة^(٣) . وبقيت هذه الحصون والمدن في أيدي ملوك بني زريع إلى أن استولى علي بلادهم عبد النبي بن علي بن مهدي وتملك بلادهم غير عدن ، فإنهم صالحوه في تركها في أيديهم^(٤) حتى أزالهم عنها توران شاه بن أيوب .

فتح الأيوبيين لليمن

وقد كان فتح الملك المعظم توران شاه الأيوبي لليمن سنة تسع وستين وخمس مئة بدعوة من الشريف قاسم بن يحيى بن حمزة بعد أن قتل صنوه الشريف غانم ابن يحيى وهزيمته في حروبه مع الملك عبد النبي بن علي بن مهدي الحميري . « وقد استنجد الشريف قاسم صاحب بغداد الخليفة الناصر بن أحمد المستضيء العباسي علي عبد النبي . فأمر الخليفة السلطان صلاح الدين بن أيوب بنصرته^(٥) . فأمثالاً

(١) عبارة / كاي ٥٦ .

(٢) نفسه ٥٦ .

(٣) قرة ٢٧ .

(٤) عيون ٧/٢٠٧ .

(٥) المقنطف ٨٣ .

لأمر الخليفة أرسل صلاح الدين أخاه توران شاه إلى اليمن ومعه ثلاثة آلاف مقاتل ،
وعند ما وصل توران شاه إلى ناحية صبيا من بلاد تهامة انضم إليه الأشراف (١) .
وبعدئذ قصد زبيد وأخذها عنوة وقضى على دولة بني مهدي ، وقضى على دولة
بني زريع ، وقضى على دولة الهمدانيين ، وقضى على الفوضى التي كانت باليمن بعد
انقراض أمر الدولة الضليحية . فلم يبق لآل الصليحي ولا للأشراف ولا لغيرهم
نفوذ ولا سلطان . وبقضائه على ملك بني مهدي الحميري انقراض ملك العرب في اليمن ،
وصار للفرز ومواليهم . وخطب للخليفة العباسي في جميع البلاد التي فتحها . وولى
سيف الدولة مبارك بن منقذ على زبيد ، وعز الدين عثمان بن الزنجبيلي على عدن ،
كما عين في كل قلعة من قلاع اليمن التي دخلت في حوزته نائبا من أصحابه .
وعكذا انتقلت السيادة في اليمن من أيدي اليمنيين إلى الأيوبيين ، الذين حرصوا
على إظهار ولائهم للخلفاء العباسيين ، وأقاموا الخطبة لهم في جميع أنحاء اليمن التي
دخلت تحت رايهم .

(١) القنط ٧٣ .

الباب التاسع

آداب الدعوة الفاطمية وتحولها إلى اليمن

مميزات الحياة العلمية في القرنين الثالث والرابع

يمتاز القرنان الثالث والرابع بناحيتين متباينتين في تاريخ العالم الإسلامي ؛ فبينما كانت الحالة السياسية من جهة مضطربة جداً ، لإزدحام الأهواء والشهوات ، صلحت من جهة أخرى حياة الناس العقلية صلاحاً لم يعرف له مثيل من قبل . ولعل ذلك يرجع إلى أن المجتمع الإسلامي لم يكن في حقيقة الأمر وحدة سياسية . وإنما كان شعوباً مختلفة أشد الاختلاف ، متباينة أشد التباين ، جمعها الإسلام تحت لواء واحد ، وحاول أن يمزجها ويلغى ما بينها من الفروق . فوُفق إلى تكوين حضارة إسلامية شاملة ؛ ولم يتح له العمل على إنشاء مجتمع له منهج سياسي اقتصادي ثقافي واحد في جميع تفاصيلها وفي جميع أنحاء العالم الإسلامي . وكانت الحياة السياسية تتحسّن بتحقيق العدل ونشر الطمأنينة بين الناس . وقد يحمل الظلم والحروب كثيراً من عطاء الرجال وذوى العقول الراجحة أن يفرّوا من العمل السياسي إلى العمل العلمي ، لأنهم كانوا يجدون أن العمل السياسي يمرضهم إلى إزهاق أرواحهم ، وإلى أخطار مادية جسيمة ، على حين يحوطهم العمل العلمي بجو خاص هادي .

والخلاصة أن الحالة العلمية في القرنين الثالث والرابع كانت في العالم الإسلامي أنضج منها في العصر الذي قبله ، فأخذ علماء هذا العصر مانقله المترجمون من قبلهم من علوم اليونان والفرس والهند ، فشرحوها وهضموها ، وأخذوا النظريات المبعثرة فرتبوها ، وورثوا ثروة من جاء قبلهم في كثير من فروع العلم ، ثم حاولوا أن يطبقوا معارفهم بالديانة الإسلامية ، وأن يدافعوا عنها بطريق العلم والتجربة

والعقل لا بطريق النقل فقط ؛ فنشأ فيهم علماء سَمَّوا بالمعتزلة والفلاسفة والمتكلمين وإخوان الصفا، وأهل التصوف وغيرهم من أصحاب المدارس العلمية والمذاهب الدينية .

تمسك علماء الدعوة بظاهر الشريعة

وقد دخل الأئمة الفاطميون ودعاتهم العلماء في هذا المضمار ؛ وذلك لأن الدعوة الفاطمية تقوم كثيرا على مباحث العلم والجدل والمناظرات ؛ وبها استطاعت الدعوة أن تنتشر في كثير من أنحاء العالم . وقد سبقهم المعتزلة في استخدام العلم في تفسير القرآن ، واستخدام بعض النظم الفكرية اليونانية في تكوين نظام فكري خاص ، يتفق مع آرائهم الدينية وعقائدهم الإسلامية . وقد اختلفت الأسباب والطرق التي أدت إلى هذا العمل ، من مزج الفلسفة بالدين وتطبيق العلم على العقيدة ، كما اختلفت نتائج محاولاتهم . وقد اختلفت العلماء المعتزلة أنفسهم أمثال النظام وأبي الهذيل والجبائي في مطابقة المحسوس بالعقول . وكان المعتزلة يعملون هذا للمجرد التمتع العلمية ، بل دفاعا عن حوزة الإسلام . وكذلك ما استطاع الفلاسفة أن ينسوا العقيدة الإسلامية ، فأتوا كثيرا في مباحثهم بكلام فلسفي ديني . وقد سلك العلماء الصوفية المسلك نفسه للوصول إلى غاياتهم ، بل بالغوا في السير حتى اضطر المحافظون أن يقفوا في حدود العقيدة . ورمى أن الصوفية والفاطميين انفقا بوجه خاص على تقسيم المعرفة في الظاهر والباطن ، ففيه اعتراف منهم أن الظاهر هو الإسلام ، وهو الأساس الثابت . فلذلك ترى أن الدعوة الفاطمية تمسك كل التمسك بالشريعة وتكاليفها ، ولا تترك أي مجال للهوادة فيها ، وتعتبر الاشتغال بعلم الباطن عبادة علمية ، لا وجوب لها إلا على من أرادها واستحقها بالطاعات ، وتقدم في العلوم الظاهرة . وأثبت الشيخ يعقوب السجستاني في الإقليد الثالث والستين من كتاب المقاليد أن « الوقوف على الحقائق في الشرائع لا يسقط الأعمال ؛ إذ أن الأعمال الشرعية من الدين ، وتاركها تارك الدين والدين عند الله الإسلام » . وقد ذهب علماء الدعوة إلى تكفير القرامطة وغيرهم من الجماعات التي حادت عن الدعوة الرسمية ، وفضلت الباطن على الظاهر ، وقالت بتعطيل التكليف الشرعية . ومما يدل على أن الباطن لا يحل محل الشريعة ، إذ لا خلاف فيها ، اختلاف علماءهم أمثال أبي حاتم

أحمد بن حمدان الرازى ، والشيخ محمد بن أحمد النسفى ، والشيخ أبى يعقوب السجستانى ، فى تقديم القدر على القضاء ، وفى بعض نظرياتهم فيما وراء الطبيعة ، ومحاولات الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى ، ومن أتى بعده من علماء اليمن الذين سند كرم ومؤلفاتهم فيما بعد^(١) فى التوفيق بين الآراء المتصادمة المتباينة .

ومع هذا فقد اشتهر الفاطميون باسم الباطنية ، وآتهموا بتعطيل الشريعة ؛ وذلك يرجع إلى نشأة القرامطة أولا ، ثم الدرور ، ثم النزارية ؛ وخروجهم جميعا فى أول الأمر على الدعوة الفاطمية الرسمية ؛ واتخاذ الناقضين مبدأ الباطن أساسا لمذهبهم ، وتمطيلهم الشريعة وتكاليدها ، وغلوهم فى أشخاص الأئمة الذين قاطعواهم وحاربواهم . فنسب التعطيل إلى أهل الدعوة كآتهم ، وسموا بالباطنية ، إما جهلا أو ظملا . وقد رأينا أن الملكة الحرة حجة الإمام فى الجزيرة اليمينية ، ورؤساء الدعوة اليمينية ، تمسكوا بأصول الدعوة الفاطمية القديمة الرسمية . ومن مبدأ هذه الدعوة القديمة احترام الظاهر قبل كل شىء ، وتأدية الأعمال الشرعية بأسرها ، واعتبار الحياد عنه كفرا وخروجاً عن الدعوة ، بل عن الدين الحنيف ؛ وبالرغم من أنها أرادت قلب النظام السياسى المسيطر على الإسلام فى أواخر القرن الثالث ، وبالرغم من أنها شجعت الجمعيات السرية ، وأيدت الحركات الانقلابية ، كما بيناه فى مقالنا عن مؤلفى الدعوة ومؤلفاتهم^(٢) ، أصبحت الدعوة بعد قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب فى سنة سبع وتسعين ومئتين تحمى حتى الإسلام ، وتتحصن فى حصن الشريعة ، كما يتضح فى كتب الشيخين أبى حاتم الرازى وأبى يعقوب السجستانى ، وتقوم بدعائم الإسلام ، كما فعل القاضى أبو حنيفة النعمان فى عهدى المنصور بالله ، والمعز لدين الله ، والشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى فى عهد الحاكم بأمر الله ، والمؤيد فى الدين الشيرازى فى عهد المستنصر بالله ؛ فبرى أن رؤساء الدعوة صاروا ، بطبيعة الحال ، محافظين أشد المحافظه على ظاهر الشريعة ، بعد أن كانوا دعاة إلى قلب النظام السياسى والفكرى ، وحاربوا الناقضين والمخارجين عن حوزة الشريعة من القرامطة والدرور والنزارية .

(١) انظر الباب العاشر . (٢) راجع IRAS (١٩٣٣) ص ٣٦٧ .

رأى عالم سني عن عقائد الصليبيين

وقد أيدنا في هذا الرأي الدكتور محمد كامل حسين بمقال قيم عن عقيدة الفاطميين والصليبيين^(١) نقتطف منه بعض الفقرات . قال : « إن دعاة الفاطميين نادوا بالتوحيد ، وتوحيد الله عندهم ينفي جميع ما يليق بمبدعائه عنه ، فهم ينزهون الله سبحانه وتعالى عن جميع ما يوصف به خلقه من الصفات والنموت ، فهم يقربون في التنزيه من آراء المعتزلة ، وكما أن المعتزلة أولوا الآيات القرآنية التي يشبه فيها التجسيم والتشبيه تأويلا يتفق والتنزيه ، كذلك أول دعاة الفاطميين هذه الآيات لنفي التشبيه عن الله . وبذلك قال دعاة الدعوة الطيبية اليمنية أيضا ، فإبراهيم ابن الحسين الحامدي يقول : « أول الديانة لله تعالى معرفته ، وكما معرفته توحيدة ، ونظام توحيدة نفي الصفات عنه »^(٢) . ويقول علي بن الوليد في رسالة جلاء العقول : « وصفه تشبيه ، ونعته تمويه ، والإشارة إليه تمثيل ، والسكوت عنه تعطيل ، والتوهم له تقدير ، والإخبار عنه تحديد »^(٣) . وهكذا لا يقول الدعاة بالتشبيه ، ولا بالتجسيم ، ولا بالتعطيل . وهم في ذلك على نحو ما قال المؤيد في الدين :

نوحـدُ اللهَ ولا نـشَبَّهُهُ قد أنتفت في ذاك عنا الشبهُ

« فالاعتراف بوجود الله تعالى ووجدانيته وتنزيهه أصل الدعوتين الفاطمية والطيبية ، وهم في ذلك يشتركون مع أكثر المسلمين من أصحاب الفرق الأخرى . »
 « وهم يترفون بالأنبياء والرسل ، وسمّوا الأنبياء بالنطقاء ، والأنبياء عندهم معصومون في كل قول وعمل ، لأن الله اجتباهم فظهرهم ، حتى يقتدى بهم غيرهم من البشر وإيمانهم في القول بمصمة الأنبياء جعلهم يؤولون قصص الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم تأويلا يتفق مع المظنة التامة الذاتية ، التي خصهم الله تعالى بها . ولهم الفصول الطوال في إثبات النبوة وفضل الأنبياء والرد على من ينكر الأنبياء من أمثال الراوندي وغيره ، وهم في حديثهم عن النبوة والأنبياء لا يغالون

(١) من مقال أرسله لنا صديقنا الكريم في هذا الموضوع .

(٢) الحامدي : كنز الورد ورقة ١٥٩ (مخطوط بمكتبة الدكتور محمد كامل حسين) .

(٣) مخطوط بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن رقم ١٥٠٣٣ .

فيهم غلو أصحاب بعض الفرق والمذاهب ، بل الأنبياء من البشر ، خصهم الله بهذه
المرتبة لهداية البشر إلى الصراط المستقيم ، فهم في ذلك أيضا يشتركون مع غيرهم
من المسلمين . وفي اتباع الفاطميين للأنبياء يقول المؤيد في الدين :

فكيف شرع الأنبياء ندفعُ وما لنا إلا النبي مرجعُ
بنوره في الدرجات ترتق وبالكرام الكاتبين نلتق
فالمن إلهي جاحدي الشرائع وارمهم بألمين الفواجع
فإننا لأهل علم وعمل لله دنا بهما عز وجل (١)

«فكل ما جاء به الأولياء والمرسلون هو الحق والصدق ، والتصديق بالكتب
السموية ، وأنها منزلة من الله على أنبيائه ، كل ذلك قال به الفاطميون والصليحيون .
وما هو أحد دعاة الصليحيين ، وهو شرف الإسلام الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ (٢)
المتوفى سنة ٥٣٣ يقول في إحدى مناجياته :

يا عالم الغيب منّا والشهادة يا باري البرية تركينا وتصويرا
شهدت أنك فرد واحد صمد شهادة لم تكن مينا ولا زورا
وجهت وجهي في سرّي وفي عكّني
إليك حمدا وتبليلا وتكبرا
عبادة هي عين الحق خالصة وكان ذلك في القرآن مسطورا (٣)

«فإذا كان رأيهم في الأنبياء بهذه المثابة ، فلا شك أنهم يؤدون الفرائض التي جاء
بها الرسول الكريم ، وسمّوا القيام بهذه الفرائض بالعبادة الظاهرة ، تميزا لها
عن العبادة العلمية أو التأويل الباطن ، الذي تقول به الإسماعيلية على اختلاف
فرقها وأحوالها . فالعبادتان الظاهرة والباطنة هما أسس المذهب الفاطمي ، وعنهم

(١) د المؤيد ، القصيدة الأولى .

(٢) انظر الباب السادس ص ١٩٣ — ٢٠٤ .

(٣) د الخطاب ص ١٧ (م.م.هـ) .

أخذ الصليحيون هذه الأسس ولم يغيروا منها شيئاً إلا ما زاه من بعض اختلاف
في التأويل. والذي يهمننا الآن هو أنهم كانوا يقولون بالعلم والعمل معا، أى بالباطن
والظاهر .

« وإذا نظرنا إلى آرائهم في العبادة الظاهرة ، رأينا أنهم لا يختلفون عن غيرهم
من المسلمين من أهل السنة والجماعة في القول بأن الطهارة والصلاة والزكاة والصوم
والحج والجهاد في سبيل الله هي أركان هذه العبادة ، وعلى المسلم أن يؤديها حسب
ما جاء في الكتاب والسنة ، ولا خلاف بين دعواتهم وعلماهم في ذلك ؛ فالقيام بأمر
هذه القواعد فرض واجب ، لا يجوز إهماله بأى حال من الأحوال ، ويجب أن
تؤدي هذه الفرائض في أوقاتها المعلومة التي رسمت لها ، ولعنوا كل من طرح
الشرائع أو جحدتها .

« ويقول صاحب كتاب تاج المقائد^(١) : « الإسلام محمول على القول والنطق
بالشهادة وترك المعصية ، وهو الباب المدخول منه إلى تطلب حقائق ما جاء به
الرسول ، ومنه التعلق بجميع الطاعات ، وانطلاق النفس إلى الفكرة في أوامر الله ،
والتزام ما جاءته شريعة الخالق » .

« وهكذا نرى الصليحيين ومن ورثهم من أتباع الدعوة الطيبية يقومون
بجميع الفرائض الإسلامية التي فرضها الله على عباده ، وينهجون نهج السنة المحمدية ،
مثل غيرهم من المسلمين في كل البقاع . ولكن الشيء الذي خالفوا فيه أهل السنة ،
وخالفوا فيه الشيعة ، على اختلاف فرقها ، هو القول بولاية الإمام من نسل
محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وأن ولاية هذا الإمام هو محور الديانة عندهم ،
فلا دين لمن لا يوالي إمامهم .

« والتقارب شديد جدا بين الزيدية والدعوة الفاطمية والصليحية في كل
ما يتعلق بالتوحيد والعبادات الظاهرة ؛ ولكن الفرق شديد جدا في ما جاء به
الفاطميون من تأويلات باطنية لم يقل بها سواهم ، فالتأويل الباطن وهو أخص

(١) الاعتقاد الثاني والسبعون .

ما يتميز به الفاطميون ومن تبع مذهبهم من الصليحيين وغيرهم ، يختلف تمام الاختلاف عما قال به مفسرو فرق الشيعة الأخرى وعما قال به جمهور أهل السنة ، على أن بعض فرق الإسماعيلية ذهبت في التأويل الباطني مذاهب أبعدهم عن الإسلام وعن الخلق الاجتماعي العام ، وهذه الفرق أحلت المحارم بدعوى التأويل ، ولذلك ترى السلطان الصليحي الخطاب ابن الحسن يتبرأ من هذه الفرق ، فيقول :

دِينِي لَعْنُ الْبَاطِنِيِّ الَّذِي يَصُدُّ عَنْ نَهْجِ الْهَدَى الْوَاضِحِ
وَكُلُّ مَنْ دَانَ بِمَنْ دَانَهُ أَحْلَى جَارِي دَمِهِ السَّامِحِ
قَوْمَ فُرُوضِ الشَّرْعِ قَدْ عَطَلُوا وَصَيَّرُوا هَذَا لِمَا زَحِ
« من ذلك نستطيع أن نقول أن ما جاء في كتاب كشف أسرار الباطنية لابن مالك الحمادي اليماني ولصق بالصليحيين هذه البدع إنما هي عن فرق أخرى غير الصليحيين » . وانتهى ما ذكره الدكتور محمد كامل حسين عن عقائد الصليحيين .

لماذا التجأت الدعوة إلى التستر

وسموا مع هذا باسم الباطنية ، ولعل ذلك يرجع أيضا إلى التستر الشديد الذي فرضته الدعوة على آرائها وعلومها وأهدافها وأعمالها ، خوفا من اضطهاد المضطهدين ونقض الناقضين . وقيل إن حركة قد قامت في التركستان لاستئصال شافة الدعوة كان بين ضحاياها العلماء الشيخ محمد بن أحمد النسفي والشيخ أبو يعقوب السجستاني . وقد قتل العابد العالم الصوفي حسين بن منصور الحلاج ، متهما بمزج الفلسفة بالدين وبالزندقة . وكان القرامطة في هذا الوقت يقومون بنشاط كبير في العراق والبحرين^(١) . ثم أعلن علي بن الفضل الجيشاني اليماني خروجه على تعاليم الدعوة ، ومال إلى اتجاه القرامطة في تعطيل الشريعة ، فخاربه ، كما ذكرنا فيما سبق^(٢) ، أبو القاسم منصور اليماني ، فخرج المهدي عبدالله بن الحسين ، الذي أراد أن ينشئ دولته باليمن ، بعد أن سمع بخروج علي بن الفضل على منصور اليماني ، وأتجه إلى المغرب حيث

(١) ابن الأثير: الكامل/ حوادث سنة ٣٠٤ إلى ٣٤٣؛ البغدادي: فرق ٢٦٧ - ٢٧٧ .

(٢) انظر الباب الثاني من ٣٩ - ٤٦ .

هياً أبو عبد الله الشيعي الصنعاني سبيله لذلك الغرض . وقد شدت الدعوة هذا التستر ، بعد أن رأت العداء المستمر ، وتضييق الخناق على التفكير الحر ، ومقتل المفكرين العلماء من المعتزلة والزيدية والإمامية والصوفية والفاطمية ، وبعد أن رأت خروج القرامطة والدروز والنزارية الحشاشين ، واستعمالهم مبادئ علم الباطن للمروق عن الدين ، وللتعطيل والفوضى الخلقية ، وبعد أن رأت تطرف بعض المتصوفين ، وغلب بعض فرق الشيعة .

فلما انتقل أمر الدعوة إلى اليمن في أواخر عهد الملكة الحرة وبعد مقتل الإمام الخليفة الأمر بالله ، التجأت الدعوة بمرور الزمن إلى التستر أكثر فأكثر . وذلك أنها فقدت تأييد الدولة ، وعاشت طوال هذه القرون تكافح بين الحياة والموت . ولقد كانت الدعوة تصير نسيا منسيا لولم يلتجئ أهلها إلى التستر بمآقلمهم المنيمة في جبال حراز ونجران واليمن الأسفل ، وأخيراً وليس آخراً بمآقل عقيدتهم الراسخة وسيرتهم الفاضلة .

وقد استخدم العلماء الفاطميون — كما فعل المعتزلة والصوفية والتسكلمون والفلاسفة مع بعض الاختلاف — ما وجدوا مع نظم فكرية كثيرة في الفلاطونية الحديثة ، وفي مباحث أنصار هذه المدرسة من المسلمين ، وفي كلام المانوية ، وفي نظريات الهند ، وأنشئوا نظاماً خاصاً يتفق مع آرائهم في التوحيد والإبداع والخلق والكون والبشر والنبوة والإمامة والقيامة والبعث ، وفسروا التنزيل تفسيراً يتفق مع عقيدتهم في إمامة سيدنا علي بن أبي طالب وإمامة أهل بيت النبوة ، فأطلقوا على هذا النظام الخاص اسم علم الحقائق ، أو علم الابتداء والانتهاء ، أو علم المبدأ والمعاد ، وعلى تفسير التنزيل وقصص الأنبياء وأركان الشريعة اسم علم التأويل ، وسموا الاثنين علم الباطن وعلوم أولياء الله .

علماء الدعوة المؤلفون

ونظر لأن الدعوة اليمنية ونشاطها العلمي ليست إلا استمراراً مجهود الدعوة الفاطمية في تكوين علومها ونشرها يحسن بنا أن نذكر لمحة عن بعض العلماء الذين كوّنوا هذه الثروة الأدبية مع ذكر مؤلفاتهم :

وقد حمل لواء العلوم المتداولة في القرنين الثالث والرابع علماء أجلاء من دعاة الفاطميين أمثال الشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي^(١) والشيخ أبي عبد الله النسفي^(٢) والشيخ أبي يعقوب السجستاني^(٣) وغيرهم ممن اتخذ الفلسفة وسيلة إلى الإقناع . فقد بلغ نشاط الدعوة في نشر مبادئهم وعلومهم في بلاد فارس وما وراء النهر مبلغ التفوق على منافسيهم حتى طلب أهل طبرستان النجدة العلمية من بغداد^(٤) . وقتل الشيخ محمد بن أحمد النسفي صاحب كتاب المحصول وتلميذه الشيخ أبو يعقوب السجستاني في سنة إحدى وثلاثين وثلاث مئة ، وقد انتشرت علوم الدعوة الفاطمية على أيديهما في خراسان وبخارى .

أبو حاتم الرازي

فأبو حاتم الرازي كان من أعلام النهضة العلمية الإسلامية في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع . وكان يلجأ إلى الناحية العلمية الكلامية والفلسفية ، ويعمل حيناً لنشر العلوم العربية . ومن أقدم آداب الدعوة التي احتفظت الدعوة المنيية بها ، مؤلفات الشيخ أبي حاتم ، ومن أهمها كتاب الزينة في الأحرف ومعانيها^(٥) وهو كتاب جليل في الكلمات العربية والدخيلة التي نطق بها القرآن وسنها المسلمون والتي صارت المصطلحات الإسلامية . وله أيضاً كتاب أعلام النبوة^(٦) ويحتوي على ما جرى بينه

(١) هو أبو حاتم أحمد بن حمدان اللبثي الورستاني الرازي المتوفى سنة ٣٢٣ من علماء الدعوة في بلاد الري ، ثم انتقل إلى بغداد (ترجمه الحافظ في لسان الميزان رقم ٥٢٣) ، واتهمه البعض بالباطنية والزندقة والثوية والدهرية ، ولا نرى شيئاً من هذا في مؤلفاته . وذكره صاحب الروضات من الإمامية ، ودعا له الإمام المتوكل على الله يحيى حميد الدين برضوان الله . وينقل عنه السيوطي والعيبي من علماء السنة في تفاسيرهما . وكان على صلة وثيقة مع المبرد ونعنع .
(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد النسفي أو النخشي البردعي ، قتل سنة ٢٣١ .
(٣) هو أبو يعقوب إسحاق بن أحمد السجزي أو السجستاني ويلقب بدندان ، قتل سنة

٢٣١ .

(٤) نظام الملك : سياست نامه ٢/٢٧٤ .

(٥) فهرست ابن النديم ١٨٩ ؛ م . م . م ؛ ونستعد الآن لنشر هذا الكتاب .

(٦) نشر جزءاً منه كراوس (Kraus) في Raziana II, Orient. V على أساس

النسخة المخطوطة الموجودة في م . م . م .

وبين الفيلسوف الشهير محمد بن زكريا الرازي من مناظرة في مسألة النبوة وأمر الدين^(١). ويعتبر كتابه المسمى بالإصلاح تهذيبا لكتاب المحصول للشيخ محمد بن أحمد النسفي ويقصد به إصلاح ما جاء في المحصول.

أبو يعقوب السجستاني

وقد نصر الشيخ أبو يعقوب إسحاق بن أحمد السجزي في كتاب النصر^(٢) أستاذه المفيد صاحب المحصول، وصار بصحة قوله وسلامة آرائه شاهدا. فقد أخذ من الفلسفة سلاحا شهرا على أقرانه، فكان علما من أعلام العلماء الفاطميين، وأحد المفكرين الذين نهضوا بتوفيق المسائل الفلسفية بالديانة الإسلامية. وقتل لذلك السبب هو وأستاذه النسفي بعد اضطهاد مؤلم بتركستان كما ذكرناه آنفا. وكان كثير التأليف، ونذكر منها كتابه الينابيع^(٣) ويحتوي على خطوط أساسية اتبعتها العلماء بعده في مؤلفاتهم في تكوين النظام الفكري الخاص بالدعوة الفاطمية، وهو أربعمون ينبوعا، يتضمن معنى ينبوع وهوية البدع وبيان عالم العقل والنفس وأن العقل قائم بالقوة والفعل ومخاطبة العقل للنفس وكيفية اتصال فوائد العقل بالنفس وأن الأيس لا يبصر لينا وأن الأيسيات كلها ذوات غايات وأن السؤال لم خلق الله العالم محال ممتنع وإثبات النفس الكلية وأن ما في البشر جوهره من النفس الكلية وأن الأفلاك ونجومها وحركاتها في أفق النفس وبيان كيفية ابتداء الإنسان وأن القوى الطبيعية لا قدر لها عند القوى الروحانية وأن الثواب هو العلم ومعنى الجنة والنار وكيفية التفاضل بين الثابين وبيان والشهادة ومعنى الصليب واتفاق الصليب مع الشهادة ورتبة صاحب القيامة وكيفية اتصال التأييد بالمؤيد... الخ.

(١) ولم يذكر أبو حاتم اسم اللحد في كتابه هذا، فقد عرفنا من كتاب الأتوال الذهبية للكرماني أن الذي ناظره أبو حاتم كان معاصره ومواطنه الفيلسوف الرازي (راجع مقالة حسين الهداني عن كتاب الرياض للكرماني، حيدوا باد الدكن ١٣٥٨).

(٢) وكتاب المحصول وكتاب النصر مفقودان لا أثر لهما.

(٣) فهرست إسماعيل ١٩٧ — ٢٠٠ م.م.م.

ومن أهم مؤلفاته كتاب إثبات النبوة ، وكتاب الموازين ، وكتاب الافتخار وكتاب المقاليد ، وكتاب مسيلة الأحزان ، وكتاب سلم النجاة ، وكتاب سرائر المعاد والمعاش ، وكتاب كشف المحجوب . وهذه الكتب حفظتها الدعوة اليمنية^(١) ، وورد ذكر بعضها في فهرست الشيخ إسماعيل بن عبد الرسول .

القاضي النعمان

ويعد القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيّون التميمي المغربي المتوفى سنة ثلاث وستين وثلاث مئة من أشهر أساطين الخلافة الفاطمية الذين خدموا الدعوة والدولة ، وشهرته قد عمّت العالم الإسلامي في جميع العصور ، وله مؤلفات كثيرة بقصر عن إحصائها بالإمام هنا^(٢) . والفضل يرجع إلى الدعوة اليمنية لبقاء كثير من أهم مؤلفاته . وقد كتب القاضي النعمان في الفقه الفاطمي كثيرا من الكتب والأبحاث ، نذكر منها : كتاب دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام^(٣) ألفه بأمر من الخليفة الإمام المعز لدين الله . وسبب تأليفه كما ورد في السبع السادس من العيون أنه حضر القاضي النعمان وجماعة من

(١) ومخطوطات معظم هذه الكتب موجودة في مكتبتنا المحمدية الهمدانية . وقد شرح الداعي علي بن حاتم بن إبراهيم الحامدي في رسالته روضة الحكم الصافية بعض أقوال أبي يعقوب السجستاني من كتابه المسمى بالبشارات . ولم نثر على كتاب البشارات . وقال الشيخ إسماعيل في الفهرست ٢٧ إن كتاب سرائر المعاد والمعاش يشتمل على سبعة فصول غامضة التصور جدا . وينسب إليه رسالة خزائن الأدلة من مجموعة الرسائل الثلاث عشرة تأليف الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى ، وقد ذكر الشيخ إسماعيل (فهرست ٢٠٤) أنها تأليف بعض الحدود في وقت الحاكم بأمر الله .

(٢) وردت في عيون ٣٦/٦ — ٣٩ أسماء مؤلفاته ، عددها يبلغ اثنين وأربعين . وأضاف إلى هذا كتابين له ذكرهما الشيخ إسماعيل في الفهرست . وترجم له ابن خلكان في الوفيات ١٦٦/٢ ، والحافظ في رفع الإصر ورقة ١٣٦ ، والداعي إدريس عماد الدين الأنف في الجزء السادس من العيون . وراجع ملحق Guest على كتاب الولاية والقضاة للكندى ٥٨٦ ، ومقال Gottheil في JAOS ٢٧/٢١٧ ، ومقال حسين الهمداني في JRAS (١٩٣٣) ٣٦٨ — ٣٧٠ ، وتقدمة محمد كامل حسين لكتاب الهمة ٥ — ١٤ ، ومقال آصف فيضى في JRAS (١٩٣٤) ١ — ٣٢ ، وإيوانوف ٣٧ — ٤٠ .

(٣) فهرست إسماعيل ٢٥ — ٣٩ م.م.م ؛ وقد نشر أخيرا آصف فيضى النصف

العلماء الدعاة عند المعز . فذكر اختلاف المذاهب في الفقه وافتراق الفرق في مسأله
وذكر قول النبي « إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه » الخ . ونظر إلى
القاضي فقال : أنت المعنى بذلك في هذا الأوان ، يانمان ! ثم أمره بتأليف كتاب
دعائم الإسلام ، وأصل له أصوله وفرع فروعه ، فأمره ، فابتدأ ببيان ولاية مولانا
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وولاية الأئمة ، وأن الإمامة لا تكون إلا بالنص
والتوقيف ، والبيان ببراءة الأئمة ممن غلا فيهم ، ثم ذكر فرائض الإسلام من
طهارة وصلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد ، وهي سبع دعائم الإسلام . ويلي ذلك
في النصف الثاني من الكتاب ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام والأثرية
والبياعات والمأكولات والمشروبات والطلاق والمناكحات والمواريث والشهادات
وسائر أبواب الفقه . وكان القاضي كما رواه صاحب العميون يعرض على الإمام الخليفة
المعز « فصلا فصلا وبابا بابا » فثبت الثابت منه وبقيم الأود ويسد الخلل حتى
أتمه ؛ فجاء كتابا جامعا مختصرا على غاية الإحكام . إذا كان التشريع من أساس
الدين اعتبرت الدعوة هذا الكتاب أساسا لحياة الأفراد والجماعة . ولا يقل من
الدعائم أهمية كتابه المسمى النبيوع^(١) وكتاب مختصر الآثار^(٢) وكتاب
الإخبار^(٣) ، وهي تشرح وتكمل بعض المسائل الفقهية الواردة في الدعائم . وله
أيضا في الفقه كتاب الاقتصار^(٤) سماه بهذا الاسم لاقتصاره « على الثابت مما
أجمعوا عليه واختلفوا فيه بمجل من القول لتقريبه وتخفيفه » ، وقصيدة في رجز
مزدوج سماها المنتخبة^(٥) « التي أنتجها لمن أراد حفظها » ، والمدار والمرجع
هو كتاب دعائم الإسلام في الفقه^(٦) ، كما نرى من أمر الخليفة الحاكم بأمر الله
للقائم بالدعوة في اليمن الداعي هارون بن محمد بن قيس في قوله :

(١) فهرست إسماعيل ٤٢ — ٤٤ ؛ م.م.م .

(٢) نفسه ٣٩ ؛ م.م.م .

(٣) نفسه ٤٠ ؛ م.م.م . (٤) نفسه ٣٩ ؛ م.م.م .

(٥) فهرست إسماعيل ٤١ ؛ م.م.م .

(٦) وفي الفقه أيضا له كتاب سماه الإيضاح بسط فيه أبواب الفقه حتى بلغ زهاء

ثلاثة آلاف ورقة . وهذا الكتاب الذي ذكره المؤلف في كتاب الاقتصار غير موجود في
خزائن أهل الدعوة .

« ويكن فتواك في الحلال والحرام من كتاب دعائم الإسلام دون ما سواه من الكتب المقتلة^(١) » .

وله كتب في التاريخ والآثار والأخبار والسير . منها كتاب افتتاح الدعوة وابتداء الدولة^(٢) . وقد أمره الخليفة المعز بجمع أخبار الدولة ليقى ذكرها في الباقيين ، فألف هذا الكتاب بدأ فيه بذكر ابتداء الدعوة باليمن والقائم بها وهو أبو القاسم منصور اليمن الكوفي وظهوره فيها حتى نفذ إليه الداعي أبو عبد الله الشيعي الصنعاني وخرج منه إلى المغرب بعد ما أخذ عنه وما الذي كان من أمره بعد وصوله إليها إلى أن هاجر إليها المهدي عبد الله بن الحسين وابنه القائم بأمر الله . ومن مؤلفاته في التاريخ كتاب شرح الأخبار^(٣) في أربعة مجلدات وستة عشر جزءا تعرضه على الخليفة المعز وأثبت فيه مما أثبت ، وصح عنده ، ويتضمن تفسير الحديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» وعلي فضائل علي ومناقبه وجهاده الناكثين والقاسطين والمارقين ، ووفاة النبي ، وفضائل سيدتنا خديجة بنت خويلد وسيدتنا فاطمة الزهراء والإمامين الحسن والحسين ومن قتل مع الحسين من أهل بيته ، ثم ذكر فضائل الأئمة من ولد الحسين بن علي إلى جعفر الصادق ، وذكر إسماعيل بن جعفر ومحمد بن إسماعيل والأئمة المستورين ، وذكر معالم المهدي وصفات شيعة علي .

ومن مؤلفاته في العقائد : كتاب المهمة في آداب الأئمة^(٤) ، وكتاب مفاتيح النعمة^(٥) ، وفي علم التأويل : كتاب أسابس التأويل^(٦) وكتاب تأويل الدعائم^(٧) ، وفي علم الحقائق : كتاب التوحيد^(٨) ، وفي الوعظ والإرشاد : كتاب المجالس والمسائرات^(٩) ، وفي المناظرة : الرسالة المصرية في الرد على الشافعي^(١٠) ، وكتاب

(١) فهرست إسماعيل ٤١ . انظر سجل الخليفة الأمر (الملحق رقم ١) .

(٢) فهرست إسماعيل ٨٦ — ٨٩ ؛ م.م.م .

(٣) نفسه ٨٩ — ٩٦ ؛ م.م.م .

(٤) نفسه ٦٣ — ؛ م.م.م ؛ نشره محمد كامل حسين (٥) نفسه ٢٥٧ ؛ م.م.م .

(٦) نفسه ١٨٧ — ١٨٨ ؛ م.م.م .

(٧) نفسه ١٨٨ — ١٩٠ ؛ م.م.م .

(٨) نفسه ١٥٤ — ١٥٦ ؛ م.م.م .

(٩) نفسه ٦٥ — ٦٦ ؛ م.م.م .

(١٠) لم نعثر عليها .

في الردّ على أحمد بن شريح البغدادي^(١) ، ورسالة ذات البيان في الردّ على ابن قتيبة^(٢) ، وكتاب اختلاف أصول المذاهب^(٣) ، وكتاب المناقب والمثالب^(٤) ، وغيرها من الكتب والرسائل التي توجد في خزائن الدعوة اليمنية .

جعفر بن منصور اليمني

وكان عهد الإمام الخليفة المعز لدين الله يمتاز بوجود الشخصيات البارزة أمثال قائده الأستاذ جوهري الصقلي^(٥) ، والشاعرين النابغتين الأمير تميم^(٦) وابن هاني^(٧) ، والعالمين الحبرين الشيخ جعفر بن منصور اليمن والقاضي أبي حنيفة النعمان التميمي المغربي . وقد ذكرنا فيما سبق في باب الدعوة بعد وفاة أبي القاسم منصور اليمن نبذة عن تاريخ ابنه الحبر جعفر^(٨) ، وسموّ درجته عند الخلفاء الفاطميين القائم والمنصور والمعز . ولم يصل جعفر إلى هذه الدرجة إلا بأبحاثه العميقة في الدعوة التأويلية ، كما يتضح ذلك من مؤلفاته . ومنها : كتاب الفرائض وحدود الدين^(٩) ، يبدأ بتفسير الآية : وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وَالْجِبَانِ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُومِ ، ثم يورد ملخص الكتاب الوارد إلى ناحية اليمن من الإمام عبد الله المهدي بعد زواله في المهديّة ، ذكر فيه المهدي أسماء أسلافه الأئمة المستورين الحقيقية ، والسبب الذي جعلهم يأخذون لأنفسهم أسماء غير أسمائهم ، ثم شرح قصة يوسف وتأويل سورة يوسف وتأويل سورة الكهف . ومنها : كتاب الشواهد والبيان^(١٠) وسرائر النطقاء^(١١) وأسرار

(١) لم نعثر عليها . (٢) ذكرها فيضى في IRAS (١٩٣٤) ٢٧ : م . م . م .

(٣) فهرست إسماعيل ١٣٢ — ١٣٤ : م . م . م .

(٤) نفسه ٨٤ — ٨٦ : م . م . م .

(٥) في الكتب المحفوظة بخزائن أهل الدعوة اليمنية كتاب سيرة الأستاذ جوهري ، يقال أملاها الأستاذ أمين سره الجوهري .

(٦) نسخ ديوانه الخطية متداولة في مكاتب أولى الدعوة ، وتستعد دار الكتب المصرية الديوان قريبا .

(٧) وقد حقق الدكتور زاهد على نص ديوان ابن هاني بمقارنة عدة مخطوطات الديوان التي حفظتها الدعوة ، ونشره بشرح واف بالقاهرة .

(٨) انظر الباب الثالث ص ٥٢ — ٥٤ . (٩) فهرست إسماعيل ٢٥٧ : م . م . م .

(١٠) نسخة خطية بالمكتبة النيمورية بالقاهرة (عقائد ١٨٤) . (١١) م . م . م .

النطقاء^(١) في بيان تأويل قصص الأنبياء ، كما تعتبر مؤلفاته الأخرى مثل كتاب تأويل الزكاة^(٢) ، وكتاب الكشف^(٣) ، وكتاب الفترات والقرانات^(٤) ، وكتاب العالم والفلام^(٥) ، ورسالة في تأويل سورة النساء^(٦) ، وكتاب المراتب والمحيط^(٧) ، ورسالة في معنى الاسم الأعظم^(٨) ، ورسالة الرضاع في الباطن^(٩) من أهم كتب الدعوة في علم التأويل .

أحمد النيسابوري

ويوجد أيضا في خزائن الدعوة كتاب إثبات الإمامة^(١٠) ، ورسائل استتار الإمام^(١١) ، والموجزة الكافية في آداب الدعاة والحدود^(١٢) ، والظاهرة في معرفة الدار الآخرة من تأليف الشيخ أحمد بن إبراهيم النيسابوري الذي عاش في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس في عهدى العزيز والحاكم .

رسائل إخوان الصفا

وقد أصبحت الفلسفة الكلامية بفضل أبحاث العلماء المتقدمين أمثال أبي حاتم الرازي وأبي عبد الله النسفي وأبي يعقوب السجستاني أساس النظام الفكري الخاص بالدعوة . وظهرت رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا بفلسفتها الكلامية ، ولا ندرى متى وأين ظهرت ومن ألفها ، إلا أن العلماء قد أثبتوا علاقتها بالدعوة

(١) لم يذكر الشيخ إسماعيل هذا الكتاب في فهرست ؛ مخطوط في م . م . م .
(٢) م . م . م ؛ مخطوط بمكتبة الجامعة بليدن (دي خويه : Leiden (De Goeje cod. 1971) ؛ راجع مقال حسين الهمداني في IRAS (١٩٣٣) ٧١٢ .
(٣) وقد نشره ستروثمان (Strothmann) في سلسلة منشورات جمعية البحوث الإسلامية بيومبائي .

(٤) فهرست إسماعيل ٣٩٤ ؛ م . م . م .
(٥) نفسه ١٨٨ .
(٦) نفسه ٢٦١ ؛ م . م . م .
(٧) نفسه ٢٥٨ .
(٨) نفسه ٢١١ ؛ م . م . م .
(٩) نفسه ١٩٣ ؛ م . م . م .
(١٠) فهرست إسماعيل ١٦٨ — ١٧٠ ؛ م . م . م .
(١١) نفسه ١٢٢ ؛ نشرها إيوانوف (القاهرة ١٩٣٩) .
(١٢) نقلها حاتم بن إبراهيم الحامدي الهمداني في كتابه تحفة القلوب (انظر ص ٢٧٩) .
(م — ١٧ — الصليحيون)

الفاطمية^(١) . وبالرغم من أنها لم تذكر ولو مرة في الكتب التي ألفت في عهد الفاطميين — لأسباب ذكرناها في بحثنا عن مؤلفي الرسائل^(٢) — ، اهتمت الدعوة اليمينية بهذه الرسائل اهتماما بالغا ، ابتداء من عهد الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي المتوفى سنة ٥٥٧ ، فهو أول من ذكرها والرسالة الجامعة من مؤلفي الدعوة في كتابه المسمى بكنز الولد^(٣) . ويلاحظ أن الرسالة الجامعة اعتبرها أهل الدعوة اليمينية جزءا من رسائل إخوان الصفا على حين ينسبها غيرهم إلى مسلمة الجربطى^(٤) . وشرعت الدعوة اليمينية تدرس هذه الرسائل الإحدى والخمسين والرسالة الجامعة المشار إليها في الرسائل ، وحاولت أن توفق بين نظرياتها وأهدافها الكلامية وبين النظام الفكري الذي قدمه المؤلفون في عهد ظهور الأئمة .

أحمد حميد الدين الكرمانى

ظهر في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله عالم فيلسوف في أفق الدعوة وهو الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى الملقب بحجة العراقيين . وكان مقامه في العراق في مرتبة حجة الجزيرة من قبل الإمام الحاكم بأمر الله . واستخدم الحاكم الشيخ أحمد الكرمانى وجعله رئيسا لدار الحكمة التي كانت مغفلة منذ زمن . وقد استدعاه ختكين الضيف الملقب بالصادق المأمون داعى الدعوة إلى مصر ، عندما اشتدت الفتن الدينية وخدم النشاط العلمى ونسب الغالون الألوهية إلى الحاكم . فألف في سنة ٤٠٨ رسالته المسماة بالواعظة^(٥) في الرد على الحسن الفرغانى الذى قال بتأليه الحاكم

(١) راجع مقال كزانوفا في JA (١٨٩٨) ص ١٥١ وبمدها ؛ الطينوى : جماعة إخوان الصفا ٧١ ؛ ديور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ٩٦ ؛ عبد الكريم خليفة : إخوان الصفا ٢٤ — ٢٩ ؛ عمر الدسوقي : إخوان الصفا ٨٨ — ١٢٢ . وقد أنكر عمر فروخ (إخوان الصفا ١٢ — ١٣) علاقة الرسائل بالشيعة .

(٢) راجع مقال حسين الهمداني عن رسائل إخوان الصفا في Der Islam (١٩٣٢) .
(٣) انظر الباب العاشر ص ٢٧١ .

(٤) بحث تاريخى لحسين الهمداني ٧ — ١١ . والجزءان من الجامعة في خزائن دعوة اليمن وفي م.م.٥ . ونشر جميل صليبا الجزء الأول منها بدمشق سنة ١٩٤٨ .

(٥) وهى من مجموعة الرسائل الثلاث عشرة من تأليف الكرمانى إلا الرسائلين الأخيرتين ؛ فهرست إسماعيل ٢٠٠ — ٢٠٥ ؛ ومقال حسين الهمداني في IRAS (١٩٣٢) ٣٧٣ ؛ إيوانوف ١٣٤ .

وأبرأ فيها الحاكم من دعوى الألوهية قائلاً إن الحاكم إنما هو عبد الله ، له يسجد . ولم تنفع هذه المحاولة والاحتجاج ، لأن حمزة الدرزيّ قاد الدروز في السنة التالية ، وانفصل عن الدعوة الرسمية وتمسك بمبدأ ألوهية الحاكم . والكرماني في رسالته مباهم البشارة^(١) وكتابه المصابيح^(٢) تمكن أن يثبت وجوب الإمامة وبالخصوص إمامة الحاكم يراهين عدة حتى من الكتب المقدسة^(٣) ، واستعمل آراء الفلاطونية الحديثة وأنظارها بمهارة لم يسبقه فيها أحد من الدعاة في توطيد صرح النظام الفكري الذي اشترك في بنائه علماء الدعوة السابقون ، بل حاول أن يرفع هذا الصرح الديني الفلسفي إلى قمته القصوى حتى لا يترك مجالاً للخلاف والنقاش . فلذلك نراه في كتابه المسمى بالرياض^(٤) يوجه عنايته إلى الحكم بين الصادقين ، صاحب الإصلاح (أبي حاتم الرازي) وصاحب النصر (أبي يعقوب السجستاني) ، بشأن كتاب النسفي المتنازع فيه المسمى بالمحصول ، لأن الذي تنازع عافيه لم يكن من « الفروع التي يجوز أن يختلف فيها مع سلامة أصولها » ، ولأن الذي تنازع عافيه « أمر كان مؤدياً في توحيد الله ومعرفة حدوده إلى نظام اعتقاد الموقنين » . ولذلك أيضاً شاهدته في كتابه المسمى بالأقوال الذهبية في الطب النفساني^(٥) يتوجه إلى ما أهمل الشيخ أبو حاتم الرازي في مناظرته الفيلسوف الشهير محمد بن زكريا الرازيّ فيما يتعلق بوجوب أمر النبوة ، وأراد أن يكمل ما نقص في أعلام النبوة للشيخ أبي حاتم ويدافع عنه ، وجعل الكرماني كتابه على باين ، أحدهما في إبانة « الخطأ المستمر » على ابن زكريا في طبه الروحاني ، وفيما جرى بين الرازيين ، وفيما أهمل الشيخ أبو حاتم ، وثانيهما في إبانة « الحق المستمر » فيما هو حق الطب النفساني .

(١) وردت في مجموعة الرسائل الثلاث عشرة .

(٢) فهرست إسماعيل ١٧٠ — ١٧٢ ؛ م.م.هـ .

(٣) راجع مقال بول كراوس (Kraus) عن العبارات العبرية والسريانية في

مؤلفات الكرماني في مجلة Der Islam (١٩٣١) ٩ / ٢٦١ .

(٤) فهرست إسماعيل ٣٨١ — ٣٨٣ ؛ م.م.هـ ؛ ومقالة حسين الهمداني في المؤتمر

الثاني لدائرة المعارف العثمانية بمحدر أباد الدكن سنة ١٣٥٨ ؛ مقال حسين الهمداني في

JRAS (١٩٣٣) ٣٧٤ .

(٥) فهرست إسماعيل ٢٤٠ — ٢٤٤ ؛ JRAS (١٩٣٣) ٣٧٤ ؛ م.م.هـ .

وكان الشيخ أحمد رجبياً إلى حد ما ، واستعمل نظم الفلاطونية الحديثة وآراء
 الشيخين الصادق الكلامية لتوطيد بناء الإمامة الفاطمية ، وبذل كل جهد في جميع
 مصنفاته لإثبات أمر النبوة والإمامة من الوجهتين الفلسفية والدينية . وفي
 هذا نستطيع أن نقرن الكرماني بحجة الإسلام الغزالي في استخدامه نظم الفلاسفة
 لتأييد التصوف والباطن . فأيد الشيخين بكل ما يملك من مهارة فلسفية فائقة
 في مبدأ التمسك بظاهر الشريعة والعبادة العلمية ، واقتصر العبادة العلمية
 والاشتغال بالتأويل والكلام الفلسفي على الحدود المأذونين . فهذه الظاهرة
 نشاهدها في مصنفاته الموسومة بالوضعية^(١) ، والمصاييح في إثبات الإمامة ، وتنبية
 المهادي والمستهدى^(٢) ، وراحة العقل^(٣) . وللشيخ أحمد الكرماني فضل كبير
 في تطور النظام الفكري والكلام النظري الخاص بالدعوة ، لأنه أثبت في كتابه
 راحة العقل — وهو من الكتب الكبار في الأدب الفاطمي ألفه سنة إحدى
 عشرة وأربع مئة — هذا النظام الفلسفي الديني الذي قدم أصوله علماء الدعوة السابقون .
 يدل على ذلك إشارة الكرماني ، في المشرع الثالث من السور الأول فيما يجب
 أن يقرأ قبل قراءة هذا الكتاب ، إلى قراءة كتب القاضي النعمان بمد كتاب الله
 وكتب جعفر بن منصور اليمن وكتب أبي حاتم الرازي ومحمد بن أحمد النسفي
 وأبي يعقوب السجستاني وقراءة كتبه التي ذكرناها آنفاً . «فيل بأنه ما أتى بكتابه
 راحة العقل إلا بحقائق ما أتى به هؤلاء الدعاة»^(٤) . ثم أضاف إليه عناصر جديدة ،
 ووسع بعض موضوعاته ، وحدد ما كان مطاطاً أو سائلاً أو قابلاً للتفسير والتناقض
 والتشابه . فلذلك صار كتاب راحة العقل في الأدب الفاطمي بمثابة كتاب إحياء علوم
 الدين للغزالي الذي قرر فيه وحدد الأسس والأصول للتصوف الإسلامي . فيستند
 عليه علماء الدعوة اليمينية في أبحاثهم عن مسائل علم الحقائق استنادهم على كتاب
 دعائم الإسلام للقاضي النعمان في المسائل الفقهية . وفيه قدم الكرماني مذهبه

(١) فهرست إسماعيل ١٧٩ — ١٨١ م.م.هـ . (٢) نفسه ٦١ م.م.هـ .

(٣) م.م.هـ . والكتاب حققه محمد كامل حسين ومحمد مصطفی حلمي في سلسلة

مخطوطات الفاطميين رقم ٩ (القاهرة ١٩٥٢) .

(٤) من الشموس (على هامش مخطوطة راحة العقل ١٢٤/١) .

وهو مذهب الدعوة في الوجود ، وأيد علماء الدعوة السابقين في نفى الأيسية والليسية عن الله ، ومذهب الدعوة في التوحيد ونفى الصفات عن الله نفياً مطلقاً ، ومذهب الدعوة في الأصلين الإبداع والانبعاث . لقد تأثر في هذا كله تأثراً شديداً بما أتى به الشيخ أبو حاتم الرازي والشيخ أبو يعقوب السجستاني وغيرهما من علماء الدعوة ، وقدّم نظم الدعوة وأنظارها في أسلوب منطقيّ بحت ، ولم يقف الكرماني عند هذا الحد ، بل جمع لأول وهلة الأصلين الأولين العقل الفعال والنفس الكلية مع نظام العقول العشرة الفلوطينية التي عرضها الملم الثاني الفارابي ببعض الاختلاف ، وأبان المقابلة والمطابقة بين عالم الإبداع (وهو عالم العقول أو العالم الروحاني اللطيف) ، وبين العالم الجرماني (وهو عالم الأفلاك والكواكب) ، وبين المالم الجسماني (وهو ما دون فلك القمر) ، وبين عالم الدين (وهو معرفة مراتب حدود الدين) ، لأنّ العوالم كلها مرتبة تحت سياسة قانون «الميزان» حذو النعل بالنعل . فأتخذ علماء الدعوة اليمنية هذا الكتاب الجليل القدر وكتب علماء الدعوة السابقين ورسائل إخوان الصفا أساساً تدور عليها مباحثهم ودراساتهم .

المؤيد في الديرة الشيرازي

وكانت اليمن تواصل اتصالها بمركز الخلافة والدعوة الفاطمية بالقيروان والمهدية ثم مصر من أيام ظهور المهدي ، حتى في أيام الحاكم نزي أن سجلاته كانت ترد إلى رياسة الدعوة باليمن على الرغم من زوال الدولة الفاطمية الأولى منها ؛ وقد ازدادت هذه العلاقات بين اليمن ومصر في عهد الخليفة المستنصر حينما ظهر الملك علي بن محمد الصليحي على مسرح اليمن . وقد ذكرنا فيما سبق وفي مقالنا في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية^(١) أن الملك علي بن محمد الصليحي أرسل قاضي قضاة اليمن لك في وفد من أوليائه إلى مصر مع رسالة خطيرة وأن ملك أقم بمصر خمس سنوات . وفي مدة إقامته كان القاضي متصلاً اتصالاً وثيقاً بداعي الدعوة وباب الأبواب المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي

(١) J R A S (١٩٣٣) ٣٦١ — ٣٦٢ J R A S (١٩٣٢) ١٣٥ .

المتوفى سنة ٤٧٠ هـ ؛ وكان يحضر مجالسه بدار العلم ويأخذ عنه علوم الدعوة حتى استوعب ما عنده . وذكرنا أيضاً أن المؤيد وجد أن نفوذ الوزراء يزداد بضعف الخليفة ، فلذلك رأى أن مصير الدولة بهذا الوضع ينحدر إلى الضعف والزوال ؛ فقرر تحويل تراث الدعوة العلمي الديني إلى جزيرة اليمن ، لأنها هي الوحيدة التي ظلت متمسكة بمبادئ الدعوة الفاطمية الرسمية بعد أن فقدت نفوذها في كل من شمال إفريقيا ومصر والشام والعراق وفارس ، وفوض إلى مراكز اليمن أمور الدعوة في الأحساء والبحرين وما جاورها من البلاد وفي الهند والسند .

وكان المؤيد علماً من أعلام الدعوة العلماء ، نابغة من نوابغ عصره ، شاعراً فيلسوفاً سياسياً مفامراً غازياً ، وقد سرد في كتاب السيرة حوادث أيامه وحياته ومغامراته ومفاوضاته وعلاقاته بالوزراء والقواد والحكام بين سنة ٤٢٩ هـ وسنة ٤٥٠ هـ . وتعد سيرة المؤيد وثيقة من أهم الوثائق التاريخية^(١) .

وقد احتفظت الدعوة بمجموعة محاضراته التي بلغ عددها ثمان مئة محاضرة ، كل مئة منها في مجلد ، وتسمى هذه المجموعة بالمجالس المؤيدية^(٢) . وقد قسم الداعي السلطان حاتم بن إبراهيم الحامدي الهمداني هذه المجالس ورتبها على حسب الموضوعات في ثمانية عشر باباً في كتابه المسمى بجامع الحقائق^(٣) ، وقد وردت في المجالس رسائل المؤيد وأب العلاء المعري في تحريم اللحوم والألبان الذي فرضه المعري نفسه^(٤) .

وأما ما قاله من الشعر في مدح الأئمة وبالخصوص الخليفة المستنصر وفيما جرى عليه عصر من حوادث الأيام ومآثله من أذى الناس وكابده من امتحان إمامه

(١) فهرست إسماعيل ١٢١ هـ ؛ م . م . هـ ؛ نشرها محمد كامل حسين بالقاهرة سنة ١٩٤٩ .

(٢) فهرست إسماعيل ٢٣٦ هـ ؛ م . م . هـ .

(٣) نفسه ٢٣٦ هـ ؛ م . م . هـ ؛ انظر ص ٢٧٨ من هذا البحث ؛ ذكر إيوانوف

(٤٧ — ٤٩) مؤلفات المؤيد وأخطأ في تسمية الكتاب بجامع الحقائق في تحريم اللحوم والألبان ونقلها منه محمد كامل حسين (د المؤيد ٥٨) .

(٤) ذكرها ياقوت في معجم الأدباء ، ونشرها مارجليوث (Margoliouth) في JRAS

(١٩٠٢) ٢٨٠ — ٢٩٠ .

وغير ذلك من افتخاره بطاعته أئمة ومناجاته لله فمحفوظ في ديوانه^(١). وأغلب الظن أن يكون القاضى لملك بن مالك الحمادى جمع قصائده وأتى بها إلى اليمن . واحتفظت الدعوة اليمنية أيضا ببعض مؤلفاته ، ومنها مجموعة الأدعية والخطب التى قرأها المؤيد فى الجمعات^(٢) يضمها كتاب يسمى بالصحيفة اليمنية^(٣) . وهذه الأدعية بحاجة إلى التحقيق والتمحيص ، لأن بعضها قد تكون نسبت إليه ، كما يظهر من الإشارة فيها إلى أسماء الأئمة حتى الطيب بن الأمر ، أو ربما أضيفت إليها أسماء الأئمة بعد المسنصر .

ومنها كتاب نهج الهداية للمهتدين^(٤) ويتضمن إحدى عشر بابا ، الأول فى إثبات التوحيد وما يمكن أن يقال فيه وإن عظم ذلك إلا بمقدار الإثبات المنزه عن التشبيه والتعطيل ؛ والثانى فى معرفة الإبداع والكلمة والوحدة والعقل والأمر ما يرجع هذه الأسماء مع اختلافها من معنى واحد ؛ والثالث فى معرفة المبدع الأول وما يخصه من الأسماء مثل العقل الأول والعلم والسابق والمعقول والمعلول الأول والشئ والوجه والعرش وغير ذلك ؛ والرابع فى معرفة المخلوق الثانى والمنبعث من الأول وما يخصه من الأسماء مثل النفس والروح والثانى والتالى والكرمى وغير ذلك ؛ والخامس فى معرفة الهيولى والصورة والطبائع المفردة ؛ والسادس فى معرفة الطبيعة الكلية والجزئية ؛ والسابع فى معرفة الرسول والرسالة وكيف مجراها فى الحكمة وما الموجب لهما ؛ والثامن فى معرفة الوصى والوصاية وما الموجب لهما فى الحكمة ؛ والتاسع فى معرفة الإمام والإمامة وكيف مجراها وما الموجب فى الحكمة ؛ والعاشر فى معرفة مبدأ البشر ومواده وما الفرض فى وجوده وعدمه ؛ والحادى عشر فى معرفة الثواب والعقاب . والظاهر من هذه العناوين أن الكتاب يحتوى على مصطلحات علم الحقائق التى اتبعها علماء اليمن فى مؤلفاتهم .

(١) فهرست إسماعيل ٣٩ م . م . ه . ؛ وحققه محمد كامل حسين وله تصدير مفيد (القاهرة ١٩٤٩) .

(٢) م . م . ه .

(٣) إيوانوف ٥٨٥ ؛ م . م . ه .

(٤) م . م . ه .

وله كتاب الابتداء والانتهاء^(۱)، وجملة فصول الكتاب ثلاثة وأربعون فصلا، ويشتمل على ذكر الإبداع والعملة والوحدة والكلمة والفعل والفاعل والمفعول والواحد والأحد والأمر والخلق وكن فيكون والعقل والنفس والحركة والسكون والهيولى والفرق بين جميع ذلك، وذكر القائم وما يكون منه وما يفعله، وذكر الأنبياء عليهم السلام، وذكر الأئمة وعددهم من دور سيدنا محمد صلى الله عليه، وذكر حجة القيامة وغلق باب التوبة وانقطاع الدعوة، وذكر شهر رمضان وليلة القدر وعيد الأضحى والنحر والضحايا، وذكر الولد التام الذى يقوم مقام والده إ ذاتم، وذكر خروج النفس من حد القوة إلى حد الفعل، وذكر النفس الناطقة وما كسبت من العلم والعمل، وذكر الثواب والعقاب، وذكر الملائكة بالفعل وبالقوة، وذكر المعاد ورجوع النفس الناطقة إلى مأمئها، وذكر النفخة والصور وكيفيةهما، وذكر مزدلفة والصلاة فيها، وذكر الثلاثة الأيام التشريق بعد العيد فى النحر، وغير ذلك من موضوعات الدعوة الحقيقية أو علم المبدأ والمعاد.

وربما أخذ علماء اليمن اسم هذله النوع من البحوث من اسم هذا الكتاب مع أن البحث يدور حول نفس الموضوعات التى قدمها العلماء السابقون. والغالب أن اليمنيين أطلقوا على هذا البحث اسم علم المبدأ أو المعاد أو الابتداء والانتهاء نقلا عن المؤيد فى تسميته كتاب الابتداء والانتهاء وفى شرحه لمعرفة مبدء البشر ومعاده من كتاب نهج الهداية الذى ذكرناه آنفاً. وأشار المؤيد فى هذا الكتاب إلى كتابه السسمى « يائبات الإمامة من بعد جعفر وفى اختلاف الشيعة بعد موت إسماعيل فى حياة جعفر »، واستطرد قائلاً: « وقد ذكرنا حالة الأئمة المستورين الثلاثة ومواضعهم واختلاف الدعوة وقد ذكرنا أسامهم وكيف كان حالهم والكتاب خاص بوجود لمن طلبه » ولم يذكره الشيخ إسماعيل فى فهرست ولم نمر عليه أو على ذكره فى فهرس كتب الدعوة. وأشار فيه أيضا إلى كتاب

(۱) فهرست إسماعيل ۲۸۰ : ۴۰۴ .

تأويل الدعائم وكتاب أساس التأويل وكتاب تأويل الشريعة وكتاب حدود المعرفة وكتاب المعاد في خلاص النفوس وكتاب افتتاح [الدعوة] من تصنيف القاضي النعمان ، والظاهر أن المؤيد تأثر كثيرا بأراء القاضي في الدعوة التأويلية . ومن مؤلفاته في التأويل المسائل السبعون^(١) ويتضمن تفسير الآيات القرآنية والمسائل الدينية ، وكتاب المسألة والجواب^(٢) ، كتاب بنياد تأويل^(٣) وهي ترجمة فارسية لكتاب أساس التأويل^(٤) للقاضي النعمان .

وكان المؤيد كثير التأليف ووصلت مؤلفاته كلها أو معظمها إلى اليمن ، واهتم علماء اليمن بها اهتماما بالغا ، لأنها ذكرت كثيرا واعتمد عليها في مباحث اليمنيين . وقد ذكر صاحب كنز الولد المؤيد أكثر من أربعين مرة مقتبسا من مجالسه ومناجاته وشعره ، وصاحب كتاب الأنوار اللطيفة ذكر المؤيد ثلاثين مرة^(٥) . وكان اليمنيون قريبي العهد بالمؤيد ، واتصل به شيخهم القاضي ملك اتصالا مباشرا وأخذ عنه ، بالرغم من اهتمامهم بدراسة مباحث الدعاة أجمعين .

ومما يدل على مكانة المؤيد عند علماء اليمن واستفادتهم من علومه ومعارفه ما جاء في سجل الإمام الخليفة المستنصر المؤرخ في شهر رمضان سنة إحدى وستين وأربع مئة الوجه إلى الملك المكرم أحمد : « وأما ما سألت فيه مما يتعلق بالوفى شهر يار بن حسن فإن الشيخ الأجل داعي الدعاة المؤيد في الدين عصمة المؤمنين ، صني أمير المؤمنين ووليه أبا نصر هبة الله بن موسى — سلمه الله وأحسن توفيقه وتسديده — يفعل في ذلك ما يوجهه حكمه ويقتضيه »^(٦) .

(١) ٥٠٠ م .

(٢) فهرست إسماعيل ٤٠٥ — ٤٠٦ م .

(٣) ٥٠٠ م .

(٤) انظر ص ٢٥٥ .

(٥) كما حكاه محمد كامل حسين (د المؤيد ١٨٦) .

(٦) السجلات رقم ٦١ .

شهریار بن حسن

وكان الشيخ شهریار بن حسن من علماء فارس وكرمان، فالتحق بالدولة الصليحية. وأوفده الملك المكرم الصليحي إلى مصر فأخذ عن المؤيد علوم الدعوة حتى عاد إلى اليمن. وهو صاحب الرسالة في رد من ينكر العالم الروحاني، وهي تضمها مجموعة رسائل الكرمانى الثلاثة عشر ومجموع التربية للشيخ محمد بن طاهر الحارثى^(١). وله أيضا رسالة في معنى قول الله إنا فتحنا لك فتحا مبينا صنفها جوابا على مسألة السلطان عامر ابن سليمان الزواحي^(٢)، وقصيدة أوردتها الداعي سليمان بن حسن في كتاب النخب^(٣).

مصنفات أخرى

وتوجد أيضا في خزائن كتب الدعوة اليمنية :

مجموعة السجلات المستنصرية، وقد ذكرناها في مقدمة هذا الكتاب^(٤). وأثرنا إلى أهمية هذه الوثائق التاريخية التي حفظتها اليمن في جبالها وخزائنها، واستفدنا منها كثيرا في هذا البحث.

وكتاب المجالس المستنصرية^(٥) وهي خمس وثلاثون مجلسا أقيمت باسم الإمام الخليفة المستنصر عن المسائل الفقهية والتأويلية، ونسب الشيخ إسماعيل تأليفها إلى الوزير بدر الجمالي.

وديوان حسن بن محبوب في مدح الإمام المستنصر والمواعظ^(٦).

ورسالة الهداية الأمرية^(٧) تأليف الإمام الخليفة الأمر بأحكام الله في تثبيت إمامة أبيه المستعلي والرد على النزارية.

(١) انظر ص ٢٥٨ (هامش ٦) و ص ٢٧٢.

(٢) إيوانوف رقم ١٦٧.

(٣) نفسه رقم ١٦٩.

(٤) انظر ص ٦.

(٥) فهرست إسماعيل ١٩٠ - ١٩٢ : م.م.هـ؛ وحقها محمد كامل حيدر ونشرها (مصر بدون تاريخ).

(٦) فهرست إسماعيل ٥٦.

(٧) فهرست ١٦٠؛ م.م.هـ؛ ونشرها آصف فيضي (بومباي ١٩٣٨).

وكتاب المجالس للشيخ أبي البركات بن بشر الحلبي^(١) صاحب الرتبة البائية في عهد الإمام الخليفة الأمر ، وهي ستون مجلسا في المواعظ والتفسير والعقائد . وقد ذكرنا في هذا الباب مشاهير علماء الدعوة وأهم مصنفاتهم ، ولا يستغرق البحث جميع ما حفظت اليمن من التراث العلمي الفاطمي أو ما ذكر من مؤلفاتهم الموجودة والمفقودة . وهذه اللوحة تكفينا أن نأخذ فكرة عن الثروة العلمية التي انتقلت إلى اليمن ، ومدى مركزها في تاريخ تطور آراء المسلمين ونظمهم الفكرية .

(١) فهرست إسماعيل ٣٩١ : م . م . م .

الباب العاشر

دعوة اليمن ونشاطها العلمي

من أواخر عهد الملكة الحرة إلى ظهور دولة آل رسول

الراعي الذؤيب بن موسى الوداعي الهمداني (٥٢٠ - ٥٣٦)

وقد سبق أن ذكرنا^(١) أن اليمن هي الوحيدة التي ظلت موالية لدعوة الفاطميين القديمة الرسمية ، وأن القاضي ملك بن مالك الحمادي عند عودته إلى اليمن كان مكلفاً من قبل الإمام الخليفة المستنصر وباب أبوابه المؤيد تنفيذ سياسة معينة بالنسبة إلى إقامة الدعوة ، ونقل آدابها وعلومها إلى اليمن ، وأنه لقب بلقب داعي القلم في عهد الملك المكرم أحمد الصليحي وبلقب داعي البلاغ في عهد الملكة الحرة . وقد اختار ملك نخبة من التلامذة الأفاضل البعيدين عن أمور الملك أمثال ابنه يحيى ابن ملك والذؤيب بن موسى الوداعي وإبراهيم بن الحسين الحامدي ، وسلم إليهم كل ما كان أخذه من علوم الدعوة أيام إقامته بمصر . ويقول صاحب العيون^(٢) ، نقلاً عن الشيخ حاتم بن إبراهيم الحامدي : ولم يسمح من حقائق علمه إلا بالشيء القريب للداعي المكرم والحرة الملكة وأحمد بن قاسم بن دلي لا غيرهم » ؛ وذلك لاشتغالهم بشئون الملك والإدارة والحروب المستمرة . فتحوّلت آداب الدعوة الفاطمية وعلومها بيد ملك إلى شيوخ اليمن العلماء الذين تفرّغوا لدراسة هذا التراث العلمي الديني .

وظل الشيخ يحيى بن ملك^(٣) يعمل بعد وفاة أبيه في نشر علوم الدعوة وإيضاح

(١) انظر ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ - ١٨٢ ، ١٩٢ - ١٩٣ .

(٢) عيون ١٠٤/٧ .

(٣) انظر ص ١٨١ .

معالم الدين وإحياء مراسمه حتى توفي في سنة عشرين وخمس مئة . وله كتاب يسمى بفصل في بيان الأرض وما عليها من المعادن^(١) .

فأقامت المملكة الحرة في رياسة الدعوة بعده الشيخ الذؤيب بن موسى الوادعي ، ثم قررت الملكة — في فترة شغور بعد اغتيال الإمام الخليفة الأمر واختفاء ابنه الصغير الطيب من عدوان الوزير أبي علي بن الأفضل — إعلان استقلال اليمن من سيطرة مصر وانفصال هيئة الدعوة من مركزها بالقاهرة انفصالا باتا . ولما رأت الملكة في أواخر عهدها أن دولتها أصبحت غير قادرة على حماية هذه الهيئة الدينية ، وازدادت مؤامرات الخليفة الحافظ عبد المجيد في شئون بلادها ، فصلتها أيضا عن شئون ملكها وإدارة حكومتها فصلا نهائيا . فعينت الشيخ الذؤيب بن موسى الوادعي داعيا مطلقا للإمام المستور . وذلك لأنها كانت حجة الإمام ، ومن حقها أن تعين من يقوم بأمر الدعوة في جزيرتها — اليمن . وكان بقاء الدعوة بهما أكثر من بقائها أو بقاء أسرتها في الحكم . فكان الذؤيب أول الدعاة المطلقين في دور الستر الذي ابتداء باختفاء الإمام الطيب بن الأمر ؛ فالشيخ الذؤيب لذلك يعتبر من الدعاة المخضرمين الذين أدركوا عهدي الظهور والستر . وكان الذؤيب علما من أعلام اليمن العلماء ، وسمى « فراص الكتب » لاستخراجه دفائنها وفكّه رموزها ، كما حكاه صاحب النزهة^(٢) . وله رسالة تسمى برسالة النفس^(٣) ، وتتضمن بعض آراء إسكندر الأفروديسي التي تتفق مع مسائل الدعوة الحقيقية ومع الأساس أن لا يوصل إلى معرفة النفس إلا بعد معرفة الجسم ، ورسالة في معرفة الموجودات أوردها الشيخ محمد بن طاهر في كتاب مجموع التربية^(٤) .

وعاضده وآزره تلميذه السلطان الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري الهمداني^(٥) في إقامة الدعوة ، وبعد وفاة الخطاب آزره السلطان إبراهيم بن الحسين

(١) إيوانوف رقم ٣٢ و ٣٤ .

(٢) نزهة ١ / ٨٦ .

(٣) م.م.م .

(٤) فهرست إسماعيل ١٨١ — ١٨٧ ؛ م.م.م ؛ انظر ص ٢٧٢ .

(٥) انظر الباب السادس من ١٩٣ وما بعدها .

الحامدى . ومن تصانيف الخطاب كتاب غاية المواليد^(۱) ، ورسالة النفس^(۲) ،
وكتاب منيرة البصار^(۳) ، ورسالة في بيان إعجاز القرآن^(۴) ، ورسالة النعيم^(۵) ،
وديوان شعره^(۶) .

الدراعى إبراهيم بن الحسين الحامدى (۵۳۶ - ۵۵۷)

ولما توفى الذؤيب خلفه السلطان إبراهيم بن الحسين بن أبى السمود
الحامدى الهمدانى^(۷) داعيا مطلقا للإمام المستور فى اليمن وما جاورها من البلاد
والهند والسند^(۸) فى سنة ست وثلاثين وخمس مئة . وكان مقره صنعاء ، وذلك
لأن رياسة الدعوة لم تجد بعد وفاة الملكة الحرة حلفاء أقوياء يحمونها من اعتداء
العتدين إلا الدولة الهمدانية بصنعاء يرأسها الملك حاتم بن أحمد الهمدانى الياهمى
حفيد القاضى عمران بن الفضل الياهمى وكان للقاضى سوابق حميدة وجهاد فى تأييد
الملك على بن محمد الصليحي والملكة الحرة ، كما ذكرنا سابقا^(۹) . وقد مضت
على الدعوة وأهلها أيام عصيبة ، لأن ملوك آل زريع الهمدانيين فى عدن قد مالوا
إلى الدعوة المجيدية التى انتشرت فى أنحاء اليمن حتى فى معاقل الدعوة - حراز
ونجران واليمن الأسفل ، ولأن ملوك همدان الياهميين فى صنعاء وبلاد همدان
قد تحرروا من جميع هذه المذاهب والدعوات ، وأرادوا تكوين دولة شعب همدان
واليمن ، ولم يتمكن لهم هذا بظهور الفرز على مسرح اليمن . فاتبع الشيخ إبراهيم

(۱) م . م . م .

(۲) م . م . م .

(۳) م . م . م .

(۴) يضمها كتاب مجموع الترية (انظر ص ۲۷۲) .

(۵) النصف منها موجود فى م . م . م .

(۶) فهرست إسماعيل ۵۰ ؛ و م . م . م . ؛ وصورة شمسية من المخطوط المحفوظ

بمكتبتنا المحمدية الهمدانية موجودة فى مكتبة الأستاذ كونس (kuentz) بالقاهرة .

(۷) الحامدى نسبة لى بنى حامد ، وحامد وحامد أخوان من همدان (انظر ص ۱۷۵ هامش ۱) .

(۸) تطلق على هذه المناطق فى مصطلح الدعوة كلمة « جزيرة اليمن » .

(۹) انظر ص ۶۵ - ۹۶ ، ۱۱۵ ، ۱۳۷ - ۱۳۸ ، ۱۵۲ - ۱۵۴ .

ابن الحسين الحامدي سياسة عدم التدخل والمواظبة على دراسة علوم الدعوة ونشرها، تلك السياسة التي رسمتها الملكة الحرة ورؤساء الدعوة في أواخر عهدها وبعد وفاتها . وقد جعل الحامدي الشيخ علي بن الحسين بن جعفر^(١) الأنف القرشي العبشمي من آل الوليد مأذونا له ، فكان له معاضدا على أمره ، فأما بنشر الدعوة في سره وجهره ، كما حكاه صاحب النزهة^(٢) . ولم يعمر علي بن الحسين القرشي طويلا ، فقد وافته المنية في سنة أربع وخمسين وخمسة مئة . فاستعان الداعي إبراهيم الحامدي بابنه حاتم حيث جعله مأذونا ، كما استعان بالشيخ محمد بن طاهر بن إبراهيم الحارثي^(٣) . وفي الشيخ علي بن الحسين القرشي قال الشيخ محمد بن طاهر الحارثي قصيدة جاء فيها^(٤) :

أبا حسن أنقذت بالمعلم أنفسا وأمنتها من طارق الحدّثان
فجوزيت بالحسني وكوفيت بالمُنسى ودمت سعيدا في أغزّ مكان
عمرت بصنعا دعوة طيّبة جعلت لها أساوشدت مباني

وكان الدعاة الأربعة من علماء اليمن الأعلام ، واشترك القرشي والحارثي وحاتم الحامدي مع أستاذهم إبراهيم الحامدي في نشاطه العلمي وجمع التراث العلمي والديني من عهد الفاطميين وفي بحوثه الكلامية والدينية . فترك كل منهم كتباً ومؤلفات لها شأن خطير في تطور آداب الدعوة اليمانية .

وقد ألف إبراهيم الحامدي كتابه الجليل في علم الحقائق الموسوم بكنز الولد^(٥) ، وذكر فيه لأول مرة في آداب الدعوة رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا والرسالة الأخيرة الجامعة منها ، وأشار إلى نظرية الشخص الفاضل

(١) ورد اسم جد الشيخ علي بن الحسين باختلاف : أحمد وجعفر (نزهة ١/٩١ و ٩٢) .

(٢) نزهة ١/٩١ . وكان الشيخ علي القرشي ابن عم الداعي علي بن محمد بن الوليد القرشي .

(٣) من بني الحارث بن كعب ، وهو من بني محرز بيت رياستهم (نزهة ١/١٠٤) .

(٤) نزهة ١/٩١ .

(٥) م.م.م .

مؤلف الرسائل والجامعة ، فأخذ علماء اليمن بعد ذلك اتجاه الحامدي في درس الرسائل والجامعة وفي اعتبارهم إياها بمثابة القرآن بعد القرآن^(١) . وله أيضا كتاب الابتداء والانتها^(٢) ، وكتاب تسع وتسعين مسألة في الحقائق^(٣) .
وأما رسائل الشيخ علي بن الحسين القرشي فقد وردت في كتاب مجموع التربية^(٤) ، وهو كتاب جامع ألفه الشيخ العلامة محمد بن طاهر الحارثي وقد أورد فيه مقالاته ورسائله وبحوثه ورسائل العلماء الدعاة من دورى ظهور الأئمة واختفائهم والمقتبسات من كتبهم ، نحو فصل في الفرق بين الملائكة بالقوة والملائكة بالفعل للنسفي^(٥) ، وفصلا في تأويل الصلاة من كتاب الشواهد والبيان^(٦) لجعفر بن منصور اليمن ، ورسالة في وجوب الإمامة للشيخ أبي الفوارس أحمد بن يعقوب^(٧) ، ورسالتين في المبادئ العقلية والحدود والرسوم من رسائل إخوان الصفا ، ومجلسا في بيان علة التكليف من مجالس المؤيد في الدين الشيرازي ، ورسالة في إثبات العالم الروحاني لشهريار بن حسن^(٨) ، ورسالة المطيع في المبدأ والمعاد للشيخ محمد ابن علي بن أبي يزيد^(٩) . ورسالة في معرفة الموجودات للداعي ذؤيب بن موسى الوادعي ، ورسالة في إعجاز القرآن والأعمال الشرعية للسلطان الخطّاب بن الحسن الحجوزي ، ورسالة الداعي الحسن بن محمد المهدي^(١٠) إلى أهل الرى ، ورسائل معاصره والمأذون

-
- (١) حسين الهمداني : بحث تاريخي في رسائل إخوان الصفا ١٤ .
(٢) إيوانوف ١٨٩ .
(٣) فهرست إسماعيل ٣٥٥ — ٣٥٧ ؛ م.م.م .
(٤) نفسه ١٨١ — ١٨٧ ؛ م.م.م .
(٥) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد النسفي (انظر ص ٢٥١ ، هامش ٢) .
(٦) انظر ص ٢٥٦ .
(٧) هو الشيخ أبو الفوارس أحمد بن يعقوب الداعي بجزيرة الشام في عهد الحاكم بأمر الله .
(٨) انظر ص ٢٦٦ .
(٩) من علماء الدعوة في عهد الأمر بأحكام الله الفاطمي .
(١٠) فن إيوانوف ٤١ : لعله البيهقي من مبيد المدينة الواقعة بين يزد وكرمان .

الشيخ علي بن الحسين بن الوليد الأنف القرشي في البسمة وفي البحث على الفرقة
الزارية وفي المبدأ والمعاد وفي إثبات إمامة الطيب بن الأمر ، ورسالة تحفة الطالب
وأمنية الباحث الراغب (وتسمى رسالة الضلع) ، وقصيدة للشيخ علي بن الحسين
ابن الوليد في مدح الإمام الحادي والعشرين الطيب ، والرسالة الموسومة بملقحة
الأذهان تأليف الشيخ علي بن محمد بن الوليد القرشي . ويتضمن الكتاب
أقوال أرسطاطاليس وسيدنا علي بن أبي طالب ، والسجل الوارد إلى اليمن بالبشارة
بالمولود الطيب بن الأمر . ولولا هذا الكتاب لما عرفنا بعض هذه الرسائل والمقالات .
ومن مؤلفات الشيخ محمد بن طاهر الرسالة الجامعة في الرد على بعض المارقين^(١) ،
وكتاب حدائق الألباب^(٢) ، ورسالة في أربع عشرة مسألة^(٣) .

وظل الشيخ محمد بن طاهر الحارثي والشيخ حاتم بن إبراهيم الحامدي
على ولائهما للدعوة ونشاطهما العلمي تحت إشراف الداعي إبراهيم الحامدي حتى
توفي الداعي إبراهيم بصنعاء في شهر شعبان سنة سبع وخمسين وخمسة مئة .

الداعي حاتم بن إبراهيم بن الحسين الحامدي الزهراني (٥٥٧ - ٥٩٦)

قام بالدعوة في جزيرة اليمن بعد وفاة أبيه . وكان عالما فقيها كثير الاطلاع
وكثير التأليف والإنتاج الأدبي . وقد عرف الناس فضله وبيان حجته فقال إليه
كثير منهم . والتفت حوله بعض قبائل حمير وهدان ، وملكوه حصن
كوكبان^(٤) . ولما رأى السلطان علي بن حاتم إليامي صاحب صنعاء وما يليها
ميل الناس إلى الداعي حاتم بن إبراهيم ، وإقبالهم عليه ، داخلته المنافسة ،
وخاف منه على ملكه ، وأخذ يستميل همدان ببذل المال ، وضاعف إليهم العطاء ،

(١) ٥٠٠م .

(٢) فهرست إسماعيل ٣٦٩ ؛ ٥٠٠م .

(٣) نفسه ٢٧٣ - ٢٧٨ .

(٤) نزعة ٩٣/١ .

حتى دخل في طاعته أحمد بن الحبير الهبيري^(١) . وكان ممن يثق فيهم الداعي حاتم ،
ومن أخذ عليه أكيد أيمانه وعهده . فطلب هذا إلى السلطان أن يقدمه على
همدان . وتمكن السلطان على بن حاتم من جلب الكثيرين ممن كان مع الداعي
حاتم في كوكبان . فخرج عن الحصن واتصل بمشايخ هيرة في لولة وريعان .
فقصدهم الملك على بن حاتم الياصم لمحاربة الداعي وأنصاره من بني هيرة ، وكتب
في نفس الوقت إلى الداعي حاتم « يعاتبه ويلطفه ويقول له : أظهر دينك ، واجمع
أهل دعوتك ؛ ولا تفرق همدان وتحملهم على العداوة والشنآن . وضمن ذلك
شعرا^(٢) . فأجابه الداعي حاتم بقصيدة جاء فيها^(٣) :

أتاني من أبي زيد كتاب تضمّنه من العُتبي فنون^(٤)
فكن في أمرنا حكما وعدلا فأنت لكل مكرمة خدين
مقالك فيم تصدع عود يام وأنت بلم شمنهم قين
أما والمصطفى إني ليام بمالي والذي أحوى أصون
وأنتم يا غطارف شتم يام مكانكم من العليا مكين
لكم في الدعوة الفراء قدما سوابق كلما نشرت زين
ولكن حلتهم عنها فنكم لها الضد المعاند والقرين
فإن أنتم رجعتم واستقلتم فقد لاح الصباح المستبين
وواليتم إمام العصر صدقا صفا ما بيننا الماء العين
وإن ينتم وعاندتم كما قد فعلتم آل عمران فبينوا^(٥)

ووجد الداعي حاتم أن همدان بعضها معه وبعضها عليه ، فخشي أن يكون افتراقهم

(١) آل هيرة من همدان (نزهة ١ / ٩٤) .

(٢) وكان الملك على بن حاتم الياصم كأبيه الملك حاتم وعمه القاضي محمد وجده القاضي
عمران شاعرا مجيدا فصيحاً . ومع الأسف لم يأت لإدريس في النزهة بكتابه المنظوم شعرا .

(٣) نزهة ١ / ٩٤ - ٩٦ .

(٤) العنبي والاعتاب : رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضى العاتب (ل / عتب)

(٥) عمران هو القاضي عمران بن الفضل الياصم .

على يديه ، وقصد صاحب بيت ردم وهو من بني شهاب وزوج ابنته ، واستقرّ عنده بعض الوقت ، ثم أتجه الداعي إلى حراز . فوصل إلى موضع يسمى شعاف ، ووجد الناس هناك قد مالوا إلى المحافظ عبد المجيد ، فأخذ يدعوهم إلى ما يدعو إليه . ولما رأوا فضله وزهده وفصاحته وحسن موعظته وعذوبة قوله ، وما نشر عليهم من فضائل علي بن أبي طالب ، دخلوا تحت لواء الدعوة . وطلع من شعاف إلى الظهرة ، ثم تسلّم حصن الحطّيب ، وهو من معاقل حراز الرفيعة ، وحصونها المنيعة . وهناك توالى عليه أهل دعوته ، وكان زعيمهم السلطان سبا بن يوسف اليمبري ، الذي ساعد الداعي حاتماً على فتح حصن شبام^(١) .

وفي ذلك يقول القائل^(٢) :

من كلّ ليت شمّرى أغلب	أنصار مولانا الإمام الطيّب
وسمّت لذروته بكلّ مشطّيب	فتحت شباما بالمواضى جهرة
فيها اليعابر كلّ عالي المنصب	لله درّ عصاة يمنيّة
مشهورة وشجاعة لم تغلب	قوم لهم في الكرمات أوائل
من فتح مولاكم بأيسر مطلب	فاستبشروا يا مؤمنين وشمّروا
فاستخدمت لك ناقد الأقدار	ثم أتجه سبا بعد ذلك إلى حصن لهاب ففتحه . وفي ذلك قال الشاعر ^(٣) :
عُصّب الضلال معاً بتلك النار	حلت بسؤحك رحمة الغفّار
ترجي المنون وجحفل جرار	الهبّت نارا في لهاب فأحرق
يرجي لشيد عّلا ومنع دمار	وبعث نحوهم بجيش أغلب
	من صيد همدان بن زيد خير من

(١) أحكم الداعي حاتم الحامدي بعد هذا الفتح عمارة حصن شبام اليعابر وبني في القفلة السفلى وحطنها لأنها كانت القفلة العليا التي بنيت في أيام الملك علي بن محمد الصليحي . وأما الجوحب فكانت عمارة بعد (نزهة ١/١٠٣) .

(٢) نفسه ٩٧/١ .

(٣) نفسه ٩٨/١ — ٩٩ .

الطائمين لأحمد ووصيته
والناصرين دعاة آل محمد
والشم من جنب وعنس والذرا
من بتول السادة الأطهار
من يسمير ومجيب وكرار
ثم حارب حصن حمضة حتى ملكه عنوة وهو أرفع طود في لهاب . وفي ذلك
قال حنظلة بن علي قصيدة جاء فيها^(١) :

أبا طيبيء يا داعي اليمن الذي
حراز بفضل من أياديك أحرزت
وحصن شبام قد سمي بك طوده
بسمك قام اليعبري ابن يوسف
به أمنت من كل خوف ومن دعر
حظوظا فقد صارت على قمة النسر
فأسفله يسمو علوا عن القدر
وأقوام صدق لا تميل إلى الغدر

وما زال سبا اليعبري يرمي أعداء الداعي حاتم بالموت حتى فتك به بنو حكم
وقتلوه وفي ذلك قال الشيخ علي بن محمد بن الوليد الأنف قصيدة يحرض فيها
علي وجوب الأخذ بثأره جاء فيها^(٢) :

فيا أيها الغادي تحمل الوكة
وخص أبا الضميم أبناء يعبر
أجدوا طلابا للمدو فإيهم
وشنوا عليهم غارة يعبرية
إلى يعرب طرا وبلغ مقاليا
وصيد حراز الفر أسمع ندايا
على غدرهم لا يظفرون معاليا
تصيرهم بالرهفات أضحيا

فتحمس اليعابر وقاموا واحتشدوا لأخذ الثأر من بني حكم . وانضم إليهم
الداعي حاتم ، فأخذ يحرضهم ، وأوصاهم بالصبر لينالوا ثأرهم . وقصدوا أكمة
العلو^(٣) بهوزن حيث كان بنو حكم ، ووقع القتال بين الطرفين واشتد ، وتأسد

(١) نزهة ١/٩٩ — ١٠٠ .

(٢) نزهة ١/١٠٠ — ١٠١ .

(٣) في نزهة ١/١٠٢ قال: أكمة العلو هي إلى اليوم خراب يباب .

اليعابر حتى دخلوا على الأعداء دورهم قهرا ، وأحصوهم قتلا وأمرا .
وفي ذلك النصر قال الشيخ علي بن محمد بن الوليد قصيدة جاء فيها^(١) :
أجل هكذا تقني الملا والمفاخر وتنقم أوتار^ه ويثأر^ه تائر^ه
فلا شرف إلا أندى حيزا بالطبأ ولا مجد إلا ما حوته اليعابر

وكان مقر الداعي حاتم في الحطيب ، وكان يعاضده في إقامة الدعوة الشيخ
محمد بن طاهر الحارثي ، فعينه رئيسا للدعوة في صنعاء ، وجعل في كل صقع من أصقاع
اليمن مأذونا . فواصله أهل الدعوة من السند والهند وأقطار اليمن . وكان يجتمع
بأهل دعوته في كهف كبير يقع تحت حصن الحطيب يزودهم بعلمه .

وكان الشيخ محمد بن طاهر الحارثي قد توفي في شهر شوال سنة أربع وثمانين
وخمس مئة . فأقام الداعي حاتم بعده الشيخ علي بن محمد بن الوليد الأنف القرشي
مأذونا وصير إليه أمر أهل الدعوة في صنعاء . وكان يسافر إلى الداعي حاتم بحراز
وإليه يرجع الفضل في تعليم ابن الداعي حاتم علي بن حاتم حتى بلغه مرتبة أهله
لأن يوليه داعيا مطلقا من بعده^(٢) .

وقد رأينا أن الداعي حاتم بن إبراهيم حاول بدون نجاح أن ينشئ مملكة
في بلاد همدان ثم في حراز ، وأراد أن يحمي الدعوة بالدولة كما كان الحال في أيام
الصليحيين . فقد وجد الداعي حاتم نفسه أمام عقبات ما استطاع أن يذللها .
والأهم منها انقسام همدان بين تأييد السلطان علي بن حاتم اليامي الهمداني ملك
صنعاء وما يليها وبين مناصرة الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي الهمداني فترك
الداعي منافسة الملك علي بن حاتم اليامي نظراً للأخطار التي واجهتها الدعوة
من كل صوب وبالخصوص من تهامة حيث استولى الملك عبد النبي بن علي
ابن مهدي الحميري على معظم الحصون والماقل التي كان يملكها أهل الدعوة .
ثم انسحب الداعي حاتم عن الميدان تماما ، واكتفى بنشر علوم الدعوة من كهفه

(١) نفسه ١/١٠٢-١٠٣ .

(٢) نزهة ١/١٠٤ .

الواقع تحت حصن الخطيب بعد أن مات قائده السلطان سبا بن يوسف اليعبري .
وبعد دخول بني أيوب اليمن تحت قيادة توران شاه ثم طفتكين ، فتغلبوا على
اليمن وقضوا على جميع الممالك والدويلات والقبائل .

فتفرغ الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي للتأليف ، « ونقل الروايات
على صحتها من المحدثين ، وله في الدعوة السهم العلى ، وكتبه وتآليفه مشهورة »^(۱) .
ومن أهم مؤلفاته التي ورد ذكرها :

كتاب تنبيه الغافلين^(۲) في الأخلاق ودم الرذيلتين ، التحاسد والتباغض ،
وضمن الكتاب رسالتين من رسائل إخوان الصفا في آداب الإخوان وحسن
المعاشرة ، وفصلا من مجلس العزيز بالله الفاطمي .

ورسالة النقد على أهل المخاط فيما ارتكبوا من الفسق والخبايا^(۳) في ذم
النكرات واتباع الشهوات وقد اقتبس فيها المؤلف من الرسالة الموسومة بالواعظ
لأبي يعقوب السجستاني ومن أقاويل سيدنا علي بن أبي طالب وألفاظ المؤيد
في الدين الشيرازي داعي الدعوة وقصيدة الخطاب بن الحسن الحجوري مطلعها
« إن صح ما قالوا وما شعرا »^(۴) .

وكتاب المجالس^(۵) والموجود منه اثنان وخمسون مجلسا من المجلس السابع
والسبعين في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب وشيء من قضاياها وغزواته .
وكتاب جامع الحقائق^(۶) وهو تلخيص للمجالس المؤيدية وهي ثمان مئة
مجلس وجعل كتابه هذا في ثمانية عشر بابا في مجلدين .

وخمسة عشر مجلسا^(۷) تعالج مسائل مختلفة مثل الهنة والامتحان وشأن

(۱) نزهة ۱/ ۹۳ .

(۲) فهرست إسماعيل ۵۹ — ۶۰ م.م.هـ .

(۳) فهرست إسماعيل ۶۷ .

(۴) لم ترد هذه القصيدة في نسخة د الخطاب الموجودة في مكتبتنا المحمدية الهمدانية .

(۵) فهرست إسماعيل ۸۹ .

(۶) فهرست إسماعيل ۲۲۶ م.م.هـ ؛ انظر ص ۲۳۲ .

(۷) نفسه ۲۶۲ م.م.هـ .

العلماء ومعنى النفس وحققتها ووجوب الإمامة في كل زمان والولادة الدينية وامتثال أمر أولياء الله والنصائح وتفسير بعض الآيات والأحاديث وغيرها .
ورسالة التذكرة^(١) تشتمل على آراء المؤلف وأفكاره عن المبدأ والمعاد والثواب والعقاب والوصول إلى ولاية أولياء الله ، ثم يتلو ذلك فصول ومقتبسات من مؤلفات الدعاة السابقين . ومنها فصل للداعي يحيى بن مالك في بيان الأرض وما فيها من طيب وخبيث .

ورسالة زهر بذر الحقائق^(٢) ، وتشتمل على ثمانى عشرة مسألة في علم الحقائق .
وكتاب تحفة القلوب وفرجة المكروب^(٣) في الحقائق ، وهو كتاب جليل ، وفيه فصل « في بيان جزيرة اليمين حرسها الله تعالى وكيف كان قيام الدعاة فيها من أول الزمان إلى وقته بمختصر من القول » ، وفصل في أسماء حدود وقته الذين ألف لأجلهم الكتاب .

وكتاب مفاتيح الكنوز^(٤) ألفه جوابا على المسائل التي وردت عليه من بعض الإخوان ، مثل دور الكشف ، والرد على من قال إن المهدي عبد الله من ولد الحسن ابن علي بن أبي طالب ، والتوحيد جوابا على قول السائل « أجزلى بامولاي عن الله هل هو في الدار أم الدار فيه » ، وتسمية العقل عقلا وما شابهها من المسائل .
هذه الكتب ورد ذكرها في فهرست الشيخ إسماعيل بن عبد الرسول .
وله مؤلفات أخرى لم يذكرها الشيخ إسماعيل ، ومنها كتاب الشمس الظاهرة^(٥) في الحقائق ذكره الشيخ حسن بن نوح البهروزي الهندي في كتابه الأزهار .

وظل هذا العلامة الباحث حاتم الحامدي تتقدم به السن حتى توفي في حصن الحطيب في يوم السبت السادس عشر من شهر المحرم سنة ست وتسعين وخمس مئة^(٦) ؛ وكان قبره تحت حصن الحطيب بحراز من بلاد اليعابر بزوره الناس إلى وقت قريب ثم هدم — فلا أثر له الآن .

(٢) نفسه ٧٨ ؛ م.م.م .

(١) نفسه ٢٧٦ ؛ م.م.م .

(٣) نفسه ٣٨٨ ؛ م.م.م .

(٥) م.م.م .

(٤) نفسه ٤٠١ ؛ م.م.م .

(٦) نزهة ١٠٦/١ .



صورتنا ضريح حاتم بن إبراهيم الحامدي بالخطيب أخذناهما في سنة ١٩٣١ .
وأما الآن فالبالغ أن عامل حراز سابقا نقل التابوت إلى صنعاء ، ثم وضع التابوت
في الجناح الشرقى من جامع صنعاء :



[تصوير : حسين الهمداني]



[تصوير : حسين الهمداني]

الداعي علي بن حاتم بن إبراهيم الحامدي (٥٩٦ - ٦٠٥)

قام بأمر الدعوة بعد أبيه وأخذ يرسل دعواته لنشر الدعوة في الأصقاع .
وافترقت عليه أمور أهل دعوته بحراز من اليعابر وسواهم وخالفوا أمره مما دعاه
إلى ترك حراز والذهاب إلى صنعاء . وبينما كان سلاطين همدان من بني حاتم مقيمين
على حمايته والدفاع عنه وأهل دعوته كان أهل حراز قد عصوا نائبه وزعيم اليعابر
السلطان حاتم بن سبا بن يوسف وخالفوه وخالفوا أعداءه . وما زال الشيخ علي
ابن محمد بن الوليد يرسل إليهم رسله ويعرفهم سوء العواقب ويناشدهم الائتلاف .
فكتب إليهم شعرا ينهاهم عن الاختلاف جاء فيه (١) :

نسيم الصبا ألم بسُوح اليعابر ليوث الشرى البانين أعلى المفاخر
ذؤابة قحطان بن هود ولبها وأسرة ذى العلياء عمرو بن عامر
وقل يا أباة الضيم يا صيد يعبر أفي الحزم أن رضوا بهذا التشاجر
وإن تهملوا إصلاح ما أن غفلتم عن إصلاحه أبتهم بصفقة خاسر

ولكن لم ينفعهم الوعظ والتذكير ، ووقع بينهم الخلاف ، وأعرضوا عن
حراسة الحصون ، حتى قتل السلطان حاتم بن سبا بن يوسف اليعبري .

وظل الداعي علي مقيما للدعوة في صنعاء وأعمالها غير مكترث بملوك الغز
وما يطرأ من أهوالهم مصادقا لملوك همدان . ثم طلع حصن ذمرمر إلى سلاطين
بني حاتم مفتقدا لأحوالهم . ثم أدركته العلة فأنزل محمولا إلى صنعاء ، وتوفي
في يوم السبت ٢٥ من ذي القعدة سنة خمس وست مئة . ويقال إنه مات
مسموما (٢) .

وله رسالة روضة الحكم الصافية وبستان العلوم الشافية (٣) ، وهي تتضمن سبع

(١) نزهة ١/١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) نزهة ١/١٩١ .

(٣) فهرست إسماعيل ٣٦٤ ؛ م.م.م. ٥ .

عشرة مسألة في الحقائق . وفيها شرح بعض أقوال أبي يعقوب النجستاني
من كتابه المسمى بالبشارات وشرح بعض مناجاة المؤيد في الدين الشيرازي .

الداعي علي بن محمد بن الوليد الأنف العبشمي القرشي (٦٠٥-٦١٢)

تقلد مراسم الدعوة في بلاد اليمن وما انضاف إليها ، بعد وفاة الداعي علي
ابن حاتم الحامدي . وكان له مع الداعي حاتم وابنه الداعي علي الرتبة السامية واليد
الطولى . وقال عنه حاتم الحامدي^(١) : « ... أمّا شرف النسب فإنه من أشرف
أهل الوقت نسبا ، وأعلام حسبا ، وأقدمهم في الدعوة الهادية ، وأسبقهم إلى
الأفعال المرضية ، وذلك أن جدّه إبراهيم بن أبي سلمة لسبقه وشرفه سفره
علي بن محمد الصليحي إلى الحضرة الشريفة المستنصرية . . . وإنهم من أشرف قريش
وأعلى العرب من بني عبد مناف ، بن قصى . وأما الطهارة والورع والعبادة والعفة
والنسك والولاية والآداب ، فلا يقاس أحد به من أهل زمانه . . . ولذلك أضفت
أمر الدعوة الهادية سلام الله على صاحبها في الجزيرة اليمنية إليه . . . وكان جدّه إبراهيم
يلقب بالأنف « لتقدمه على أضرابه تقدم المارن على الوجه »^(٢) وهو جدّ ربما
وصف الخطيئة قومه من قبل :

قومٌ همُّ الأنفُ والأذنانُ غيرُهمُّ

ومن يُساوى بأنف الناقة الذنبا

وكان الشيخ إبراهيم بن أبي سلمة بن الوليد العبشمي القرشي الأنف من كبار
رجال الدولة الصليحية ، فمدحه الشاعر الحسين بن علي القمي بقصيدة ، جاء فيها^(٣) :

فياشبهه الخليل ندى وتقوى لحالقه وحلما واعتزاما

(١) نزهة ١١٢/١ .

(٢) قسه ١١٣/١ .

(٣) قسه ١١٣/١ - ١١٤ .

فإبراهيم إبراهيم أضحت به صنعاؤه البلد الحراما
فيا نجل الوليد ورثت مجدا من الآباء يتسق انتظاما
فإنت يكن الخليل أتاه وحى^١ فقد أصبحت في العليا إماما
وقال أيضا بمدحه^(١) :

وأغرف من اليم لا ماء كما زعموا لكن درًا ومرجانا وياقوتًا
جُدُّ بالسلام عسى نارُ الغرام به تعود برِّدا إذا حَيَّيتَ حَيِّتًا
أنت الخليل وصنعاك الحرامُ ووا م ديك السرار بها لو كنت نبيِّتًا
يا سيِّدا مانسينا عهد صحبته أنسيت في أجل هل كنت أنسيتا

ولم يزل الداعي على بن محمد بن الوليد قائما بأمر الدعوة ، فانسقت به أمورها
وتحسنت أحوال أهلها ، واجتمعت على تأييده ونصرة دعوته بمض السلاطين
والزعماء من همدان . وكان الخبز العالم على بن حنظلة بن أبي سالم المحفوظي الوداعي
الهمداني من المعاضدين للداعي والمؤازرين له ، بل كان النائب منابه في كثير من
الأحيان ، وأقام الداعي الشيخ عبد الله بن عبد الله أبي منصور بن أبي الفتح
على أهل الدعوة في الحقل حقل يحصب وذمار وأصاب وما ينضاف إليها
ومخلاف جعفر والجند وأعمالها وبلاد ذخر والمافر ولحج وأبين وعدن وتهامة
وما يليها بعد أن عزل الشيخ محمد بن أحمد الأخوري^(٢) من ولاية هذه البلاد .
وقد ساسهم الداعي جميعها سياسة حاسمة حازمة لها شأن ، مع ما نالوا من قوة
الغز . وظل الداعي مقيا بصنعاؤه ، ويتردد إلى ذمرمر والعروس وبهما السلاطين
من آل حاتم الهمدانيين .

وكان الملك المعز إسماعيل بن طفتكين قد قتله مما ليكه من الأتراك في سنة ثمان

(١) نزهة ١/١١٣ .

(٢) وكان الأخوري ممن كان له باع في الدعوة وقت الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي
وولده على بن حاتم الحامدي . فحينما أفضيت الدعوة إلى الشيخ على بن محمد بن الوليد داخنته
المنافسة والحسد ، وكانت صيهاب موضع استقراره .

وتسعين وخمس مئة بمدينة زبيد . وقام بعده الأتابك سنقر نيابة عن الملك الطفل الناصر بن طفتكين . ولما توفى سنقر سنة عشر وست مئة قام الملك الناصر بأمر الملك ، وطلع إلى صنعاء ، ولكنه توفى فيها مسموما سنة إحدى عشر وست مئة . وبقي أمر اليمن على غير نظام .

فقوى موقف الإمام عبد الله بن حمزة المنصور^(۱) ، ورام كل مرام ، كما يظهر في قوله من قهيدة :

لا تحسبوا أن صنمنا كل ما ربتي

ولا تِعِزَّ ، ولا أشجيتُ حُسَّادِي^(۲)

واذ كَرُّ إذا شئت تلهيني وتطربني^(۳)

كَرِّي الجياد على أبواب بغداد

فاستولى على صنعاء وما يليها . وحارب فرقة من الزيدية تدعى بالمُطَرَفِيَّة وكفَّروهم وعمَّروا مسجدا بظفار^(۴) ، وكتب فيه :

لا يدخلنك ما بقيتُ مطرفي

(۱) قال ياقوت في معجم البلدان / ورور : هو عبد الله بن حمزة بن سليمان ، زعم أنه من ولد أحمد بن الحسين بن القاسم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . ورواة الأنساب يقولون إن أحمد بن الحسين لم يعقب اه . وذكر القاضي عبد الله الجرافي في المنتظم ۱۱۶ النسب الصحيح للإمام وهو : المنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب اه . وكان الإمام المنصور شاعرا فصيحاً ذا لسان عالماً لا يسمع باختلاف الرأي قائداً طموحاً ذا شخصية جبارة ؛ دعا في بلاد الجوف وسكن بها ، وفتح صنعاء ، ثم انحاز إلى حصن كوكبان عند طلوع ابن فليت إلى اليمن الأعلى ، ودفن بظفار .

(۲) في رواية ياقوت : جل ما ربتي ولا ذمار ولا شمت حسادي .

(۳) في رواية ياقوت : تشجيني وتطربني .

(۴) وفي نزهة ۱/ ۱۲۰ قال : أظنه بظفار اه . والظاهر هو حصن ظفر ذي بين

ويقال له ظفار داود في شمال صنعاء على نحو ثلاث مراحل .

فأجابهم بمضمون بشعر يقول فيه :
أَوْ مَا عَلِمْتَ بَأَنَّ كَلَّ مَطْرَفِي عَمَّا عَمِلْتَ مِنَ الْكِنَائِسِ مَكْتَفِي
أَنْتُمْ وَقَبْلَتِكُمْ وَمَسْجِدِكُمْ مَعًا كَذِبَالَةً فِي وَسْطِ مَصْبِحِ طَفِي
فَلَمَّا حَارَبَهُمْ وَاتَّبَعَهُمْ^(۱) خَرَجَ ابْنُ النَّسَائِجِ^(۲) إِلَى بَغْدَادٍ وَخَاطَبَ الْخَلِيفَةَ
الْعَبَّاسِيَّ بِقَصِيدَةٍ مَشْهُورَةٍ مَطْلَعُهَا :

لنشى الملك ذى الملكوت حمدى رداء الحمد أفضل ما تردى
ومنها قوله :

نِيَامُ يَا بَنِي الْعَبَّاسِ أَنْتُمْ وَهَذَا ثَوْبٌ أُسْرَتِكُمْ تَرُدُّونِي
وَيَرْمِيكُمْ بِبَغْدَادٍ بِجَيْشٍ أَجْشٍ مَتْبَعًا بِرَقَا بِرَعْدٍ
يَنَادِي يَا لثَارَاتٍ بِفَخٍّ وَبِأَخْمَرٍ وَوَقْعَةٍ يَوْمَ مَهْدِي
وَيَدْعُو أَيْنَ إِدْرِيسٍ وَيَحْيَى وَعَبْدَ اللَّهِ أَيْنَ أَبِي وَجَدِي

فكتب الخليفة العباسي إلى الملك الكامل الأيوبي صاحب مصر يحرضه على حفظ اليمن ، وأن لا يتهاون بأمره . فأرسل الملك الكامل ولده المسعود وأتابك جمال الدين ابن فليت إلى اليمن . فوصل الأخير زبيد في مستهل سنة اثنتي عشرة وست مئة . وقبض على الملك الأعظم سليمان الأيوبي الذي تولى الحكم بعد وفاة الملك الناصر الأيوبي^(۳) ورجع به أسيرا ، فأرسله المسعود إلى مصر ، وسلمت إليه الحصون

(۱) يقال إن عددا ضخماً من المطرفية قتلهم الإمام المنصور بالله حتى أبيت الفرقة جميعاً ودورهم وبلدانهم وهى خربة إلى الآن .

(۲) هو حسن بن محمد بن النساخ من المطرفية من بلاد آنس . وقام الأمير محمد بن منصور بن الفضل المشرق أخو الأمير محمد العفيف الوزير بنصرة المطرفية ضد الإمام المنصور . هذا مارواه صاحب المقتطف ۱۱۸ .

(۳) وكان قد تزوج سليمان هذا والدة الملكين الأيوبيين المعز وإسماعيل والناصر ابني الملك العزيز طغتكين بعد وفاتهما ، ولقب بالملك الأعظم .

والمدن باليمن الأسفل ، وابن فليت مقدم عسكريه . ثم طلع ابن فليت إلى ذمار . وكان الإمام المنصور أخرب دور الغز في صنعاء ، ثم انحاز إلى حصن كوكبان . ووصل ابن فليت صنعاء في عساكر حجة فدخاها في جمادى الأخرى من السنة المذكورة . وكانت تلقته بنو حاتم في همدان . فتلقاهم بالإجلال والإحسان . وأقام ابن فليت بصنعاء يجهز العساكر حتى اجتمع له من أهل اليمن البادية والحاضر .

وكانت وفاة الداعي علي بن محمد بن الوليد القرشي بعد دخول الغز صنعاء بشهرين في شهر شعبان سنة اثنتي عشرة وست مئة . وكان عمره قد أوفى على التسمين عاما وهو صحيح الجوارح يؤلف الكتب ويقوم بالعبادة ويشغل بالدرس والتدريس . وكان الداعي علي من أنشط الدعاة يذب عن حمى الدعوة ويكافح عنها بقلمه ولسانه في ظروف غير ملائمة . وكان الكفاح مريرا منذ سقوط الدولة الصليحية ، ولم تجد الدعوة معينا ولا ناصرا من سلاطين اليمن يحميها من وطأة الحروب القائمة بين ملوك الغزو السادة الأشراف . فتمسك الداعي بسلاطين آل حاتم الياميين الهمدانيين الذين كانوا يمطفون على أهل الدعوة ، لامن أجل عقيدتهم ، بل احتراما لانصال جدهم القاضي عمران بن الفضل الياحي بالصليحيين وبالذعوة واحتراما لحقوق الجوارح . وفي هذه الظروف القلقة استطاع رؤساء الدعوة جمع شمل أهل الدعوة باليمن . وذلك بفضل عدم تدخلهم في سياسة البلاد ، وتحصنهم بالمعاقل والحصون أحيانا ، والتجأهم إلى التستر الشديد أحيانا عند عدوان المعتدين ، وأخيرا وليس آخرا بفضل نشاطهم العلمي وحفظ التراث الأدبي والديني السابق وضبطه . وهكذا وضعت أسس متينة لمؤسسة الدعوة ، فاستطاعوا أن يوطدوا بها مكانهم وموقفهم في المجتمع اليمني . وكان الداعي علي بن محمد ابن الوليد القرشي قد شارك الدعاة السابقين أمثال الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي والشيخ محمد بن طاهر الحارثي والداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي ، فاضطلع بقسط وافر في وضع الأسس للحركة العلمية داخل منظمة الدعوة . ويدل على ذلك مؤلفاته العديدة التي نذكر منها :

كتاب تحفة المرتاد وغصّة الأضداد^(١) في الرد على الفرقة المجيدية وإثبات إمامة الطيب بن الأمر وذكر تسلسل الإمامة . وفيه نبذ من علم الحقائق .
رسالة جلاء العقول وزبذة المحصول^(٢) ، وهي تنقسم ثلاثة أبواب تحتوى على ثمانية وعشرين فصلا . الباب الأول في التوحيد والخلقة الجسمانية وكيفيةها ، والباب الثانى فى الخلقة النفسانية وكيفية تربيتها ، والباب الثالث فى تسلسل الولادة الدينية وتأويل بعض الآيات من القرآن يتضمن ذكر الثواب والعقاب .
الرسالة المفيدة فى إيضاح ملغز القصيدة^(٣) . وهى شرح القصيدة التى يروى أن قالها الحكيم أبو على سينا مطلعها :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزّز وتمنّع
وأورد فيها من رسائل إخوان الصفا فصلا فى علة كراهية الجميع الموت ومحبتهم البقاء بتامه وكاله .

كتاب ضياء الألباب المحتوى على المسائل والجواب^(٤) ويشتمل على اثنين وثلاثين مسألة والجواب عنها . وهذه المسائل أثارها الفقيه محمد ابن إبراهيم بن أبى عمر من أهل الدعوة المخلصين فى عهد الحرة الملكة الصليحية . وقد ذكر الداعى يحيى بن ملك بن مالك الحمادى « هذا الفقيه ذات يوم وفود عدة المؤمنين بصنعاء شاهدا بفضلهم ورتبته السامية فى الدعوة »^(٥) . ويتضمن الكتاب على بيان التوحيد والإبداع والسابق والتالى ومعرفة الابتداء والانتهاى ودورى الكشف والستر وما شاكلها من مسائل علم الحقائق الخاصة بالدعوة . وقد عالج فيه بعض المسائل التى ردها الشيخ أحمد حميد الدين الكرماني على صاحب المحصول ، وشرح فيه ما أورد الشيخ أبو تمام^(٦) من المسائل فى أرجوزته المسماة بالشجرات .

(١) نفسه ٢١٠ ؛ م.م.هـ . . . نشره ستروطمان (Strothmann) تحت عنوان «أربعة كتب إسماعيلية» . (٢) نفسه ٢٧٧ ؛ م.م.هـ . . .
(٣) فهرست إسماعيل ٢٧٨ ؛ م.م.هـ . . .
(٤) نفسه ٣٤١ ؛ م.م.هـ . . . (٥) نفسه ٣٤١ . . .
(٦) من الدعاة المعاصرين للداعى على بن محمد بن الوليد .

ديوان شعره^(١) في مدائح الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي وأستاذه الشيخ محمد بن طاهر الحارثي . وفيه أشعار في الرد على الفرقة المجيدية وفي عتاب المشائخ اليعبريين لما وقع بينهم من التنافر وفي مدح الأئمة وإمام زمانه الطيب بن الأمر وفي أجوبة الكتب المرسله من أهل الدعوة وفي المرائي وغيرها .

كتاب دامن الباطل وحتف المناضل^(٢) في الرد على الغزالي في كتابه المستظهرى^(٣) .

كتاب مختصر الأصول^(٤)، ويشمل شرح المقالات وكيفية انقسامها، والرد على فرق الحشوية والجبرية والمعتزلة والفلاسفة .

كتاب تاج العقائد ومعادن الفوائد^(٥) يتضمن مئة مسألة في معتقدات مذهب الدعوة، « فإنها قواعد الدين، وما وجد خارجا عن هذه العقيدة فإنما هو اختلاف على هذا المذهب » . هذا قوله .

كتاب مجالس النصح والبيان^(٦)، والموجود منه أربعون مجلسا من المجلس الأول والمئة إلى الأربعين والمئة، وسمى به لأنه طبتدا في كل مجلس منها أولا بالنصائح ثم بالبيان وهو صميم الموضوع . وتشمل الابتداء والانهاء وغيرها من مسائل علم الحقيقة والدعاء والمناجيات إلى الله وتأويل الآيات من التنزيل الكريم . رسالة الإيضاح والتعيين في كيفية تسلسل ولادتي الجسم والدين^(٧) في علم المبدأ والمعاد وإثبات إمامة الطيب بن الأمر .

(١) فهرست إسماعيل ٥٠ : م.م.م .

(٢) نفسه ١٢٩ : م.م.م .

(٣) نشره غولد تصير (Goldziher) في كتابه Streitschrift des Gazali gegen die Batinija - Sekte ١٩٦ .

(٤) م.م.م . (٥) فهرست إسماعيل ١٧٣ — ١٧٩ : م.م.م .

(٦) نفسه ١٩٥ : م.م.م .

(٧) نفسه ١٠ : م.م.م . نشرها ستروطمان (Strothmann) في مجموعة « أربعة

كتب إسماعيلية » .

رسالة لب المعارف^(١)، وهي سبعة مسائل: الأولى عن القائم وعن الشريعة في دوره، والثانية عن الهيولى والصورة، والثالثة عن قول الله تعالى يخرجون من الأجدات الآية، والرابعة عن قول الإمام المعز إذا كانت هذه السموات والأرض فانية فما ظنك بما دونها، والخامسة عن قول الإمام المستنصر في القائم بأنه سابع النطقاء، والسادسة عن الإمام وحدوده الداعين إليه، والسابعة عن قول القاضي النعمان في كتاب أسرار التأويل إن النطقاء يأخذون عن الحدود وعن قول الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى في كتاب راحة العقل إن النطقاء يأخذون من حد جسماني، فكيف المخلص من كلامهما .

رسالة لباب الفوائد وصفو العقائد^(٢) في المبدأ والمعاد .
كتاب الذخيرة^(٣) يتضمن بحوثاً عن التوحيد والإبداع والانبعاث والنبوة والإمامة والقائم والانتهاى والمعاد وغيرها من المسائل في عقائد الدعوة . ويعتبر هذا الكتاب من أمّهات الكتب في هذا الفن .

وله بحوث ورسائل أخرى مثل رسالة ملحقة الأذهان أوردها أستاذه الشيخ محمد بن طاهر في كتاب مجموع التربية، ونظام الوجود في ترتيب الحدود في أسماء حدود الدعوة باليمن في عهده . وقد تنسب إليه رسالة في معنى الاسم الأعظم . ووصلت الدعوة اليمنية إلى أوجهها في النشاط العلمى في مؤلفات الشيخ على ابن محمد بن الوليد القرشى، وتمتاز بسعة الاطلاع، والتحقيق الذى لا يخلو من الجدة والابتكار .

الراعى على بن منظر بن أبى سالم المحفوظى اليراعى (٦١٢ - ٦٢٦)

قام بالدعوة بعد الراعى على بن محمد بن الوليد، وله في الدعوة الاجتهاد القديم . وكان يقصده القصاد طلباً للعلم المشهور . ولا يختلف في تقدمه من همدان اثنان .

(١) فهرست إسماعيل ٣٦٥؛ م.م.هـ .

(٢) نفسه ٣٨٣؛ م.م.هـ .

(٣) لم يذكره الشيخ إسماعيل بن عبد الرسول في الفهرست؛ م.م.هـ .

وكان مقامه في صنعاء أو في ذممر . وكان على المنزلة عند بني أيوب وبني حاتم
الياميين . وقد بعث إلى أصقاع اليمن والهند والسند الدعاة وأقام فيهم شريعة
الإسلام^(١) . واتبع في عهده السياسة الرسومة وهي عدم تدخل الدعاة في شئون
البلاد السياسية .

وكان الأتابك ابن فليت تمكن من عقد الصلح في سنة ثلاث عشرة بين الملك
المسعود الأيوبي والإمام عبد الله بن حمزة المنصور على أن يقدم الإمام للسلطان
عشرين حصانا وعشرين جملا . وقد توفي الإمام بعد ذلك في سنة أربع عشرة
في حصن كوكبان ودفن في ظفار . فقام ولده محمد عز الدين بن عبد الله
ابن حمزة فخارب ابن فليت أياما لأن ابن فليت مات في السنة المذكورة . ثم إن
الملك المسعود تقلد إمرة الجيوش وطلع بعد وفاة قائد قواته ابن فليت إلى حصن
كوكبان وتسلمه وصالح الأشراف ثم عاد إلى اليمن الأسفل . وكان تارة يحارب
الأشراف وطورا يصالحهم . وخرج الملك المسعود إلى مصر لزيارة والده الملك
الكامل في سنة ثمانى عشرة وست مئة وولى على البلاد رجلا يدعى الحسام لؤلؤ
أقامه في زبيد ، وفي صنعاء الأمير الحسن بن علي بن رسول . وقد قامت الحرب بين
قوات ابن رسول والأشراف مدة حتى حطّ الأشراف في صنعاء ، فخرج الحسن
ابن علي بن رسول إليهم من باب السَّبْحَة^(٢) ، ووقع القتال وغشيه المماليك بالدبابيس ،
وانهزم عسكر الأشراف وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأصيب عز الدين محمد بن الإمام
عبد الله في علية وعقر حصان أخيه شمس الدين أحمد بن الإمام ، فعاد الأشراف مهزومين .
وكان الغز إذا ملكوا صنعاء ، كما ذكر الداعي إدريس^(٣) ، شملوا أهل الدعوة
بالأمان . وكان لهم لديهم المرتبة والمكان . ووصل عز الدين إلى ثلا وافترق عسكره .
وفي ذلك يقول عز الدين (غ)^(٤) وأخوه شمس الدين (ش) ارتجالا وقد تعارضا:

(١) نزهة ١٢٣/٦ .

(٢) نفسه ١٢٤/١ . وكان الباب في الجانب الغربي من صنعاء وتسمى هذه المنطقة السبحة
والتداول على الألسن الآن باب السبج الموصل بين صنعاء وبئر العزب .

(٣) نزهة ١٢٦/١ .

(٤) نفسه ١٢٧/١ .

ع : فلو نظرنا يا بنه المسم أعين -

ونحن بيوم ابن الرسول استهلت

ش : عشية أرى جمعهم بلبانة

ونفسي قد وطنتها فاطمأنت

ع : فقل لأمير الدين صبرا فإنها

صروف الردى مهما اذلمت تجلت

ش : وما دام عرُّ الدين فينا فإننا

على ذروة فى المجد أشرف ذروة

وسأل الأمير الحسن بن على بن رسول السلطان مدرك بن بشر بن حاتم

اليامى الهمدانى شعرا فى هذه الوقعة . فقال مدرك على لسانه ، فكتب بها إلى الملك
المسعود فى مصر (١) :

سلا ذات سمط الدرّ والمارن الأقى

لدى عصير من أصدق الضرب والطعمنا (٢)

ومن شهدت صنعاء لولا بلاؤه لما فارقت رعبا ولا رافقت أمنا
إلى قوله :

فلا زالت الأخبار عنكم تسرنا كما سرّكم فى مصر مخبركم عنا

فقال السلطان الكامل لابنه الملك المسعود : يا يوسف ! من هذا الذى
يخاطبك بنون العظمة ؟ فقال : هذا أمير لى . قال أبوه : ما هو أمير ، بل هو
نظير ، إن لم تثب عليه وثب عليك . فأسرّها الملك المسعود فى نفسه حتى دخل
اليمن فى سنة أربع وعشرين وست مئة . فنزل الأمير بدر الدين الحسن بن على

(١) نزهة ١/١٢٨ .

(٢) عصر بفتح العين وضم الصاد ، اسم قرية وجبل غربى صنعاء على مسافة أربعة
كيلومترات تقريبا .

ابن رسول للقاء الملك ومعه أخواه شرف الدين موسى بن علي وفخر الدين أبوبكر ابن علي قبض عليهم الملك وأرسلهم إلى مصر^(١). وقرر خاطر أخيه نور الدين عمر ابن علي وطمانه قائلاً: لا بد بعد أن يصلوا بمصر من إطلاقهم والإحسان إليهم. ورفع قدر نور الدين عمر. ثم عزم على السفر إلى مصر في سنة ست وعشرين وست مئة وولّى، بعد أن اعتذر الحسام لؤلؤ، نور الدين عمر بن علي بن علي اليمن. وقال الملك المسعود لنور الدين، كما روى الخزرجي^(٢): «إني قد عزمت على السفر، وقد جعلتك نائبي في اليمن. فإن مت فانت أولى بملك اليمن من إخوتي لأنك خدمتني وعرفت منك النصيحة والاجتهاد، وإن عشت فانت على حالك. وإياك أن تترك أحدا يدخل اليمن من أهلي ولو جاء الملك الكامل والدي مطويًا في كتاب». وقال إدريس^(٣): «وقال (الملك المسعود) لعمر بن علي بن رسول: «قف في اليمن عاملاً حتى يأتيك أمرنا». فأجابه عمر بن علي بالقبول». وروى أنه عاد إلى مصر، لأن نعمة الملك المعظم عيسى بن الملك المعادل أبي بكر أيوب توفى، وكان يومئذ صاحب دمشق، فكتب الملك الكامل إلى ابنه الملك المسعود يوسف يستدعيه إليه ليعطيه دمشق. ففرح فرحاً شديداً حتى أنه سافر وقد ابتدأ به المرض^(٤).

فقد انتهى الملك المسعود إلى مكة وافته المنية بها في يوم الاثنين من جمادى الأولى من سنة ست وعشرين وست مئة. ووصل العلم بوفاته إلى أبيه الملك الكامل وهو خارج الديار المصرية. فأعلن الأمير نور الدين عمر بن علي ابن رسول استقلال اليمن لما أتاه خبر المسعود، وعين دولته الأمراء والرؤساء والجنود، واتخذ مدينة تعز عاصمة له، وتلقب بالملك المنصور. وابتداء مملكته

(١) جاء في ترهة ١/٢٢٨ شمس الدين الحسن بن علي. وقد ذكر الخزرجي (عقود ١/٣٩) أن المسعود تقدم من تعز إلى الجند وأنه وثب على بني رسول وقبض على بدر الدين بن علي ونور الدين أبي بكر بن علي وشرف الدين موسى بن علي، فقبدهم وأودعهم السجن. ولا يذكر الخزرجي أن الإخوة أرسلوا إلى الديار المصرية.

(٢) عقود ١/٤٠ — ٤١.

(٣) ترهة ١/١. أرى أن رواية إدريس أقرب إلى المنطق من تعجيد الخزرجي

لآل رسول.

(٤) عقود ١/٤٠.

من جمادى الآخرة من سنة ست وعشرين وست مئة ، فكان هذا ابتداء دولة
بنى رسول . فلا غرو أنهم كانوا أحق بملك بلادهم من غيرهم (١) .

وكان الداعى على بن حنظلة المحفوظى الوادعى فى أثناء هذه الأحوال المضطربة
قائما بأمر دعوته ، وأقام الشيخ أحمد بن المبارك بن الوليد القرشى والشيخ
الحسين بن على بن محمد بن الوليد القرشى لمعاذته فى نشر مبادئ الدعوة
وعلمها وإصلاح أمور أهلها ، وكان قد وجد فى أثناء مدة دعوته مجالا لتأدية واجبات
منصبه وتشجيعا وأمانا من قبل الأمراء الأيوبيين وبالخصوص من أمراء آل على
ابن رسول . وكان سلاطين بنى حاتم اليايين ومشائخ همدان يحمون أهل الدعوة
من عدوان المخالفين . واتبع الداعى على بن حنظلة وأعوانه سياسة عدم
التدخل فى الخلاف القائم بين الملك المسعود وأعوانه آل على بن رسول وبين
الأشراف ، وعلى الرغم من هذا لم ينج الداعى وأهل دعوته من مخالفة الأشراف .
فكان الداعى مثل من سبقه من رؤساء الدعوة مضطرا أن يلتمجىء إلى حماية السلطان
وأمرآء آل رسول طبقا لقانون المحافظة على البقاء .

ونذكر من مؤلفات الداعى على بن حنظلة المحفوظى الوادعى :

قصيدته الموسومة بسمط الحقائق (٢) وهى تحتوى على ست مئة وثلاثة وستين

بيتا تبدأ بقوله :

الحمد لله العلى السامى	عن صفة الكمال والتمام
إذ التمام والكمال صنعته	سبحانه تقدمت هويته
فوصفه كما أتى تشبيهه	وحده ونعته تمويهه
والعجز عن إدراكه إدراكه	والنفي تعطيل به الهلاك

(١) آل رسول ينتهى نسبهم إلى الملك جفنة بن عمرو الغسانى الذى رحل من اليمن
إلى بلاد الشام بعد خراب سد مأرب . وكان جد هم رسول واسمه محمد بن هارون من أعوان
الدولة الأيوبية وأعيانها . وقد وفد أولاد على بن رسول من مصر إلى اليمن مع بى أيوب .
(٢) فهرست إسماعيل ٢٧٢ ؛ م. م. ه. ؛ وقد حققها المحامى عباس عزراوى ونشرها
المعهد العلى الفرنسى بدمشق سنة ١٩٥٣ .

جَلَّ عن البحث بهلٍ ومَنٍ ولمْ وعزَّ أن يحصِّره لفظ الكَلِمِ

ويتلو الحمد أبيات في التوحيد والصلوات والنصيحة في محاسبة النفس بالنفس وإطاعة أولى الأمر والحدود وذكر مفيديه السابقين الداعي السلطان حاتم ابن إبراهيم الحامدي الهمداني وابنه الداعي علي بن حاتم والداعي علي بن محمد ابن الوليد القرشي وفيهم يقول :

مستسلما لطاعة الحدود

في عصره كحباتم في عصرنا
داعي الإمام الطيب الزكي
طوِّد الفخار الشامخ المنيف
عليّ ذي الفضل الشريف المحتد
ثم أني بسؤال السائل حيث يقول :

سألتَ وُفِّقْتَ إلى الرِّشاد
وكيف كان الأمر في البداية
وما الذي أوجب للنفسوس
حتى اغتدت لابساً بالجسم
وما الذي يزرع ما عراها
محلِّها بالعالم الروحاني
حتى تنقن إلى جوار ربِّها
راضية إذ ذاك مطمئنة
عن أصل بدء الكون والإيجاد
وما إليه ينتهي في الغاية
رباطها في العالم المعكوس
مبْلُوءة فيه بطول الهم
من ظلمة الجهل الذي أنساها
فاستفرقت في العالم الظلماني
راجمة تائبة من ذنبها
مسرورة فائزة بالجنَّة

ثم يرد السؤال بالكلام عن التوحيد ، وعالم الإبداع ، والأفلاك ، والأركان ، والمزاج والمنتزج ، وأدوار الكواكب السبعة ، وأهل الجنة الإبداعية ، ودور الكشف وأهله ، ودور الستر وأهله ، والعماد الحمود ، والناسوت واتحاده

باللاهوت ، والمعاد المذموم ، والبعث والحساب ، والخلود في الثواب والعقاب .
وكانت هذه الأرجوزة تقدم في نظم سلس مستساغ خلاصة ما أورده المؤلفون الدعاة
في علم المبدأ والمعاد .

وله رسالة تسمى بضياء العلوم ومصباح العلوم^(١) ، وقد ذكرها الشيخ إسماعيل
في الفهرست من الكتب الكبار في علم المبدأ والمعاد . وهي مبنية على أربعة
أبواب : الباب الأول في التوحيد ، ومعنى التنزيه والتجريد ؛ والباب الثاني
في مسائل المبدأ مثل إبداع العالم الروحاني لا من شيء ، ووجود العالم الجسماني
من الهيولى والصورة ، ووجود المواليد الثلاثة ، ووجود القامة الألفية ، وقيام
الدعوة الزكية ، وتسلسل الذرية الإمامية ، ودور الكشف ، ودور الجرم ، ودور
الستر ؛ والباب الثالث في المعاد المحمود ، واجتماع المقامات بالأفق المبين ، وظهور
قائم القيامة ؛ والباب الرابع في معاد الصور النافرة المضرة المستكبرية ، وكيفية
العذاب الأدنى والعذاب الأكبر وما شا كلهما من مسائل المعاد المذموم . وهذه
الرسالة لا تختلف في موضوعاتها عن محتويات أرجوزته سمط الحقائق إلا أنها
أكثر شرحا وإيضاحا من المنظوم .

وتوفي الداعي علي بن حنظلة المحفوظي الوادعي في يوم السبت الثاني
والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ست وعشرين وأوست مئة . وذلك قبل أن
يستقل اليمن عن حكم الفز تحت قيادة الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول بشهر .

الثروة العلمية الفاطمية في اليمن

نرى أن دعوة اليمن مضت من يوم وفاة السيدة الحرة الملكة الصليحية إلى
انتهاء الدولة الأيوبية في اليمن في مرحلة تمتاز بنشاط عامي وجمع شتات التراث
الفكري وتسجيلها في كتب ومؤلفات وحفظ ما تركه المؤلفون الدعاة في عهد
الخلفاء الفاطميين . وقد بدأت هذه الحركة العلمية في حياة الملك المكرم
والملكة الحرة بمد عودة قاضي قضاة اليمن لك بن مالك الحمادي من الديار

(١) فهرست إسماعيل ٣٩٩ : ٥٠٠ م .

المصرية إلى مقر الدولة الصليحية . وقد سبق أن ذكرنا أن داعي الدعوة المؤيد في الدين الشيرازي قرّر في أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي خطوط برنامج الدعوة العلمي ، وكلف القاضي ملك تنفيذ هذا البرنامج ؛ ونقل القاضي كتب الدعوة وما احتوته من العلوم إلى اليمن . ثم قرّرت السيدة الملكة الحرة بعد وصول القاضي إلى اليمن فصل الدعوة من شئون الملك ، وعينت الملكة ويحيى بن ملك الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي للإشراف على تنفيذ هذا المشروع العلمي البعيد عن التيارات السياسية . فابتدأت الدعوة تعمل لهذا الغرض في عهد الداعي الذؤيب ابن موسى الوادعي ومأذونه السلطان الخطاب بن الحسن الحجوري ، ثم أظهر الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي ومأذونه الشيخ علي بن الحسين بن جعفر ابن الوليد القرشي والشيخ محمد بن طاهر الحارثي نشاطا بليغا في هذا الصدد ، وبلغ الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي والداعي علي بن محمد بن الوليد من إنتاجهما الأدبي مبلغا لا يستهان به . وأثبت الداعي علي بن حنظلة خلاصة بعض علوم الدعوة في رسالته وأرجوزته . وقد واصل علماء اليمن هذا النشاط العلمي في القرون التالية إلى عهد الداعي إدريس عماد الدين الأنف القرشي المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة ، بل إلى أيامنا هذه . ومن هذا العرض السريع نأخذ فكرة عما يوجد من الثروة الأدبية والعلمية في خزائن كتب الدعوة اليمنية .

قسم الملاحق

تضم هذه الملاحق سجلات تاريخية ووثائق ذات قيمة ، ولذلك
آثرنا أن نثبتها في هذا الكتاب ، بعد أن بذلنا الجهد في
تحقيقها ، وإن لم نصل إلى القراءة الصحيحة لبعض عباراتها ،
لغلبة التصحيف عليها ، واعتمادنا في أكثرها على مخطوطة واحدة .



ملحق رقم ١

سجل الخليفة الحاكم بأمر الله إلى هارون بن محمد القائم بالدعوة باليمن
(عيون الأخبار ٦ / ٢٧١ - ٢٧٣) .

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه الإمام المنصور بالله أبي علي
الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين إلى هارون بن محمد . سلام الله عليك ، فإن أمير المؤمنين محمد
إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصل على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله
وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما .

أما بعد ، فالحمد لله الذي نعمه لا تحصى على من أطاع وعصى ، فذو الطاعة لما به من
نعمة يملا ، وذو المعصية إلى حد ماله يملا . يستفيد هذا بشكره رحمة ورضوانا ، كما يستزيد
ذلك بكفره إثمًا وعدوانا ، وكل سوف يؤتى كتابه ثم لا شك يوفى حسابه . فأما من أوتى
كتابه يمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو
نورا ويصلى سعيرا .

وإن الذي كتبت به يا هارون بن محمد عنك وعن المؤمنين بأرض اليمن على يد المعروف بأبي
الحير بن محمد بن يوسف بتاريخ يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر شوال سنة تسعين وثلثمائة
قد وصل ، فأما ما شرحت من خبر من طلبت ما لم يكتب له ويقسم فأمره لا بد أن ينقم وذكره
بعار له سوف يوسم .

وأما ما ذكرت إنفاذه على يد رسولك من قرابين المؤمنين فهو من الذهب وزن سبعين
درهما ومن الورق ألفا درهم . فإله يتقبل لمن عمل ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران
لسعيه وإناله كاتبون . وعليك أن تسلك بالمستجيبين الواجب ، وتجنب بهم كل طريق بجانب ،
لكتاب الله وسنة نبيه جدنا محمد ، والمأخوذ عن آبائنا الأئمة المهديين صلوات الله على النبي ووصيه
وعليهم أجمعين ، والمسموع من أفواه المحققين ، لا المأخوذ عن ألسن المتخرصين ، وليكن فتواك
للمستفيدين في الحلال والحرام من كتاب الدعائم دون ما سواه من الكتب المفتعلة .

وأما ما سألت إنفاذه إليك من الدواء المبارك فسيأتيك منه ما يجب في وقته على يد من
يوثق بتأديته وأمانته . وقد كتب إلى الحضرة مظفر بن زياد كتابا ذكر حامله أنه ضاع منه
في طريقه . وسئل عما تضمنه فحكى أن الذي يحفضه منه استدعاء من يأخذ عليه من الحضرة ،
فأجيب إلى الرجوع إليك في هذا إذ كنت منه قريبا ، ولما هذه سببها منصوبا . فأعرف ذلك ،
واطلع ما عند مظفر وفقه الله ، وطالع الحضرة إن شاء الله . والسلام عليك ورحمة الله .

وكتب اعشر ليال خلون من ذي القعدة من إحدى وتسعين وثلثمائة . والحمد لله رب العالمين .
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم عليه وعليهم أجمعين .

ملحق رقم ٢

سجل الخليفة المستنصر إلى الملك علي بن محمد الصليحي
(عيون الأخبار ١٦/٧) .

ولما بلغ الأمير محمد بن علي الصليحي مبلغ الرجال ، ورأى فيه والده دلائل الفضل والكمال ، أقامه لينوب عنه في جميع دعوته ، وجعله الخلف له ، واستند إليه في وصيته ، وكتب بذلك إلى الإمام المستنصر بالله عليه السلام ، واستورد أمره فيه ، وبركة رأيه ، والإذن له في ما يرتجيه ، فورد إليه سجل من أمير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام يقول فيه :

• ومما نظر إليك أمير المؤمنين نظر مثله ، ممن ينظر بنور الله لملك ، ممن بإخلاص ولائه يستظهر ، أن يتخذ وذلك منتجب الدولة وصفوتها ، ذا المجدين ، خليفة لك ، يخلفك في حياتك ، ويكون خلفا صالحا عند حضور وفائك ، وأن يصطنعه لنفسه ، ويلبسه من لباس الأكرامة ما يرتقى إلى ذروة الشرف بلبسه ، ويفيض عليه من خاص الملابس ما يفيض عليه الأقدار بإذن الله سعودها ، وتنجز له أفصى الأمانى وعودها ، ويسميه بالأمير الأعز شمس المعالي مضافا إلى قديم ألقابه ، ويأذن أن يدعو في تراجم كتبه ويدعى به ، ويفسح أن يذكر به على فرق منابر بلادك في أعجاز ذكرك وأعقابك ، وأن يلقب أخويه بلقبين زائدين في ألقابهما المتقدمة ، لينالا بهما مزيدا من الاصطناع والكرامة . فالأوسط منهما الأمير المكرم ، والأصغر الأمير الموفق ، والله تعالى يسدد كلا منهما ويوفق .

فكان وصول هذا السجل إلى الداعي علي بن محمد الصليحي وهو في مدينة صنعاء في رجب سنة ست وخمسين وأربعمائة .

ملحق رقم ٣

سجل الخليفة المستنصر بالله إلى الملك علي بن محمد الصليحي يعزیه فی وفاة
ابنه الأكبر محمد الأعز وتولية ابنه الأوسط أحمد المكرم ولي عهد لأبيه .

(عيون الأخبار ٧/٧٩ - ٨٠) .

« إن أمير المؤمنين يعزبك في ولدك الأكبر الأمير الأعز شمس المعالي منتجب الدولة
وصفوتها ذي الجدين رحمة الله ، الذي اخترت له خير الأولى ، واختار الله له خير الأخرى ، وألحقه
بالأعلى ، سوى أن أمير المؤمنين يألم مما ألم بك ، وما اعترى قلبك من الحرقة بسببه ،
وحكم الله سبحانه الذي لا يغالب ، والحتم الذي لا ينجو منه هارب ، وأنت ربطت الله على قلبك
بالصبر ، وأجزلت لك حظك من الثواب والأجر ، أرجح في ميزان العقل وزناً ، أن يدخل عليكم
أهم فيما لا ينفع أهم به وهنا ، فائق سلاح البلوى بجنة المالكين للصبر القادرين ، وانتظم
في سلك من عناهم الله بقوله : « فإوهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا
والله يحب الصابرين » . وقد أمر أمير المؤمنين بالرجوع إلى ولدك الأوسط كان وهو اليوم
الأكبر ، حفظه الله تعالى لكسر في أخيه رحمة الله عليه ، يجبر في ولاية عهدك ، وسد مسدك
ميتا ، وأنشأ من التقليد ما يكون لفؤادك مثبتا ، فليشر في المحافل والمحاضر ، وليقرأ على
فروق المنابر ، ليكون لداء الشاكبة دواء ، أو للهيب نار الحزن إطفاء ، وعزز بإنفاذ تشريف
من ملابسه يضره عليه بين الأولياء رونق جماله ، ويكون له جنة يوم حشره ومآله . فاعلم ذلك
من رأى أمير المؤمنين ورسمه ، واعمل عليه بحكمه ، وطالع حضرته بذكر ثبوت مراسي صبرك ،
بما تعرب به عن مكاتك من الحلد ومقرك ، ويسرى عن نفس أمير المؤمنين فكرها بتقسيم
غكرك ، إن شاء الله تعالى ، وكتب في شهر ربيع الأول سنة ٤٥٨ » .

ملحق رقم ۴

سجل الخليفة المستنصر إلى الأمير أحمد المكرم بن علي الصليحي .

(عيون الأخبار ۷ / ۸۰ - ۸۱) .

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى الأمير المكرم شرف الأمراء منتجب الدعوة وغرسها ذي السيفين أحمد بن الأمير الأوحيد أمير الأمراء عمدة الخلافة تاج الدعوة سيف الإمام المظفر في الدين نظام المؤمنين علي بن محمد الصليحي .

أما بعد ، فالحمد لله البعيد من حيث تناوله بيد الأوهام ، وهو بيدائم قدرته دان ، الباقي وجهه الكريم سبحانه ، وكل من عليها فن ، لا إله إلا هو كل يوم هو في شأن . وصلى الله على من رفع في النبوة مكانه على كل مكان ، محمد المبعوث إلى الإنس والجان ، وعلى وصيه أشرف ترجمان ، علي بن أبي طالب خير صاحب تأويل وبيان ، وعلى الأئمة القائم منهم إمام في كل زمان ، هداة يبشرونهم برحمة من الله ورضوان . وقد كان رأي أمير المؤمنين وبالله توفيقه أن ينصب أخاك رحمة الله عليه ولي عهد لو والده نصره الله ، وأظفرك في حياته ، وارثا له بعد مماته ، جمانه لشملكم ، ووصلا منه لحبلكم ، وحفظا لبيتكم المبارك ، المخرج بزينة الإيمان ، المشهج منهاج بيت أسس على التقوى من الله ورضوان . وكان من قضاء الله السابق في الاستئثار به ما ليس عليه معترض ، ونزل به نازلة ما كل جسم له عرس . فآلم أمير المؤمنين ما لم به ، وضاق ذرعا بسببه ، ونزع في التسامي لمن بيده ملكة البسط والتقبض ، ذلكم الله سبحانه فأظرف السموات والأرض . وما كانت الصورة هذه ، أجمع هذه الرتبة إليك ، وطرح شعاع شمس الاصطناعة فيها عليك . وثق الله فيما قلدك من هذه الأمانة حو ثقاته ، وشمر لابتغاء مرضاته ، وقم بالحفاضة على سائر أركان الشريعة ، وتحصن بحصونها الثبينة ، وابسط بساط العدل والإنصاف ، واقصص جناح الجور والاعتساف ، واسهر لترقد رعيتك رفاد الأمن ، وانزل عليهم من سماء عدلك شبه السلوى والثلج ، وكن من أبر الناس بالوالدين ، واحمل الكلف عن قلوبهما بكلتا اليدين ، وارقب من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وابل قول الله تعالى : « يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الفرور » ، والبس ما شرفك من ملابس التي تحوز بها في الدارين المي والسرور . هذا عهد أمير المؤمنين إليك فاقبله (۱) بقبول حسن ، وأقبل عليه إقبال أمين على شرائطه مؤمن . والله يوفقك ويسعدك ، وإلى صالح الدارين يرشدك ، برحمته إن شاء الله تعالى . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب في شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وأربع مئة . والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على جدنا محمد خانم النبيين ، وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(۱) في الأصل : فقباه .

ملحق رقم ٥

سجل الخليفة المستنصر إلى الملك علي بن محمد الصليحي

(عيون الأخبار ٧ / ٨٢ - ٨٦)

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه معد أبي نعيم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى الأمير الأجل الأوحيد أمير الأمراء عمدة الخلافة شرف المعالي تاج الدولة سيف الإمام المظفر في الدين نظام المؤمنين أبي الحسن علي بن محمد الصليحي نصره الله وأظفره واحسن توفيقه ومعونته .

سلام عليك . فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصل على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين وسلم تسليماً .

أما بعد ، فالحمد لله القصوص جناح الفكر دونه في هبوطه وإصعاده ، جاعل عالم كونه وفساده ، سلماً إلى محل رضوانه ودار معاده ، يحمده أمير المؤمنين أن مهد له من مجد الإمامة في خير مهاده ؛ ويسأله أن يصل على غوث عباده وغيث بلاده ، محمد جده المقلد من شرف النبوة أشرف نجاده ، المصطفى الهادي صنوة أغواره وأنجاده ، وعلى أخيه وأبي أولاده ، المخضرة به روضة الحكمة اخضرار الروض بصوب عهاده ، علي بن أبي طالب مفترس الفرسان يوم الضراب والطعان تحت سنابك جواده ، وعلى الأئمة من ذريته أكارم الدهر وأجواده ، الذين من اقتدى بهم فقد هدى لرشاده .

وكان عرض بمحضرة أمير المؤمنين كتابك الوارد على أيدي رسلك ، وهم عبد الأعلى ابن عبد المجيد ومحمد بن علي وعبد الواحد بن بشارة ، وكتاب جماعة المؤمنين قبلك ، كثرتهم الله ، بذكر استئثار الله تعالى بولدك الأمير الأعز شمس المعالي وأخته ، رحمهما الله ، وأن الفجيرة بهما وهنت منك العظم ، وأنحلت الجسم ، فألم أمير المؤمنين ما آلمك ، وتلم في جسم نشاطه ما تلمك ، وترحم على الماضين ترهما يفضي بهما الله معه إلى الروح والريحان ، ويرفعهما إلى غرف الجنان ، ودعا بإلهامك حسن الصبر والاحتساب ، ربا يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب ، ولي أمير المؤمنين فيك لنداء دعوتك ودعوة المؤمنين قبلك في رد ولاية عهدك والخلافة لك في حياتك ومن بعدك إلى أخيه الملك المكرم ، شرف الأمراء ، عز الملك ، منتجب الدولة وغرسها ، ذى السيفين ، أحمد . ولاشك في وصول ما أصدره أمير المؤمنين من سجله ، ووقوع الإجماع لمسابقة السؤال بفعله . وبلى ذلك وصول كتابك على يد القاضي عمران بن الفضل ، ونجيب بن عفير ، ويوسف بن محمد ، وعنتر بن غشم ، العرب عن دياتك التي تسفر إسفار الصبح ، وتقضى بمواجهتك في مساعيك لنصر الله والفتح ، وانتدابك لما يرفع الله به آياتنا أهل بيت النبوة إلى منطقة الجوزاء ، ويسمع منطقته سكان السماء ، ووقف عليه أمير المؤمنين وقوف ملتفت إليك بقلبه ، ملتف عليك بحبه ودعا بحسن التوفيق لك ربا يسمع دعاءه ويحجب نداءه ، ودعا لولدك ومن في جلتك بالإسعاد والإرشاد ، والتوفيق لك بصلاح المبدأ والمعاد ، وهو ولي الإجابة بمنه . وأما ما أنهيته من ظهور

الفساد في الحرم المعظم والمقام المكرم ، بالخلف والتعارب بين الفريقين والتنازع ، حتى صارت الدماء فيه تسفك ، وأستار قول الله تعالى : « أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم » تهتك ، إذ صارت الأرواح فيه تتخطف ، وعاصفات النهب والظلم تعصف ، وما سألت فيه من إذن أمير المؤمنين أن تصلح فساد ، وتقوم منآده ، وتقيم للعدل عماده ، وتعمر طارقه للسفار ، وتطهرها من دنس المفسدين والزعار ، فقد عرف . وعزيز على أمير المؤمنين ما يجري في ذلك البلد الأمين ، وهو منسك من مناسك الدين ، لا جرم أن الأرض راجفة كلها برجفانه وهو قلبها ، ومتألة بأله وهو صفوتها ولبها . وحقيق أن يقبض الله صلاحه — وهو خير البقاع — على يديك ، وأنت خير من لحظته عين الإمامة بالاصطناع ، سوى أن أمير المؤمنين يشفق من وقوع جرح على جرح ، وقرح على قرح ، بتصدى قوم لقتلك ، إذا رأوك عليه مظلاً ، فيحدث حادث فساد ، قتلاً وقتلاً ، وما يؤثر أمير المؤمنين أن يوجد من ذلك مثقال ذرة ، ولا أن ينال طالبيا خاصة وخزيرة . وإن أمكنك ذلك المكان ، بتأليف القلوب ، وتجنب سورة الحروب ، فوارد ذلك على الأكباد ، إنه لآية المراد ، وغاية قصد الفساد . فتأمل أحسن الله توفيقك هذه الحالة تأملاً شافياً ، واعمل فيها بما يكون للثقة في دينك وبقينك موافياً .

وأما ما أنهيته من حال رسل غرس الدين يوسف بن حسين الضمري ، وحصولهم عندك منذ سنة ، متوسلاً بك إلى حضرة أمير المؤمنين ، باستخدامه في الدعوة الهادية ، وأدامها الله في بلاده ، واعتماده في الاصطناع مكاتبه وتلقيا وتشريفاً ، بما يكون مقبلاً لعباده ، فقد أجاب أمير المؤمنين سؤالك ، وحمد فيه أقوالك وأفعالك ، وبركاتك في أفصى البلاد وأدانيها منتشرة ، ووجوه سعادتك ضاحكة مستبشرة ، وعناية أمير المؤمنين فيك بتواليها وتتابعها مبشرة بمشيئة الله تعالى وعونه . أما إزعلحك — قرن الله الخير بعزمانك ، ونفاك النجح في تصرفاتك — التوجه إلى حضرموت لفتح أغلقها ، ونشر دعوتنا في آفاقها ، فاقه بمدك بالمعونة وارداً وصادراً ، ويحدد لك من سيف نصرته ما يكون لأعدائك فاهراً ، بمنه . وأما تجديدك السؤال في الإلمام بنا ، إذا قضيت من أمن الحرم الشريف وطرا ، وانفسح لك فيه بما يكون لغرس قديم عنايتك مشمراً ، فلا شيء أحب إلى أمير المؤمنين من أن يشبع إلى أوليائه مثلك نظراً ، لكن الشقة بعيدة ، ومتاعب النافذ فيها شابة شديدة . وأمير المؤمنين يرجح ما يراه من الصلاح في مقامك ، على ما يهواه من قدومك وإلمامك ، إجماعاً لنفسك أن تكدح وتتعب ، وإشفاقاً على ما تخلفه وراءك أن يضطرب ويذهب . وسوى هذا فأت بين أن ترد في كبر لا تحملهم الطريق ، أو قل يمنعك عن التعرض للفرق فيه إمامك البر الشفيق . والذي تأمل بلوغه برأى العين ، فإنك بالغة بحمد الله برؤية القلب ، ونائله من إمام زمانك على ظهر القيب . فاحمد الله على ما قدره في ذلك لك من الخير وقضاءه ، وقل : « رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ، وأن أعمل صالحاً ترضاه » .

وأما تكرير سؤالك في معنى ولدك ، حفظه الله ، وأن تسدبه مسد أخيه ، رحمه الله ، فقد تقدم بالقول بأنه سابق فعل ذلك من أمير المؤمنين سؤالك ، وإنه كتب في الكتاب بما ينعم باللك ، وأصدر ذلك على أيدي رسلك مقروناً بالتشريف والتقليد له بالسجل الذي يرقبه إلى المحل الشامخ المنيف ، لتعلم أن اهتمام أمير المؤمنين بشأنك مثل اهتمامك ، واعتزامه على ما تنال به سعادة الدنيا والدين موف على طلبتك ومرامك . وإن أمير المؤمنين ، لمكاتك من نفسه ، ووقوع

ما يرفعك ويطلقك في أهم موقع منه وأمه ، رأى تشريفك بالتكنية في المكتبة ، تاليا لنعوتك
جوالقائك الراتبة ، وأن يزيد في نعوت ولدك الأكبر شرف الأمراء عز الملك ، مقرونا بملابس
تجدد ملابس الفخر ، وتشيد مناقب عزه باقى الدهر ، وفي نعوت أخيه الأصغر شرف الملك ،
وفي نعوت عقيلتك الصالحة أم الأمراء المتجيين . والذي يعتقد أمير المؤمنين فيك فهو على
ما ظهر زائد ، وسائق إليك خير الدارين وقائد ، بمشيئة الله . فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين
ورسمه ، واعمل عليه بحكمه ، وطالع حضرته بأنبائك ، وما يتشوقه من تلقائك . والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب في شهر ربيع الأول من تسع وخمسين وأربع مئة .
والحمد لله وحده ، وصلواته على جدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله
الطاهرين الأئمة المهديين وسلامه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

وقال صاحب العميون :
فوصل إليه الرسل بهذا السجل وهو في قرية من قرى حراز ، تعرف ببيت جميع ، وذلك
في جمادى الآخرة من تسع وخمسين وأربع مئة ، وما زالوا معه حتى وصل صنعاء ، لست بقين من رجب
من هذه السنة .

ملحق رقم ۶

رسالة من مجموعة رسائل الشاعر المنشي، حسن بن علي القمّي، على لسان الملك
المكرم أحمد بن علي الصليحي، وهي موجهة إلى الخليفة المستنصر الفاطمي
(رسائل القمّي ۳۶-۷۲)

بسم الله الرحمن الرحيم . سلام الله وصلواته ، وبركاته الطيبات وتحياته ، على ينبوع العلم
والحكمة ، وورث الإحسان والنعمة ، ووارث الأنبياء والأئمة ، المفترض طاعتهم على الأمة ، باب
انعصمة المقصود ، ومنهل الرحمة المورود ، ومطلب الفوز الموجود ، ومعدن الفضل والجود ،
وحبل النجاة الممدود ، وسدر الهداية المخضود ، وبينه الذي أوحى فيه إلى والد ومولود ، « وأن
طهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » ، سماء الله الواكفة على العالمين ، ويده الباسطة
لبريته أجمعين ، وسلسبيله المعين ، لسان الصدق في الآخرين ، ووارث أصحاب اليمين ، الثمرة المحتبأة
من شجرة النبيين ، المكئي عنه نجمة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، مولانا
وسيدنا معدن أبي نعيم المستنصر بالله أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ،
معالم الإيمان ، ومعادن البيان ، ومناهي البرهان ، وأسباب الرضوان ، وأمناء الرحمن ، وقرناء
القرآن ، وسادة الأنفس والجان ، وعلى آبائنا الأكرمين الذين جعلهم لآفاق النبوة ضوءاً مضيئاً ،
ووهب لهم لسان صدق عليا ، وعناهم بجنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده
مأثياً ، ما أورد غصن ، [و] وكف مزن (۱) .

والحمد لله القدير القديم ، الرحمن الرحيم ، المبدئ البديع ، القوي الرفيع ، الفرد الأحد ،
العزيز الصمد ، الذي جل أن تدركه الظنون ، وعلا أن تبلغ أدنى صفاته الواصفون ، (۲)
بالإلهية لنفسه وملائكته المقربون ، واحتج باستحالة ما ادعاه المشركون ، بقوله
الذي عجز عن الإتيان بمثله القائلون : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا فسبحان الله رب
العرش عما يصفون » ، قاصم كل جبار عنيد ، وقامع كل شيطان مريد ، وبالغ كل ذي أيد شديد ،
الذي (۳) لم يبتل أوليائه بما ابتلاهم نعمتنا ولاهضما ، بل اختبارا وإن كان قد أحاط بكل شيء
علما ، ووسع أعداء دينه أناءة وحلما (۴) ، ليحتقبوا بالاستدراج حوبا وإثما ، كما قال جل جلاله
تباركت أسماؤه : « ولا ينجس الذين كفروا أنما على لهم خير لأنفسهم إنما على لهم ليزدادوا إثما » .
وصلى الله على محمد نبيه سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، ورسوله إلى الجن والإنس أجمعين ،
وشيعته الشفيع يوم الدين ، هادي المهتدين ، ومردي المعتدين ، الذي قرن بفرض طاعته (۵)
فرض حبه ، وختم لأولياته الطيبين به ، وغفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه ، وأنزل الفرقان

(۱) في الأصل : وكف مريا . ولعلها محرفة عما أثبتناه .

(۲) كلمة مكشوفة .

(۳) في الأصل : الذين .

(۴) في الأصل : وحدا .

(۵) بطاعته في الأصل .

على قلبه ، وأسكن من اتبعه جنات عدن ، وجعله بيتاً أخص بأمنه ، وداعياً إلى الله يآذنه ، وأوجب
 حولاءه على إنسه وجنه ، وعلى أخيه ووصيه على بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيد الوصيين ،
 وأسعد الدين وزيره وخليفته ، ووصيه [و] يحيى شريعته ، وأمينه ومأمونه ، وصهره (١) وهارونه ، ابن
 عمه الذي [قام] في أمره ، ووزيره الذي شد به عن أزره ، قر الشريعة وشمسها ، وعماد الإمامة وأسها ،
 وذروة الملة ورأسها ، ساق شيعته من حوض عترته (٢) بكأسها ، « يوم تأتي كل نفس تجادل عن
 نفسها » ، وعلى عرسه فاطمة الزهراء المتصلة ببحر الوصائل ، معقد رحمة الله الذي يعقد به
 كل عاقل ، وسدة كل حاف (٣) وناعل ، والحة التي أنبتت سبع سنابل ، وعلى ابنها الحسن
 والحسين فلذتي كبد المصطفى ، وثمرة شجرة طوبى ، اللذين أوجب الله لهما المودة في القربى ، وعلى
 الأئمة من ذرية الحسين المنقولين إلى محل الرضوان ، والنازئين في غرف الجنان ، سدنة التبريل
 وخزنة التأويل ، وسلام عليهم أجمعين إلى يوم الدين .

الملوك يناجي حضرة الإمامة ، وينتهي سدة الخلافة ، جعل الله عزها باقياً على الأيام ، ومجدها غير
 منقطع الدوام ، عالماً أنه يلبس بذلك شرف الدارين ، ويستولى به على الحسين ، شأنهما من مولاة برقا
 مضياً ، ومستظلاً من سحاب الإكرام ودقاروباء ، ومتبوثاً من رتب الاختصاص مكاناً علياً ، ومتعرضاً لمنزلة
 من أدناه وقربه نجياً ، إنه قد كان قدم خدمة بطائعها بآباء جزيرته ، وينهى أخبار دعوته وما جرى عنيه
 أمرها من الفتن ودارت فيها من دوائر الحن التي ملأت (٤) قلوب أعداء الدين سروراً ، وازداد
 بها الكافر ظفياً وكفوراً ، وأظهر كل منافق ما كان من غد [ر] كامناً مستوراً ، « وقال الدين
 في قلوبهم مرض ما وعد الله ورسوله إلا غروراً » ، حين سطر الأجل الأوحى أبو الأمراء عمدة
 الخلافة شرف العالي تاج الدولة سيف الإمامة المظفر في الدين نظام المؤمنين ، كان قدس الله روحه
 ونور برضا مولاة ضريحه ، إلى مكة حرسها الله قاصداً الحج [إلى] البيت (٥) الحرام ، راضياً بمشاعره
 العظام ، وتسهيل الحج لطلبي قصده في كل عام ، « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله
 في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » ، وعمارة مدارس من آثاره ، وإبارة ما عفا
 من مناره ، وأمان قاصديه وزواره ، وإجراء مارقاً من أنهاره ، وحظ المؤمن عن سفاره ، وهو أساة
 من قطن في قطن (٦) من مال مولاة ، الذي أكسبه إياه وأغناه ، بسعادة دوابه وأثره ، طالباً بذلك رضاه ،
 وسالكاً سبيل هداه ، راغباً أن يتجر فيه بأربح المتاجر ، ويجوز في الدنيا شكر الوارد الصادر ،
 ويستولى في الآخرة على الأجر الكامل الوافر ، ويكون من الداخلين بقوله سبحانه : « إنما
 يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » . ونهوضه في يوم الاثنين السادس من ذي القعدة ،
 لا يقطع علماً ولا يجاوز جدداً ، ولا يطوى بلداً ، ولا يجوب سهلاً ولا جليداً ، ولا يقبض ولا يمد
 يداً ، إلا وعليه من خوف مولاة شعار لا يترع ، وييده من ضاعته حبل لا تثنيه الأيام ولا تقطع (٧) ،
 وأما (٨) من رضاه غصنا مورقاً ، وشأناً من نعمه نوى مفدقاً ، ورائداً من رحمة روضاً موثقاً ، طامعاً
 أن يكون من الذين استقاموا على الطريقة « أسقيناهم ماء غدقاً » ، فزال بقرية العمدة في منقطع
 السهل من تهامة على جناح الدعة ، وكنف السلامة ، يوم الخميس تاسع . وكان قد ورد إليه
 قبل نهوضه من دار دعوته ومستقر حوزته (٩) أن جماعة من العبيد كانوا بحاضرة زيد قد جانبوا

(١) في الأصل : صهرته . (٢) بغير تقطع في الأصل . (٣) في الأصل : حافل .

(٤) في الأصل : ملبت . (٥) في الأصل : البيت . (٦) كذا في الأصل . ولعلها

في قطره . (٧) في الأصل : تقطعه . (٨) في الأصل : والم . (٩) في الأصل : حوزتهم .

الائتلاف ، وتمرضوا للخلاف ، فأقاموا فيه عبدا من بقايا دعاة الدولة الطاغوتية ، وأساءوا [إلى] السيوف المستنصرية ، فأعطوا صفقة إيمانهم المبايعة سرا ، وأضروا سبية من أموالهم ومكرا ، ودسوا دسائس الفساد ، إلى من كان معهم بصنعاء منهم من القواد ، والحراية والأجناد، وحملوهم على كاهل العناد ، فصادفوا منهم لين مقاد، وسرعة انقياد . فلما نمت إليه نوايا أخبارهم ، واتصلت به قبائح آثارهم ، أحسن الظن فيمن كان منهم بحضرته ، وبعث منهم عبدا كان مختصا بخدمته ، للقبض على ابن نجاح وجماعته ، وكل من دخل بيئته ، فدخل العبد مدخلهم ، وصافقهم في الضلال وعاملهم ، فظهر لمن كان يزيد من المؤمنين ، وأوثقوه تقييدا (١) ، وحملوه إلى الصمد مصفودا ، فأمر الأجل قدس الله روحه بقتله ، وأحله محل مثاه ممن ساءت (٢) محافظته على عهده ، وقبحت آثاره في تقض عهده .

وسار من العمدة يوم الخميس ونزل سررد يوم الجمعة العاشر من ذي القعدة ، ما معهم غيرهم إلا جماعة من بني عمه وذويه و[معهم] (٣) الأمير الموفق رحمه الله برحمته ومواليه لثقتهم بهم أنهم أحب الناس لدولته ، وأرغبهم في بقاء دعوتهم (٤) ، وأشدهم ذما عن مهجته . لما قدم لهم من نعمته ، وطوقهم من إحسانه وميرته . وقد كان قدم أمامه قبل نهضته طوائف شيعة وأبصار ملته ، وأنجاد أسرته ، وبني عمه وعشيرته ، الباذلين (٥) أنفسهم في محبته ، والتمسكين (٦) بمهد أمته ، من رجال الدعوة ذوى البأس والشدة ، والقتال والنجدة .

واختص عبيده دونهم لصحته . فكاهم قلبه بالفتش مدغول ، وصدره بالغل مذحول ، وزندولائه بالحد والبغض مغلول ، يقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيتت طائفة منهم غير الذي تقول . فلما اتصل بالعبد ابن نجاح ، لابل الله رسمه ، ولا رحم نفسه ، أن الله عز وجل قد أبان فضيخته ، وكشف سريرته ، عزم على المقر ، وسار معارضا للبحر ، حائفا أن تظفر به أظفار الدين ، وأن تنشب به أياب المؤمنين ، فخرج مع من ألف إليه من عصاة القدر ، وأوباش الشر ، بعد أن عملوا على جماعة من المؤمنين يزيد حيلة ، فقتلوهم خدعة وغيلة . فلما اتصل بالأجل الأوحى فراره ، وانزعاجه من قراره ، أخرج له من كان بحضرته من عبيده ، وأعلمهم بمقصوده ، فقادوا عن ضيق العبد عمدا ، وجاروا عن مواجهته قصدا ، إذ كانت أهواؤهم مائلة [إلى] هواه ، جارية في القدر مجراه . فلما صار بإزاء سررد خرج لاستقباله ، وتخلف العبيد عن الخروج لثقتائه ، فوافوه عنها معرضا مجنبا ، ولنازل القضاء متخوفا مترقبا ، فقتلوا عن الهرب همه ، وردوا إلى قصد سررد عزمه ، وأعلموه بانفراد الأجل الأوحى ، قدس الله لطيفه ، من أعوانه ، واتحاده عن المؤمنين من إخوانه ، وأنها فرصة إن فاتته وقد في أشراك الندامة ، وعدموا أسباب السلامة .

(١) في الأصل : تقييد .

(٢) في الأصل : ممن سارت .

(٣) مكشوفة في الأصل .

(٤) في الأصل : دعوتهم .

(٥) في الأصل : الباذلون .

(٦) في الأصل : والتمسكون .

فقدم على الإقدام ، وقادوه إلى الانتهاز والاعتنام ، ووء [مدوة عند قير] (١) امهم وعدا جميلا ، وأوسعوه ترحيبا وتأهيبا ، وجاءوا به على ظهر التجشم والنهور محمولا ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا . فلما سبق الخبر إلى الأجل الأوحسد بقي أن يصلول بيد عز قوية ، أو يتعير فينسب إلى الخوف من المنية ، فبسط [إلى] الله عز وجل يده ، وسأله أن ينصره بنصر مولاه ويؤيده ماضيا على يقينه الذي اعتقده ، تاليا قوله عز وجل : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » ، فبرز مجاهدا عن حريمه ودينه ، طالبا الرضاء من ربه ، مستبشرا بوفاء بيعته عند قضاء نجه ، آخذا بقوله سبحانه : « فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به » ، راجيا أن ينال بجهاده أفضل ما ناله المجاهدون ، ويدرك بيدل روحه في طاعة واه ما أدركه البادلون ، مقدما على بصيرته حيث يحجم المبتلون ، ليفوز بالحياة الأبدية التي فاز بها الضييون ، ويسعى إليها الطالبون ، ووعد بها أولياء الله التقون ، إذ يقول تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين » . فاستشهد رحمة الله عليه ومن معه من المؤمنين ، فلما أخذ من الأرض مضجعه ، وتبوا فائزا بالرحمة مصرعه ، عاد الأمير الموفق رحمة الله تعالى ومن اتبعه ، ممن لم يرزق الشهادة معه ، إلى سردد لحماية والدته ، أمة مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، الحررة الثقية الزكية الفاضلة الكاملة الصالحة ، كافلة المؤمنين ، الساعية في مصالح الدين ، أم الأراء المنتجين ، ومن معها من بنات عمها الصليحيات ، وقراباتهما من المؤمنات ، فليث يجاهد فيهن ويمنع ، ويحامي ويدافع ، إلى يوم الأربعاء الخامس عشر من ذي القعدة ، ثم قضى الله سبحانه بانقضاء المدة ، وحكم له بالشهادة بالفرج بعد الشدة ، فاستشهدوا أجمعين .

حينئذ أسر الحرير ، وانهب المال الجسيم ، ونزل البلاء العظيم ، وطارب طوائف الأخبار ، في جميع الأقطار ، ونمت نواصي الأنباء ، إلى كافة الأحياء ، فثاروا مجلبين ، وقاموا متأبين ، وهاجوا متحزين ، ونفروا مستكلبين ، يشنون نيران الفساد ، ويشيرون كوا من الأحقاد ، ويخيفون أمن البلاد ، ويعدون أعناق العناد ، يرقون على أولياء الله ويرعدون ، ويقومون بالمنايذة ويقعدون ، ويبددون ما كانوا يخفون ويكتمون ، يريدون أن يظفثوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . وخرج أمر الدعوة كله من اليمن حزونه وسهوها ، وأجلب الشيطان برحاله وخيوله ، وظنوا أن الأمر غائب لا أوبة لفقوله ، وأذن كل منافق بنقض عهده وتبديله ، وكيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ؟ ولم يبق غير التعكر ، وقد حصره العبد بمجموع كثيرة من العبيد والعشيرة (فيهم أخواه) لا يرحمهم الله ؟ وحصن مسور (وفيه عم الملوك) قد أحاطت الأعداء عليه ، وتجمعت العربان حواليه ؛ وكحلان وهران وحواليهما جمع كثير من العربان ، وهي عنس وزبيد ويحصب ورعين (٢) ؛ وحصن مسار ، وهو معقل استطار منه جرح الدعوة ، وانتشر فيه ضياء الدولة ، وقد مالت الأعداء إلى [حصره] (٣) ، واجتمعوا على اغتصابه وقسره . وبلغ الخلاف إلى مدينة صنعاء والملوك بها مقيم ، ولما يقضى الله سبحانه مسلم مقيم ، في عصابة قليلة العدد من خالص المؤمنين ، وحفاه المعاهدين ، يثبتم على الدين ، ويذكروهم ما وعد الله به عباده الصابرين ، ويبتليهم بما ابتلى به مواليمهم الطيبين الظاهرين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ويتلو عليهم ما أنزل الله في كتابه المبين : « ألم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .

(١) الأصل ممزق في هذا الموضع .

(٢) في الأصل : رعين . (٣) ناقصة في الأصل .

ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين». وجعل الملوك بغزوه شرقا وغربا، شأما وعمنا، والله تعالى يعطيه النصر على إغلاء الدين (۱)، ويسيطر يده على الجاحدين، لما علم من نبيه. وأطلعته من سريره، في المضي على سنة والده في اتباع أمته، والذب عن دين وليه ودعوته. فأوقع في بلاد حضور وقعة، تولاهما الملوك سببا بن أحمد ابن المظفر الصليحي، سلم فيها منازعهم، وألزم الطاعة بها خا [ل] مهم، واستقام حائدهم، وفاء شاردهم، وبيسلاد خولان أخرى ركب جمعهم فرقا، وملأت أكبادهم فرقا، وبناحية كلان وهران أخرى تولاهما إسماعيل بن أبي يعفر، تولى الله رحمته، وأناله برصا مولاه مفرته. وبينما الملوك على مثل حاله من قاة الأنصار، وتبوء القرار، وانتظار الفرج واستبطائه، وارتقاب العمون واستنباؤه، إذ ورد إليه البشير بسلامة عامر بن سليمان الزواحي، ومدافع بن حسن الجنبي، وموسى بن أبي حذيفة الجنبي، ويوسف بن زائد السنجاني، وجماعة من معه من المؤمنين، الذين كانوا متقدمين أمام الأجل الأوحى قدس الله روحه. وقد أوقعوا في طريقهم سبع عشرة وقعة، في كلها يمنحون النصر، على من عاداهم والظفر، بركة مولاهم، نخر الملوك به ساجدا، وشكروه ووليه صلوات الله عليه قائما وقاعدا، وأثنى عليه بادئا وعائدا، وقام في طاعة ولي أمره مجاهدا، وحمد من كان عنده من المؤمنين عنصرهم. وشكروا الله عز وجل على حسن عاقبة أمرهم إذ عاد لهم إخوانهم ونصرهم، وثبتهم على دينه ووقرهم، وشد أزرهم، وكانوا قليلا فكثروهم، وشكروه عز وجل إذ كف عنهم كربا، وجعل بلاده إلى مرضاته لهم سببا، ونبأ من أخبارهم عجبا، وقالوا: «لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا».

فسير الملوك عامر بن سليمان الزواحي إلى بلاد حبر، فاستصلح بعضها سلما، واقتسر الباقين عضا، وعاد ناجحا أمه، كاملا عمه. حين أسفر تواترت الأخبار ونمت (۲)، وتواصلت عن صحة وتواترت وتناصرت أن رجلا يسمى حمزة بن هاشم ادعى النبوة إلى ولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام والإمامة على رأيه، ورأى من التف إليه من الطعام، الذين بايعوه على القيام، وتابعوه على هدم شريعة الإسلام، واستحلال الحرام، وارتكاب الآثام، فقام متحليا بالتوحيد، وهو معتقد للتعطيل ومدع للإمامة، وليس هو من أهل بيت الرسول. لما أراد الله به من حلول عذابه الويل، وزحف إلى مدينة صنعاء في خمس مئة فارس وخمسة عشر ألف رجل من همدان وغيرها من العربان حتى إذا كانوا بالملوى (۳) في سواد المدينة، برز إليهم جند الله، وظهرت لهم أنصاره كالأسود الضاربة والذئب العادية، وهم دون ثلثهم في العدة، وأكثر من ضعفهم في البأس والشدة، فما كان أسرع من لمح العين حتى ولوا مدبرين، وأنزل الله سكينة على المؤمنين. وعثر بعض الأولياء بالمدعى بما ليس له واحتازه وقتله ووافى به صنعاء. وقتل ولده، وتفرق عنه عدده. وأحل الله به ما أحل بسواه من المعتدين، الذين ادعوا مراتب الخلفاء المهتدين، وهموا بما لم ينالوا من ميراث النبيين، وازداد المؤمنون بذلك يقينا وتبصيرا، وثلجت قلوبهم فرحا وسرورا، «وكان يوما على الكافرين عسيرا»، وكانت أفئدة الضمأة له متوقعة، ونفوس القواة لا يكون منطلعة، ولما يحدث متوفرة ممتدة، وأعناقهم إلى استشرافهم ممتدة. فلما أحل به ما استوجبه، وأحاط به ما احتقبه، انجذب أنف الضلال وسكن شيطانه، وهدأ ضلال الباطل وخذت نيرانه، وانقسم فقار البغي وانبتت أقرانه، وانقطع (۴) شره وتفرقت

(۱) في الأصل: يمينا... من على إغلاء الدين. (۲) في الأصل: تمت.

(۳) في الأصل: المنوى. (۴) في الأصل: انقطعت.

أعوانه ، وثلت عزوشه وانهدت أركانه .

وسير (١) الملوك حده أحمد بن المظفر الصليحي وعامر بن سليمان الزواحي إلى حصن مسار ، فقلوا من فيه من الحصار ، وحملوا إليه عدد المعازل ، واستصلحوا من حوله من القبائل . وساروا على وجهتهم تلك إلى ناحية بكيل ، وكانت شوكتهم تلك على المناذرة حديدة ، وصواتهم على الحاربة شديدة ، وشدتهم على الجلاب عتيدة ، وآمالهم في الضلال بعيدة . فأوقعا فيهم وقعة اعتبر بها من شابههم من المخالفين ، وتنكل بسببها من كان بعيد الإنابة من المعاندين . واتصل بابن عم الملوك في التعكر نأ هذه الوقائع المشهورة ، وعلو رايات المنصورة ، فقويت على قتال من تحت حصنه منته ، وأجمعت لزلهم عزمتهم . فواقعهم بنى أشرف (قرية من قرى المخلاف) ، وهم في جموع كثيرة ، وكراديس خيل كبيرة ، وأعداد جمة غفيرة ، من عبيد وفوارس وعشيرة ؛ فولوا عنه منهزمين ، وانقلبوا خائبين ، بنصر الله عز وجل ووليه أمير المؤمنين . ونجا أخوا العبد اللعين ، وانقلبوا مطرودين ، لا يلويان على أحد ولا يعرجان على حال ولا مال (٢) وقد عاد عزيزهم بقدره الله ذليلا ، وكثيرهم (٣) بنصر العزيز قليلا ، وجمعهم بعد القوة مهزوما مغلولا ، وأينما تقفوا أخذوا وقتلوا تقيلا . واتصل بالملوك وبالمؤمنين نأ هذا الفتح العظيم الذي ضع ركن الشرك وهذه ، وأعز دين الحق وأذل ضده ، فأكبر المؤمنون شكرا لله سبحانه وحده ، وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده .

فجد عزم الملوك بعد خيرة الله تعالى وخيرة وليه صلوات الله عليه على المسير للعبيد إلى مدينة زبيد ، حين علم أنه قد أصلح صنعاء وحاط أكنافها ، وحصن من الفساد مخلافها ، وهذب أشباحها وأطرافها ، وألزم الطاعة من ارتكب خلافها . واتفق عند مسيره وصول عمر [ان] بن الفضل الياي وحسين بن عمرو السنجاني ومنصور بن محمد (٤) الياي بجماعة كثيرة من العرب استصرخوا بهم للمملوك . فسار منها يوم الجمعة التاسع عشر من شهر صفر سنة ستين وأربع مئة ، وسار معه المؤمنون أجمعون غير من استخافه (٥) على صنعاء مع إسماعيل بن أبي يعفر (٦) رحمه الله تعالى . فورد مدينة زبيد يوم الاثنين التاسع والعشرين منه . وقد سبق النذير إلى العبد ، وألقاه الملوك صافا على باب الشارق (٧) أحدا أبواب المدينة ، قد نفخ الشيطان ريح الطغيان في أنفه ، وأراه الحياة في حتفه ، قد عصب برأسه من السكر تاجا ، ظن أن الله لا يستطيع له نزعاً ، ونجلبب من الجبروت بثوب لا يروم له ، ما عاش ، خلعا ، فقطع بالدابرة لنفسه على الله قطعا ، ولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكبر جمعا ، فداف (٨) إليه الملوك في جماعة من المؤمنين قاموا لله أنصارا ، واتخذوا الصبر شعارا . والله عز وجل جار المتمسكين بسبب الله الذي لا ينقطع من تمسك بسببه ، جائدين بأنفسهم في ابتغاء رضاه وطلبه ، وخوف سخطه وغضبه ، حنفاء لله غير مشركين . فلما ترائى الجمعان ، وتدانى الفريقان ، ماجت الصفوف ، وسالت الزخوف ، ولعت السيوف ، ووكفت الختوف ، وتزلزلت الأقدام ، وصال الحمام ، واغبر القتام ، وجنا القيام ، وتداعت الأبطال ، وتدانى الآجال ، وكسبت الرجال ، وانقطعت الآمال ، واحمر الحدق ، وفاض العرق ، وشخصت الأبصار ، وألمحت الشفار ، وطلبت الأوتار ، ونقم النار ، وأعوز

(١) في الأصل : وميز (٢) الأصل مضطرب . (٣) في الأصل : كثير .

(٤) في الأصل : عمر . (٥) مكشوفة في الأصل . (٦) بن جعفر في الأصل .

(٧) في الأصل : الشارق . (٨) في الأصل : فرأف .

الفرار ، فاطعنا بالرماح ، واضطربنا بالصفاح ، وتجاودنا بالأرواح ، وتدافعنا بالراح ، ودعونا نزال ، فأنزل الله سكينته على المؤمنين ، وأوقع الرعب في قلوب الكافرين ، « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » . وطلقت سيوف الحق تلتحمهم ، وأيدي المؤمنين تقنسمهم ، فزكروهم بين ضريح بدمه ، وهاو ليديه وفه ، وشارد لم ينجه سمي قدسه ، واندب لم ينتفع بندمه ، وطريح قد أنقضته الرماح المعديّة ، وجريح قد خذاته [ال]سيوف السننصرية ، ومعفور نطيح ، ومطعون جريح . قد عادوا فرصة لكل وائب ، وأكله لكل ناهب ، مصرعين مصارع أمثالهم الكافرين ، وواردين موارد أعمالهم حاسرين . قد قطع الله أوصالهم ، وبت من حبله (١) حبالهم . وسلط عليهم أوليائه ليبيدهم بعنادهم ، وحل بهم نكالهم « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم » . وقلت اللعين بمن معه وقد أذن الله قعه ، ورد كيده ودفعه ، وألبسه الخزي والعار ومن اتبعه بشلوا مأكول ، وجسم مبدول ، وجمع مفلول (٢) ، وعسكر مخنول . وكان سبب نجاته ، والموجب في ذلك لحياته ، أن المملوك جعل أكثر همته ، من كان في الدار من حرمة والد [ه] ، [أ]مة . ولأن أمير المؤمنين صلوات الله عليه عبدته ، فلم ينسج العبد أحدا ، ولا أزمع له طردا ، ولا أقام له في ذلك صدا ، فظلم المملوك إلى والدته بركة مولانا أمير المؤمنين وسعادة دعوته ، ونصر رايته ، وإقبال دولته . وعاد المملوك شاكر الله ولولايه ، صلوات الله عليه ، على الأهداه من النصر إليه ، وفتح له من الظفر على يديه ، حامدا له عز وجل على نصر أوليائه الأبرار ، وقتل أعدائه الفجار ، « والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار » . وبرز المملوك من الدار بوالدته والمؤمنات ، لأنه قد كان أحرقها بالنار ، على جماعة من الكفار ، لجأوا فيه إلى الحصار ، وغنم المملوك من الغنائم ما لا يمكن نفعه ولا يتأتى وصفه . وجعل العبد لا رحمه الله يدنو بمن بقى معه من المدينة وبيعته ، ويبرق بغير قوة بأس ويرعد ، ويقوم في غير عائلته ولا تأثير ويقعد ، يوم أنه انهزم عن المملوك قصدا ، وحاد عن لقائه عمدا ، وأنه قد أحل المملوك بحيلته سجنا ، ويظهر أنه قد امتلأ بذلك فرحا وقد ملأه الله حزنا ، وبرك في الإجلاب سهلا وحزنا ، والمملوك يسمع جمجمة ولا يرى طعنا . وأقام المملوك رسم الدعوة الهادية ، بمدينة زيد على العادة الجارية . وسار إلى العبد وهو على مسافة يوم والمساكر بالغنائم موقرة مثقلة ، وطريقهم بالأفقال والأفباء منتظمة متصلة ، فحين دنا منه المملوك راغ منه عنة ، وقصده حيث هو فراع يسرة .

وورد إلى المملوك كتاب وهو في تلك الحال من تخلفه بصنعا ، يذكر أن إسماعيل بن أبي يعفر رحمه الله برحمته وولاه أمير المؤمنين قد أشق على ضريحه ، وآنس من سلامة روحه ، وأن رجلا آخر ادعى النسب إلى ولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام والإمامة على رأيه ورأى من التلف إليه ممن يعتقد اعتقاد الحشوية وينتحل نحلة الزيدية ، ويدعى موالة أهل البيت عليهم السلام وهو لهم حرب ، ويعتري إلى شيعتهم وهو عليهم ألب ، اسمه قاسم بن جعفر قد جمع جموعا من أتباعه ودعائه ، واعتز بحلم الله وأمانته ، وادعى مراتب كته وآياته ، والله [أعلم] حيث يجعل رسالاته ، فبرى المملوك بعد خيرة الله تعالى وخيرة وليه صلوات الله عليه أن يصرف وجهه إلى أشدها عادية ، وأسترعها بادية ، وترك تفرا قد أذن بعلاجه إلى تفرا يخاف من افتتاحه ، فصار إلى صنعا قاصدا ، وحالفه العبد إلى زيد شاردا ، فقدم المملوك صنعا أول يوم في شهر

(١) في الأصل : صلة . (٢) في الأصل : مفلول .

ربيع الآخر سنة ستين وأربع مئة ، فحين استقر بها توفي إسماعيل بن أبي يعفر ، رحمه الله عليه برحة مولاة ، ورزقه برضا وليه رضاه ، وخلف المملوك بها عامر بن سليمان الزواحي ، وسار لقاسم بن جعفر الرسي ومن معه وهم يسيره لا يشعرون ، فدنا منهم والمؤمنون ، فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ، فأقام المملوك بناحيته أياما يصلح منها ما أفسده ، ويجمع من سبيل الطاعة ما بدده ، حتى استقام المائل ، وارتدع الجاهل ، وأطاع الخالع ، وسلم المانع . وعاد المملوك من هنالك إلى جبل حلان ، وهو معقل للعرب قديم ، وحصن يلجأون إليه عظيم ، فوجد أهل المغرب جميعا معتصمين فيه ، لازمين لصياصيه ، فحل المملوك لجوارهم ، وقصد إلى عقر دارهم ، فأوقع فيهم وقعة كانت قطعاً لأدبارهم ، وحسماً لآثارهم . وعاد المملوك إلى مدينة صنعاء ، وقد أكمد الأعداء ، وسر الأولياء ، وسكن الدهماء ، وحقق سفك الدماء ، فأقام بها ونهض أول يوم من جمادى الآخر إلى بلاد عنس وزبيد ويحصب ورعين ليصلحها إصلاحاً يأمع بعده الخلاف ، ويتقف أمرها ثقيفاً يبعد بعده الاختلاف ، فألقاهم بين متحصن في ذروة جبل صعب ، ومتوطن في واد ضيق المسلك أو شعب ، فأوقع فيهم وقعات عظيمة اشتدت بها النكابة فيهم ، وفاء من كان من أقاصيهم إلى الطاعة وأدانيهم . وأسر المملوك التبعي والسخطي والكلالي والحوالي واستوثق منهم بالأيمان العاصمة ، على الطاعة اللازمة ، وأقر من آمن بناحيته ، ولم يخش من نكبته ، وتابعيه على مثل حالته ، وهرب التبعي بعد عهوده وأذمته ، وإعطائه أكيد صفقته ، فلحق بالعبد وشيعته ، وتقدم المملوك إلى مخاليف جند . فلقبه ابن عمه بالتمكرك فقوى المملوك عضده ، وشديده ، وكثر عدده ، وأصلح له بلده . وعاد إلى صنعاء فدخلها في اليوم الخامس من شعبان ، والعبد في هذه الأشغال يستصرخ في السهول والجبال ، ويجمع حشود الخيل والرجال ، ويعد من معه من الأباطيل والمخاز . فكان [في] يوم من هذه الأيام من أبي السعود بن أسعد بن شهاب الصليحي ، وهو ابن خال المملوك ، غارة على العبيد المخاذيل (١) ، فقتل منهم رجالاً ، وصرع منهم أبطالا . فلم ير المملوك بعد خيرة الله وخيرة وليه صلوات الله عليه إلا أنه جد عزمه ، وأجمع همه ، على قصد العبد المخذول حيث استقر ، وأتباعه والضلال من أشياعه أينما مروا ومر ، حين لم يبق وراء المملوك ثغر ينفيه ، ولا أمر يخاف العاقبة فيه . فلما كان في يوم الخميس أول يوم من شهر رمضان ، نهض المملوك بأيمن طائر رآه ، ونهض عند إبطاعته لمولاة ، وشمر تشميرا رجاء أن يقبله وليه منه ويرضاه ، ويرفعه به إلى رتبة من اختاره واصطفاه . ويحبوه بأثرة ممن (٢) اختصه واجتباه ، فسار المملوك إلى زبيد قاصدا العبيد . وقد سبق النذير إليه قبل نهوض المملوك بأن المملوك عازم عليه ، فخرج اللعين من زبيد بمن معه لصنعاء بزعمه ، وأخذ ضربين الجبل مغترا بسخيف وهمه ، قد غره التبعي بفروره ، ووعدته بمواعيد زوره ، وأن العرب كلها (٣) تقبل بالطاعة والنصرة إليه ، وتسير إلى صنعاء لديه . وصح عند المملوك ذلك وهو بقرب مدينة زبيد ، فطوى المراحل ، وطبق المناهل ، سالكاً طريق الخلاف ، راكباً ظهر الإعناق والإيجاف ، يصل الأصيل بالغروب ، وينظم التهجير بالدهوب . لما أراد الله عز وجل ووليه صلوات الله عليه من لطف الصنع لأولياته ، ومن الهلاك لأعدائه ، بطوى الأخبار دونهم طيباً ، ويلوى أعناق الأنبياء عنهم ليا ، حتى كان يوم السبت السابع عشر من شهر رمضان ، ووقع أول العسكر المقصور على نقلهم فغنموه واتهبوه ، ومن وجدوا مع الأتقال من الرجال قتلوه وسلبوه . وجاء

(١) في الاصل: للمخاذيل . (٢) في الاصل: من . (٣) في الاصل: كما .

إلى العبد اللعين الخبير، فظن أنه عسكر ابن عم المملوك من التعكر، فلم يثن إليه وجهه استقلالاً، ولا رد إليه عزمه استخفافاً واستزدالاً. وتواترت الأخبار إلى المملوك من غير أصل أنه مضى هارباً بطريق (۱) صيد. غير الطريق إلى صنعاء، يريد تهامة، فأمر المملوك عامر ابن سليمان الزواحي وسبا بن أحمد الصليحي ومقدمات رجال الدعوة من جنب، عليهم مدافع ابن حسن الجنبي، وسنجان وعليهم حسين بن عمر [و] السنجاني، وحير وهمدان بالسير إليه في ليلة السبت من طريق أخرى ليقطعوا عليه. فلما أصبح المملوك بكرة يوم الأحد إذا وهو في جماعة دون ألفي راجل أو يزيدون ووراءهم خمسمائة فارس يندودون، ما يرى منهم غير العيون، صفوفهم زاحفة، وعقبانهم عاكفة، والأرض بهم راجفة، فجمع المملوك من بقى معه من المؤمنين وحرصهم على الجهاد، وأمرهم بالصبر والجلاد وحرصهم على الاستظهار والاستعداد، وأعلمهم أن الله سبحانه قد وفى لهم بالبيعة، وأوثق أعداءهم في موارد للهلاك والفقاد، «ولو تواعدتم لاختلفتم في البيعة» حين بصروا بالمملوك زحفوا زحفة الجلاد، وزأروا زئير الآساد، وجالوا على ظهور الجياد، فكانوا أطواداً على أطواد، فلم يكن إلا ريثماً دعى المملوك باسم موله مستعينا مستنجداً، متضرعاً إلى وليه صلوات الله عليه مستنصراً مستعداً، حتى لحق أولنا بأخرهم، فولوا شذر منذر (۲) عباديد طير، قد [ازدجت] بهم الشباب، وامتلأت منهم الرحاب، واتحمتهم سيوف الحق، واقتسمتهم أنصار الصدق، ومثلت منهم بطون الأودية، ومتون الأصفية، وظهور المغرب، ونجود المقارب. وتناولتهم أيدي الخوف بمواضى السيوف، فمنهاو من قبة جبل وعر، ومغشى عليه من شدة دعر، ومنطوحاً على صخرة صماء، يرتكس في حرة رجلاء، قد عادوا للسيوف جزراً، ولأولياء الله عبراً، دماؤهم جارية، وأجسادهم عارية، وديارهم خاوية، وأرواحهم في الجحيم هاوية، قد ذاقوا عاقبة مكرهم وخاتمة غدرهم، ذلك بما قدمت أيديهم، «وأن [الله] ليس بظلام للمبيد». وولى العبد اللعين يروم سلامة نفسه بعبه، وما علم أنه مونس عليه بحبال بغيه، يروم النجاة والله طالبه، ويحاول الفلت والله غالبه، قد أسلمه أعوانه، وأزله شيطانه. وأحاط به طغيانه، وأوثقه بهتانه. فلما أدركته سيوف الدين، وتناولته أيدي المؤمنين، وأحاطت عليه محيطات ضلاله، فأوثقته في مهاوى أعمائه، استكان ضارعا، واسترحم خاضعا، وجعل يعتصم بغير عصمة، ويستندم ولان حين ذمة، فوفاه الله ما اجرمه، ولفاه ما قدمه، ونشبت له المنية، وحلت به (۳) وانقضت أنفاسه. واحترأ رأسه، وعاد مقسماً بين أقسام ثلاثة: جثة مائلة للأبصار، ورأس يضاف به في الأمصار، وروح تهوى به إلى النار، عبرة للسامعين، وآية للناظرين، ونكالا للظالمين، وخبراً في القافرين. وقتل ممن معه من إخوانه أربعة. وأمر المملوك بإشاعة هذه الأخبار، وإذاعة هذا النبا السار، في كافة المدن والأمصار، وجميع النواحي والأقطار، وعاد المملوك من هناك إلى مدينة زبيد، فدخلها يوم العيد، بعد أن أقام بها الدعوة الهادية، على العادة الجارية. وسار يوم الثلاثاء رابع العيد إلى الشام ليستأصل شأفة من بقى منهم، فلم يزل يتبعهم ويفزروهم ويطردهم وتلوهم حتى أخرجهم إلى أقصى البلاد، وأبعدهم عن مطافهم (۴) والبلاد، وشقت الله شمنهم، وفرق جمعهم. وعاد المملوك فدخل زبيد يوم الجمعة الثالث عشر

(۱) في الأصل: طريق.

(۲) في الأصل: حيدر.

(۳) في الأصل: طافهم.

(۴) في الأصل: بهم.

من ذى القعدة وقد توطأت الأحوال ، وسكن الببال ، وفرت عيسون المؤمنين ، وسخت
عيون الملحدين ، فله الحمد أن صار (١) الدين إلى رب العالمين . ومن عجائب صنع الله سبحانه أن
جميع من قتل من المؤمنين ، واستشهد من أنصار الدين في هذه الوقائع أحد وثلاثون رجلا ،
منهم في وقعة زبيد ثلاثون ، وفي وقعة الشعر التي قتل فيها الأحمول رجل واحد لا غير . بسعادة مولانا
أمير المؤمنين صلوات الله عليه . وبمن دعوته ، وعز دولته ، لازالت دأمة السعادة ، باقية الزيادة .
وقد كان ورد من الحضرة القدسية أدام الله جلالها ، وحرس سعدتها ، وكبت ضدها
التشريف بالملطفات ، عن يد الأمير حسام الدولة نادر المستنصرى ، بما شد أزره وقواه ،
وجدد عزمه في جهاده عن دين مولاة . وقرأه على المؤمنين أجمعين ، وعلى والدته الساعية
في مصالح الدين ، فتسلى بما فيه من المواعظ النافعة السابغة ، والحكم الجليلة البالغة ، وأجاب
المؤمنون أمر مولاهم بالسمع والطاعة ، وبدلوا في نصره جهد الاستطاعة . والملوك يشكر
موصلها ، وحن سعيه في أداء أمانته ، وحرصه في الخوص برسالته ، ومخاطرته بمهجته ، يشق
الأعداء شقا ، ويخوص المتالف غربا وشرفا (٢) ، والله عز وجل يصفى (٣) عليه بما أطلعه من
نيتته سترا ، ويجعل له من كل عسر يسرا ، حتى ورد بما زاد القلوب مسرة ، وأهدى إلى
العيون قرة ، والملوك يسأل من مولاة ولى النعم ومعدن الكرم إمداده بدعائه ، المألوف من
معروفه المعروف بأن ينصره الله على أعدائه ، ويؤيده تحت ظل لوائه ، فبدعائه صلوات الله
عليه كشف الكرب ، وتسهيل كل صعب ، ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات قبله من مضى
بالغفو والرضوان ، ومن بقى منهم بالسعادة في ظل دعوة الإيمان ، والنصر على أعداء الرحمن ،
وأحزاب الشيطان ، لا أزال الله عن كافة الممالك ما مده عليهم من ظل مولاهم الظليل ،
ولا سلبهم ما قسم لهم من فضله العامر الجليل . فلولا علم الملوك تطلع الأولياء إلى ما يرد
من جزيرته من الأنباء لاختصر ما شرحه وقبض ما بسطه . ولرأى الحضرة ، حرس الله عزها
على الأيام ، وجعل علوها مقرونا بالدوام ، في تمهيد عذر الملوك بتطويله وإطنابه ، وبسطه وإسهابه ،
مزيد العلو . والملوك متطلع إلى ما يرد عليه من تشريفه بإعادة أجوبته . وإكمال سعادته بها
ومسرته ، ليفتبط بمزية جلالها ، ويجرر أذيال جلالها . وقد ورد المظلمات إلى الملوك ، عن يدي
أبى القاسم بن أبى النور وسجاح بن أبى العسكر ، فناله من الاغتياب بها والفرح بسببها ، ماجاوز
صفته ، وتعدى تحديده ومعرفته . وجمع من قبله من المؤمنات إذا كان يستنجد بها قوة قلب وعضد ،
وكثرة عز وعدد . ولم يحدث بعد ورودها أمر يجب المطالعة به فنيه ، ولا خير يفتنى تقديم
الإنهاء فيه . وقد كان ورد مملوك مولانا صلوات الله عليه ، الأمير حسام الدولة نادر المستنصرى ،
اليمين إلى الملوك وإلى الأجل الأوحى قدس الله لطيفه ، فوجد له خيرة شريفة لتربيته بالحرم النبوى ،
وخدمته بالموقف الأشرف الزكى . وصدرت على يده شفاعة مع مكاتبة . تفتضى السؤال له
في الارتقاء إلى أشرف الرتب وأعلى المحال (٤) ، فشرف لذلك السؤال بالتنقيب والتأمر

(١) فى الأصل : أنصار .

(٢) فى الأصل : شرقا وغربا . والتعديل يقتضيه سياق السجع .

(٣) فى الأصل : يصفى .

(٤) فى الأصل : للعال .

والتلقب ، والملوك يضرع إلى ولي أمره في أن يزداد مرتبة على ما تقدم من حاله ، وغير على أمثاله وأشكاله ، ليكون لسؤال الملوك تأثير ، كما (۱) لسؤال الملوك أبيه ، ونباهة تظهر لموضع تشفعه فيه ، ولولى الأمر صلوات الله أسنى (۲) الآراء وأمضاها ، وأعلى الأوامر وأقصاها . والملوك يرتقب الأجوبة الشريفة عن يده بما ينتهي إليه ، ويستكمل السرور بالوقوف عليه ، وعن أيدي سفرائه المقيمين تحت ظل الحضرة الطاهرة ، ضاعف الله أنوارها ، وأعلى منارها ، مقرونا بمراسمها العالية ، وأحكامها الماضية ، لازالت الأيام جارية بأرسامها ، متصرفة على مقتضى أحكامها . والملوك ينهى أن رسل داعى الهند عنده مقيمون ، كانوا في هذه الفتنة قد عادوا من بلدهم بالأجوبة عن التشريف الصادر إليهم من الحضرة ، قدسها الله ، عن يد الأجل الأوحى ، فأخذت الأجوبة والذكوات من أيديهم ، وكان مضمون الأجوبة السؤال في الإذن بالقيام وإظهار الدعوة بالقهر ، وأما باللسان فقد سبق لهم الإذن . والملوك لرغبته في انتشار أمر مولاه وعلو دعوته يسأل تشريفهم بكتاب يتضمن ما طالع به والإذن لهم في القيام بإظهار الدعوة جهرا . والله سبحانه يؤيدهم بتأييد وليهم وينصرهم على عدوهم .

والسلام على مولانا وسيدنا أحمد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ، عليه وعلى آبائه الطيبين الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين المتجيين ، أفضل الصلاة والتسليم . صدر غرة ذى الحجة سنة [إحدى] سنين وأربعمائة . والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي وعلى مولانا على بن أبي طالب وليه ووصى نبيه ، وعلى الأئمة من ذريته الطاهرين ، وسلامه عليهم أجمعين . حسبنا الله ونعم الوكيل .

(۱) في الأصل : كما لسؤال .
(۲) في الأصل : اسناء .

ملحق رقم ۷

سجل الخليفة المستنصر إلى الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي
(عيون الأخبار ۷/۱۵۱ - ۱۵۳) .

[الظاهر أن هذا السجل يبشر بميلاد أبي القاسم أحمد « الخليفة المستعلي » ، وذلك لأن تاريخ ميلاده أي سنة سبع وستين وأربع مئة يتفق مع التاريخ المعروف المجمع عليه . وأما السجل رقم ۶ الذي ورد في مجموعة السجلات المستنصرية فيختلف عن هذا السجل في محتوياته ، وفي اسم المرسل إليه ، وفي تاريخ ولادة المولود « أحمد أبي القاسم » . ولا يبقى لنا بعد هذا السجل ، الوارد في العيون ، إلا أن نعتبر ما جاء في السجل رقم ۶ من اسم المولود خطأ من الناسخ . وقد يكون مولوداً آخر غير المستعلي ، أراد المستنصر فيه إبلاغ خبر ميلاده إلى الملك علي بن محمد الصليحي . ويؤيد ذلك ما ورد في السجل رقم ۸ من بشرى ميلاد المحسن أبي الفضل في سنة ۵۵۸ ، وفي السجل رقم ۱۱ (المقصود به الجزء الأخير) من خبر ولادة ابنه الحسن أبي محمد . لذلك يمكننا أن نعتبر هذا السجل قد أرسله الخليفة ليوسف إلى الملك المكرم بشرى ميلاد أحمد أبي القاسم (المستعلي بالله) في سنة سبع وستين وأربع مئة - حسين الهمداني] .

وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه معد المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى الملك الأجل الأوحى المنصور العادل المكرم عمدة الخلافة تاج الدولة سيف الإمام المظفر في الدين نظام المؤمنين عماد الملة وغيث الأمة شرف الإيمان مؤيد الإسلام سلطان أمير المؤمنين وعميد جيوشه أبي الحسن أحمد بن الأجل الأوحى أمير الأمراء عمدة الخلافة أبي الحسن علي بن محمد الصليحي ، أدام الله ملكه وعلوه ، وكبت حاسده وعدوه .
سلام عليك . فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين .

أما بعد ، فالحمد لله موالى نعمه بحضرة أمير المؤمنين وآلائه ، ومظاهرها بالطاهرين النجباء من أبنائه ، ومظهر دينه على الدين كله بتكثير عدد أوليائه ، الذين هم دعائم بيت النبوة والرسالة ، ووسائل من ابتغى إلى ربه سبحانه بهم الوسالة . يحمده أمير المؤمنين أن زين سماء مجده بزهر النجوم ، فرجم بها الشياطين كل الرجوم ، ويسأله أن يصلي على جده المصطفى ، الشجر الطيب الزكي الذي هم أغصانه ، والجبل الشامخ العلى الذين هم أركانه ، محمد الفاخر به كل مفاخر ، والظاهر من نجس الشرك به كل طاهر ، والظافر منه بقائم النجاة كل ظافر ، وعلى

وصيه على بن أبي طالب ، الذي آتاه الله ما لم يؤت أحدا من العالمين من فضله ، فجعل ذرية الأنبياء
من نسلهم وذرية محمد من نبله ، وعلى الأئمة من ذريته بناييع العلوم والحلوم ، وحلة سر الله
المكتوم ، وتحقيق قوله سبحانه : « فلا أقسم بمواقع النجوم » .

وسجل أمير المؤمنين إليك : وقد وهب الله غلاما زكيا شديدا أزر الإمامة ، ودل على بقاء
كلمته في عقبه إلى يوم القيامة ، مولودا أصبح بمولده كوكب الهدى مضيئا مسفرا ، وعود التي
مورقا مشمرا . أكل الله بمطلعه المغام ، وجل بجولته المواسم ، سماه أحمد ، وكناه أبا القاسم ،
فالمسرة به نعم الدنيا والدين ، ونخص بحضرة أمير المؤمنين . والحمد لله الذي وهب له ذرية طيبة
يضول لهم برأفته الأعمار ، ويجعلهم لحرمة العمار ، ويقصم بأسهم الفجار ، ليكونوا كزراع
أخرج شطأه فأزره فاستغلف فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » .

وكانت ولادته في المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة في أسعد ساعة من ساعات الليل
والنهار وأصحها ، ليسرى الخير بمساعدة الأقدار ، وبمضاعفة العز والافتقار . آمحك أمير المؤمنين
بهذه البشرى لتأخذ بمحظك بها من السرور ، وتواصل لله تعالى ذكره الشكر على ما جدد
فيها من إحسانه الوفور . والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

ملحق رقم ٨

سجل الخليفة الأمر بأحكام الله إلى السيدة الملكة الحرة الصليحية

عيون الأخبار ٧ / ١٩٢ - ١٩٣

عمارة / كاي ١٠٠ - ١٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه الأمن ، المنصور ، أبي علي الأمر (١) بأحكام الله ، أمير المؤمنين ، إلى الحرة ، الملكة ، الطاهرة (٢) ، الزكية ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن ، عمدة الإسلام ، خالصة الإمام (٣) ، ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، عصمة المرشدين ، ولية أمير المؤمنين ، وكافلة أوليائها المؤمنين (٤) ، أدام الله تمكينها ونعمتها ، وأحسن توفيقها ومعونتها . سلام عليك . فإن أمير المؤمنين محمد إليك الله (٥) الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين (٦) وسلم تسليما .

أما بعد ، فإن نعم الله عند أمير المؤمنين لا تحصى بعد ، ولا تقف عند أمد (٧) ، ولا تنتهي إلى الإحاطة بها الظنون ، لكونها كالسحاب الذي كل ما انقضى منها سحاب أعقبه (٨) سحاب هتون . فهي كالشمس الساطعة الإشراق ، الدائمة الانتظام والاتساق ، والغيوث المتتابعة الاتصال ، المتوالية في الغدو والآصال ، ومن أشرفها (٩) لديه قدرا ، وأعظمها صيتا (١٠) ، وأسناها جلالا وفخرا ، الموهبة بما جرده الآن بأن رزقه مولودا زكيا رضيا (١١) مرضيا برا تقيا . وذلك في الليلة المصحة بيوم الرابع (١٢) من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة

(١) في رواية عمارة (عم) : وليه المنصور أبي علي الأمر .

(٢) عم : الملكة السيدة الرضية الطاهرة .

(٣) عم : خاصة الإمام .

(٤) عم : أوليائه الميامين .

(٥) عم : يحمد الله .

(٦) عم : المهديين .

(٧) عم : لا تحصى لها بعد ، ولا تقف عند أمد ولا حد .

(٨) عم : أعقبها .

(٩) عم : من أشرفها .

(١٠) عم : صيتا وذكرها .

(١١) رضيا ناقص في عم .

(١٢) عم : بيوم الأحد الرابع .

ارتاحت إلى طيب ذكره المنابر (۱) ، وتطلعت إلى مواهبه آمال كل باد وحاضر ، فأضاءت
بأنوار غرته (۲) وبهجته طاعة ظلم الدياجر ، وانتظمت به الدولة (۳) الزاهرة الفاطمية عقود
الفضائل (۴) والمفاخر ، استخرجه من سلالة النبوة كما يستخرج النور من النور ، ومنح أمير
المؤمنين منه ما (۵) قدح به (۶) زناد السرور . وسماه الطيب لطيب عنصره ، وكناه أبا القاسم
كنية جده نبي الهدى المستخرج جوهرة من جواهره . وأمير المؤمنين بشكر الله تعالى
على [ما] (۷) من به من اطلاعه كوكبا منيرا في سماء دولته ، وشهابا مضيئا في فلك جلاله (۸)
ورفته ، شكرا يقضى باستدامة نعمته ، وإدراج سحائب طوله ورأفته ، ويسأله أن يلقه فيه كنه
الآمال ، ويصل به جبل الإمامة ما اتصلت الأيام والليال (۹) ، ويجمعه عصمة للمسترشدين ،
وحجة على الجاحدين ، وغوثا للمضطربين (۱۰) ، وغيثا (۱۱) للمتجعين ، ووزرا للخائفين ،
وسعادة للعارفين ، لتنال الدنيا بسعادته أوفى حظوظها وقسمها ، وتصبح الأيام مفترقة عن ناجذ
مبسمها . ولكانك من حضرة أمير المؤمنين المكين ، ومملك عنده الذي ارتفع (۱۲) عن
المائت والقرين ، أشعرك هذه البشرية الجليل قدرها ، العظيم فخرها ، المنتشر صيتها وذكرها ،
لتأخذى من المسرة بها بأوفى نصيب ، وتذيهيها فيمن قبلك من الأولياء المؤمنين (۱۳) إذاعة
يتساوى (۱۴) بالمعرفة (۱۵) بها كل بعيد منهم (۱۶) وقريب ، لينتظم بها عقد السرور ،
ويتضوع عرفها تضوع المسند الرطب في البادين (۱۷) والحضور . فاعلمى هذا وأعلمى
به إن شاء الله .

والسلام عليك ورحمة الله (۱۸) . وكتب في اليوم المذكور (۱۹) . والمحمد لله وحده (۲۰)
وصلى الله على جدنا محمد رسوله وآله الطاهرين وسلم تسليما . حسبنا الله ونعم الوكيل (۲۱) .

ع

- | | |
|-----------------------------------|--------------------------------------|
| (۱) عم : أسرة المنابر . | (۲) عم : عزته . |
| (۳) عم : للدولة . | (۴) عم : المفاصل . |
| (۵) عم : بما . | (۶) به ناقص في عم . |
| (۷) كذا في عم . | (۸) عم : جلالته . |
| (۹) عم : الأيام بالليالي . | (۱۰) عم : عوننا للمضطربين . |
| (۱۱) عم : غوثا . | (۱۲) عم : ومملك الذي امتنع . |
| (۱۳) عم : من الأولياء والمستجيبين | (۱۴) كذا في عم ، وفي الأصل : تساوى . |
| (۱۵) عم : في المعرفة . | (۱۶) عم : منها . |
| (۱۷) في البادين : ناقص في عم . | |
| (۱۸) ناقصة في عم . | |
| (۱۹) عم : كتب بالتاريخ المذكور . | |
| (۲۰) ناقصة في عم . | |

(۲۱) وفي عم : وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وعلى آله الأئمة الطاهرين وسلم
وشرف وكرم إلى يوم الدين .

ملحق رقم ۹

عن وصية الملكة الحرّة الصليحية أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم

(عيون الأخبار ۷/ ۲۰۹ - ۲۲۰)

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين .
هذا ما أوصت به أمة الله تعالى وأمة أوليائه السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم ، وعهدت أنها
تحمد الله تعالى على آلائه المتواترة ونعمه الباطنة والظاهرة ، وتشهد أن لا إله إلا الله تعالى
مبدع المبدعات وخالق المخلوقات ، جل وعلا أن تناله صفة أوتدركة معرفة ، وأن الخلائق في قبضته ،
والأشياء صادرة عن أمره وإرادته ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لأمره ، وأنه العدل الذي
لا يجور ، والحكم الذي لا يحيف ، والصادق الذي لا يخاف ، وإلغو الذي لا يؤاخذ ، خالق
السموات والأرضين ، وإله الأولين والآخرين ، ذو الأسماء الحسنى والكلمات التامات صدقا
وعدلا ، وتشهد أن له ملائكة انتخبهم من بريته ، وانتخبهم للسفارة بينه وبين المصطفين من
أمته ، يسبحون الليل والنهار ولا يفترون ، ولا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم ، ولا يشفقون إلا لمن ارتضى ، وهم من خشيته مشفقون ، وتشهد أن الجنة حق ،
خلقها الله للمطيعين من بريته ، الخائفين من سطوته ، المؤمنين به المصدقين لوعده ، الموفين بعهده ،
المتبعين لرساله ، العاملين بمتضمن آياته وكتبه ، وتشهد أن النار حق ، أعدها الله لمن جحد أنبياءه
وخالف أوليائه ، وأنكر آياته وتعدي حدوده ، وألحد في سبيله وتمادى في غيه ، وأسرف في أمره
وأصر على كفره ، وأدبى معه سبحانه إليها آخر ، لا إله إلا هو ، تبارك وتعالى عما يقول الظالمون
علوا كبيرا ، وتشهد أن البعث حق وأن القيامة حق والحساب حق والصراط حق وأن الله
يبعث من في القبور ، ويحصل مافي الصدور ، وأن كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه
ترجعون ، وتشهد أن من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ، وتشهد
أن الله أرسل الأنبياء وبعث الرسل والأصفياء بكتب أنزلها وآيات فصلها رحمة لعباده وأما
لبلاده وإقامة للحجة وإيضاحا للمحجة ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا
حكما ، جعلهم أسبابا للنجاة من الضلال ، وعزى وثيقة لمن تمسك بهم في المبدأ والمآل ، لا تفرق
بين أحد من رسله وأنبيائه ، ولا تجحد واحدا من خلفائه وأوليائه ، وتشهد أن أشرف
الأنبياء عند الله قدرا وأعظمهم خطرا وأجلهم مكانا وأسنامهم شأننا هو النبي العربي
الهاشمي الأبطحي والسيد الأواه محمد بن عبد الله صلى الله وملائكته عليه وعلى آبائه الطاهرين
وأبنائه الأكرمين صلاة متصلة إلى يوم الدين ، وتشهد أن الله عز وجل اختصه بالاصطفاء
وختم به عدة الرسل والأنبياء ، بعثه إلى أمة قد غلب عليها الخبال ، واستولى عليها الضلال ،
واستحوذ عليها الهوى ، وغاب عنها الهدى ، فصعد بأمر الله جامدا ، وقام بنصرة الحق
جامدا ، فطم الأوثان ، وأخذ بيوت النيران ، وأظهر أمر الله وهم كارهون ، وتشهد أن

أمير المؤمنين عليا بن أبي طالب صلوات الله عليه وصبه والخليفة من بعده ، نصبه عن أمر الله سبحانه يوم الغدير ، وأحله منه في ذلك المقام محل الظهير والوزير ، وجعله لدينه قاضيا ، وعلى أمته واليا ، ففضى صلى الله عليه دينه ، وأحسن في الأمة تدييره ، وحذا حذو رسول الله في سيرته ، وقام مقامه في إحياء سنته ، وتشهد أن فاطمة البتول الزهراء ، الإنسية الحوراء ، خامسة أصحاب البكساء ، والدوحة المباركة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، لا ينجد حقها إلا مارف ، ولا ينكر شرفها إلا منافق ، وتشهد أن ولدها الحسن بن علي مفترض الطاعة بالنصر الجلي من جده وأبيه ، وأنه مستودع مرتبة الحسين بن علي أخيه ، وأن الحسين بن علي تلوه في أمر الإمامة ، وأن الكلمة باقية في عقبه إلى يوم القيامة ، وتشهد أن الأئمة الطاهرين من ذرية الحسين بن علي قرناء القرآن وحجج الرحمن ، وأنهم نجوم أهل الأرض والدين بهم يقتدون ، وبعلمهم الواضحة يهتدون ، وأن الأول منهم ينص على الآخر ، والماضي منهم يشير إلى الغابر ، « سنة الله التي قد خلت من قبل ولن نجد لسنة الله تحويلا ، وأن ذلك النص بتأييد الله وأمره لما سبق في سابق علمه اختيارا وانتجابا واصطفاء وانتخابا ، وأن أول الأئمة بعد الحسين بن علي صلوات الله عليه زين العابدين علي بن الحسين ، ثم باقر علم الدين محمد ابن علي ، ثم الصادق الأمين جعفر بن محمد ، ثم الكلمة الباقية في عقبه إلى يوم الدين إسماعيل ابن جعفر ، ثم ذو الشرف الأصيل الإمام الحق محمد بن إسماعيل ، ثم الأئمة الثلاثة المستورون خوف أعداء الله الظالمين ، ثم الإمام المهدي بالله ، ثم الإمام القائم بأمر الله ، ثم الإمام المنصور بنصر الله ، ثم الإمام المعز لدين الله ، ثم الإمام العزيز بالله ، ثم الإمام الحاكم بأمر الله ، ثم الإمام الظاهر لإعزاز دين الله ، ثم الإمام المستنصر بالله ، ثم الإمام المستعلي بالله ، ثم الإمام الأمر بأحكام الله ، ثم الإمام الضيق أبو القاسم أمير المؤمنين نجل الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله وبركاته وتحياته وكراماته عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين .

على ذلك عاشت وعليه تموت وعليه تبعث وبه تلقى الله . وأوصت به من بعدها وبتقوى الله تبارك وتعالى وإيثار طاعته وبما أوصى إبراهيم نبيه ويعقوب : « يا بني إن الله اصطفى لك الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » . وأوصت ، متى حدث بها حدث الموت ، الذي جعله الله حتما على عباده وساوى بين القوى والضعيف والمشروف والشريف ، عدلا في قضيته ، ونفاذا لحكمه في برئته ، أخرج عنها من جميع تركتها جميع الأشياء المسلمة الموصوفة في هذا الكتاب ، وهي الأشياء التي :

منها عصابة ذهب كبيرة مفصصة واسطتها ياقوتة حمراء ، ويليها من يمين ويسار درمان ، ويليها ياقوتتان زرقاوان ، ويلي هاتين درتان لطيفتان ، ويلي هاتين فصا ياقوت أحمران ، وينيها في الضرفين أيضا درتان لطيفتان يحيط بالجميع من ذلك خيطا لؤلؤ ، أحدهما لؤلؤه لؤلؤ لطيف عدده مائتا حبة واحدة ، والآخر لؤلؤه لؤلؤ كبير عدده مائتا لؤلؤة ولؤلؤتان ، وزن جميع ذلك سبعون مثقالا .

ومنها عصابة ذهب بيضاء ، فيها مائة حبة لؤلؤ وست وعشرون حبة لؤلؤ مفصصة ، واسطتها لؤلؤة لطيفة ، وينيها من يمين ويسار فصان أحمران ، ويلي هذين الفصين فصوس حمر وزرق وخضر ، وزن الجميع من ذلك ثلاثة وأربعون مثقالا .

ومنها عصابة ذهب أيضا منجمة بلؤلؤ ، فيها واسطتها فص ياقوت أزرق ، وثلاثة فصوس

عن يمينه ويساره ، حتى انتهى إلى فصين أخضرين في الطرفين ، عدد أولؤه مائة لأولؤة واحدة
واثنتان وثلاثون أولؤة . وزن الجميع من ذلك تسعة وثلاثون مثقالا .

ومنها عصاة ذهب أيضا مفصصة بفصوص منجمة بنؤؤؤ قد انقطع من فصوصها فص ، عدد
لؤلؤها مائة لأولؤة واحدة وست وعشرون لؤلؤة ، وزن الجميع من ذلك ثمانية وثلاثون
مثقالا .

ومنها قبلة لؤلؤ ، عدد أولؤها مائة أولؤة واحدة ، وتسع عشره لؤلؤة بفرائد ذهب ،
وزن الجميع منها أحد عشر مثقالا .

ومنها ست وتسعون درة ، من جملة ذلك عشرون درة علامية ، وإحدى وتسعون فريدة
ذهب ، وزن الجميع من ذلك أربعة وثلاثون مثقالا .

ومنها ست عشرة ضبة بفرائد ذهب ، وخيوط ذهب عدد أولؤها مائتا أولؤة وثمان
وأربعون أولؤة ، وزن جميع ذلك ثلاثة وثلاثون مثقالا ونصف مثقال .

ومنها اثنان وعشرون لوح ذهب ولاجستان في الجميع من ذلك مائة حبة واحدة ،
وثمان وتسعون حبة أولؤ بفرائد ذهب ، وزن جميع ذلك خمسون مثقالا .

ومنها ثلاث وعشرون ضبة أيضا بفرائد ذهب مفكن بخرز أخضر ، عدد اللؤلؤ الأثمان
وثمان وستون لؤلؤة ، وزن جميع ذلك أربعة وعشرون مثقالا .

ومنها أربعة أزواج أفلال ذهب ولؤلؤ ثمان وثمانون لؤلؤة ، وزن جميع ذلك عشرون
مثقالا ونصف مثقال .

ومنها تركبتان لؤلؤ ، فيها ثمان حبات لؤلؤ ، في أحدهما حبة ياقوت حمراء وفي الآخر
حجر بلخس أحمر ، الوزن لجميع ذلك أربعة مثاقيل إلا ربع مثقال .

ومنها زوج مداري ، فيه عشرة ألواح ذهب ، وهلال ذهب ، ورباعية ذهب ، ولؤلؤ
عدده ألبا أولؤة وتسعمائة لؤلؤة وثمان وثمانون لؤلؤة ، وزن الجميع من ذلك مائة مثقال
وواحد وتسعون مثقالا .

ومنها زوج شماريخ لؤلؤ أيضا ، فيه عشرة خيوط لؤلؤ ، وأربعة ألواح ذهب ،
وست رباعيات ذهب ، وخرصا ذهب وثلاثة مناوط ، وزن جميع ذلك اثنان وستون مثقالا
ونصف مثقال .

ومنها زوج شماريخ لؤلؤ أيضا ، عشرة خيوط ذهب مدار عليها لؤلؤ ، وعشرة مناوط ،
وعشرة ألواح ذهب ، في أطراف المناوط حب ياقوت اطاف ما بين أزرق وأصفر ، وزن
جميع ذلك مائة مثقال واحدة ، وأحد عشر مثقالا .

ومنها زوج شماريخ أيضا ، فيه ثمانية خيوط لؤلؤ ، وعشر رباعيات ذهب ، وخرصا ذهب
فيهما خيطا قطن مجدولان ، وزن جميع ذلك خمسة وأربعون مثقالا .

ومنها ذببتان لؤلؤ ، فيهما اثنا عشر منوطا ، وزن الجميع ثمانية وسبعون مثقالا ونصف .

ومنها جديدة فيها عقود ، الأول منها عقد وأسضته ياقوتة صفراء ، ويليهما فريدتا ذهب ،

وفيه أربع بيوت لؤلؤ في كل بيت سبعة خيوط ، وفي طرفيه ياقوتتان زرقاوان بفرائد ذهب ،
والثاني خرز لؤلؤ واسطته ياقوتة زرقاء ، والثالث عقد واسطته ياقوتة صفراء ويلبها من عيين
ويسار زمردتان خضراوان وأربع فرائد ذهب ، وفيه أربع بيوت في كل بيت سبعة خيوط
لؤلؤ ، والرابع خرز لؤلؤ واسطته ياقوتة زرقاء ، والخامس عقد واسطته ياقوتة صفراء
ويلبها من عيين ويسار في الطرفين زمردتان خضراوان وفيه أربع بيوت في كل بيت تسعة خيوط
لؤلؤ ، والسادس خرز لؤلؤ واسطته ياقوتة زرقاء بفريدي ذهب . والسابع عقد واسطته
ياقوتة صفراء ، ويلبها من عيين ويسار ياقوتتان صفراوان وفريديتا ذهب ، وفيه واسطة
زمردة خضراء ، وفي جرباني الجديدة ثمان خيوط لؤلؤ ، في كل طرف أربع خيوط برابعتها ،
وزن الجميع من ذلك مائتا مثقال وخمسة وثلاثون مثقالا .

ومنها خمسة قاري لؤلؤ مضموم بعضها إلى بعض : الأول منها قري لؤلؤ واسطته
زمردة خضراء ، ويلبها في الطرفين من عيين ويسار ، ياقوتتان حمراوان . وفيه سبعة وأربعون
لؤلؤة . والثاني قري لؤلؤ واسطته ياقوتة حمراء ، ويلبها من الطرفين عن عيين ويسار ياقوتتان
زرقاوان ، وست فرائد ذهب ، وفيه ثلاث وخمسون لؤلؤة . والثالث قري لؤلؤ واسطته
زمردة خضراء ، ويلبها في الطرفين عن عيين وشمال حجرا بلخش أحمران ، فيه أربع وخمسون
لؤلؤة . والرابع قري لؤلؤ واسطته ياقوتة حمراء ، يلبها من عيين ويسار ست فرائد ذهب ،
فيه خمس وخمسون لؤلؤة ، والخامس قري لؤلؤ واسطته زمردة خضراء ، ويلبها في الطرفين
عن عيين ويسار حجرا بلخش أحمران وست فرائد ذهب ، فيه خمس وخمسون لؤلؤة . وزن
جميع ذلك سبعة عشر مثقالا .

ومنها ست قاري : الأول قري لؤلؤ واسطته ياقوتة حمراء ، ويلبها عن عيينها ويسارها
في الطرفين زمردتان خضراوان وست فرائد ذهب . فيه اثنتان وثلاثون حبة لؤلؤ . الثاني قري
لؤلؤ واسطته حجر بلخش أحمر ويلبها في الطرفين عن عيين ويسار ياقوتتان زرقاوان وست
فرائد ذهب فيه ثلاث وثلاثون حبة لؤلؤ . والثالث قري لؤلؤ واسطته ياقوتة صفراء ويلبها
في الطرفين عن عيين ويسار ياقوتتان صفراوان وسبع فرائد ذهب ، وثلاثون حبة لؤلؤ . الرابع
قري لؤلؤ واسطته ياقوتة صفراء ويلبها في الطرفين عن عيين ويسار زمردتان خضراوان وست
فرائد ذهب فيه اثنتان وثلاثون حبة لؤلؤ . الخامس قري لؤلؤ واسطته زمردة خضراء
ويلبها في الطرفين عن عيين ويسار حجر بلخش وثمان فرائد ذهب فيه سبع وثلاثون حبة
لؤلؤ . السادس قري لؤلؤ واسطته ياقوتة صفراء ويلبها في الطرفين عن عيين ويسار ياقوتتان
صفراوان فيه خمسون حبة لؤلؤ . وزن الجميع من ذلك ستة وعشرون مثقالا وربيع .

ومنها تسعة قاري لؤلؤ أيضا : الأول واسطته زمردة خضراء بفريدي ذهب . الثاني واسطته
ياقوتة زرقاء بفريدي ذهب . الثالث واسطته حجر بلخش أحمر بفريدي ذهب . الرابع واسطته
زمردة خضراء بفريدي ذهب . الخامس واسطته حجر بلخش بفريدي ذهب . السادس واسطته
زمردة خضراء بفريدي ذهب . السابع واسطته حجر بلخش أحمر بفريدي ذهب . الثامن واسطته
حجر خضراء بفريدي ذهب . التاسع واسطته حجر صفراء بفريدي ذهب . وزن الجميع تسع
عشرة مثقالا .

ومنها لازمالؤلؤ ، في أحدها تسعة ألواح ذهب ، وفي الآخر سبعة ألواح ذهب وزنها
اثنتان وعشرون مثقالا .

ومنها لازم لؤلؤ أيضا فيه ثمانية عشر لوح ذهب منظمة بلؤلؤ ، وزنه ستة عشر مثقالا .

ومنها دملجا لؤلؤ برأسي ذهب ، وزنها اثنان وخمسون مثقالا .

ومنها اثنا عشر سوار برءوس ذهب ، وزنها مائة مثقال واحدة وستة وخمسون مثقالا .

ومنها خلخال لؤلؤ برأسي ذهب ، وزنها ثمانية وتسعون مثقالا .

ومنها شبكة إريشم منظومة بلؤلؤ مكلفة بأهالة ذهب . وزنها مائة مثقال واحدة

وثلاثة مثاقيل .

ومنها لازم لؤلؤ ساذج فيه ياقوتة حمراء صغيرة ، وزنه ثلاثة عشر مثقالا إلا

ربيع مثقال .

ومنها لازم لؤلؤ أيضا فيه ثمانية ألواح ذهب ، وزنه خمسة مثاقيل .

ومنها شيالا لؤلؤ فيهما أربع جدائل ذهب وجديلتا ذهب ، وزن الجميع أربعة

وعشرون مثقالا .

ومنها تاج ذهب مرصع بيواقيت ملونة ودرر مختلفة ، وزنه مائة مثقال واحدة

وثمانية مثاقيل .

ومنها تسعة أسورة ذهب مزروعة .

ومنها عشرة أسورة ذهب مفتولة ، وزنها مائتا مثقال واثنان وتسعة مثاقيل .

ومنها سوارا ذهب لطيفان مزروعان ، وزنها ثمانية عشر مثقالا ونصف وربع .

ومنها زوجا خوص ذهب ، وفرد سوار ذهب مفصص بفصوص ملونة ، وزن الجميع ثلاثة

وسبعون مثقالا .

ومنها خوصتا ذهب ، وزنها ثلاثون مثقالا .

ومنها دملجا ذهب ، وزنها مائتا مثقال .

ومنها أربع عشرة دقة ذهب : الأولى منها فاقلية بفرائد ، الثانية بار ذهب ، والثالثة دقة

ذهب مشبكة ، واسطتها ياقوتة حمراء بأربع فرائد ذهب وأؤلؤة فيما بينهما ، والرابعة دقة ذهب

سفرجلية ، الخامسة والسادسة دقتا ذهب متداخلتان ، السابعة دقة ذهب حسكية بفرائد ، الثامنة

دقة ذهب فاقلية دقيقة ، التاسعة دقة ذهب حسكية بفرائد ، العاشرة دقة ذهب عمل الهند

في طرفيها خمس عشرة حبة لؤلؤ ، الحادية عشرة دقة ذهب حسكية بفرائد ذهب أيضا ،

الثانية عشرة دقة سفرجلية بفرائد . الثالثة عشرة والرابعة عشرة دقتا ذهب أخريان . وزن

الجميع من ذلك ثلاثة وثمانون مثقالا .

ومنها ست عشرة دقة ذهب أيضا يضمها جربان (١) حرير ، في طرفي الجربان أربعة خيوط

(١) جربان القميص والدرع : جيبه ، وقد يقال بالضم ، وهو بالفارسية كريبان . وجربان

القميص ليثته فارسي معرب . وفي حديث قرعة المزني : أتيت النبي (صلى الله عليه وسلم) فأدخلت يدي

في جربانه . الجربان بالضم هو جيب القميص (ل/جرب) .

لؤلؤ في طرف كل خيط رباعي ذهب . الأول من ذلك قرى لؤلؤ بواسطة ياقوتة صفراء وثمان
فرائد ذهب وأربع يواقيت صفر فيه أربع وعشرون حبة لؤلؤ ، ويتلوه مار ذهب ، ويتلوها
دقة حسكية ذهب بفرائد ، ويتلوها دقة ذهب قاقلية بفرائد ، ويتلوها دقة ذهب قاقلية أيضا ،
ويتلوها دقة ذهب مشبكة فيها ثمان عشرة حبة لؤلؤ واسطته ياقوت أحمر وأربع فرائد ذهب ،
ويتلوها مار ذهب ، ويتلوها دقة ذهب قاقلية أيضا . ويتلوها دقة ذهب مشرة ، ويتلوها دقة
ذهب حسكية فيها واسطة ياقوتة صفراء وإحدى عشرة حبة لؤلؤ ، ويتلوها دقة ذهب مداخلة
عمل الهند ويتلوها أيضا دقة مداخلة عمل الهند ، ويتلوها دقة ذهب مشبكة بواسطة زمرد ، ويتلوها
دقة ذهب قاقلية ، ويتلوها دقة ذهب مئمة . وزن الجميع من ذلك مائة مثقال وثمانية وأربعون
مثقالا باجران .

ومنها ست دقق أيضا : الأولى منها دقة ذهب مشبكة واسطتها ياقوتة زرقاء ، وفيها ثمان
حبات لؤلؤ وأربع فرائد ذهب وثمان حبات لؤلؤ ، ويتلوها مار ذهب ، ويتلوه دقة ذهب قاقلية
بفرائد . ويتلوها دقة ذهب حسكية بفرائد ، ويتلوها لازم ذهب فيه أحد عشر لوح ذهب في كل
لوح حبة لؤلؤ . وزن الجميع من ذلك ثلاثة وخمسون مثقالا .

ومنها ثمان دقق صفراء : الأولى منها دقة ذهب مشبكة بواسطة حجر بلخس حمراء وثمان
حبات لؤلؤ وأربع فرائد ذهب . والثانية دقة ذهب مشبكة بواسطة خضراء وثمان حبات لؤلؤ
وأربع فرائد ذهب وفي الطرفين ثمان لآلي ، والثالثة دقة ذهب حسكية بفرائد . والرابعة دقة
ذهب بفرائد ، والخامسة دقة ذهب مشبكة في الطرفين منها سبع حبات لؤلؤ . السادسة مار
ذهب . السابعة دقة ذهب قاقلية في طرفها حبتا لؤلؤ . الثامنة مار ذهب . الوزن من ذلك
سعة عشر مثقالا .

ومنها ثلاثة لوازم ذهب دخية . وزنها خمسة وثلاثين مثقالا .

ومنها عشرة خواتيم ذهب : منها أربع بفصوص ياقوت زرق ، ومنها اثنتان بفصى ياقوت
أحمرين إحداهما مصراي ، ومنها اثنتان بفصى ياقوت أصفر مصرايتين ، ومنها اثنتان إحداهما
بفصى ياقوت أصفر مربع ، والأخرى بفصى ياقوت أحمر مربع .

ومنها حلقنا ذهب إحداهما بفصى ياقوت أحمر بهرمان ، والأخرى بفصى ياقوت
أزرق مربع .

ومنها حلقنا ذهب إحداهما بفصى عين الهر مدور ، والأخرى بفصى أزرق .

ومنها ثلاث حقايق صفراء : إحداهما بفصى ياقوت أحمر لطيف ، والثانية بفصى ياقوت أزرق
مربع ، والثالثة بفصى بقران .

ومنها خاتم عمل الهند بفصى ياقوت أحمر صغير ويطيف به فصوص ما بين صفراء (١) ، ووزن الجميع
من ذلك مائة مثقال واحدة وخمسون مثقالا .

ومنها ثلاث خواتيم ذهب أيضا : إحداهما بفصى ياقوت مربع أصفر . والثانية بفصى أحمر

(١) كذا في الأصل ، ولعلها : ما بين صفراء وكبار .

مربع . والثالثة بفس أخضر مربع . وزن الجميع من ذلك اثنان وعشرون مثقالا .
ومنها اثنان وعشرون رباعية ذهب ممرأة وخمسة مفاتيح ذهب لطف . وزن الجميع
أربعة وعشرون مثقالا .

ومنها خلخال ذهب ، وزنها خمسمائة مثقال .

ومنها مار ذهب ، وزنه ثلاثة عشر مثقالا .

ومنها فص ياقوت أصفر مصرائى ، وزنه ثلاثة مثاقيل وربيع مثقال .

ومنها فص ياقوت أزرق مصرائى أيضا ، وزنه مثقال واحد وسدس وثلاث ثمن مثقال .

ومنها حبة ياقوت زرقاء مستديرة ، وزنها مثقالان وربيع .

ومنها حبة ياقوت زرقاء علامية ، وزنها مثقال واحد وسدس مثقال .

ومنها حق صغير فسه فيه علامة شريفة .

ومنها عقد أيضا واسطته ياقوتة صفراء ، ويلبها من جنبها ياقوتتان زرقاوان بست فرائد
ذهب ، وفيه أربع بيوت في كل بيت أربعة خيوط لؤلؤ عددا للؤلؤ مائة واحدة وثمان وعشرون
لؤلؤة ، وفي طرفيه خرزتا مرجان حراوان . وزن الجميع من ذلك تسعة وعشرون مثقالا
ونصف وربيع .

* * *

ويقول صاحب العيون (۱۸/۷ — ۲۲۰) نقلا عن مصدر معاصر لم يذكره :
أخرجت الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن ،
عمدة الإسلام ، خالصة الإمام ، ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ، عصمة المسترشدين ، كهف
المستجيبين ، ولى أمير المؤمنين ، وكافلة أوليائه الميامين ، السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم
الصلحى ، مد الله في عمرها ، جميع هذه الأشياء المسماة الموصوفة في هذا الكتاب بعد عينها .
وقد عاينها شهود هذا الكتاب وقت وقوع هذه الشهادة ، عن الحرة الملكة السيدة الرضية
ولية أمير المؤمنين ، السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم الصلحى ، أنسا الله في أجلها ، قربانا
تقربت به إلى ولي الله الإمام الطيب أبى القاسم أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آباءه
الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، لما ترجوه من ثواب الله ، وتأملاه من رضوانه ، والزلفة لديه ، ولأن
تكون يوم الفرغ الأكبر من الأمنين ، «يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم» .
وجعلت الحرة الملكة السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم ، أنسا الله في أجلها ، ولى
وصيتها هذه ، والقائم بها والمنفذ لها بعد غيبتها ، السلطان الأجل أحمد بن أبى الحسين بن إبراهيم
ابن محمد الصلحى ، أدام الله عمره ، وأسندتها إليه ، وحملته في ذلك عهد الله سبحانه
وعهد رسوله وعهد وليه ، وقلدته فيها أمانة الله عز وجل ، التى عرضها على السموات
والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ، أنه إذا حدث فيها حدث الموت واستأثر الله بها ونقلها
من محل الفناء إلى محل البقاء ، أن يتولى إمضاء هذه الوصية والإنفاذ بها صحبة رجل عدل من
المسلمين ثقة مأمون ، يوصلها بحملتها على ما سمت ونعتت ووزنت إلى باب ولى الله المذكور
صلوات الله عليه ، لى من يخرج الأمر المطاع الإمامى أعلاه الله بقبض ذلك منه ، ويأخذ هذا
العدل المأمون بحملتها إلى الباب الطاهر الإمامى صلوات الله عليه ، الحظ الشريف الإمامى ، بوصول

جميع ذلك مما هو مذكور في هذا الكتاب، ويستمر الدعاء لها، والترحم عليها. وقبل السلطان الأجل أحمد بن أبي الحسن بن إبراهيم بن محمد الصليحي أدام الله عزه ما أسند إليه في هذا الكتاب. وصار ذلك أمانة في رقبته، وميثاقا في عنقه، لا يفكه منه إلا الإفاذ بجميع ما ذكر في هذا الكتاب إلى باب ولي الله المذكور صلوات الله عليه.

وحرمت الحرة الملكة السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي، طول الله في عمرها، وصيتها هذه أن تغير عما ذكرته في كتابها هذا أو تبدل أو تنقص أو تحول عما شرطته في كتابها هذا، بما حرم الله به دماء المسلمين وأموالهم وصدقاتهم، وبما حرم الله به الكعبة البيت الحرام. « فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم ». ومن سعى في إبطال هذه الوصية أو في شيء منها أو تأول في بعضها أو في شيء منها بغامض علم أو لطيف مدخل أو خفي حيلة، أو عمل في شيء منها بتبديل أو تحويل أو أشار إلى غشلة عنها أو نهاون في التوجيه بها، « فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ».

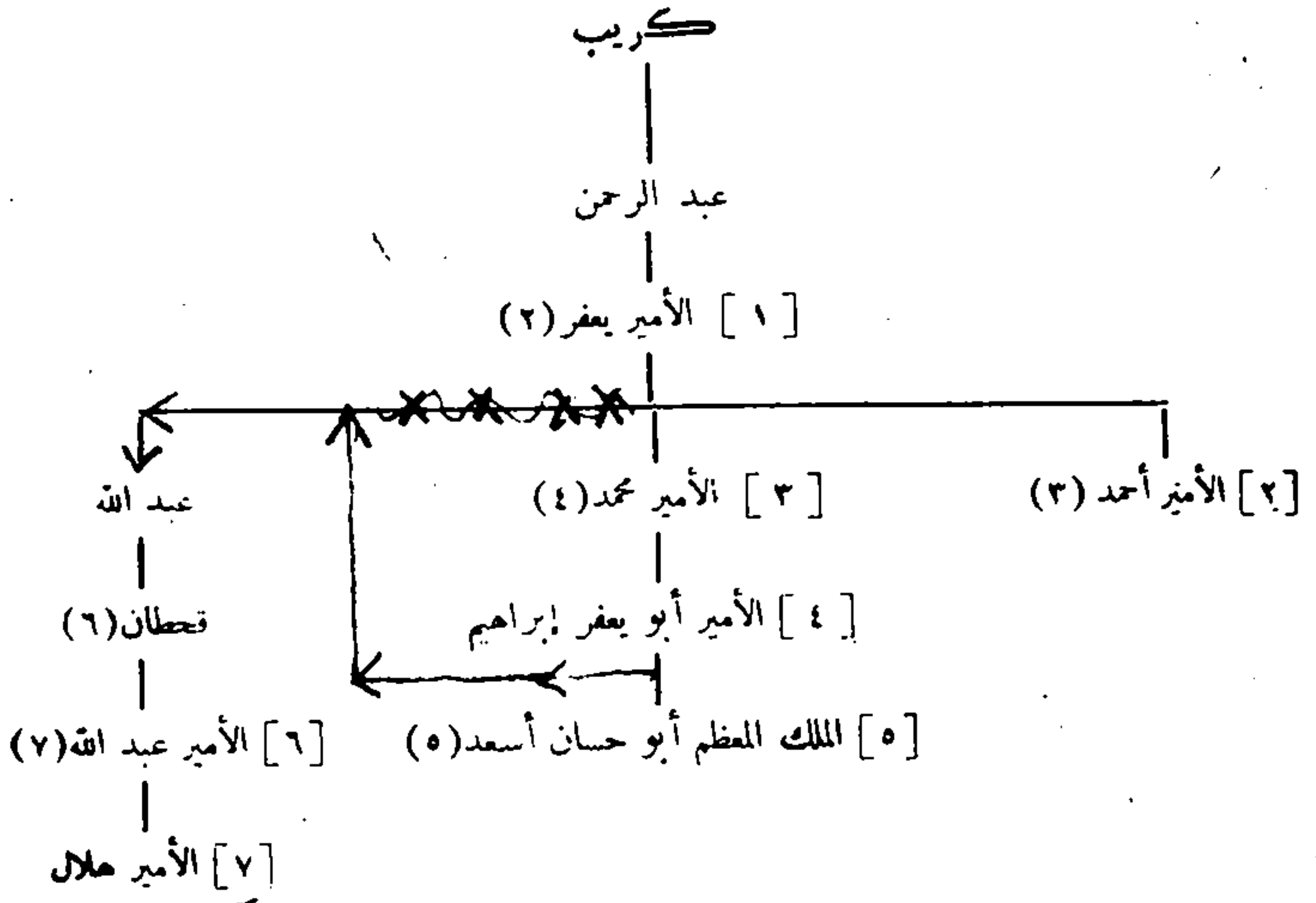
شهد على إقرار الملكة الحرة.. بما في هذا الكتاب، على ما كتب فيه ونسب، وعلى إلزامها ذلك نفسها، في صحة منها وجواز أمر، جميع من حضرها من الشهود، وذلك بعد أن قرئ عليها هذا الكتاب من أوله إلى آخره، فأقرت بفهم ذلك جميعه ومعرفة، وإتقانه، وألزمت نفسها ما أقرت به من ذلك.

وقد عاين هذا الكتاب شهود في غرة رجب من سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، وهؤلاء الشهود هم: إسماعيل بن عبد الله بن عمرو الصحالي وكتب عنه بأمره وحضره، ومحمد بن علي بن عبد الله بن محمد الهندي وكتب بخطه، وسبا بن أحمد بن شهيد بن محمد وكتب بخطه، وحاتم بن علي بن حاتم وكتب بخطه. والحمد لله وحده، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد نبيه، وعلى أهل بيته الأئمة الظاهرين الهداة المهديين وسلم تسليما.

قسم الجداول

(جدول رقم ١)

آل يُعْفِر الحوَالِي الحميري (١)



- (١) يعفر بضم الياء وكسر الفاء، وفي غير حمير يعفر بفتح الياء وضم الفاء مثل يشكر، كما رواه أبو محمد الهمداني في باب المشتبه من الإكليل ٦٠٧ و ٦٤٨.
- (٢) أول من تولى الإمارة سنة ٢١٤ (إكليل ج ٢).
- (٣) تنازل (نفسه).
- (٤) قتل سنة ٢٧٠ (نفسه).
- (٥) توفي سنة ٣٣٣ (نفسه).
- (٦) تزوج بعمادة بنت علي بن الفضل الجدني الجيشاني.
- (٧) قام بالدعوة الفاطمية، وغزا زبيد سنة ٣٧٩، وتوفي سنة ٣٨٧.

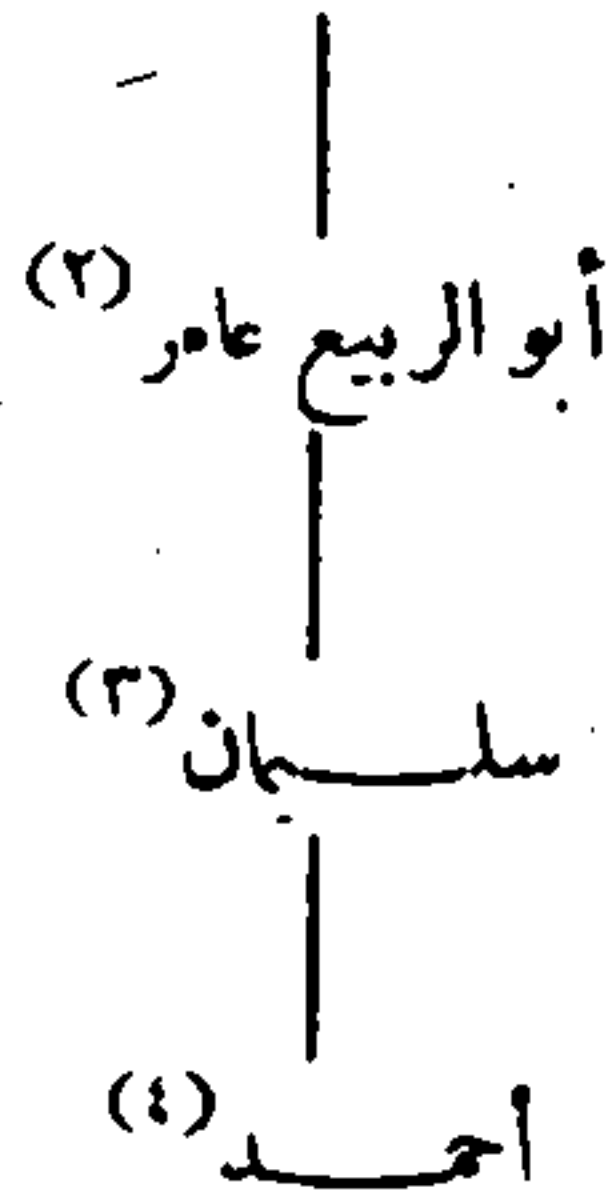
(ملحوظة) : هذا ما تحقق لدينا من نسب أمراء آل يعفر، حينما اطلعنا على ما ورد في الجزء الثاني من الإكليل (تحقيق القاضي حسين السياغي) من أخبار دولة بني يعفر، بعد أن قلنا كلام عمارة الحكمي في ص ٢٨ (هامش ٣). والاعتماد هو رواية أبي محمد الهمداني.

(الصليحيون)

(جدول رقم ٣)

الزواحيون

الشيخ سليمان بن عبد الله بن عامر الزواحي الحميري (١)



(١) القائم بالدعوة وهو الذي أقام على بن محمد الطليحي في الدعوة .

(٢) أحد قواد الصليحي والمكرم الكبار ، تزوج من الرдах أم السيدة الملكة الحرة أروى بنت أحمد (ت ٤٩٢) .

(٣) أخو الملك ر ، من جهة أمه ، وهو الذي أشار على السلطان سبأ أثناء النزاع بينه وبين الملكة بأن يلجأ إلى الخليفة المستنصر في مصر ، وأغلب الظن أنه قتل في موقعة نلا سنة ٥١١ .

(٤) هو زوج أم همدان بنت الملكة أروى من الملك المكرم ، وقد أنجب منها عبد المستعلي .

(الصليحيون)

(جدول رقم ٤)

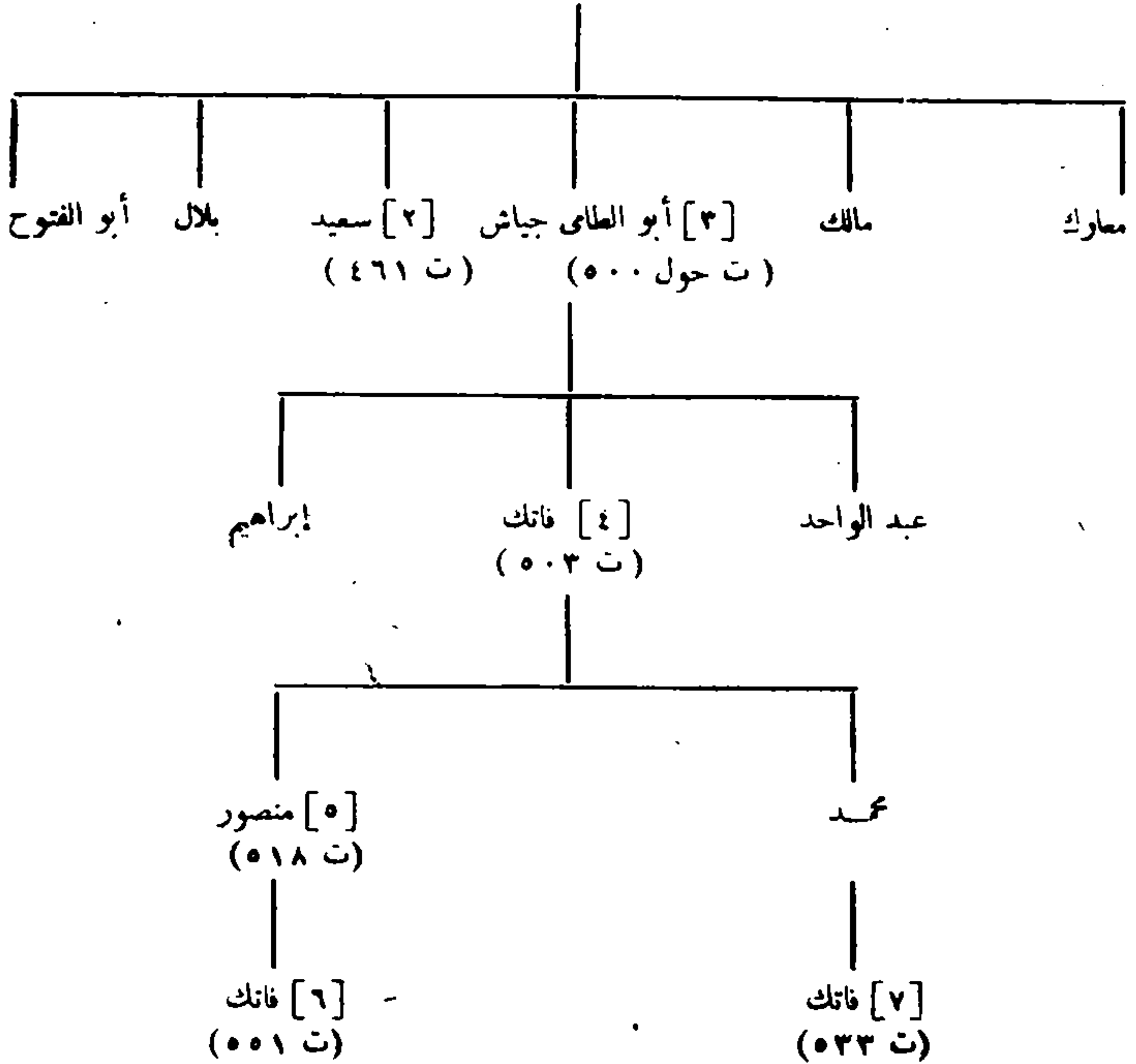
بنو نجاح العبيد

ملوك تهامة وزبيد

(أسس نجاح دولتهم سنة ٤١٢)

[١] نجاح

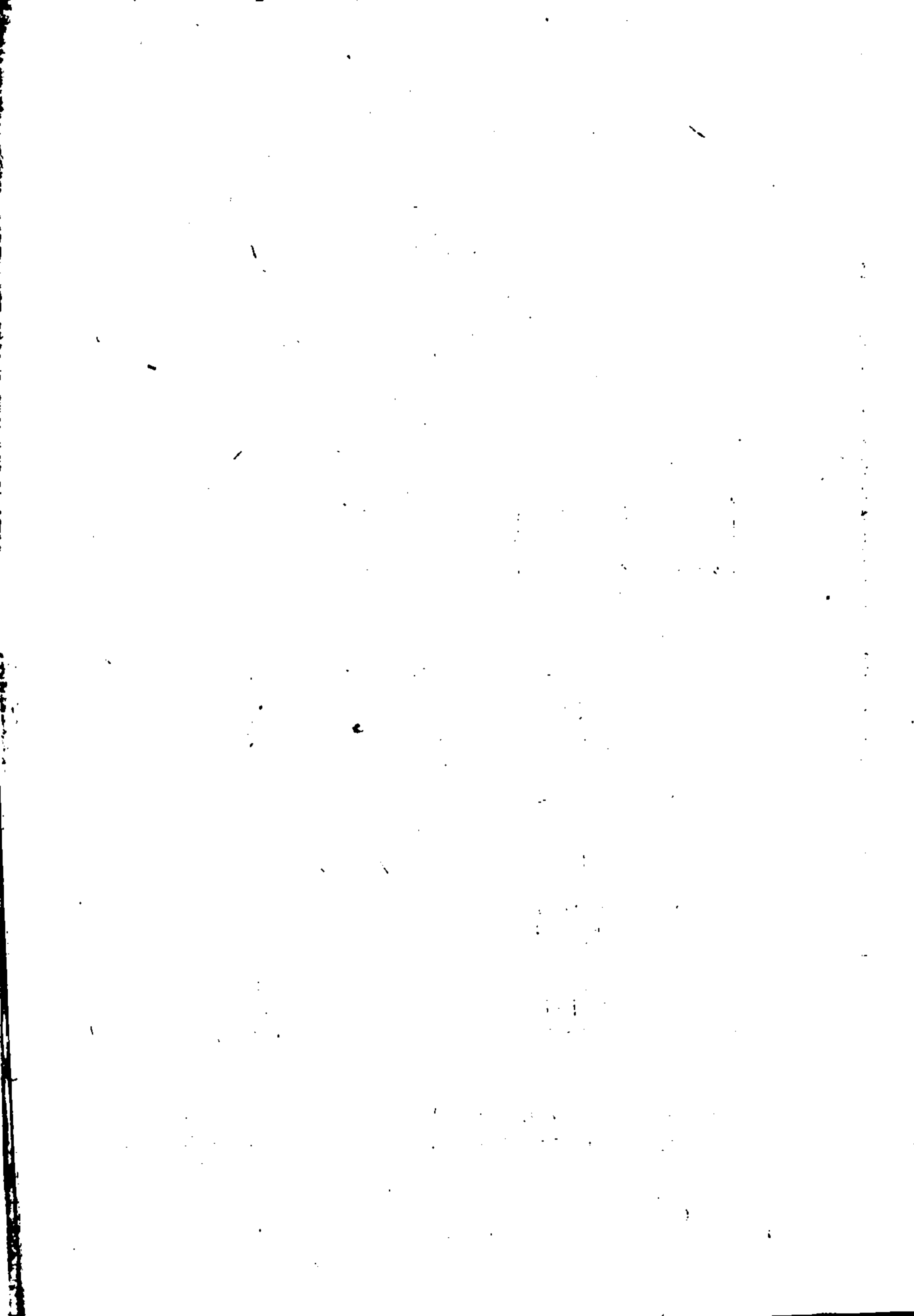
(ت ٤٥٢)



ملحوظة : وزير منصور [٥] بن فاك بن جياش أبامنصور من الله الفاتكى من مواليهم،
وقام من الله بالوزارة فى عهد فاك [٦] بن منصور بن فاك ، ثم قام زريق ، ثم سرور الحبشى .

(الصليحيون)

(م — ٢٢ الصليحيون)



(رقم ٥)

آل عمران اليامي الهمداني

القاضي عمران بن الفضل اليامي الهمداني (١)



(١) قتل في موقعة الكظام سنة ٤٧٩ .

(٢) اختارته همدان بأمر صنعاء سنة ٥٣٣ .

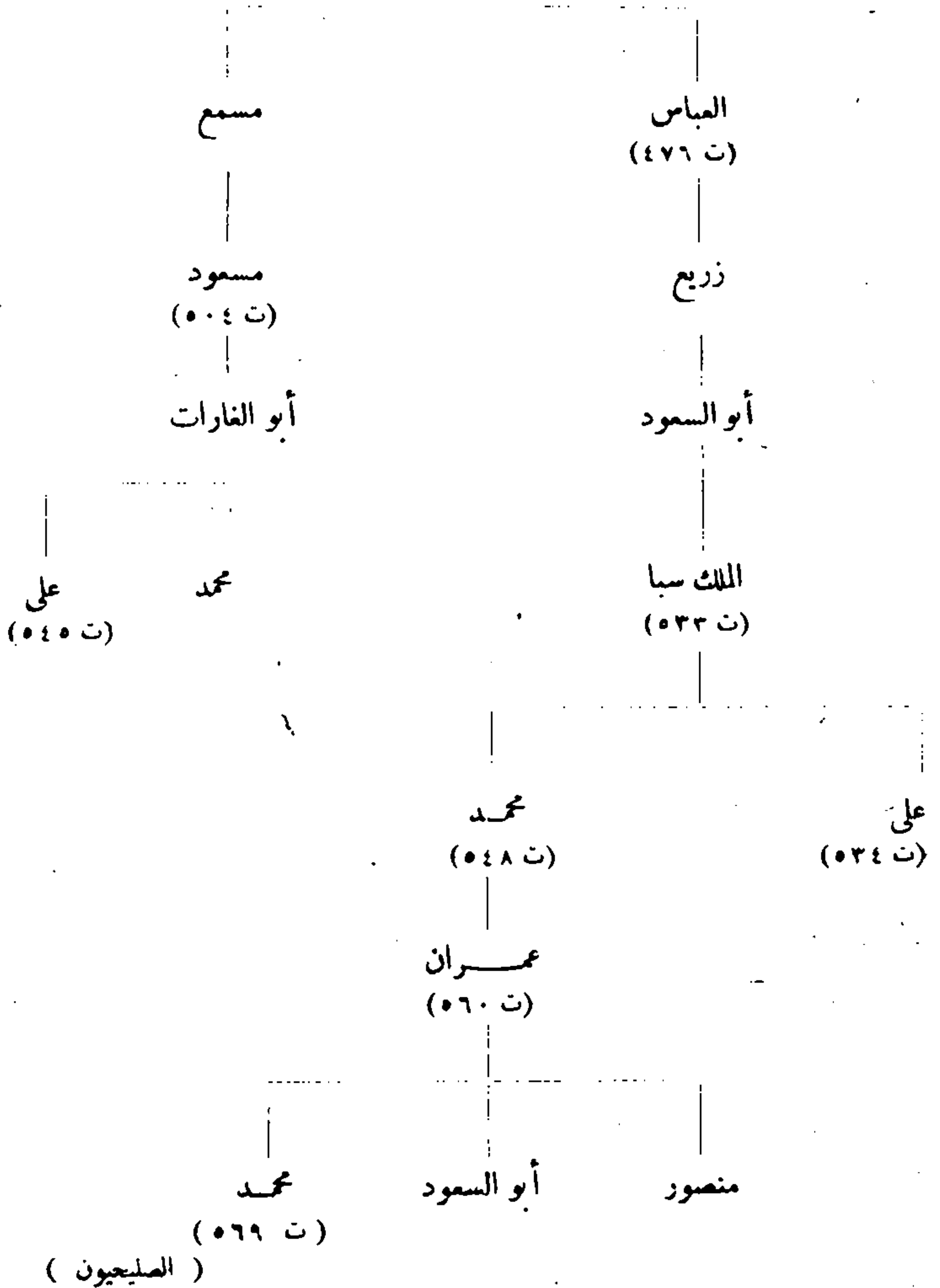
(٣) أزاله عن ملكه طغتكين بن أيوب .

(الصليحيون)

بنو الكرم

(آل زريع وآل مسعود) الياميون الهمدانيون

الكرم



دولة بني أيوب باليمن

(۵۶۸ — ۶۲۶)

نجم الدين أبو الشكر أيوب

(ت ۵۶۸)

المظفر الأول عمر تق الدين	[۳] المظفر إسماعيل	[۲] المظفر طنتكين	الناصر صلاح الدين يوسف (ت ۵۶۸)	المادل أبو بكر سيف الدين (ت ۶۱۵)	الاعظم عيسى
شامنهاه (الأول) نور الدين (ت ۵۴۳)		[۱] المظفر شمس الدين توران شاه (ت ۵۷۶)			
شامنهاه (الثاني) سعد الدين				السكامل محمد (ت ۶۳۵)	
[۵] الأعظم سليمان (المصليجون)				[۶] المسعود يوسف (ت ۶۲۶)	

1

3

قائمة المصادر

(نورد في هذا التبت أسماء المصادر التي اعتمدنا عليها واستقيننا معلوماتنا عنها في هذا البحث مرتبة حسب أحرف الهجاء بالنسبة للمؤلفين - المؤلف) .

الأمر بأحكام الله الخليفة الفاطمي (ت ٥٢٤) :

الهداية الأمرية . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق آصف فيضى (بومبائى ١٩٣٨) .

إبراهيم بن أبى قيس الحضرمى الإمام :

ديوان الإمام إبراهيم الحضرمى المسمى بالعريف النقاد . مخطوط بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية رقم ١٢٧٠ ومطبوع بمصر ١٣١٤ .

ابن الأثير ، على بن أحمد بن أبى الكرم (ت ٦٣٠) :

الكامل فى التاريخ ١٢ جزء (بولاق ١٢٩٠) .

أحمد بن زبى دحلان (ت ١٣٠٤) :

خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام . مخطوط بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية رقم ٥٨ .

إخوان الصفا :

رسائل إخوان الصفا فى أربعة مجلدات . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية . وطبعنى بمبائى والقاهرة .

الرسالة الجامعة . جزءان مخطوطان بالمكتبة المحمدية الهمدانية . الجزء الأول منها تحقيق جميل صليبا (دمشق ١٩٤٨) .

إدريس عماد الدين بن الحسن القرشى (ت ٤٧٢) :

عيون الأخبار . ٧ أجزاء فى ٧ مجلدات . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

زهره الأفكار . جزءان فى مجلدين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

روضة الأخبار . مخطوط بمكتبة جامعة ليدن (Leyden) رقم ١٩٧٢ .

زهر المعانى . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الإدريسى ، الشريف محمد بن محمد الصقلى (ت ٥٦٠) :

زهره المشتاق فى اختراق الآفاق (روما ١٨٨٣) .

الأزدى بن طاهر ، جمال الدين أبى الحسن على (ت ٦٢٣) :

أخبار الدول المنقطعة . مخطوط مصور عن المتحف البريطانى بدار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ .

- إسماعيل بن عبد الرسول (القرن الحادى عشر) :
فهرست كتب الدعوة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
- الأصبهاني ، أبو الفرج على بن الحسين (ت ٣٥٦) :
الأغاني . عشرون جزءا (بولاق ١٢٨٥) .
- الأصفهاني ، أبو عبد الله محمد بن أبي الرجاء (ت ٥٩٧) :
خريدة القصر وخريدة العصر . مخطوط مصور بدار الكتب المصرية
رقم ٢٥٥٥ : آداب .
- ابن إياس ، أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠) :
بدائع الزهور (بولاق ١٣١١ - ١٣١٤) .
- إيفانو ، فلاديمير (V. I. vanow) :
A Guide to Ismaili Literature (لندن ١٩٣٣) .
The Alleged Founder of Ismailism (بومباي ١٩٤٦) .
- بدر الجمالي (ت ٤٨٧) :
المجانس المنتصرية . المخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق محمد كامل حسن
(القاهرة بدون تاريخ) .
- أبو البركات بن بشر الحلبي (ت في عهد الخليفة الأمر الفاطمي) :
محالس سيدنا أبي البركات . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
- البغدادي . أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩) :
الفرق بين الفرق (القاهرة ١٩١٠) .
- بكتول (M. Pickthall) :
The Knights of Araby (لندن) .
- البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠) :
الآثار الباقية عن القرون المالية (لندن ١٨٧٩) .
- الجرافي ، القاضي عبد الله بن عبد الكريم :
المقتطف في تاريخ اليمن (القاهرة) .
- جعفر الخاجب :
سيرة جعفر الخاجب . تحقيق إيفانو ، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة
(القاهرة ١٩٣٦) .
- جعفر بن منصور اليمن (ت نحو القرن الرابع) :
الفرائض وحدود الدين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الشواهد والبيان . مخطوط بالمكتبة التيمورية بالقاهرة .
سرائر النطقاء . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
أسرار النطقاء . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
تأويل الزكاة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية؛ ونشرها ستروطنان في بومباي .

الكشف . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
المراتب والمحيط . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
العالم والفلان . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسالة في معنى الاسم الأعظم . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسالة الرضاع في الباطن . مخطوط بالمكتبة التيمورية (عقائد ١٨٤) .
الجندی ، أبو عبد الله بهاء الدين يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢) :
الملك في طبقات العلماء والملوك . مختصر كاي (H. C. Kay) (لندن ١٨٩٢) .

الجوزي ، أبو علي منصور الغريزي :
سيرة الأستاذ جودر ، وبه توقيعات الأئمة الفاطميين . تحقيق محمد كامل حسين
ومحمد عبد الهادي شميرة (القاهرة ١٩٥٤) .

حاجي خليفة ، مصطفى المسمى بكاتب شلي (١٠٦٧) :
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . النسخة العربية وترجمها إلى الألمانية
فلوجل (G. Flugel) (ايسك ولندن ١٨٣٥ ، ١٨٥٨) .

الحارثي ، محمد بن طاهر (ت ١٥٨٤) :
مجموع التريفة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية
الرسالة الجامعة في الرد على بعض المارقين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية
حدائق الألباب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية

الحامدي ، إبراهيم بن الحسين (ت ٥٥٧) :
كفر الولد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
نسع وتسعون مسألة في الحقائق . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الحامدي ، حاتم بن إبراهيم (ت ٥٩٦) :
تنبيه الغافلين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
جامع الحقائق . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
خمس عشرة مجلسا . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسالة التذكرة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
تحفة القلوب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
مفاتيح الكنوز . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الشموس الظاهرة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الحامدي ، علي بن حاتم بن إبراهيم (ت ٦٠٥) :
روضة الحكم الصافية . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

ابن حجر ، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي المقفلازي (ت ٨٥٢) :
الإصابة في تمييز الصحابة (مصر ١٩٠٧) .
رفع الإصر عن قضاة مصر . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٠٥ .

- المجری ، الفاضی محمد بن أحمد :
خلاصة تاریخ الیمن قديماً وحديثاً (القاهرة ١٣٦٣) .
- ابن حزم ، أبو محمد علی بن سعید الأندلسی (ت ٤٥٦) :
جمهرة أنساب العرب . تحقیق لینی بروفسال (L . Provençal) (القاهرة ١٩٤٨) .
- حسن إبراهيم حسن :
الفاطمیون فی مصر وأعمالهم السیاسیة والدینیة بوجه خاص (القاهرة ١٩٣٢) .
عیب الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية (القاهرة ١٩٤٩) .
- حسن سليمان محمود :
الصليحيون وعلاقتهم بمصر . رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة ١٩٥٢ .
علاقات الفاطميين بالدول الإسلامية . رسالة ماجستير بجامعة القاهرة ١٩٤٦ .
- الحسن بن نوح البهروجي (ت ٩٣٩) :
كتاب الأزهار . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
- الحمادي ، محمد بن مالك بن أبي الفضائل اليماني (أواسط القرن الخامس) :
كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة (القاهرة ١٩٣٩) .
- ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠) :
المسالك والممالك (طبعة لندن) .
- الخرزجي ، أبو الحسن علی بن الحسن (ت ٨١٢) :
تاریخ الكفاية والإسلام فيمن ولی الیمن وسكنها من أهل الإسلام .
مخطوط . مكتبة جامعة ايدن (Leyden 46—59. Warn Or 302.)
(Catalogus Codicum Arabicorum) .
- العقود اللؤلؤيه فی تاریخ الدولة الرسولية (القاهرة ١٩١١) .
- الخطاب بن الحسن المجوري (ت ٥٢٣) :
غاية المواليد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسالة النفس . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
منيرة البصائر . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسالة النعيم . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
ديوان الخطاب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨) :
العبر وديوان المبدأ والخبر . (القاهرة ١٢٨٤) .
العبر ، مختصر كاي (H. C. Kay) (لندن ١٨٩٢) .

ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد (ت ٦٨١) :
وفيات الأعيان ، جزءان (بولاق ١٢٩٩) .

دي خويه (De Goeje) :

Memoires sur les Carmates du Bahrain et les Fatimites

(ليدن ١٨٨٦) .

ابن الديبع ، وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني (ت ٩٤٤) :
قرة العيون في أخبار اليمن اليمون . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٤ تاريخ .
بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٥١٦
تاريخ .

ديبور (De Boer) :

Wigsbegeerte in den Islam (آمستردام ١٩٢١) .

الرازي ، أحمد بن حمدان الليثي الورسنانى (ت ٣٢٣) :
كتاب الزينة في الأحرف ومعانيها . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . ونسخ
مصورة من مكاتب اليمن بدار الكتب المصرية .
أعلام النبوة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . نشر جزءا منه كراوس (Kraus)
في Raziana II Orient. V .

راشد البراوى :

حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين (القاهرة ١٩٤٦) .

رينو (Renaud) :

Les Fragments Arabe J. A. (1945)

زامبور (Zambour) :

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامى ، جزءان . تعريب
زكى محمد حسن وزميله (القاهرة ١٩٥٢) .

زبارة ، محمد بن محمد بن يحيى الحسنى الصنعانى :

إنحفاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين ، ومن قام باليمن اليموت من قراء
الكتاب المين وأبناء سيد الأنبياء والمرسلين (صنعاء ١٣٤٣) .

سبط بن الجوزى ، شمس الدين أبو المظفر بن قيروغلى (ت ٦٥٤) :

مرآة الزمان في تاريخ الأعيان . مخطوط مضور من الإستانة بدار الكتب المصرية
رقم ٥٥١ تاريخ .

ستروطمان (R. Strothmann) :

مقال في Miscellany نشرته جمعية البحوث الإسلامية بيومبانى .
أربعة كتب إسماعيلية . تحقيق ستروطمان (غوتنغن ١٩٤٣) .

السجستاني (السنجزي) ، أبو يعقوب إسحاق بن أحمد (ت ٢٣١) :
النيايح . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
إثبات النبوة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الموازن . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الافتخار . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
المقاييد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
سرور ، محمد جمال الدين :

النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب (القاهرة ١٩٥٠) .

السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١) :
حسن الحضارة في أخبار مصر والقاهرة (القاهرة ١٣٢٧) .

شرف علي بن ملا ولي :

عيون المعارف ورياض لكل متبصر عارف (بومباي ١٢٩٧) .

الصيرفي ، أمين الدين تاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب (ت ٥٤٢) :
الإشارة إلى من نال الوزارة (القاهرة ١٩٢٤) .

ابن طباطبا ، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي (ت في القرن الثامن الهجري) :
الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية . تحقيق أهل ورد (Ahlwardt)
(غريفزولد ١٨٥٨) .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠) :
تاريخ الأمم والملوك . تحقيق دي خويه (De Goeje) (ليدن ١٨٧٦)
(١٩٠١) .

طه أحمد شرف :

دولة الزارية أجداد أغا خان (القاهرة ١٩٥٠) .

الطياوي ، عبد اللطيف :

جماعة إخوان الصفا (بيروت ١٩٣٠ — ١٩٣١) .

عباس العقاد :

أبو الشهداء (القاهرة ١٩٥٤) .

ابن عبد الحكيم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧) :

فتوح مصر والمغرب (ليدن ١٩٢٠) .

عبد الكريم خليفة :

إخوان الصفا (حلب ١٩٤٩) .

العرشي ، حسين بن أحمد الزبيدي (القرن الرابع) :

بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملوك اليمن من ملك وإمام .

تحقيق الأب أنستاس الكرملي (مصر ١٩٣٩) .

عمارة ، نجم الدين بن محمد الحكيم البيني (ت ٥٦٩) :
تاريخ اليمن . مختصر كاي (H. C. Kay) . (لندن ١٨٩٢) .
النكت المصرية في أخبار الوزارة المصرية (شالون باريس ١٨٩٩) .

عمر الدسوقي :

إخوان الصفا (القاهرة ١٩٤٧) .

عمر فروخ :

إخوان الصفا (بيروت ١٩٤٥) .

العمرى ، شهاب الدين بن أحمد بن فضل الله (ت ٧٤٩) :
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . مخطوط مصور بدار الكتب المصرية
رقم ٢٥٦٨ .

العيني ، بدر الدين بن محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥) :
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان . مخطوط مصور من الأستانة (ولي الدين)
بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ .

غيب (Sir Hamilton Gibb) :

مقال معنون المستنصر بالله الفاطمي في EI .

القاسي ، تقى الدين بن محمد بن أحمد بن علي (ت ٨٣٢) :
تحفة الكرام في أخبار البلد الحرام . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم
١٦٤٦ تاريخ .

شفاء الغرام . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٤ .

القاهكي ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق (القرن الثالث) :

المتقى في أخبار أم القرى . تحقيق وستنفلد (Wuestenfeld) (ليبسك ١٨٥٩) .

فان آرنهوك (C. Van Arendonk) :

De Opkomst van het Zaiditische Imamaat in Yemen

(لندن ١٩١٩) .

أبو الفدا ، إسماعيل بن علي عماد الدين (ت ٧٣٢) :

المختصر في أخبار البشر (القسطنطينية ١٢٨٦) :

فيضي ، آصف :

مقال عن القاضي النعمان في IRAS (سنة ١٩٣٤) .

ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦) :

الإمامة والسياسة (القاهرة ١٣٢٠) .

القرشي ، علي بن محمد بن الوليد الأنفي (ت ٦١٢) :

ديوان سيدنا علي بن محمد بن الوليد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

دائم الباطل . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

(م — ٢٣ — الصليحيون)

مختصر الأصول . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
تاج العقائد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
مجالس النصح والبيان . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسالة الإيضاح والبيان . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . ونشرها
ستروطمان تحت عنوان أربع كتب إسماعيلية (غوتن غن ١٩٤٣) .
رسالة تحفة المرئود . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . ونشرها ستروطمان
تحت عنوان أربعة كتب إسماعيلية (غوتن غن ١٩٤٣) .
لب العارف . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
لباب الفوائد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الذخيرة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

القلقشندی ، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١) :

سبح الأعشى في صناعة الإنشا (القاهرة ١٩١٢ — ١٩١٧) .

لقمى ، الحسين بن على (القرن السادس) :

رسائل القمى . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
ديوان شعر . صورة خطية من الصفحات المنزعة من ديوانه المحفوظة بالمتحف
البريطاني رقم ٤٠٠٤ .

كاي (Henry Cassels Kay) :

Yemen, its Early Mediaeval History (لندن ١٨٩٢)

الكبسي ، محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى :

اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم
٤١٦٣ تاريخ .

ابن كثير ، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤) :

البدية والنهاية (القاهرة ١٣٤٨) .

الكرمانى ، أحمد حميد الدين (ت في القرن الخامس) :

المصاييح . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الرياض . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الأقوال الذهبية . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

تنبيه الهادى والمستهدى . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

راحة العقل . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق محمد كامل حسين

ومصطفى حلمي (القاهرة ١٩٥٢) .

كرنكو (F. Krenkow) :

الصليحيون . مقال في E I .

- الكندى ، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠) :
كتاب الولاية والقضاء . تصحيح روفن غوست (Quest) (بيروت ١٩٠٨)
طويس ، برنارد (B. Lewis) :
The Origins of Ismailism (كمبرج ١٩٤٠) .
المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي (٤٧٢) :
سيرة المؤيد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . ونشرها محمد كامل حسين (القاهرة ١٩٤٩) .
المجالس المؤيدية . ثمان مجلدات . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
ديوان المؤيد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق محمد كامل حسين (القاهرة ١٩٤٩) .
الأدعية والخطب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الأبتداء والأتناه . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
نهج الهداية للمهتدي . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
المبرد ، أبو العباس (ت ٢٨٥) :
الكامل . تحقيق راث (W. Wright) (ليسك ١٨٧٤) .
ابن الجاور ، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب الدمشقي (ت ٦٩٠) :
كتاب المدقبصر . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣١٧٧ تاريخ . وتحقيق لوفقرين
(O. Loefgren) (ليدن ١٩٥١ و ١٩٥٤) .
أبو المحاسن ، جمال الدين يوسف بن تفرى بردى (ت ٨٧٤) :
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (مصر ١٩٣٠ وما بعدها) .
محمد حسن :
قلب اليمن (بغداد ١٩٤٧) .
محمد كامل حسين :
في أدب مصر الفاطمية (القاهرة ١٩٥٠) .
محمود قاسم :
في النفس والعقل (القاهرة ١٩٥٤) .
بأخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد (القرن الماشر) :
قلادة البحر في وفيات أعيان الدهر . ثلاثة أجزاء . مخطوط بدار الكتب
المصرية رقم ١٦٧ تاريخ .
تاريخ ثغر عدن . جزءان (ليدن ١٩٣١) .
المستنصر بالله (ت ٤٨٧) :
السجلات المستنصرية . مخطوط بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن . ومقال حسين
الهمداني في BSOS (١٩٣٤) . ونشرها عبدالمنعم ماجد (القاهرة ١٩٥٤) .

السعودى ، أبو الحسن على بن الحسين (ت ٣٠٣) :
مروج الذهب ومعادن الجوهر (بولاق ١٣٨٣) .

المعهد الفرنسى العلمى بالقاهرة :

Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe الجزء السابع .

القدسى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٧) :
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (ليدن ١٩٠٦) .

القرزى ، تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥) :

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء . تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة ١٩٤٨) .

المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار (بولاق ١٢٧٠) .

البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب . تحقيق وستنفلد (غوتنغن ١٨٧٤) .

النصورى ، ركن الدين بيبرس الدوادارى المصرى (ت ٧٢٥) :

زبدة الفكرة . المجلد الخامس المأخوذ بالفوتستات من مخطوطة محفوظة بالمكتبة

الأهلية بباريس (رقم ١٥٧٢ عربى) موجود بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٧٠٢٤ .

ابن ميسر ، محمد بن على بن يوسف بن جلب (ت ٦٧٧) :

تاريخ مصر . طبعة هنرى ماسيه (Henry Massé) (القاهرة ١٩٤٩) .

ابن النديم ، محمد بن إسحق (ت نحو ٣٨٣) :

كتاب الفهرست . تحقيق فلوجل (Fluegel) (ليدن ١٨٧١) .

نشوان الحميرى ، أبو سعيد بن سعيد (ت ٥٧٣) :

منتخبات فى أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم .

تصحيح عظيم الدين أحمد (ليدن ١٩١٦) .

الخور العين (القاهرة ١٩٤٨) .

القاضى النعمان بن محمد بن منصور التيمى العربى (ت ٣٦٣) :

دعائم الإسلام ، فى جزئين . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية . ونشر

أصف فيضى الجزء الأول من الكتاب .

النيوع . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

مختصر الآثار . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الأخبار . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الاقصار . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

المنتخب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

افتتاح الدعوة الزاهرة وإبتداء الدولة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

شرح الأخبار . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الهمة فى آداب الأئمة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق محمد كامل

حسين (القاهرة بدون تاريخ) .

- مفاتيح النعمة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
- أساس التأويل . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
- تأويل الدعائم . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
- التوحيد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
- المجالس والمسائرات . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
- اختلاف أصول المذاهب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
- المناقب والثالث . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

النويرى ، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣) :
نهاية الأرب . طبعة دار الكتب (مصر ١٩٢٣ وما بعدها) .

النيسابورى ، أحمد بن إبراهيم (ت فى أوائل القرن الخامس) :
إثبات الإمامة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسائل استتار الإمام . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . نشرها إيوانو
(القاهرة ١٩٣٩) .

ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك الحيمرى المعافرى (ت ٢١٨) :
سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أجزاء . تحقيق وستيفان غوتن غن
(١٨٥٨ - ١٨٦٠) .

الهمدانى ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤) :
الإكليل فى أخبار اليمن وأنساب حمير . الكتاب العاشر فى معارف همدان . تحقيق
محب الدين الخطيب (القاهرة ١٣٦٨) .
صفة جزيرة العرب . تحقيق مولر (D. H. Mueller) (لندن ١٨٩١)
المشبه فى كتاب الإكليل (Suedarabische Mushtabih) . تحقيق لوف
غرين (Leofgren) (أوبسالا ١٩٥٣) .

الهمدانى ، حسين بن فيض الله اليعبرى :
بحث تاريخى فى رسائل إخوان الصفا (مجل ١٩٣٥) .
مقال عن الملكة أروى الصليجية فى JRCAS XVII (١٩٣١) .
مقال عن السجلات المستنصرية فى BSOS VII (١٩٣٤) .
مقال عن النظام الفكرى الخاص بالدعوة الفاطمية فى IC (١٩٢٧) .
مقال عن مؤلفى الإسماعيلية JRAS (١٩٣٣) .
مقال عن تاريخ الدعوة وآدابها فى أواخر عهد الفاطميين فى JRAS (١٩٣٣) .
مقال عن المؤيد فى الدين الشيرازى فى EI .
كتاب الرياض . مقال فى مؤتمر دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد (١٣٥٨) .

الهمدانى ، عباس بن حسين بن فيض الله اليعبرى :
رسالة دكتوراه بجامعة لندن سنة ١٩٥١ The Sira of al-Muayyad
'fid-din ashs-Shirazi

- الوادهى ، الذؤيب بن موسى (ت ٥٣٦) :
رسالة النفس . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
- الوادهى ، على بن حنظلة المحفوظى (ت ٦٢٦) :
القصيدة الموسومة بسقط الحقائق . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق
عباس عزاوى ، نشرها المعهد الفرنسى دمشق سنة ١٩٥٣ .
رسالة ضياء الحلوم . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
- الواسمى ، عبد الواسع بن يحيى اليماني :
تاريخ اليمن (القاهرة ١٩٤٧) .
- يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد (ت ١١٠٠) :
أبناء الزمن فى أخبار اليمن . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٣٤٧ .
أبناء الزمن (من سنة ٢٨٠ - ٣٢٢) . تحقيق محمد عبده ماضى (برلين ١٩٣٦) .
ياقوت الحموى ، شهاب الدين أبى عبد الله (٦٢٦) :
معجم البلدان . فى أربعة أجزاء . تحقيق وستنفلد (ليبسك ١٨٦٦ - ١٨٩٩) .

باسمه ونعم الوكيل نسرد الدعوى الملكة لاجل الامور الدينية ودر سجلا امامه وصلاحه تعالى علما
 اتاح لوليها النظر الى ولده بقيامه في مقامه وانزال عنه من الحزن على ولده المعز
 كثيرا كما كان يجده وعلم انه بالمكره قد استقام ما اناذ اوده وعاد الى صنعاً
 فدونها وامر بتقليد ولده المكره فقر وعلى منبر صنع في اليوم الثامن من جمادى
 الاولى من السنة المقدم ذكرها وانتشرت في اقطار اليمن فضائل المكره انتشاً
 يطيب فشرها وزوجها المرحومة التقية الزكية السيدة ابنة احمد بن محمد الصليحي
 ام اولاد المكره وزوج ابنه الموفق فاطمة بنت احمد بن المطرف الصليحي وقد كان
 ازمع ان يزوجه الا معز وكان الدعوى لاجل الاوحد قد اصدت للقاضي عمراً
 بن الفضل وجماعته معه الى الحضرة المقدسة المستنصرية بعد الفذين ذهبوا
 بوقفاً الاغزلي استاذن في الحج وزيارة الحضرة المطهرة ويسأل اقامته الامير
 عوضاً عن اخيره ويستورد في ذلك الامور لي زمانه ليعمل بما امره به تفضيلاً
 ازناعي الاجل بحجاب هذه نسختة باسمه الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
 من عبد الله ووليته عبد الله بن محمد بن الامام المستنصر بالله امير المؤمنين الامير
 الاوحد امير الامم ائمة الخلافة شرف المعالي تاج الدولة سيف الامم المطرف في
 الدين نظام المؤمنين ابي الحسن علي بن محمد الصليحي نصره الله واظهره واحسن
 ومعونته سلام عليك فان امير المؤمنين محمد بن ابي بكر الذي لا اله الا هو
 ان يصلي على جده محمد خاتم النبيين واميد المرسلين وعلى آل الطاهرين
 المهديين وسلم تسليمًا بما بعد فالحمد لله المقصود جناب الفكر ودر في
 واصغاره جاعل عالم الكون وفاده سلباً الى محل رضوانه ودار معاده محمد
 المؤمنين ان محمد بن الامام في خير معاده ويسأل ان يصلي على نوح عباده
 بحيث يلاذه محمد بن المقلد من شرف النبوة اشرف بجاده المستنصر الهادي

(صورة من السبع السابع من كتاب عيون الأخبار المحفوظ بمكتبتنا
 المحمدية الممدانية . انظر الملحق رقم ٥ من ٣٠٥)

في مقتضى احكامها والملك ينبغي ان يرشد اعي
 لهذ عنده مقيمون كانوا في هذه الفتنة قد طرد
 بن بلدهم بالاجوبة عن التشرية الصادر اليهم من
 حضرة قدسها الله عن بد الاجل الا وحدها خذت
 اجوبه والزكوات من ايديهم وكان مضمون الاجوبة
 لسؤال في الاذن بالقيام واظهار الدعوة بالقهر
 اما اللسان واما اللسان فقد سبق لهم الاذن
 الملوك لرغبته في انتشار امر مولاة وعلو دعوة بسال
 نشر يفهم بكتاب يتضمن ما طالع به والاذن لهم في القيام
 فها هو الدعوة جهرا والله سبحانه يؤيدهم بتأييدهم
 ينصرهم على عدوهم والسل افر على مولاة وسيدنا
 داي تيم الامام المنتصر بالله امير المؤمنين عليه وعلى
 ذ الطيبين الطاهرين وابنائهم الاكرم بين السجين
 فضل الصلوة والتسليم صدر غرة ذي الحجة سنة ستين
 بطاقتة الحمد لله وحده وصلواته وصلواته على سيدنا

محمد النبي و علي مولانا علي بن ابي طالب عليه و وصي
 نبية و علي الائمة من ذرية الطاهر بن و سلامه
 عليهم اجمعين حسبا الله و نعم الوكيل

من نسخته و جدها بخط الرضا بن علي بن ابي طالب عليه و وصي
 حسين بن ابي بن حسن بن عبد الله بن محمد بن جعفر
 بن حسين بن علي بن محمد بن علي بن احمد بن جعفر بن الحسن
 بن يحيى بن ابراهيم بن ابي سفيان بن ابي سلمة بن محمد بن
 ابراهيم بن احمد بن الوليد بن الحسين بن عمران بن عاصم
 بن ابي عاصم بن ابي الوليد بن عتبة بن ابي ربيعة بن عبد
 بن شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب
 بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن

(صورة من مجموعة رسائل القمي المحفوظة بمكتبتنا المحمدية الهمدانية . انظر الملحق رقم ٦ ص ٣١٨)

ضميمة

بينما نحن نقرب من الانتهاء من طبع الكتاب ، وصلتنا رسالة من ولدنا الدكتور عباس الهمداني تحوي تعليقات مفيدة . ونحن نقدم هذه التعليقات لأنها تفسر بعض الأحداث الواردة في هذا المؤلف تفسيراً يختلف اختلافاً أساسياً عن تفسيرنا إياها . وبعد وصول رسالته قررنا أن ننشر بإذن الله في الطبعة الثانية لهذا السفر نقد الناقدين وآراء الباحثين الحرة مهما اختلفت آراؤهم عن وجهة نظرنا ، فقد تكون الأخيرة مصيبة أو مخطئة ، لأننا نرى أن لا شيء أضرّ للعلم من المجاملات ، وأن النقد البنائي الحرّ مفيد للتقدم العلمي .

— المؤلف —

يقول في سبب امتناع المهدي عن المسير إلى اليمن (ص ٣١ - ٤٩) :

« وفيما يختص بثورة فيروز أشعراؤها يجب أن تقرن بالحركة القرمطية ، ذلك لأن حليفه علي بن الفضل الجدني أعلن جهرة تأييده لأبي سعيد الجنابي عندما خالف منصور اليمن ، واستقل عن الدعوة . وإني أرى أن الخلاف القرمطي واليميني للمهدي كان مبنيًا على أسس نشرحها فيما يلي :

« كان حسين الأهوازي داعي الدعوة للمهدي في سكتيه ، فكان مسئولاً عن تعيين الدعوة في الكوفة والبحرين ، الذين ثاروا بعد ذلك ، وعرف حزبهم بالقرامطة ، وقد طالبوا المهدي بقيادة ثورة في الأمبراطورية العباسية ، ولكن عندما قرر المهدي الذهاب إلى اليمن ثاروا عليه .

« وعندما توفي حسين أصبح فيروز داعي الدعوة ، وكان من المعروف بين جميع الدعوة تحت زعامة فيروز أن الخلافة الفاطمية سيتم إنشاؤها في اليمن . وبقى

هذا الاعتقاد حتى وصل المهدي إلى مصر . ولما اتضح لفيروز أن المهدي قد غير رأيه ، وأنه سيتجه إلى المغرب ، سار فيروز إلى اليمن لينظم جبهة الدعوة ضد سياسة الإمام الجديدة ، لأن معظم الدعاة البرزين العاملين كانوا قد اجتمعوا في ذلك الوقت باليمن . وقد تخلف ابن حوشب عن تنفيذ برنامج رياسة الدعوة ، وانضم إلى جانب المهدي . فقد اضطر فيروز وعلي بن الفضل إلى الانضمام نحو المعارضة ، وقد اتحدا مع القرامطة في الكوفة والبحرين على برنامج مشترك .

« ولم يكن سبب ثورتهم أن انجبه المهدي نحو المغرب ، ولكن على العكس من ذلك كان انجاء الإمام المهدي نحو المغرب هو السبب في ثورتهم . ولم يكن هذا الحادث مسألة هيئته ، ولكن كان أمرا له خطره ، وعليه اختلف المهدي وحماة الدعوة المنسكون أشد الخلاف . فقد كان المهدي يرغب في إنشاء خلافة وأمبراطورية ، بعيدة عن سلطان العباسيين . وكان يرغب بذلك رغبة شديدة في تأمين وتقوية مملكته الجديدة . وكان لا يفكر في إحداث أي تغيير اجتماعي ، وأن المجتمع سيبقى على حاله السائد تحت حكم العباسيين ، باختلاف وحيد ، هو أن الأمبراطورية الجديدة سيرأس عليها خليفة من الأسرة العلوية . وفي نظر المهدي كل ما في الأمر كان نزاعا على الأسرة التي ستحكم فقط .

« ولكن بالنسبة إلى هيئة الدعوة من جانب آخر كان النزاع على أساس المبادئ الاجتماعية . وقد بدأت الحركة الفاطمية تهدف إلى محاربة الظلم القائم تحت حكم العباسيين . ولم يكن الدعاة يميلون إلى القيام بتجاربههم في أماكن متعددة ، ولم يكونوا يفكرون في الهرب ، بل كانوا يريدون البقاء حيث كانوا ، ليقوموا بما يرغبون فيه من تغييرات في النظم الاجتماعية تحت حكم العباسيين . وكانوا يريدون إقامة الخلافة الفاطمية مقام الخلافة العباسية — خلافة ودولة جديدة تقوم بهذا الإصلاح الاجتماعي .

« وحقا فإن القرامطة وبعدهم حزب فيروز كانوا يمثلون اتجاهات الحركة الفاطمية الأصلية ، وهي الاتجاهات التي رغب عنها الإمام ، وكان ابن حوشب وفيها للمهدي دون أن يرتكز على مبادئ اجتماعية . وكان أبو عبد الله الشيعي أيضا

وفيا لإمامه لفترة طويلة من الزمن حتى خاب ظنه ، فبعد أن قام المهدي بأمره في
رقادة وسجل مأساة اكتشاف أبو عبد الله ما اكتشفه الدعاة ، أمثال القرامطة
وفيروز وعلى بن الفضل الحميري منذ زمن بعيد . ولا شك أن أبا عبد الله كان
مصادقا سليم النية (Naive) إلى حد ما .

« وإن أساطين الدعوة العلماء ، كالنفسى والسجستاني والرازي ، كانوا بعيدين
عن المركز الرئيسي كل البعد لكي يدركوا المناورات الخفية التي كانت تجري في
سكينة . وفوق ذلك كان هؤلاء العلماء مفكرين ونظرين ، لم يكونوا
مطلعين على حقائق الحالة السياسية التي تنطوي عليها الدعوة . فقد بقوا وهم في عزائهم
أوفياء لإمامهم . أما أبو حاتم الرازي فقد كان محافظا ، وبقي كذلك حتى بعد
حدوث الانقسام ووضوح الأمر ، واستمر في ولائه للإمام . وقد ظهرت في النفسى
والسجستاني أمارات الاستقلال وعدم التحزب (non-conformism) التي ربما
دفعتهما إلى معسكر القرامطة ، لو أن هؤلاء بقوا أوفياء ، ولم ينحطوا إلى أساليبهم
الإرهابية ، وحافظوا على ثورتهم في أساليب سليمة معقولة . فالفكرون داعيا
يمقتون القتل ويشتمون عنه ، ولذلك بقي كل من النفسى والسجستاني تجاه المهدي
في ولأهم المقرون بالشك . ولا أقصد بهذا التقليل من المقدرة الفكرية لهؤلاء
الدعاة ، فقد كانوا عظماء في علومهم وكتاباتهم . »

* * *

وبين الفرض الحقيقي من زيارة قاضي قضاة اليمن ملك الحمادى للقاهرة
(ص ١٧٥ - ١٧٧) قائلا :

« إن رواية الداعي حاتم بن إبراهيم الحمادى التي نقلها الداعي إدريس عن
زيارة القاضي ملك للقاهرة لاتعطي صورة صحيحة عن دوافع هذه الزيارة . كلما
حاولا إخفاءها بطريقة « التأويل والتفسير والباطن » - وهي تقديم القاضي ملك
سبعة وعشرين سؤالاً إلى الإمام المستنصر الذي خلع عليه سبعا وعشرين خلة
عند السؤال ، وردده تكريماً له بعد أن انتظر خمس سنوات - وضحت حقيقة
هذه الدوافع ، وفقا لدلائل قرآن الأحوال .

« وإيفاد القاضي ملك ربما أدى إلى عدة أمور نحو :

١ - أن الدعوة في اليمن حتى هذا الوقت لم تكن موروثية ، ولكنها كانت موجهة من هيئة الدعوة المركزية بمصر . ومن ثم كان المحتمل أن يطالب الملك علي بن محمد الصليحي أن تستمر الدعوة بعد وفاته في أسرته . وكان من المرجح أنه ترك هذا الأمر للقاضي ملك لتسويته مع الخليفة الفاطمي .

٢ - والأمر الثامن هو مسألة نقل التراث الأدبي ، كما ذكرتم في مقالكم المنون « تاريخ الدعوة وآدابها خلال المرحلة الأخيرة عن الخلافة الفاطمية » (JRAS, 1932) وفي مقالكم عن « مؤلفي الدعوة ومؤلفاتهم » (JRAS, 1933) .

٣ - والأمر الثالث كان مسألة تقرير تفاصيل انتشار تجارة المرور المتزايدة بين مصر والهند خلال اليمن .

٤ - والأمر الرابع أن تكون الاجراءات قد اتخذت فيما يختص بتعزيز الدعوة في الهند ، وإرسال دعاة جدد إلى غجرات - الأمر الذي حدث سنة ٤٦٠ هـ بعد عودة القاضي ملك إلى اليمن مباشرة .

« ولم تكن هذه هي الأسباب الرئيسية لسفارة القاضي ملك إلى مصر ، ولكنها كانت على الأكثر مجرد نتائج ضمنية لمفاوضات أطيلت مدتها . وادافع الأصلي كما اعتقد هو رغبة الملك علي بن محمد الصليحي في الذهاب إلى مصر لينقذ الخليفة من مشاكه . ولتختبر التواريخ . . .

« بين عامي ٤٥٤ و ٤٥٩ وقعت مصر فريسة لأسوأ مجاعة وأشد وباء للطاعون وأقسى تخريب في تاريخها . وقد أجمعت مصادرنا على رسم صورة مخيفة لهذه الكارثة . وكانت الدولة الفاطمية على شفا الإفلاس ، ولم يكن ناصر الدولة في حال أسوأ من أحواله هذه ؛ فقد جعل بإسرافه في القتل والنهب بقاء الدولة الفاطمية أمرا مستحيلا ، وأصبح من المتوقع أن ينتهي حكمها بين آونة وأخرى . »
« ومرة أخرى كانت السنوات بين عامي ٤٥٤ و ٤٥٩ هي نفسها التي أوفد

فيها القاضي لك . وكانت هي نفس سنوات المجد والقوه للدولة الصليحية في اليمن .
وبينا كانت مصر في أشد حالات ضعفها في عام ٤٥٤ كانت اليمن في أوج عظمتها
وجبروتها ، لأول مرة متحدة تحت حكم الصليحي . وبالتأكيد خلال مدة هذا
التناقض لم يكن هناك داع لزيارة قاضي قضاة اليمن للقاهرة إلا لأن يعرض
مساعدة ملك اليمن للإمام الخليفة المستنصر ، بمعنى أن يطلب الإذن لعامله في
القدوم إلى مصر بجيش اليمن ، لكي ينقذ البلاد المصرية من المتاعب والبقاء فيها
كقوة عاملة نافذة .

« وعلى الأرجح نظرا للصلوات الطيبة بين دعوة اليمن بالهيئة المركزية ، ونظرا
لبقاء ملك مع داعي الدعوة المؤيد ، كان الأمل كبيرا في أن يؤدي توسط المؤيد إلى
تحقيق رغبات ملك اليمن ، ولكن يبدو أن الإمام المستنصر كان معارضا لهذا ،
واستمر في تأجيل سفره .

« ولكن الصليحي قد نفذ صبره ، ولكي يعزز ضغطه أرسل القاضي عمران
ابن الفضل اليامي وسفراء آخر إلى الإمام المستنصر يسأله الإذن له بأداء فريضة
الحج ، وزيارة مصر بعد ذلك .

« وأصر أيضا على احتلال مكة . ولما كان الإمام على الأرجح قد اعتبر
ذلك خطوة أولى إلى التقدم نحو مصر فقد أصر بدور على رفض السماح له بالزيارة ،
وطلب منه أن يوسع ملكه من ناحية حضرموت .

« ولكن الصليحي لم يستطع انتظارا . وفي سنة ٤٥٩ تقدم نحو مكة في
طريقه إلى مصر ، دون أن يتلقى إذنا من إمامه ، وضد رغبة هذا الإمام ، ولكن
لسوء الحظ قتل بأيدي آل نجاح أثناء رحلته . ولولا ذلك لوصل إلى القاهرة ،
ولقام بما شاء القدر أن يقوم به بدر الجمالي بعد ذلك .

« وهكذا كان من الواجب أن تنتهي سفارة القاضي لك في سنة ٤٥٩ ، ولم
يتحقق الغرض الرئيسي منها ، وعاد إلى اليمن بعد أن حقق الأغراض الفرعية
لهذه الرحلة . »

الأعلام

١٩١ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
 ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ،
 ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ،
 ٢٣٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ،
 ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،
 ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣١٩ ،
 أحمد بن علي الفسائي الأسواني ١٩٠ ،
 ١٩١ ، ١٩٢ ،
 أحمد بن عمران بن الفضل البلي ١٥٣ ،
 أحمد بن الفضل ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،
 أحمد بن قاسم بن دلي ٢٦٨ ،
 أحمد بن المبارك بن الوليد القرشي ٢٩٥ ،
 أحمد بن محمد بن قاسم الصليحي ١٤٢ ، ٢١٩ ،
 أحمد أبو القاسم بن المستنصر . أنظر المستعلي
 أحمد بن الإمام عبد الله المنصور بن حمزة
 ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
 أحمد المظفر الصليحي ٧٩ ،
 أحمد بن منصور بن الفضل ٢٤١ ،
 أحمد ، مولاي (باللم فات) ٢٢٥ ،
 أحمد النيسابوري ٢٥٧ ،
 أحمد بن يعقوب ٢٧٢ ،
 إدريس عماد الدين ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٤ ،
 ٣٤ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ،
 ٥٤ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٤ ،
 ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١٣٠ ،
 ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
 ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،
 ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٩١ ، ١٩٩ ،
 ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٧ ،
 ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ،
 ٢٥٣ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ،
 ٢٩٨ ، ٣٥١ ، ٣٦٩

(١)

إبراهيم بن إسحاق الزبيدي ٣٨ ،
 إبراهيم بن الأشتر ١٨ ، ٢٣ ،
 إبراهيم بن الحسين الحامدي ١٩٠ ، ٢٤٦ ،
 ٢٥٨ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،
 ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٩٨ ، ٣٥٣ ،
 إبراهيم الخليل ٣٢٤ ،
 إبراهيم بن أبي سلمة ٢٨٣ ،
 إبراهيم السباعي ٥٤ ، ٥٥ ،
 إبراهيم بن أبي قيس الحضرمي الإمام ٩٧ ، ٣٥١ ،
 إبراهيم بن محمد بن زيدان ١٦٥ ،
 إبراهيم بن محمد الصليحي ١٠٠ ، ١٠١ ،
 ابن الأثير ١٨ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٥ ،
 ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٣٥١ ،
 الأجل الأوحدي : أنظر علي بن محمد الصليحي ،
 أحمد بن أسعد بن شهاب ١٠٠ ،
 أحمد بن الحبير الهري ٢٧٤ ،
 أحمد بن الحسن ٢٠١ ،
 أحمد بن الحسين الصليحي ١٨٦ ، ٢٠٧ ، ٣٣٠ ،
 أحمد بن سعيد الجزلي ٢٠٠ ،
 أحمد بن سليمان الشريف ٢٣٨ ،
 أحمد بن سليمان بن عامر الزراحي ١٤٧ ،
 أحمد بن شريح البغدادي ٢٥٦ ،
 أحمد بن عبد الله بن خليم ٣٢ ،
 أحمد بن علي التهامي ١٣٢ ،
 أحمد بن علي الصليحي (المكرم) ٦٦ ،
 ٨٨ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ،
 ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ — ٢٤١ ،
 ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،
 ١٥٤ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ،
 ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،

- ۱۲۳ ، ۱۲۰ ، ۱۳۶ ، ۱۳۵
 . ۱۷۵ ، ۱۴۷
 . إسماعيل بن إبراهيم ۲۲۲
 . إسماعيل بن جعفر الصادق ۲۶۴ ، ۲۵۵
 . إسماعيل بن طنكین ۲۸۴
 . إسماعيل بن عبد الرسول ۲ ، ۵ ، ۲۵۲ ،
 . ۲۸۲ ، ۲۷۹ ، ۲۷۸ ، ۲۷۳
 . ۲۸۸ ، ۲۸۹ ، ۲۹۱ ، ۲۹۵ ،
 . ۳۵۲ ، ۲۹۷
 . إسماعيل بن عبدالله بن عمر الصغالی ۳۳۰
 . إسماعيل أبو الفدا ۱۸۵
 . إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي ۱۱۵ ، ۱۱۶ ،
 . ۱۱۸ ، ۱۲۰ ، ۱۲۵ ، ۱۲۶ ،
 . ۳۱۲ ، ۳۱۳ ، ۳۱۴
 الأشتر النخعي : انظر مالك الأشتر وإبراهيم
 الأشتر
 الأصبهاني ۲۵ ، ۹۹ ، ۱۰۷ ، ۱۴۷ ،
 . ۱۹۵ ، ۱۵۲ ؛
 آصف فيضي ۲۵۳ ، ۲۶۶
 الاعز : انظر محمد الأعز الصليحي
 الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالی ۱۶۳ ،
 . ۱۶۸ ، ۱۷۰ ، ۱۷۸
 الأمر بالله بن المستعلي ۲۰ ، ۱۶۸ ، ۱۷۰ ،
 . ۱۷۲ ، ۱۸۲ ، ۱۸۳ ، ۱۸۶ ،
 . ۱۸۸ ، ۱۹۹ ، ۲۰۰ ، ۲۰۵ ، ۲۱۸ ،
 . ۲۳۰ ، ۲۵۰ ، ۲۵۵ ، ۲۶۶ ،
 . ۲۶۷ ، ۲۶۹ ، ۲۷۲ ، ۳۲۱ ،
 . ۳۲۴ ، ۳۵۱
 إیاد بن نزار ۱۸
 ابن لیاس ۹۳ ، ۳۵۲
 ایفانو ۲۵۳ ، ۲۵۷ ، ۲۵۸ ، ۲۶۲ ،
 . ۲۶۳ ، ۲۶۶ ، ۲۷۲ ، ۳۵۲

(ب)

- بالم فات : انظر أحمد مولای ..
 بدر الجمالی ۱۷۸ ، ۲۱۷ ، ۲۳۰ ، ۲۶۶ ، ۳۵۲ ،
 ۳۷۱

- أرسطاطاليس ۲۷۳
 ألب أرسلان ۹۳
 أرندونك ۴۲
 أروى بنت أحمد، الملكة الحرّة ۲ ، ۲۲۹ ،
 - ۱۳۱ ، ۱۳۶ ، ۱۳۷ ، ۱۳۸ ، ۱۴۱ -
 ، ۱۹۵ ، ۲۰۰ ، ۲۰۴ ، ۲۰۵ ،
 ، ۲۰۶ ، ۲۰۷ ، ۲۰۸ ، ۲۰۹ ،
 ، ۲۱۲ ، ۲۱۵ ، ۲۱۸ ، ۲۲۰ ،
 ، ۲۲۲ ، ۲۲۷ ، ۲۳۰ ، ۲۳۴ ،
 ، ۲۳۵ ، ۲۳۷ ، ۲۳۸ ، ۲۴۰ ،
 ، ۲۴۵ ، ۲۵۰ ، ۲۶۸ ، ۲۶۹ ،
 ، ۲۷۰ ، ۲۷۱ ، ۲۸۹ ، ۲۹۷ ،
 ، ۲۹۸ ، ۳۲۱ ، ۳۲۳ ، ۳۲۹ ،
 . ۳۳۰
 أروى بنت علي بن عبد الله، الأميرة الصليحية
 . ۲۴۱ ، ۲۰۹
 الأزدي بن ظافر ۶۷ ، ۳۵۱
 الأزهرى ۱۳۳
 إسحاق بن إبراهيم أبو الحسين ۲۸
 . أسامة بن زيد ۱۲۱
 . إسحاق بن طريف ۳۴
 . إسحاق بن مرزوق ۲۰۰
 . أسعد بن شهاب ۸۷ ، ۸۸ ، ۹۴ ، ۹۵ ،
 ، ۹۶ ، ۱۰۶ ، ۱۰۷ ، ۱۱۰ ، ۱۳۱ ،
 . ۱۳۲ ، ۱۳۶
 . أسعد بن عبد الصمد بن محمد الحوالى ۱۷۳
 . أسعد بن عبد الله الصليحي ۱۱۹ ، ۱۲۸
 . أسعد بن عراف ۱۵۱
 . أسعد بن أبي الفتح الحميري ۱۶۷ ،
 . ۱۶۸ ، ۱۷۱
 . أسعد بن أبي يعفر الحوالى ۳۷ ، ۴۷
 . إسكندر الأفروديسى ۲۶۹
 أسماء بنت شهاب ۶۶ ، ۶۷ ، ۸۵ ، ۸۷ ،
 ، ۹۵ ، ۹۹ ، ۱۰۰ ، ۱۰۱ ، ۱۱۳ ،
 ، ۱۱۶ ، ۱۲۰ ، ۱۲۳ ، ۱۲۶

جفر بن منصور البين ۱۴ ، ۵۲ ، ۵۳ ، ۵۴ ، ۵۵ ، ۵۶ ، ۲۵۰ ، ۲۷۲ ، ۳۵۲ .
 . ۳۵۲
 . جيل صليبا ۲۵۸ .
 . الجنابي ، أبو طاهر ۵۰ ، ۲۲۲ .
 . الجندي ، أبو عبد الله بهاء الدين ۶ ، ۷ ، ۳۷ ، ۳۹ ، ۴۴ ، ۴۶ ، ۴۷ ، ۵۰ ، ۵۱ ، ۵۸ ، ۵۹ ، ۶۰ ، ۱۲۹ ، ۱۴۲ ، ۱۹۰ ، ۳۵۲ .
 . ابن جهور ۷۲ ، ۷۹ ، ۸۰ ، ۱۰۵ .
 . جوذر ۵۲ .
 . جوهر المظني ۲۳۹ .
 . جوهر الصقلي ۲۵۶ .
 . جوهر المستنصري ۱۴۱ ، ۱۴۸ ، ۱۴۹ .
 . جيش بن نجاح ۷ ، ۹۴ ، ۱۲۶ ، ۱۳۲ ، ۱۵۱ ، ۱۵۲ ، ۱۵۴ ، ۱۶۲ .
 . ابن الجوزي ، سبط ۶۴ ، ۶۷ ، ۹۱ ، ۱۰۹ ، ۳۵۲ .

(ح)

حاتم بن إبراهيم الحامدي ۱۷۵ ، ۱۷۶ ، ۲۵۷ ، ۲۶۲ ، ۲۶۸ ، ۲۷۱ ، ۲۸۴ ، ۲۸۷ ، ۲۸۸ ، ۲۹۰ ، ۲۹۶ ، ۲۹۸ ، ۳۵۲ ، ۳۹۶ .
 . حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل الياضي
 . الهمداني ۱۳۷ ، ۲۰۶ ، ۲۳۹ ، ۲۷۰ .
 . حاتم بن سبا بن يوسف اليعبري ۲۸۲ ، ۳۳۰ .
 . حاتم بن علي بن حاتم ۳۳۰ .
 . حاتم بن القثم الفيلسي ۱۶۱ ، ۲۳۹ .
 . حارثة بن قدامة السعدي ۲۲ .
 . أبو حاشد ۸۱ .
 . حاشد بن كديس الصليحي ۱۲۸ .
 . الحافظ : انظر ابن حجر .
 . الحافظ عبد المجيد : انظر عبد المجيد بن محمد
 . ابن المستنصر .
 . الحاكم بأمر الله ۴ ، ۵۶ ، ۵۷ ، ۵۸ ، ۶۰ ، ۶۱ ، ۲۴۵ ، ۲۵۴ ، ۲۵۷ .

البراء الهمداني ۱۹ ، ۲۰ ، ۱۸۵ .
 . برغش ۱۸۵ .
 . أبو البركات بن بشر الحلبي ۲۶۷ ، ۳۵۲ .
 . أبو البركات بن أبي العشرة ۱۷۵ ، ۱۷۷ .
 . أبو البركات بن الوليد الحميري ۱۶۲ .
 . الباسيري أبو الحارث ۸۴ .
 . بسر (بشر) بن أرطاة ۱۹ ، ۲۲ .
 . بشر بن حاتم الهمداني ۲۳۹ .
 . أبو بكر الصديق ۱۵ ، ۱۲۱ .
 . أبو بكر بن علي بن رسول ۲۹۴ .
 . بلال بن نجاح ۱۱۹ ، ۱۳۱ .
 . بلقيس ۱۴۳ ، ۱۰۶ .
 . البيروني ۲۲۳ ، ۳۵۲ .

(ت)

تارمل ۲۲۵ .
 . التبعي : انظر حسين بن مقبره التبعي
 . تحفه بنت محمد الصليحي ۱۰۳ .
 . تراجان ۲۲۸ .
 . أبو تمام ۲۸۹ .
 . توران شاه ۲۳۶ ، ۲۳۹ ، ۲۴۱ ، ۲۴۲ ، ۲۷۸ .

(ج)

الجرافي ، القاضي عبد الله ۸۲ ، ۲۸۵ ، ۳۵۲ .
 . الجرجراني ، علي بن أحمد ۲۱۳ .
 . ابن جعفر (شريف مكة) ۹۱ .
 . جعفر بن إبراهيم المناخي ۳۶ .
 . جعفر بن أحمد بن عباس ۵۹ ، ۶۰ .
 . جعفر الحاجب ۳۹ ، ۴۱ ، ۳۵۲ .
 . جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي ۲۸ .
 . جعفر الشاوري ۷۸ .
 . جعفر الصادق ۲۵۵ ، ۲۶۴ .
 . جعفر الصياني ۷۸ .
 . جعفر بن الإمام المنصور الشريف ۸۲ .

الحسين بن سلامة ٦٢ ، ٦٣ ،
 الحسين بن علي بن أبي طالب ٢٢ ، ٢٣ ،
 ١٧٧ ، ١٧٥ ، ٧٧ ، ٣١ ، ٢٩ ،
 . ٣٢٤ ، ٢٠٩
 حسين بن فيض الله اليعبري الهمداني ٦٥ ،
 ١١ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٧٢ ،
 . ٢٩٢ ، ٢٨٠
 الحسين بن علي القمي ٦ ، ٨٦ ، ١٠٣ ،
 ١١٢ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٩ ،
 . ٣٥٧ ، ٣٠٨ ، ١٦١ ، ١٦٠
 الحسين بن عمران بن الفضل الياي ١٥٣ ،
 . ٢٠٨
 الحسين بن عمران السنجاني ١٢٠ ، ١٢٣ ،
 الحسين بن القاسم ١٢٧ ،
 حسين بن مغيرة التبعي ٨٥ ، ١٢٨ ، ٣١٣ ،
 حسين بن منصور الحلاج ٢٤٩
 سالم بن شيان ٢٢٣
 الحلواني ٣٨ ، ٣٩ ،
 حاس بن القيب الهمداني ٢٣٩
 ابن حمدان ناصر الدولة ٢١٨ ،
 حمزة سبط حميد الدين ٢٢٢
 حمزة الدرزي ٢٥٩ ،
 حمزة بن هاشم الحسي ١١٧ ، ٣١٢ ،
 الحوالي ٣٥ ، ٤٨ ، ٣١٥ ،
 ابن حوقل ٢٢٣
 ابن حيدرة ، الشريف ١٨٣
 (خ)
 خالد بن أبي البركات ١٦٢ ،
 ختكين الضيف ٢٨٥
 خديجة بنت خويلد ٢٥٥
 ابن خرداذبة ٢٩٢ ، ٣٥٤ ،
 الخرجي ٧ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ١٣٥ ،
 ١٤٢ ، ١٦٥ ، ٢١٩ ، ٢٩٤ ، ٣٥٤ ،
 الحضري ١٢١

٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ ،
 . ٣٢٤ ، ٣٠٩
 ابن حجر الحافظ الصقلاني ١٧٩ ، ٢٥٣ ، ٣٥٣ ،
 الحجري ، القاضي محمد ١١ ، ٦٤ ، ١٨ ،
 . ٣٥٤ ، ١٥٢ ، ١٠٢
 حرث بن شرحبيل ١٩٤ ،
 ابن حزم ١٨ ، ٢٥ ، ٣٨ ، ٣٥٤ ،
 حسام الدولة المستنصري ٣١٧ ،
 الحسام لؤلؤ ٢٩٠ ،
 حسن إبراهيم حسن ٥٠ ، ١٧٨ ، ٣٥٤ ،
 الحسن أبو محمد بن يعقوب الهمداني ١٢ ،
 ٢٢ ، ٤٣ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ١٩٤ ،
 الحسن بن أبي الحافظ الحجوري ٢٠١ ،
 ٢٠٢
 الحسن بن حوث : انظر الحسن بن
 منصور اليمن .
 حسن سليمان محمود ١٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٤ ،
 الحسن بن عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ١٨٤ ،
 الحسن بن عمر السنجاني ١١٥ ، ٣١٢ ،
 . ٣١٦
 الحسن بن علي بن أبي طالب ٢٥٥ ، ٢٧٩ ،
 . ٣٢٤ ، ٣١٢ ، ٣٠٩
 الحسن بن علي بن رسول ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
 ٢٩٤
 الحسن الفرغاني ٢٥٨ ،
 حسن بن محمد ، ابن النساخ ٢٨٦ ،
 الحسن بن محمد بن أبي عقامة ٩٨ ، ١٠٧ ،
 ١١٢
 الحسن بن محمد المهدي ٢٧٢ ،
 الحسن بن منصور اليمن ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ،
 . ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦١ ،
 الحسن بن نوح البهروزي ٧٤ ، ١٧٦ ،
 . ٣٥٤ ، ٢٧٥
 الحسين بن مهمل ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ،
 الحسين بن أحمد ، الإمام ٢٩ ، ٣٣ ،
 الحسين بن إسماعيل الأصبهاني ١٥٧ ، ١٥٨ ،

الرداح بنت الفارح ۱۴۳ .
ابن رحيم : انظر هارون بن محمد بن رحيم .
ابن رسلان ۱۸۴ .
الرشيد ، الخليفة العباسي ۶۴
رضوان الوزير ۱۸۵ .
روب نات : انظر مولاي نور الدين .

(ز)

زاهد علي ۳۵۶ .
زريع بن العباس ۱۶۴ ، ۱۹۱ .
زريع بن أبي الفتح ۱۵۸ .
زياد بن كعب ۱۷ .
زيد بن علي ، الإمام ۲ . ۲۸ .
زينب بنت علي بن أبي طالب ۱۳۳ .
ابن زينون أبو سعد منصور ۲۱۳ .
ابن زيني دحلان ۸۹ ، ۳۵۱ .

(س)

سبا بن أحمد بن شهيد بن محمد ۳۳۰ .
سبا بن أحمد الصايحي ۱۰۷ ، ۱۳۰ ،
۱۳۲ ، ۱۳۷ ، ۱۴۸ ، ۱۵۰ ،
۱۶۵ ، ۲۳۹ ، ۳۱۲ ، ۳۱۶ ،
۳۳۰ .
سبا بن أبي السعود الزريعي ۱۶۹ ، ۱۷۱ ،
۱۸۹ ، ۱۹۱ .
ابن سبا عبد الله الصنعاني ۱۵ ، ۱۶ .
سبا بن يوسف البعري ۲۷۵ ، ۲۷۶ ،
۲۷۸ .
السباعي ۱۷۵ .
ستروطيان ۹ ، ۱۹۵ ، ۲۰۳ ، ۲۵۷ ،
۲۸۸ ، ۲۸۹ ، ۲۹۰ ، ۳۵۵ .
سجاج بن أبي العسكر ۳۱۷ .
السجستاني ، أبو يعقوب ۲۴۴ ، ۲۴۵ ،
۲۴۹ ، ۲۵۱ ، ۲۵۲ ، ۲۵۳ ،
۲۵۷ ، ۲۵۹ ، ۲۶۰ ، ۲۶۱ ،
۲۷۸ ، ۲۸۳ ، ۳۵۶ ، ۳۶۹ .

المطاب بن الحسن الحجوري ۳۸ ، ۱۴۴ ،
۱۹۰ ، ۱۹۳ — ۲۰۴ ، ۲۰۹ ،
۲۳۰ ، ۲۴۷ ، ۲۴۹ ، ۲۶۹ ،
۲۷۰ ، ۲۷۲ ، ۲۷۸ ، ۲۷۹ ،
۳۵۴ .

ابن خلدون ۱ ، ۷ ، ۳۵۴ .
خلف بن أبي الطاهر ۱۵۱ ، ۱۵۲ ،
ابن خلكان ۷ ، ۲۵۳ ، ۳۵۵ .
ابن خاليج ۳۳ .
حنفر بن سبا الأصغر ۳۰ ، ۳۶ ،
خوج بن ملك ۲۲۴ ، ۲۲۶ ،
الموفق بن الحياط ۱۷۲ ، ۱۷۳ .

(د)

داود ۱۴۶ .
داود بن ناصر ۲۲۳ .
درع بن يشكر ۱۶ .
الدعام ۱۲۷ .
ابن الديبع الشيباني ۷ ، ۱۴ ، ۱۰۲ ،
۱۲۱ ، ۱۳۱ ، ۳۵۵ .
ديبور ۲۵۸ ، ۳۵۵ .
دي خويه ۲۲۳ ، ۲۵۷ .

(ذ)

الدؤيب بن موسى الوادعي ۴ ، ۶۸۱ ،
۱۸۲ ، ۱۸۳ ، ۱۹۰ ، ۱۹۳ ،
۱۹۳ ، ۱۹۴ ، ۱۹۵ ، ۲۰۴ ،
۲۶۸ ، ۲۶۹ ، ۲۷۰ ، ۲۷۲ ،
۲۹۸ .
ذويزن ۲۵ .

(ر)

الرازي ، أبو حاتم أحمد بن حمدان ۲ ، ۱۳ ،
۵۷ ، ۵۹ ، ۲۴۵ ، ۲۵۱ ، ۲۵۲ ،
۲۶۰ ، ۲۶۱ ، ۳۶۹ .
الرازي ، محمد بن زكريا ۲۵۲ ، ۲۵۹ .

- شرف علي بن ملاولي ١٧٦ ، ٣٥٦ .
شكر الحسن ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ .
شهاب بن عقيل ٣٧ .
شهريار بن حسن ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ .
شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله المنصور
ابن حمزة : انظر أحمد بن الإمام عبد الله
المنصور .
شمس المعالي علي بن سبا : انظر علي بن سبا
الشيرازي (رسول المنتصر الى الصليحي)
١٥٥ .
الشيرازي ، هبة الله بن موسى : انظر
المؤيد في الدين .

(ص)

- صارم الدين صاحب البسامة ٨٢ .
صاعد بن حميد ١٦٩ .
صلاح الدين بن أيوب ٢٤١ ، ٢٤٢ .
الصليحي : انظر علي بن محمد الصليحي .
الصيرفي ، ابن منجب ٢١٣ ، ٣٥٦ .

(ط)

- ابن طرف ٢٨٣ ، ٨٤ .
طفتكين ١٢٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٧٨ .
ابن أبي الطفيل ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ .
طه شرف ١٨٠ ، ٣٥٦ .
طوق بن ناسك ٢٢٧ .
الطوق الهمداني ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ .
الطيب بن الأمر ١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٧ ،
٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٦٣ ،
٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨٧ ،
٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،
٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ .
الطياوي ٢٥٨ ، ٣٥٦ .
أبو عبد الله الطيب (رسول سبأ الى
المنتصر) ١٥٧ .

- السخلي ١٢٨ ، ٣١٥ .
سد هراج جيسنغ ٢٢٥ .
سعد الله (أحد رسل المنتصر للصليحي)
١٥٥ .
أبي السعود بن أسعد بن شهاب ١٠٠ ،
١٣٦ ، ١٤٨ ، ٣١٥ .
أبو السعود بن زريع ١٦٤ .
سعيد الأحول : انظر سعيد بن نجاح .
أبو سعيد الجنابي ٤٥ ، ٥٠ ، ٢٦٧ .
سعيد بن سعد بن عبادة ٢١ .
سعيد بن قيس الهمداني ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ .
سعيد بن نجاح ٨٥ ، ١٠١ ، ١٢٣ ،
١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
١٣١ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٥١ ، ٣١٠ .
أم سعيد ٢٢ .
أبو سفيان ٣٨ ، ٣٩ .
سليمان الأيوبي ٢٨٦ .
سليمان بن الحسن الحجوري ١٨٤ ، ١٩٥ ،
٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٦٦ .
سليمان بن صرد ٢٣ .
سليمان بن عامر بن سليمان الزواحي ١٤٣ ،
١٥٧ ، ٢٣٧ .
سليمان بن داود ١٤٦ .
سليمان بن عبد الله الزواحي ٧٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ،
٦١ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٤ .
سليمان بن مسلم بن الزر ١٦٧ ، ١٦٩ ،
١٧١ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٢٤٠ .
سفر ٢٨٥ .
سودان بن أبي رومان ١٦ .
سويد بن زيد الصليحي ١٥٩ .
السيد الحميري ٢٥ .
ذو السيفين : انظر أحمد بن علي الصليحي
(المكرم) .
السيوطي ١٦ ، ١٨٥ ، ٢٥١ ، ٣٥٦ .

(ش)

- الشاوري : انظر عبد الله بن عباس المشاوري

عبد الله بن الحسين الإمام المهدي الفاطمي

، ۲۹ ، ۳۱ ، ۳۴ ، ۳۵ ، ۳۷ ، ۳۹ ،

، ۴۰ ، ۴۵ ، ۴۹ ، ۵۰ ، ۵۲ ، ۵۶ ،

، ۲۴۹ ، ۲۵۴ ، ۲۵۶ ، ۲۷۹ ،

، ۳۶۷ ، ۳۶۸ ،

عبد الله العربي ۲۲۵ .

عبد الله المنصور بن حمزة ۲۸۶ ، ۲۸۷ ،

، ۲۹۰ ، ۲۹۲ .

عبد الله بن ربيعة ۲۱ .

عبد الله بن زياد ۱۸ ، ۲۳ .

عبد الله بن عبد الله أبي منصور بن أبي

الفتح ۲۸۵ .

عبد الله بن عباس ۱۷۴ ، ۱۹۰ .

عبد الله بن عباس الشاوري ۲۱ ، ۴۹-۵۲ ،

، ۵۵ ، ۵۶ ، ۵۹ ، ۶۱ .

عبد الله بن علي العلوي ۲۲۳ .

عبد الله بن علي ۱۷۵ ، ۱۷۷ .

عبد الله بن عمر ۱۷۵ ، ۱۷۷ .

عبد الله بن محمد الصليحي ۸۸ ، ۱۰۰ ،

، ۱۰۱ ، ۱۰۷ ، ۱۳۵ ، ۱۶۲ .

عبد الله بن معمر ۱۲۸ .

عبد الله بن قحطان ۴۸ ، ۵۶ ، ۵۷ .

عبد الله بن المصوع ۱۶۲ .

عبد الله بن محمد بن بشر ۵۶ ، ۵۹ .

عبد الله بن يعلى الصليحي ۱۰۷ ، ۱۵۴ ،

، ۱۶۷ .

عبد الواحد بن بشارة ۳۰۵ .

عبد الواحد بن نجاح ۱۶۴ .

عثمان بن عفان ۱۲ ، ۱۵ ، ۱۶ ، ۱۸ ،

، ۲۱ .

ابن العرجي ۵۵ .

العرشي ۷۴ ، ۱۰۵ ، ۱۲۶ ، ۳۵۶ .

عز الدين عثمان بن الزنجبيلي ۲۴۲ .

عز الدين محمد بن الإمام عبد الله المنصور بن

حمزة ۲۹۰ ، ۲۹۲ ، ۲۹۳ .

العزيزي ۱۸۴ .

(ظ)

الظاهر لدين الله ۴ ، ۳۲ ، ۵۸ ، ۶۰ .

(ع)

عائشة بنت أبي بكر ۱۷۴ ، ۱۹۰ .

عامر بن سليمان الزواحي ۷۹ ، ۱۰۶ ،

، ۱۱۶ ، ۱۱۸ ، ۱۲۰ ، ۱۲۸ ،

، ۱۳۰ ، ۱۳۱ ، ۱۴۳ ، ۱۵۴ ،

، ۱۵۵ ، ۱۶۱ ، ۲۶۶ ، ۲۱۲ ،

، ۳۱۵ .

عباس بن حسين بن فيض الله الهمداني

البيصري ۱۰ ، ۲۲۳ ، ۲۲۴ ، ۲۲۵ ،

، ۲۲۶ ، ۳۶۷ .

عباس عزاوي ۲۹۵ .

العباس (عم النبي) ص ۱۵ .

ابن العباس الداعي : انظر عبد الله بن

العباس الشاوري

عباس العقاد ۳۳ ، ۳۵۶ .

عباس بن الكرم ۷۹ ، ۱۰۶ .

عبد الأعلى بن عبد المجيد ۳۰۵ .

عبد الرحمن بن عويس ۱۶ .

عبد الرحيم بن إبراهيم الحوالي ۲۸ .

ابن عبد الحكيم ۱۵ ، ۳۵۶ ،

عبد الأعلى بن عبد القادر ۲۲۴ .

عبد الكرم خليفه ۲۵۸ ، ۳۵۶ .

عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ۱۴۲ ،

، ۱۸۴ ، ۱۸۵ ، ۱۸۸ ، ۱۹۲ ،

، ۲۰۹ ، ۲۶۹ ، ۲۷۵ .

عبد النعم ماجد ۶ .

عبد المستعلي بن أحمد بن سليمان الزواحي ۱۴۷ ،

عبد النبي بن علي بن مهدي ۲۳۸ ، ۲۴۱ ،

، ۳۷۷ .

العبد بن نجاح : انظر سعيد الأحول .

أبو عبد الله الشيعي ۲۵۰ ، ۲۵۴ ، ۳۶۸ ،

عبد الله الداعي جد إدريس عماد الدين ۴ .

- أبو الفتوح بن نجاح ۱۱۹ .
 أبو الفتوح بن الوايد الحميري ۱۶۲ .
 الفخري ۲۴ .
 ابن الفرات ۱۸۵ ، ۱۸۹ .
 فرج السجرتي ۶۶ .
 فرج البيشي ۹۹ ، ۱۰۰ .
 ابن الفضل : انظر علي بن الفضل .
 ابن قليت ۲۸۵ ، ۲۸۶ ، ۲۸۷ ، ۲۹۰ .
 ۲۹۲ .
 فيروز داعي الدعاة ۴۰ ، ۴۱ ، ۴۶ .
 ۳۶۷ ، ۳۶۸ .

(ق)

- القاسم بن جعفر الرنسي ۸۲ ، ۱۲۰ ،
 ۱۲۷ ، ۳۱۴ ، ۳۱۵ .
 القاسم بن عبد العزيز ۱۷۶ .
 أبو القاسم . انظر منصور المين .
 أبو القاسم بن أبي النور ۳۱۷ .
 قاسم بن يحيى الشريف ۲۴۱ .
 القاضي الرشيد : انظر أبو الحسن القسائي .
 القائم العباسي ۸۴ ، ۹۴ .
 القائم بن المهدي الفاطمي ۵۲ ، ۲۵۶ ،
 ۳۲۲ .
 ابن قتيبة ۲۲ ، ۳۵۷ .
 القاتشندي ۳۸ ، ۸۹ ، ۹۱ ، ۳۵۸ .
 القمي (ابن القم) : انظر الحسين بن علي القمي .
 قونص ۱۸۴ .
 قيس بن أحمد الصليحي ۱۵۲ ، ۱۵۴ .

(ك)

- كاكا أكلا ۲۲۵ .
 كاكا أكيلي ۲۲۵ .
 الكامل الأيوبي ۲۸۶ ، ۲۹۰ ، ۲۹۱ .
 ۲۹۳ ، ۲۹۴ .
 كاي ۳۷ ، ۳۹ ، ۴۲ ، ۴۷ ، ۵۸ ، ۶۳ .
 ۶۹ ، ۷۱ ، ۱۲۰ ، ۱۲۵ ، ۱۳۰ .
 ۱۳۱ ، ۱۳۵ ، ۱۳۶ ، ۱۳۹ .

- عمر بن الرجل الخنفي ۶۵ .
 عمرو بن أبي أراكة ۲۱ ، ۲۲ .
 عمرو بن عامر ۲۸۲ .
 عمرو بن عرفطه الجنبي ۱۶۳ ، ۱۶۸ ،
 ۱۷۱ .
 عمرو بن يحيى الهيشي ۶۷ ، ۶۹ ، ۹۶ ،
 ۹۸ ، ۱۰۳ ، ۱۱۲ ، ۱۱۸ ، ۱۲۶ ،
 ۱۳۴ .
 عمرو بن العاص ۱۵ ، ۱۹ ، ۲۰ ، ۲۸۸ .
 عنتر بن غشم ۹۶ ، ۳۲۶ .
 عيسى بن العادل الأيوبي ۲۹۴ .
 عيسى بن موسى ۱۳۳ .
 عيسى النوشري ۴۰ .
 العيني ۳۸ ، ۹۱ ، ۱۰۶ ، ۱۰۹ ، ۱۸۵ ، ۳۵۷ .

(غ)

- أبو الغارات بن مسعود ۱۶۴ .
 غانم بن يحيى بن حمزة الشريف ۲۴۰ ، ۲۴۱ .
 الغزالي ۲۶۰ ، ۲۹۰ .
 الغفازي أبو ذر ۱۳ .
 غوثيه ۲۵۳ .
 غوست ۲۵۳ .
 غولاد نصير ۲۸۸ ، ۲۹۰ .
 غويدي ۸۴ .
 غيب ۳۵۷ .
 أبو الغيث بن سامر ۱۷۱ .

(ف)

- الفاتك بن جياش ۱۵۱ .
 فاطمة بنت أحمد المكرم ۱۷۴ ، ۱۶۳ .
 فاطمة الزهراء ۲۶ ، ۲۵۵ ، ۳۰۹ .
 الفارابي ۲۶۱ .
 الفاسي ۹۱ ، ۱۰۶ ، ۱۰۹ ، ۳۵۷ .
 الفاكهي ۱۰۱ ، ۱۰۶ ، ۱۰۹ ، ۳۵۷ .
 الفائز الفاطمي ۱۸۷ .
 فتوح بن مفتاح ۱۶۷ .
 فتوح الشامي ۹۷ .

۲۲۴ ، ۲۲۵ ، ۲۴۵ ، ۲۴۷ ،
۲۶۱ ، ۲۶۲ ، ۲۶۳ ، ۲۶۴ ،
۲۶۵ ، ۲۶۶ ، ۲۶۸ ، ۲۷۲ ،
۲۷۸ ، ۲۹۸ ، ۳۰۹ ، ۳۷۱

البرد ۱۸ ، ۳۰۹ .

سارک بن منقذ سيف الدولة ۲۴۲

التنزی ۶۶

التوکل الخلیفة العباسی ۲۸

ابن المحاور ۲۸ ، ۲۵۹ .

محب الدین الخطیب ۱۹ ، ۲۰ ، ۶۴

أبو المحاسن ۹۲ ، ۳۰۹ .

الحسن بن الحسن ۲۳۷ ، ۲۴۰

الحسن بن أبی الفضل بن محمد ۳۱۹

ان محفوظ ۲۴

محمد بن ابراهیم بن عمر ۲۸۹

محمد بن ابراهیم الصلیحی ۱۲۸

محمد بن أحمد الأحوری ۲۸۴

محمد بن أحمد المکنی بسید الخیر (أبو علی

الحکیم) ۳۱

القاضی محمد ، والد علی الصلیحی ۶۴ ، ۶۵

محمد بن أحمد بن العباس الشاوری ۵۶ ، ۶۰

محمد بن أحمد بن علی الصلیحی ۱۴۷ ، ۱۴۹

۱۵۶ ، ۲۱۴ ، ۲۱۶ ، ۲۱۷

محمد بن أحمد بن عمران الیالی ۱۷۱ ، ۱۷۴ ،

۲۰۹

محمد بن الأزدی ۱۷۳

محمد بن إسماعیل الإمام المستور ۲۵۵ ،

۳۲۲

محمد بن أبی بکر ۱۵

محمد بن جعفر ۹۲ ، ۹۳ ، ۱۲۰ .

محمد جمال سرور ۸۸ .

محمد الحیب والد عید الله ۳۸ .

محمد الحجری : انظر الحجری القاضی محمد .

محمد حسن ۱۴۶ .

محمد بن حسن (رسول الصلیحی إلى المنتصر)

۱۷۵ ، ۱۷۷ .

۱۴۱ ، ۱۴۷ ، ۱۴۸ ، ۱۵۰ ،

۱۵۴ ، ۱۵۷ ، ۱۵۹ ، ۱۶۲ ،

۱۷۴ ، ۱۷۳ ، ۱۸۳ ، ۱۸۵ ،

۲۱۸ ، ۲۳۸ ، ۲۴۱ ، ۳۲۱ ، ۳۵۸

السکبسی ۸۲ ، ۸۴ ، ۸۸ ، ۱۹۲ ،

۳۵۸ ، ۱۴۱ .

ابن کثیر ۴ ، ۱۳ ، ۳۵۸ .

کتامة بن بشر ۱۶

ابن کدینه ۲۱۳

کراوس ۲۵۱ ، ۲۵۹

الکرمانی ، أحمد حمید الدین ۲۴۵ ، ۲۵۲

۲۵۳ ، ۲۵۸ ، ۲۵۹ ، ۲۶۰ ،

۲۶۱ ، ۲۶۶ ، ۲۸۹ ، ۲۹۱ ، ۳۵۸ .

کزانوفا ۲۵۸

الکلالی ، أبو إسماعیل ۱۲۸ ، ۳۱۳

الکندی ۱۶ ، ۱۱۰ ، ۲۵۳

کونس ۲۷۰

(ل)

الملك بن مالك ۷۹ ، ۱۷۰ ، ۱۷۶ ،

۱۷۷ ، ۱۷۹ ، ۱۸۰ ، ۲۱۶ ،

۲۲۴ ، ۲۲۵ ، ۲۶۱ ، ۲۶۳ ،

۲۶۸ ، ۲۹۷ ، ۲۹۸ ، ۳۶۹ ، ۳۷۰

لویس برنارد ۳۷ ، ۳۵۹ .

(م)

مارغلیوس ۲۶۲

مالك الأشتر النخعی ۱۸ ، ۱۹ ،

مالك بن شهاب الصلیحی ۱۱۳ ، ۱۱۸ ،

۱۲۳

مالك بن نجاح ۱۳۱

المأمون البطائحي ۱۶۹ ، ۱۷۰ ، ۱۷۲ ،

۲۳۰

المأمون العباسی ۲۸

المؤید فی الدین هبة الله بن موسى الشيرازي

۱۱۱ ، ۱۷۶ ، ۱۷۷ ، ۱۷۸ ،

محمد بن أبي حذيفة ١٦ .
محمد بن أبي زياد ٢٨ ، ١٦٦ .
محمد بن سبأ الزبيعي ٢١٩ ، ٢٤١ .
أبو محمد . مروار (من قواد الخليفة) ٢٠٠ .
محمد بن طاهر الحارثي ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ،
٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧ ،
٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٥٣ .
محمد بن عبد الله بن العباس ٣٨ .
محمد بن أبي العرب ١٦٩ .
محمد العفيف الوزير ٢٨٧ .
محمد بن علي (رسول الصليحي إلى المستنصر)
٣٠٥ ، ٣٣٠ .
محمد بن علي بن أبي زيد ٢٧٢ .
محمد للأعتر بن علي الصليحي ٩٥ ، ٩٦ ،
١١٣ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ،
٢١٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ .
محمد علي الهمداني اليعبري ٢ .
محمد بن عبد الله (النبي) ١٨ ، ٢١ ، ٢٦ ،
٤٩ ، ٧٧ .
محمد بن علي اليايى ١٢٠ .
محمد بن عليه ١٢٢ .
محمد بن شقار ١٥٢ .
محمد كامل حسين ٩ ، ١٠ ، ١٦ ، ٣٠ ،
١٨٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ،
٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣٥٩ .
ماضي ، محمد عبد الله ٢٥ ، ٣٧ ، ٥٥ .
الحمادي ، الفقيه محمد بن مالك ٧ ، ٢٩ ،
٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ،
٤٩٦ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ .
٥٩ ، ٦٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١٠٩ .
٢٣٥ ، ٢٤٩ ، ٣٥٤ .
محمد بن مالك بن شهاب الصليحي ١٢٢ .
محمد مصطفى حلي ٢٦٠ .
محمد بن منصور بن الفضل ٢٨٦ .
محمد بن مهنا الصليحي ١٥٢ .

محمد بن يعفر ٣٤ .
محمد أبو الخير بن يوسف ٣٠١ .
محمود الفزنوي ٢٢٤ ، ٢٢٩ .
المختار ١٨ ، ٢٣ .
بالمخرمة : ٧٤ ، ٨٥ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ،
١١٢ ، ١٣٨ ، ١٥٢ ، ١٦٤ ،
١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٣٥٩ .
مدافع بن الحسن الجنبي ١١٥ ، ١٢٠ .
٣١٢ ، ٣١٦ .
مدرك بن بشر بن حاتم اليايى ٢٩١ ، ٢٩٣ .
ابن مدين ١٨٤ .
مرجان ٦٥ .
مرزبان بن إسحاق ٢٢٥ ، ٢٢٧ .
مروان بن الحكم ٢٣ .
المستعلي بن المستنصر الخليفة الفاطمي ٤ .
١٧٨ ، ١٨١ ، ٢١٧ ، ٢٩٦ .
٣١٩ ، ٣٢٤ .
المستنصر بالله الخليفة الفاطمي : ٤ ، ٤ ، ٦ ،
٦٠ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٤ ،
٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ،
٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٧ ، ١٠٣ ،
١١١ ، ١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ،
١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢١٢ ،
٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ،
٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
٢٣٠ ، ٢٤٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،
٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ،
٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ،
٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ،
٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٥٩ .
المسعود بن الكامل الأيوبي ٢٨٦ .
٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ .
مسعود بن الكرم الهمداني ١٦٤ .

المتاب بن إبراهيم بن عبد الحميد السباعي
٥٦ ، ٥٥

منصور بن فانك ١٦٣
المنصور الفاطمي ٤ ، ٥٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ ،
منصور بن محمد اليامي ١٢٠ ، ٣١٣ .

منصور بن الفضل بن أبي بركات الحميري
١٦٩ ، ١٧١ ، ٢٠٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦
منصور بن الفلح ٢٠٠

منصور اليمن ٣ ، ٥٤ ، ٦ ، ١٢ ، ١٤ ،
٢١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ،
٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ،

٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ،
٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ،
٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ،

٥٩ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٥ ،
٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،
المنصوري ٣٨ ، ٣٣ ، ٣٦٠ .

المهدي الفاطمي : انظر عبد الله بن الحسين
مهدي بن علي ٢٣٩
مهنا بن علي المظفر بن الصليحي ١٠١

موسى بن أبي حذيفة ٣١٢
موسى بن علي بن رسون ٢٩٤
الموفق بن علي بن محمد الصليحي ١٠٠ ،
٢٣ ، ٣٠٢

مواهب بن حديد المعزي ١٦٥
ابن ميسر ١٧٣ ، ٣٦٠ .
ميمونة بنت علي الصليحي ٢١٦

(ن)

الناصر بن أحمد المستضيء العباسي ٢٤١
ناصر الدولة بن حمدان ٩٧ ، ٣٧٠ ،
الناصر أبو الفتح الديلمي ٨٢ ، ٨٣ ،
٢٣٦

الناصر بن طفتكين ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،
نجاح العبد ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ،
٢١٨ ، ٨٦

المسعود ٢٤

معلم بن الزر ١٦٧

مشرقة ١٧٩

المشروح فارس ذي رعين ٢١

مصطفى السقا ١١

مصعب بن الزبير بن العوام ١٣٣

الملك المظفر : انظر علي بن محمد الصليحي

المظفر بن حاج ٣٧

المظفر بن زياد ٣٠١

معاذة بنت علي بن الفضل ٤٨

معاوية بن أبي سفيان ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ،

١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢

محمد بن أبي تميم : انظر الخليفة

المنتصر .

أبو العلاء المعري ٢٦٢

المعز لدين الله الخليفة الفاطمي ٥ ، ٥٣ ، ٥٥ ،

٥٩ ، ٢٢٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ،

٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ،
٣٢٥

معز الدين الغزنوي ٢٢٥

معن بن حام ٢٣٩

الفضل بن أبي البركات الحميري ١٥٤ ،

١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،

١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٢٠٩ ،
٢٣٦ ، ٢٣٥

مفضل بن الزريع ١٦٩

مفلح الماتكي ٢٠٠

المقداد ١٣

المقرئزي ١٦ ، ١٤٩ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ،

٢٢٠ ، ٣٥٩ .

الماكتفي العباسي ٣٩

المكرم : انظر أحمد بن علي الصليحي

ابن أبي الملاح ٣٨

الملكسة السيدة الحرة : انظر أروى بنت أحمد

من الله الفاتكي ١٧٠ ، ٢٠٠

ابن هند : انظر معاوية بن أبي سفيان
الهيثم، ابن أخى منصور اليمى ٣٨ ، ٢٢٣

(و)

وهب بن منبه ٢٤٠

(ى)

اليازورى ، أبو محمد على بن عبد الرحمن
١٧٩ ، ٢٠٣

أبو بكر الياقضى ١٦٦

ياقوت ٢٦٢ ، ٢٨٥ ، ٣٦٢

يحيى بن إبراهيم الصغارى ٨١
يحيى بن أحمد بن الحسين الهارونى الديلمى
٢٣٧

يحيى بن أبى حاشد ٨٢

يحيى بن الحسين صاحب الأنباء ٧ ، ٣٦ ،
٤٢ ، ٣٦٢

يحيى بن حمزة بن وهاس ١٥٢ ، ١٥٣ ،
٢٣٧

يحيى حميد الدين، الإمام المتوكل على الله ٢٥١
يحيى بن ملك ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٠ ،
٢٦٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ ، ٢٩٨

يزيد بن عيسى الوائلى ١٦٧

يزيد بن معاوية ٢٣

يعفر بن عبد الرحيم الحوالى ٢٨

يعفر بن الكرندى ١٢٨

يعقوب النبى ٣٢٤

يوسف بن أحمد بن الأشح ٥٧ ، ٦٠

يوسف بن حنين الضمرى ٣٠٦

يوسف بن زائد السنجانى ٣١٢

يوسف بن محمد ٩٦ ، ٣٠٥

يوسف بن موسى بن أبى الطفيل : انظر
ابن أبى الطفيل

يوسف النبى ٢٥٦

نجم بن بشاره ١٣٨

ابن نجيب الدولة : انظر على بن إبراهيم

نجيب بن عفير ٩٦ ، ٣٠٥

ابن الازيم ٢٥١ ، ٣٦٠

ابن النساخ : انظر حسن بن محمد

للفسقى ، الشيخ محمد بن أحمد ٢٤٥ ،

٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ،

٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٢ ، ٢٦٩

نلان ١٨٤

نشوان الحميرى ١٢ ، ١٧ ، ٣٧ ، ٤٢ ،

٥٨ ، ٧٨ ، ٣٦٠

نظام الملك ٢٥١

النعمان ، القاضى ٥ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٩ ،

٤٠ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٢٢٣ ،

٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ،

٢٦٠ ، ٢٩١ ، ٢٦٥ ، ٣٦٠

نجم الشاعر الهلالى ١٥٥

نقبس ٦٥

النوشرى : انظر عيسى النوشرى

النويرى ١٨ ، ١٨٥ ، ٢١٧ ، ٣٦١

نور الدين مولاي ، روب نات ٢٢٥

(ه)

هارون بن محمد بن رحيم ٥٦ ، ٦٠ ، ٦١

هارون بن محمد بن قيس ٢٥٢ ، ٣٠١

الهادى ، الإمام يحيى بن الحسن الرسى

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨

ابن هانء ٢٥٦

ابن هبالة ١٣٨

هزار الملوك ١٨٥

ابن هشام ، صاحب السيرة ١٣ ، ١٠٥

٣٦١

هشام بن القيب الهمداني ٢٣٩

أم همدان بنت أحمد المكره الصليحي ١٤٧

القبائل

(خ)
خولان ٢٥ ، ١٦٥ ، ١٩٠ ، ٢٤٠ ، ٣١٢

(ذ)
ذواوات ٨٤

(ر)
ربيعة ١٦
آل رسول ٢٤ ، ٢٩
ذورعين ٢١ ، ٢٥ ، ٩٤ ، ١١٧ ،
١١٨ ، ١٢٧ ، ١٢٧ ، ٣١٥

(س)
سبأ (سبأ) ٨٤ ، ٢٢٨
بنو سليمان الأشرف ٢٤٠
سنعان ١٦٣ ، ١٧٠ ، ٣١٦
سهرت ٨٤

(ش)
شاكر ١٧
بنو شهاب ٧٨ ، ٨١ ، ٢٧٥
بنو شيبه ٩١ ، ٢٢١

(ص)
صحر ٨٤
بنو صعب ١٢٨
بنو الصليحي ١٤٦ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ،
٢٤٠ ، ٢٠٠

(ط)
بنو الطيب الحسينيون ٩١

(ا)
أد ١٢٣
الأزد ١٦ ، ١٢٣
الأشعريون ١٩
بنو أصبح ٢٣
بنو الأضوح : انظر بنو الصليحي
بنو أمية ٢٣
بنو أيوب ٢٨٧ ، ٢٩٢

(ب)
بكيل ٦٣ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣١ ،
٣١٣

(ث)
ثقيف ١٨

(ج)
بنو جبير ١٢٧
جنم ١٩١
جنب ١٢٣ ، ١٣٠ ، ٢٧٦ ، ٣١٦
جهينة ١٦

(ح)
بنو حاتم الهمدانيون : ١٢ ، ١٩ ، ٢٨٢ ،
٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥
بنو الحارث ١٢٨
حاشد ١٧ ، ١٢٧ ، ١٧٤ ، ١٩٤
حجور ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٠
بنو حسين ٩٠
حرت ٨٤

حير ٢٨ ، ٣٥ ، ١١٦ ، ١٣٠ ،
٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٧٢ ، ٣١٢

- . بنو موسى ٣٢
- . المافر ٢٨ ، ٨٥
- . مذحج ١٨ ، ١٩ ، ٣٦ ، ١٢٨
- . بنو محرز ٢٧١
- . بنو معين ٢٢٧
- . بنو مهدي ٢٤٢

(ن)

- . بنو نجاح أو النجاشيون ١٧٠ ، ٢٠٠
- . ٢٠١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨
- . النضج ١٨
- . نهد ١٢٣
- . نهم ١٧

(هـ)

- . بنو الهادي ٢٤٠
- . بنو هبرة (آل هبرة) ٢٧٤
- . بنو الهجري ٧٩
- . همدان ٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١
- . ٢٥ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٨٢
- . ٨٩ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٧
- . ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٢١٤
- . ٢٢١ ، ٢٣٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
- . ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩١
- . ٢٩٥ ، ٣١٢ ، ٣١٦

(و)

- . بنو وائل ٦٢

(ي)

- . يام ١٧ ، ١٢٣ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٧٤
- . يحصب ١٧ ، ٣٧ ، ١٤ ، ١١٧ ، ١١٨
- . ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢٨٤ ، ٣١١ ، ٣١٥
- . اليابر أو بنو يعبرو ، ١٩٥ ، ٢٧٦
- . يعرب ١٣٣
- . اليافر أو بنو يعفر ١٢ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٥٦

(ع)

- . بنو عبد الواحد ٦٣
- . عبس ٣١١
- . بنو عجيل ٧٥
- . بنو المرجي ٣٤ ، ٥٤
- . بنو عشب ٥٥
- . عك ١٥ ، ١٩
- . عنس ٨٢ ، ٩٤ ، ١١٣ ، ١٢٧ ، ١٦٣
- . ٢٧٦ ، ٣١١ ، ٣١٥

(غ)

- . غافق ١٥
- . بنو غسان ١٢١

(ف)

- . بنو فطيمة ٢٥

(ق)

- . بنو القاسم العياني ٢٤٠
- . قحطان ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٧٤
- . قدم ٥٦ ، ٦٠
- . قريش ١٣٣
- . بنو قليد ٧٤ ، ٧٩

(ك)

- . كتامة ٣٩
- . بنو الكرندي ٦٢ ، ٦٦ ، ٨٢
- . كندة ١٧ ، ١٩ ، ٧٨
- . ذو كلاع ٢٥
- . كهلان ٧٨ ، ١٧٤

(ل)

- . لحم ١٦ ، ١٧

(م)

- . بنو مالك ١٨
- . بنو معن ٦٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٦٤

الاماكن والبلدان

- . البنجاب ۲۲۳
- . بيت ردم ۲۷۵
- . بيت ريب ۳۴
- . بيت عناد ۷۹
- . بر الفرب ۲۹۰
- . البيض ، مخاليف ۳۵
- . بينون ۱۲۸

(ت)

- . التركستان ۲۵۲
- تغر ۸۸ ، ۱۶۲ ، ۱۶۸ ، ۲۳۹ ، ۲۴۱ ، ۲۹۴
- التعكر ۴۸ ، ۸۸ ، ۱۰۷ ، ۱۱۳ ، ۱۱۹ ، ۱۳۵ ، ۱۳۶ ، ۱۳۷ ، ۱۳۸ ، ۱۶۲ ، ۱۶۵ ، ۱۶۷ ، ۲۳۶ ، ۲۴۰ ، ۲۴۱ ، ۳۱۱ ، ۳۱۳
- تهامة ۴۴ ، ۸۲ ، ۸۳ ، ۸۵ ، ۸۶ ، ۸۷ ، ۸۵ ، ۱۱۶ ، ۱۲۲ ، ۱۲۸ ، ۱۲۹ ، ۱۳۲ ، ۱۵۱ ، ۱۶۲ ، ۱۶۳ ، ۲۳۵ ، ۲۳۲ ، ۲۰۰ ، ۲۳۶ ، ۲۳۷ ، ۲۳۹ ، ۲۴۲
- . تهامة الشام ۲۴۰
- . التهاميم ۶۲
- . التومار ۴۸

(ث)

- . الثلاث ۴۳
- . تلا ۳۷ ، ۲۴۰ ، ۲۹۰

(ج)

- . الجالد ۱۱۷
- ذی جبلة ۸۸ ، ۱۱۹ ، ۱۳۶ ، ۱۳۷ ، ۱۶۳ ، ۱۶۲ ، ۱۵۸ ، ۱۵۷

- . إسكندرية ۱۶
- . أسوان ۲۱۸
- . آسيا الصغرى ۲۲۸
- . أسبوط ۱۶
- . إب ۳۶ ، ۲۴۱
- . أبين ۳۵ ، ۳۶ ، ۶۳ ، ۸۶ ، ۱۳۴ ، ۲۲۱ ، ۲۲۲ ، ۲۳۲ ، ۲۶۲
- . أحور ۸۶
- . الأخرج ۱۹۴
- . أرحب ۱۷ ، ۱۱۷ ، ۱۲۷
- . أشبج ۱۰۷ ، ۱۳۰ ، ۱۵۷ ، ۱۵۹ ، ۱۶۱ ، ۲۴۰
- . إفريقية ۲۲۳
- . أم الذهب ۱۲۹

(ب)

- . باب المصرع ۲۲
- . باريس ۱۹۵
- . بناح ۷۹
- . البحرين ۳۸ ، ۴۵ ، ۵۰ ، ۲۲۲ ، ۲۲۱ ، ۲۶۲ ، ۲۳۲
- . بخارى ۲۵۱
- . برع ۶۳
- . البصرة ۱۶ ، ۲۲
- . بعدان ۳۶ ، ۶۳ ، ۸۵
- . بغداد ۲۹ ، ۳۷ ، ۱۳۴ ، ۱۳۷ ، ۱۷۶ ، ۲۲۸ ، ۲۲۹ ، ۲۴۱ ، ۲۵۱ ، ۲۸۵ ، ۲۸۶
- . بلاد الجزيرة ۲۲۹
- . بلاد ما وراء النهر ۲۲۸
- . بلوختان ۲۲۳
- . بنت ۲۲۷

- خراسان ٢٥١ .
- الحضراء ٦٣ ، ١٦٤ .
- خنوة ١٦٦ .

(د)

- دار شجار ٨٨ .
- الدكن ٢٢٤ ، ٣٢٥ ، ٢٢٦ .
- دلال ٣٦ .
- دمشق ٢٥٨ ، ٢٩٤ .
- الدملوة ٨٥ ، ٢٣٩ .
- دهلك ٨٦ ، ١٢٣ .
- دهن كام ٢٢٥ .
- دهوان ٦٣ .

(ذ)

- ذخار ٣٥ .
- ذمار ٢٨٤ ، ٢٨٧ .
- ذمرمر ٣٣٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢ .
- ذى أشرق ١١٩ ، ٢٤١ .
- ذيبان ١٢٧ .
- ذى سفال ١١٩ ، ١٦٢ .
- ذى عدينة ٢٣٩ .

(ر)

- رداع ٨٢ .
- الرس ٢٥ .
- الرى ٢٥١ ، ٢٧٢ .

(ز)

- زبار ٨٠ .
- الزرائب ٨٣ .
- زبيد ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٥٧ ، ٦٢ .
- ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٨٣ ، ٨٤ .
- ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٥ .
- ١٠١ ، ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢٢ .

- ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٧٥ .
- ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ .
- ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

- الجرب ١٩٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .
- الجل ١٨ .

- جبل الجيمة ٣٤ .
- جنابة ٤٥ .

- الجند ٢١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٨٥ ، ٨٨ .
- ١٠٧ ، ١١٣ ، ١٦٥ ، ١٧٠ .

- ١٧١ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٨٤ .
- الجوحب ٢٧٥ .

- الجوف ٢٨٥ .
- الجوفين ٢٣٧ .

(ح)

- حب ٦٣ ، ٨٥ ، ١٣٥ ، ٢٣٩ .
- حجاز ٣ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٨٨ .

- ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١١٤ ، ١٣٢ .
- ٢٢١ ، ٢٣٢ .

- حراز ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ .
- ٧٨ ، ٨٩ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ .

- ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١١٩ .
- ١٣٠ ، ١٧٥ ، ٢٥٠ ، ٢٧٠ .

- ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ .
- ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ .

- الحرف ٤٣ .
- حضموت ٣ ، ٦٣ ، ١١٤ ، ٢٣٢ .

- حضور ٧٩ ، ٨١ ، ١١٥ .
- الحطيب ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

- الحلى ٩٣ .
- الحمراء ١٢٨ .

- حمضة ٢٧٦ .
- حلان ١٢٨ .

- حيس ٦٥ .

(خ)

- خدد ١٠٧ ، ١٣٠ ، ٢٠٤ .

الشرف ۱۵۱ .
شماف ۲۷۵ .
الشعر ۶۳ ، ۱۲۸ ، ۱۳۰ ، ۱۳۱ ،
۳۱۷ .
شہارۃ ۲۴۰ .
الشوائف ۸۵ ، ۱۲۸ .

(ص)

صبر ۱۶۸ ، ۲۴۱ .
صیہاب ۲۸۴ .
صعدۃ ۲۶ ، ۲۸ ، ۳۲ ، ۷۸ ، ۸۲ ،
۸۳ ، ۲۳۷ ، ۲۳۸ ، ۲۴۰ .
صفان ۷۴ ، ۷۵ .
صفین ۱۷ ، ۱۸ ، ۱۹ ، ۲۱ .
صفلیۃ ۲۲۸ ، ۲۲۹ .
صنماء ۳ ، ۱۴ ، ۲۱ ، ۲۲ ، ۲۴ ،
۲۸ ، ۳۲ ، ۳۵ ، ۳۷ ، ۴۴ ،
۴۶ ، ۴۸ ، ۶۴ ، ۶۶ ، ۸۱ ،
۸۲ ، ۸۵ ، ۸۶ ، ۸۷ ، ۹۰ ،
۹۳ ، ۹۴ ، ۹۵ ، ۹۹ ، ۱۰۱ ،
۱۰۶ ، ۱۱۴ ، ۱۱۷ ، ۱۱۸ ،
۱۲۰ ، ۱۲۵ ، ۱۲۶ ، ۱۲۸ ،
۱۲۹ ، ۱۳۰ ، ۱۳۲ ، ۱۳۳ ،
۱۳۶ ، ۱۶۱ ، ۱۶۲ ، ۱۷۵ ،
۱۸۵ ، ۲۰۶ ، ۲۳۶ ، ۲۳۹ ،
۲۷۰ ، ۲۷۳ ، ۲۷۷ ، ۲۸۰ ،
۲۸۲ ، ۲۸۴ ، ۲۸۵ ، ۲۸۷ ،
۲۹۲ ، ۲۹۳ ، ۳۰۲ ، ۳۰۷ ،
۳۱۰ ، ۳۱۲ ، ۳۱۳ ، ۳۱۴ ،
۳۱۵ ، ۳۱۶ .

صوف ۸۱ .
الصومال ۲۲۷ .
صيد ۳۱۶ .
الصین ۲۲۹ .

۱۲۵ ، ۱۳۱ ، ۱۳۲ ، ۱۳۳ ،
۱۴۰ ، ۱۵۱ ، ۱۵۲ ، ۱۵۴ ،
۱۶۴ ، ۱۷۰ ، ۱۷۱ ، ۲۰۰ ،
۲۳۶ ، ۲۳۸ ، ۲۳۹ ، ۲۴۲ ،
۲۸۶ ، ۲۹۲ ، ۳۱۱ ، ۳۱۳ ،
۳۱۴ ، ۳۱۵ ، ۳۱۷ .

(س)

الساعد ۱۳۲ ، ۱۳۳ ، ۲۰۰ .
السبخۃ ۶۵ ، ۲۹۰ .
سحار ۱۹۹ .
السحول ۴۷ ، ۶۳ ، ۸۵ .
السراۃ ۶۵ .
سرو یاقع ۳۴ ، ۴۱ .
سلبۃ ۱۳۱ .
سماۃ : انظر ثقيل صيد .
السمدان ۶۲ .
السند ۳۸ ، ۲۲۱ ، ۲۳۲ ، ۲۶۲ ،
۳۷۰ ، ۲۷۷ ، ۲۹۲ .
سورۃ ۱۷۸ .
السیان ۲۰۶ .
سیلان ۲۲۴ .

(ش)

شاطع ۶۳ .
شاكر ۱۳۱ .
الشام ۲۳ ، ۲۴ ، ۱۳۴ ، ۱۷۴ ،
۱۸۹ ، ۱۹۴ ، ۲۲۸ ، ۲۲۹ ،
۲۶۲ ، ۲۹۲ .
شہام ۱۷ ، ۳۵ ، ۴۴ ، ۴۵ ، ۵۷ ،
۵۸ ، ۶۰ ، ۷۴ ، ۷۵ ، ۷۹ ،
۲۷۵ .
الشعر ۶۳ ، ۱۳۴ .

غلافقة ۳۲ .

العمد ۶۳ ، ۱۲۱ ، ۳۱۰ .

(ف)

فارس ۱۷۷ ، ۱۷۸ ، ۲۲۱ ، ۲۶۲ ،

۲۶۶ .

فرنسا ۲۲۹ .

(ق)

القادسية ۳۲ .

القاهرة ۲ ، ۱۱ ، ۱۶ ، ۱۴۲ ،

۱۷۶ ، ۱۷۹ ، ۲۲۷ ، ۲۵۷ ،

۲۶۳ ، ۲۷۰ .

قتاب ۲۰۵ .

قتر ۶۵ .

قطابه ۵۵ ، ۵۶ .

قوارير ۱۵۱ .

القيروان ۲۶۱ .

قيضان ۱۶۳ ، ۲۰۹ ، ۲۴۰ .

(ك)

كحلان ۳۵ ، ۱۱۳ ، ۱۱۵ ، ۱۱۷ ،

۱۲۷ ، ۳۱۲ .

كرار ۷۴ ، ۷۵ ، ۷۸ ، ۱۱۹ ، ۲۷۶ ،

كرمان ۲۶۶ ، ۳۷۲ .

الكظائم ۱۳۸ ، ۱۵۱ .

الكعبة ۳۰ .

كيبات ۲۲۵ .

كوكبان ۳۵ ، ۵۸ ، ۲۷۳ ، ۲۷۴ ،

۲۸۵ ، ۲۸۷ ، ۲۹۰ ، ۲۹۲ .

الكوفة ۱۶ ، ۱۸ ، ۲۲ ، ۲۳ ، ۲۹ ، ۳۲ .

(ل)

لاعة ۱۲۸ .

لحج ۲۵ ، ۳۵ ، ۶۳ ، ۲۸۴ .

لهاب ۸۲ ، ۸۴ ، ۷۹ ، ۸۰ ، ۱۷۵ ،

۲۷۵ ، ۲۷۶ .

اللومي : ۱۲۸ .

لؤلؤة ۲۷۴ .

(ط)

طبرستان ۲۵۱ .

طبرية ۱۳۰ .

(ظ)

الظاهر ۲۳۷ ، ۳۲۴ .

الظرف ۱۵۱ .

ظفار ۲۲۷ ، ۲۸۵ ، ۲۹۰ ، ۲۹۲ .

الظلمة ۴۵ .

الظهرة ۲۷۵ .

(ع)

عبري سهام ۷۵ ، ۷۸ .

عبري دعاس ۸۰ ، ۸۱ .

عبر محرم ۳۳ ، ۳۴ ، ۵۴ .

عثر ۱۴۰ .

عراس ۷۱ .

العراق ۱۸ ، ۱۰۲ ، ۱۷۵ ، ۱۷۸ ،

۱۹۴ ، ۲۵۸ ، ۲۶۲ .

العرقة ۲۰۰ .

العروس ۲۸۴ .

عدن ۳ ، ۱۸ ، ۲۵ ، ۶۳ ، ۸۵ ،

۸۶ ، ۱۳۰ ، ۱۴۲ ، ۱۶۴ ،

۱۹۰ ، ۱۹۱ ، ۲۲۹ ، ۲۳۹ ،

۲۴۱ ، ۲۴۲ ، ۲۸۴ .

عدن أبين ۱۳ ، ۱۴ ، ۲۵ .

عدن لاعة ۳۱ ، ۳۲ .

جبل بني عشب ۵۵ .

عصر ۲۹۱ ، ۲۹۳ .

عكاد ۸۴ .

العكوتان ۸۴ .

عمان ۲۷ ، ۵۵ ، ۱۲۸ ، ۱۸۱ ،

۲۲۱ ، ۲۲۲ ، ۲۳۲ .

العنبرة ۲۳۶ ، ۲۳۸ .

عين الوردة ۲۳ .

(غ)

غجرات (البنجاب) ۲۲۳ .

غجرات (غرب الهند) ۲۲۴ ، ۲۲۵ .

- المنجل ۲۴ .
المهجم ۷۶ ، ۱۰۰ ، ۱۱۳ ، ۱۱۵ ،
۱۶۲ ، ۲۳۴ .
المهدية ۵۳ ، ۲۶۱ .
الموصل ۲۲۸ ، ۲۹۰ .
مدين ۲۷۲ .

(ن)

- نجد ۱۳۴ .
نجد الجاح ۸۲ .
نجران ۱۳ ، ۷۱ ، ۲۳۷ ، ۲۵۰ ، ۲۷۰ .
نقيل ۴۷ .
نقيل صيد ۱۳۰ ، ۱۳۱ ، ۲۰۶ .
نهر الحازن ۲۳ .
نقيل العجيب ۳۲ .

(هـ)

- الهجر ۹۰ ، ۱۰۰ ، ۱۳۲ .
الهرابة ۳۲ .
هران ۱۱۳ ، ۱۱۵ ، ۱۱۷ ، ۳۱۱ ، ۳۱۲ .
الهند ۲ ، ۱۴۸ ، ۱۵۱ ، ۱۵۲ ،
۱۸۱ ، ۲۲۱ ، ۲۲۲ ، ۲۲۳ ،
۲۲۴ ، ۲۲۵ ، ۲۲۶ ، ۲۲۷ ،
۲۲۹ ، ۲۳۱ ، ۲۳۲ ، ۲۴۳ ،
۲۵۰ ، ۲۶۲ ، ۲۷۰ ، ۲۷۷ ،
۲۹۰ ، ۳۱۸ .

(و)

- وادعه ۱۷ .
وادي عين ۲۴۰ .
وادي نخلة ۶۳ .
وحاظة ۶۳ .
وصاب ۶۳ ، ۱۵۱ .

(ي)

- بلاد يافع ۳۳ .
يثرب ۱۳۴ .
يزد ۲۷۲ .
يريم ۲۰۶ .
يفوز ۶۳ .
اليمامه ۲۷ ، ۳۸ .
اليونان ۲۴۷ .

(م)

- مايه ۱۳۱ .
ما وراء النهر ۲۲۸ .
مئوه ۹۵ .
مبيح ۷۴ ، ۱۱۹ ، ۲۷۶ .
مخالف البيض : انظر البيض
المخلاف : انظر مخلاف جعفر
مخلاف جعفر ۳۶ ، ۶۲ ، ۶۶ ، ۱۱۹ ،
۱۳۰ ، ۱۳۱ ، ۱۳۵ ، ۲۸۴ .
مخلاف الهند ۶۲ .
مخلاف بني طريفه ۳۲ .
مخلاف يربوع ۶۳ .
المدينة النورة ۱۳ ، ۱۴ ، ۲۲۸ .
المدنجره ۳۶ ، ۴۱ ، ۴۳ ، ۴۸ .
مسار ۶۳ ، ۷۱ ، ۷۴ ، ۷۵ ، ۷۶ ،
۷۷ ، ۷۹ ، ۸۰ ، ۸۵ ، ۹۵ ،
۱۰۵ ، ۱۰۶ ، ۱۱۳ ، ۱۱۸ ،
۱۴۲ ، ۳۱۱ .
مسور ۳۴ ، ۳۵ ، ۴۵ ، ۵۴ ، ۱۲۸ ، ۳۱۱ .
مصر ۵ ، ۶ ، ۱۰ ، ۱۵ ، ۱۵ ، ۱۶ ،
۲۴ ، ۳۸ ، ۳۹ ، ۴۰ ، ۵۱ ،
۸۸ ، ۹۳ ، ۹۶ ، ۹۸ ، ۱۰۲ ،
۱۶۸ ، ۱۷۵ ، ۱۷۷ ، ۱۷۸ ،
۱۸۲ ، ۱۸۶ ، ۱۹۲ ، ۱۹۳ ،
۱۹۵ ، ۲۰۹ ، ۲۱۸ ، ۲۲۱ ،
۲۲۲ ، ۲۲۸ ، ۲۲۹ ، ۲۳۰ ،
۲۳۱ ، ۲۳۶ ، ۲۵۸ ، ۲۶۱ ،
۲۶۲ ، ۲۶۶ ، ۲۶۸ ، ۲۶۹ .
الغرب ۳۸ ، ۳۹ ، ۴۰ ، ۵۰ .
المقامقه ۷۴ .
مقر ۱۵۱ .
مكة ۲۲ ، ۲۵ ، ۳۱ ، ۳۲ ، ۸۷ ،
۸۸ ، ۹۰ ، ۹۱ ، ۹۲ ، ۹۳ ،
۹۴ ، ۹۵ ، ۱۰۳ ، ۱۰۶ ، ۱۷۵ ،
۲۲۸ ، ۲۹۴ ، ۳۰۹ .
ملتان ۲۲۳ ، ۲۲۴ .
الملوى ۱۱۷ ، ۱۱۸ .
منكث ۳۷ .

تصویب

نعتذر عن وقوع أخطاء كثيرة عند طبع الكتاب وهذا تصحيح المهم منها :

ص	س	اقراً	ص	س	اقراً
ح	۲۱	(ت ۱۷۰)	۳۲	۱۰	سمعتہ
ح	۲۲	(ت ۲۴۶)	۳۳	۱۵	يقبضون
۲	۲۵	للأمة	۲۸	۲۲	۱۲۰ -
۴	۱۰	الكتاب الأخير هو	۳۹	۲	فإنها
۵	۱۴	يزيد تقديرنا	۳۹	۲۲	جعفر
۷	۱۶	كان فيما يظهر	۴۰	۲	المستجيبين
۹	۱۴	نخص	۴۱	۲۱	المؤرخون ابن الفضل بأنه أحل
۱۴	۷	علي	۴۲	۱	بما جاء من
۱۵	۱۷	استقرؤا	۴۲	۵	نبي
۱۷	۱۲	بالقنا فوارسها	۴۲	۱۴	في نسبتهم
۱۷	۱۷	مذموم	۴۲	۱۸	De Opkomst
۱۸	۱	يجبون	۴۳	۱۹	ابن الفضل به
۱۸	۱۱	سنة	۴۶	۲۰	فقصده
۲۲	۲۱	وثقيف	۴۸	۱۳	وثلاث وثلاثين مئة
۲۳	۲۲	إكليل ۱۰/۶۶	۴۸	۱۸	ووجه
۲۴	۳	لمقتله	۵۲	۱۲	تقديره
۲۵	۵	من	۵۳	۱۹	أبا
۲۶	۱۲	الناس	۵۴	۱۶	يدعى
۲۶	۳	نجاح	۵۸	۲	والظاهر
۲۸	۹	اشتبكتنا	۵۸	۲۰	السلطان
۳۲	۳	۳۹۱	۶۱	۱۱	كان

اقراً	ص	س	اقراً	ص	س
دار الدعوة	٨٦	٧	جمال الدين	٦٢	٢٣
محمد	٨٨	٨	العقد	٦٣	٦
وانفرد	٩٠	١٩	الخضراء	٦٣	٢٠
خطب	٩٣	٢٦	يسكنه	٦٤	٢٤
دانوا	٩٤	٥	يجي	٦٧	٢٠
العقد	٩٥	٨	وتحت	٧٣	٢٦
نالاه الأسف	٩٥	٢١	المعاني	٧٣	٢٧
شء	٩٦	٥	الله من	٧٤	٩
ساقه	١٠٠	٣	سوء	٧٨	١٣
ابن أسعد	١٠٠	٤	ابن عباس	٧٨	١٤
قبيح	١٠٩	٩	اليعراب	٧٩	٢٠
واقام جماعة من قبائل	١١٩	١	قريبة	٧٩	٢١
بالتشاء	١٢٥	١	بالصلوات	٨٠	١٨
قاسم	١٢٥	١٧	المنصور	٨٢	١٢
سعيدا	١٢٨	٥	المنصور	٨٢	١٩
عامر بن سليمان	١٢٨	١٠	الصليحي	٨٢	٢٤
فيها	١٢٨	١٦	لنفاد	٨٣	٢
البحث	١٣٠	٢٦	هذه المرة وفي مناسبات أخرى سياسة هوادة أو تردد ، بل قصد منها تسكين الثارات لأن في تسكينها لليمن ولليمنيين خيرا .	٨٣	٩-١١
الصليحيين	١٣٧	٢٤			
مخلاف	١٥٧	٢٢			
أمرى	١٥٨	١٦	يد	٨٤	٦
والفيم	١٦٠	٢	زييد	٨٤	٢٠
يفض	١٦٠	١٧	بني العباس	٨٥	٢٠

اقراء	ص	س	اقراء	ص	س
كفوم	٢٢١	٢١	وأفتنه	١٦٥	٢٦
نصرتها	٢٢٢	١٢	بقليل	١٧٠	٤
الدولة	٢٢٣	١	أساء	١٧٤	٢
جلم بن شيان	٢٢٣	١١	بالحج	١٧٥	١٤
داود	٢٢٤	١	وضع أمور	١٧٨	١٥
الفاطمية	٢٢٤	٦	إلى الملك المكرم	١٨٠	١
عجرات	٢٢٤	١١	توفى	١٨١	١٢
عجرات	٢٢٥	٨	بشاقب	١٨١	١٥
ملك	٢٢٥	١٧	وأقامه	١٨٤	١٠
سنة إحدى وستين	٢٢٦	١٦	امرأة	١٨٩	٢٢
نخص	٢٢٨	١٧	الكذب	١٧٩	٢٤
سبقت	٢٢٨	٢٠	وابن عم أمير المؤمنين	١٩١	٦
لأنه	٢٢٩	٣	قبل	١٩٣	١٢
تمنح الصليحين	٢٣٠	١٣	موف بما عاهد	١٩٨	١٧
إلى حكم اليمن	٢٣٤	٢	والجبت	١٩٩	٢
للقيام بأمر صنعاء	٢٣٩	٨	يأتى	٢٠١	١٨
إلى	٢٤٠	٢٧	كاتبه	٢٠٢	٥
زوجته	٢٤١	٢	بقوة	٢٠٢	٧
لازدحام	٢٤٣	٥	بمضجعه	٢٠٣	١٤
الشيخ أبو يعقوب	٢٤٤	٢٠	رواية	٢٠٣	٢٣
المتضادة	٢٤٥	٤	الصحيحين	٢٠٦	٩
فطهرهم	٢٤٦	١٨	قبلته	٢٠٨	٨
ونظرا	٢٥٠	٢٣	حاة	٢١٠	١٠

اقراً	ص	س	اقراً	ص	س
إحدى عشرة	٢٨٦	٢	وبيان الشهادة	٢٥٢	١٨
وزبدة	٢٨٩	٣	السجستاني	٢٥٣	١٦
أنه	٢٨٩	٧	وفضائل	٢٥٥	١١
صلى الله عليه	٣٠١	٦	لإصدار الديوان	٢٥٦	٢٤
الماضين	٣٠٥	٢١	مخطوطات	٢٥٦	٢٥
سبع	٣٢٦	١١	(De Goeje)	٢٥٧	١٧
واستطته	٣٢٦	٢٩	JRAS	٢٥٩	٢٧
بينها	٣٢٧	٢١	وقصر	٢٦٠	٦
اثنان	٣٢٨	٢١	٤٧٢	٢٦٢	١
اثنان	٣٢٨	٢٢	ملك	٢٦٣	٢
وهم من بنى عبيد	٣٣٥	٢	المبدأ والمعاد	٢٦٤	١٥
جدول رقم ٦	٣٤٣	١	جميعاً	٢٨٥	١٧

محتويات الكتاب

ج	تصدير بقلم الأستاذ مصطفى السقا
ك	الإهداء
م	رموز واصطلاحات
ا	مقدمة المؤلف
١٢	الباب الأول : حركة الشيعة في اليمن قبل ظهور منصور اليمن
٢٧	الباب الثاني : الدولة الفاطمية الأولى في عهد منصور اليمن
٤٩	الباب الثالث : الدعوة بعد منصور اليمن حتى ظهور الصليحي
٦٢	الباب الرابع : عهد الملك علي بن محمد الصليحي
١١٣	الباب الخامس : عهد الملك المكرم أحمد الصليحي
١٤٢	الباب السادس : عهد السيدة الحرة الملكة أروى بنت أحمد الصليحية ...
٢١٢	الباب السابع : العلاقات بين الدولتين الفاطمية والصليحية مظاهرها وآثارها
٢٣٢	الباب الثامن : أسباب ومظاهر سقوط الدولة الصليحية
٢٤٣	الباب التاسع : آداب الدعوة الفاطمية وتحولها إلى اليمن
	الباب العاشر : دعوة اليمن ونشاطها العلمي من أواخر عهد الملكة الحرة
٢٦٨	إلى ظهور دولة آل رسول
٢٦٨	قسم الملاحق
٣٣١	قسم الجداول
٣٤٩	قائمة المصادر
٣٦٧	ضميمة : تعليقات الدكتور عباس الهمداني

- ٣٧٣ المين : مصور تقريبي رسمه الدكتور حسن سليمان محمود
- ٣٧٥ الفهارس رتبها الدكتور حسن سليمان محمود
- ٣٧٧ الأعلام
- ٣٩٠ القبائل
- ٣٩٢ الأماكن والبلدان
- ٣٩٧ تصويب
- ٤٠١ محتويات الكتاب



المعهد المنداني للدراسات الإسلامية

سلسلة البحوث اليمنية رقم ١

الصُّلَيْحِيُّونَ

والمحركة الفاطمية في اليمن

(من سنة ٢٦٨ هـ إلى سنة ٦٢٦ هـ)

تأليف

حُسين بن فيض الله المنداني

اليقبري الحرّازي



مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدق بالفيحالة

القاهرة